نازك الملائكة

المجلس الأعلى للثقافة

الأعمال الشعرية الكاملة . الجزء الأول

- مأساة حياة
- عاشقة الليل
- أغنية الإنسان
- شظايا ورماد

الناشيء

نازك الملائكة

الأعمال الشعرية الكاملة

(الجزء الأول)



٢٠٠٢

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٧٦٦٧
I.S.B.N. 977 - 305 - 332 - 6

- مأســـاة حياة
- أغنية الإنسان
- عاشقة الليل
- شظايا ورماد

الناشيء

تقدمة

أ.د عبده بدوي

- ١ -

كان كل شيء يساعد على أن تكون «نازك الملائكة» مميّزة في عالم الشعر، فقد عاشت نفسيًا في مناخ عربي كان الشعر أوضح ملامحه، فقديمًا تنتمي إلى المناذرة الذين استقرّوا في إمارة «الحِيرة»، وكان في طليعتهم «النعمان بن المنذر»، وحديثا نعرف أنها كانت وليدة ما يسميه ابن رشيق «البيت الشعري[١]»، فقد كان جدّها لأمها محمد حسن كبة إماما في الفقه، في القرن التاسع عشر وأوضح الشعراء في هذا القرن، أما أمها «سليمة عبدالرزاق» فهي صاحبة ديوان أنشودة المجد، ووالدها صادق مدرس النحو كان يتعاطى الشعر، وله أرجوزة في أكثر من ثلاثة آلاف بيت، وصف فيها رحلته إلى إيران عام ١٩٥٦، كما قال الشعر خالاها: جميل وعبدالصاحب، ومن خلال هذا الزّخم الشعري كان الاهتداء إلى تجربة جديدة في العصر الحديث، فيما يسمّى «الشعر الأسرى المشترك»، فقد كانت الشاعرة والأم، والخال عبدالصاحب يجتمعون، ثم يكتب أحدهم بيتًا كمطلع لإحساس يشغله، ثم تمرّ الورقة عليهم، وكل واحد يضيف بيتا على الوزن والقافية حتى تنتهي القصيدة، والشاعرة تقول «فتحنا أعيننا على الشعر وأنغامه، وقرأنا العروض معا، وعشنا صبانا نتبادل قصائد الدعابة، وننظم الأهاجي الفكاهية، والألغاز، والتاريخ، والتشطير، والتخميس والموشح، والدوبيت، ومازلنا حتى الآن نجتمع لنظم القصائد المشتركة، وأحياناً نتبادل رسائل منظومة من أولها إلى آخرها[٢]

والملاحظ أن الشاعرة قد أخلصت نفسها للشعر من وقت بعيد، وبخاصة شعر المطولات، فقد كتبت «مأساة الحياة وأغنية للإنسان» في ثلاث صور شعرية لقصيدة واحدة، أولها قد نظم بين سنة ١٩٤٥، ١٩٤٦، وثانيهما نظم سنة ١٩٥ ، وثالثها كان عام ١٩٦٥، وهي تؤرخ لهذا العمل المركب فتقول: كنت إذ ذاك أُكثر من قراءة الشعر الإنجليزى، فأعجبت بالمطولات الشعرية التى نظمها الشعراء، وأحببت أن يكون لنا فى الوطن العربى مطولات مثلهم، وسرعان ما بدأت قصيدتى وسميتها «مأساة الحياة» وهو عنوان يدل على تشاؤمى المطلق، وشعورى بأن الحياة كلها ألم وإبهام وتعقيد»[٣]، وهى متأثرة فى كل هذا بقراءة للفيلسوف الألمانى «شوبنهاور» جاء فيها: «حتام نصبر على هذا الألم الذى لا ينتهى؟ متى تتدرع بالشجاعة الكافية فنعترف بأن حب الحياة أكذوبة، وأن أعظم نعيم للناس جميعاً هو الموت؟» بل إنها تقرر أن تشاؤمها فاقَ تشاؤم شوبنهار، لأنه - كما يبدو - كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان، أما هى فلم تكن ترى كارثة أقسى من الموت «وذلك هو الشعور الذى حملته من أقصى أقاصى صباى إلى سن متأخرة»[٤]

والملاحظ أن الشاعرة كان عندها دائماً استعداد لقبول الجديد، والتطور، فإلى جانب الأخذ بالمطولات من البحر الخفيف الذى يجرى بين يديها كما يجرى نهر عريض فى أرض منبسطة، نراها تلاحظ أن القدامى يستعملون تفعلية الخبب (فَعِلن)، ولكنها ابتداء من أول «قصيدة حرة كتبتها عام ١٩٤٧، حولتها إلى تفعيلة (فاعل) وتقول: وأنا أقرُّ بأننى وقعت فى هذا الخروج من غير تعمد، وقد ألفت أن أنظم الشعر بوحى السليقة، لا جرياً على مقياس عروضى.. ومن ثم فإن (فاعل) قد تسربت إلى تفعيلاتى الخببية وأنا غافلة، وحين نبهنى خالى «جميل» إلى هذا كان جوابى: إن أذنى على ما مر بها من تمرين، تقبل هذا الخروج، ولا ترى فيه شذوذاً، فليس هو خطأ وقعت فيه،

وإنما هو تطوير سرت إليه وأنا غافلة، ومعنى ذلك أن (فاعلُ) لا تمتنع فى بحر «الخبب»، لأن الأذن العربية تقبلها فيه، ثم إن التفعيلتين، فعلن وفاعل متساويتان من حيث الزمن تساويًا تاما، لأن طولهما واحد، فكلتا الوحدتين مكونة من ضربتين قصيرتين، وضربة طويلة، وإنما تقع الطويلة فى مطلع (فاعل) وفى آخر (فعلن) ومن الناحية الموسيقية يستوى عدد الأجزاء فى التفعيلتين، فكلاهما يتألف من أربعة أجزاء[٥]

وفى هذا الوقت المبكر كان الاهتداء إلى «الهيكل الهرمى»[٦] الذى يمنح الأشياء بعدها الرابع، شريطة أن يتوفر فيه: التماسك، والصلابة، والكفاءة، والتعادل، بالإضافة إلى صلاحية بحر الخفيف للمطوّلات، وتقديم الجمل الطويلة دون تقطع، وعدم التقيد بقانون استقلال الشطر أو البيت، والتركيز على أن الشعر ليس موهبة وحسب، وإنما هو نظم قبل ذلك، وأخيراً فلابد من العودة إلى علم العروض والقافية والضرائر، وإلى التعرف على أساليب التكرار، ودلالته، وأخيرا فقد كان التعرف على أسلوب «البند» الذى كان غامضًا فى المسيرة الشعرية، ولم يلتفت إليه الخليل بن أحمد، ولا العرضيون من بعده، لأن الوزن فيه كان يقوم على أساس التفعيلة دون الشطر، وحقيقة الأمر أن البند خلافاً للشعر العربى كله يستعمل بحرين هما الهزج والرمل، فإذا كان القدامى يذكرون أنه يعتمد على الهزج فقط، فالقاعدة عندها للبند أنه شعر حر، تتنوع أطوال أشطره ويرتكز على دائرة (المجتلب)، مستعملاً منها الرمل والهزج معاً[٧]

المهم أن الأسرة التى عرفت بالملائكة، لما فيها من هدوء ووداعة، لاحظت أن ابنتها ستكون شاعرة، وكان أن عاملتها معاملة خاصة، وأعفتها من الأعباء المنزلية ثم كان الانتقال من المنزل القديم عام ١٩٣٠ إلى منطقة شاعرية، فالبيت يقع بين بستانين كثيفين مليئين بالأشجار الباسقة من نخيل،

وتوت، وبرتقال، ونارنج، ومشمش، وإجاص. الخ، والشارع نفسه كان بستانا مغطى بمنطقة خضراء مخترقة بنهر.. وعلى مسافة قصيرة كان نهر دجلة.

- ٢ -

أما تعلمها فقد سار في طريقه الطبيعي، وتم تخرجها بليسانس الآداب عام ١٩٤٤، من غير مفارقة للشعر، فقد بدأت تكتب الشعر بالعامية في سن السابعة[٨]، وفي سن العاشرة كتبت قصيدة بالفصحى، وعندما قرأها الوالد استشاط غضباً لأنها وقعت في خطأ نحوي، وكان أن قال لها: إذهبي أولاً، وتعلمي قواعد النحو، ولما كانت مدرستها لا تفرق بين الفاعل والمفعول، فقد أخذ على عاتقه تعليمها النحو، وإرشادها إلى التعرف على مراجعه ومصادره، وقد عاشت مشغولة بهذه المادة، فحين دخلت دار المعلمين العالية، اختارت فرع اللغة العربية، وحصلت على درجة الليسانس مع مرتبة الامتياز، وكانت رسالتها في الليسانس في موضوع نحوي هو «مدارس النحو» بإشراف الدكتور مصطفى جواد، وفي هذه الفترة أكثرت من القراءة لمحمود حسن اسماعيل، وبدوي الجبل، وأمجد الطرابلسي، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخوري، أما أمها فما كانت تقدم على الرصافي أحداً، كما أحبت اللغة اللاتينية، وكتبت نشيداً لاتينيا بعد أن استمعت إلى أغنية مشهورة اسمها Attheballalike[٩]، كما أنها توغلت في آداب الإنجليزية، وأحبت شللي، كما أحبت شكسبير، وترجمت إحدى سونيتاته، وفي الوقت نفسه درست الموسيقى في معهد الفنون الجميلة، ولحنت من شعر أمها «نشيد العرب»، وكان اللحن على نغم «النهاوندي»[١٠] وهي نفسها تقول «كان الغناء سعادتي الكبرى منذ طفولتي، وكنت أحبس أنفاسي إذا سمعت صوت عبدالوهاب، وأم كلثوم يحمله حاكي كان يدور في بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ، لأي أغنية أسمعها[١١]»، وهكذا كانت

ثقافتها ابتداء محكومة بالعروض والموسيقى، على الرغم مما يذكره الدكتور إبراهيم أنيس «لا يبدو من كلامها أنها اتصلت بدراسة الموسيقى من قريب أو بعيد، لنعتد بآرائها في الحديث عن تغمات الشعر، وإيقاعاته»[١٢] زد على ذلك ولعها بالموسيقى العالمية، وبخاصة موسيقى «تشايكوفسكي» فقد سمته القيثارة الإلهية، واحتفلت بذكرى مرور أربع وخمسين سنة على وفاته.

سأحب الحياة من أجل ألحا نك، يا بلبلي الحزين وأحيا

سأرى في النجوم من نور أحلا مك ظلا مخلداً أبديا

زد على ذلك دراستها للتمثيل لإجادة فن الالقاء[١٣]

وبعيداً عن عالم الموسيقى نرى حياة مليئة بالتمزق والخوف والموت، وفقدان السعادة،والتشكك في وجود المطلقات[١٤]،على نحو ما نعرف عن مطولة (مأساة الحياة)، ومن ديوانها الأول (عاشقة الليل)، ففي هذه الفترة كانت تجتاز عالم المراهقة، وكانت لا ترى شيئاً إلا ويعلوه الخوف، والرحيل والموت.

ها أنا أرحل يا أشجار عنك تحت عبء من شرودي وخشوعي

ليتني أجرؤ أن ألقي عليك نظرةً ثانية.. دون دموع

آه يا أشجار، لا، لا تذكريني فأنا تمثال يأسٍ بشريّ

ليس عندي غير آثار حنيني وبقايا من شقائي الأبدي

وحين كانت ترجم عن الإنجليزية كانت تترجم ما يتفق وحالتها النفسية، كقصيدة «البحر» للشاعر ج.غ. بايرون، وقصيدة مرثية في مقبرة ريفية للشاعر توماس غري، وقصيدة «النهر المغنى» للشاعر كريمس همفريس، وقصيدة «أسفار» للشاعر روبرت بروك، كما ترجمت عن الفرنسية لبروسبيربلانشمين وبيطء تقترب من دائرة الاغتراب الاجتماعي، فتقول

وأنفر من كل ما في الوجـود وأهــــربُ مـن كـل شيئ أراه

ففي عمق نفسي صوتٌ غريب يُعلِّم قلـــــبي ازدراء الحياه

ويصرخ بي: اهربي. اهربي ويتعبُ إحساس روحي صداه

.. وبعد عاشقة الليل، انتشر وباء الكوليرا في مصر، وسمعت أن عدد الموتى وصل الى مائة إنسان، فكتبت قصيدة في الشكل القديم، ثم أعادتها، وأحست أن هذا الشكل المتوارث لا يعبر تماماً عما في داخلها، وفي يوم الجمعة ٢٧/١٠/١٩٤٧ سمعت أن عدد الموتى وصل إلى آلف، وحين أعادت الكتابة للمرة الثالثة، قرأت ما كتبت علي آختها «إحسان»، فتحمست لما سمعت، وحين أسمعتها لأمها قالت: ما هذا الوزن الغريب؟ الأشطر غير متساوية، والموسيقى ضعيفة، وحين سمعها الوالد سخر، وقال: ما هذا الموت. الموت، الموت وكان آن ضحك الآخوة/ فقالت بتحدٍ: قصيدتي هذه ستغير خريطة الشعر العربي[١٥].

وفي عام ١٩٤٩ صدر ديوان «شظايا ورماد» بمقدمة وافية، أوجزت فيها نظرية عروضية لشعرها «وميزة هذه الطريقة أنها تحرر الشاعر من طغيان الشرطين فالبيت ذو التفاعيل الست الثابتة، يضطر الشاعر إلى أن يختم الكلام عند التفعيلة السادسة، وإن كان المعنى الذي يريده قد انتهى عند التفعيلة الرابعة، بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يريد، ثم إن القافية- ذلك الحجر الذي تلقمه الطريقة القديمة كل بيت - حرمتنا من الملحمة، وأنها تضفي على القصيدة لوناً رتيباً يمل السامع، فضلاً عما يثير في نفسه من شعور بتكلف الشاعر، وتصيده للقافية[١٦].

فإذا جئنا للقصائد نرى آنها تدور في عالم بائس وحزين ومرهق، فهي تتكلم عن الضياع، والجرح الغاضب، والأفعوان، والجحود، والأجراس

السوداء ونهاية السلم، وأغنية الهاوية، وكثير من الموتى، وبخاصة موتى الكوليرا، ولعل وراء ذلك إصابتها بحمى شديدة فى هذه الفترة، أحست معها أنها على حافة الرحيل[١٧]، بالإضافة إلى الإحساس[١٨] الشديد بالغربة، والانسحاب من الحياة، وتجئ مرحلة سفرها إلى أمريكا لدراسة النقد الأدبى فى جامعة «برنستن» عام ١٩٥٤ ثم يأتى ديوان «قرارة الموجة» فى عام ١٩٥٧، فتستمر ظاهرة الحزن، والقلق الوجودى، بل إنها تستدعى الحزن على أمها كما فى «ثلاث مراث لأمى»، وتصور لنا مقدم هذا الحزن كما فى «مقدم الحزن»

أفسحوا الدرب إنه جاء خجلا ... نَ، رقيق الخطى، كئيبَ الجبين

الندم الحسّاس، ذو الأعين القَرْ ... قَى بتاريخ ألف سر حزين

إنه مطعم العيون العميقا ... ت، وينبوع كل دمع سخين[١٩]

ومع أن هناك شبهة حب بائس، إلا أنه ينتهى دائما بالقطيعة والغياب، كما فى قصائد «الزائر الذي لم يجئ». و«الشخص الثانى»، و«عندما قتلت حبى»، فالحبيب فى كل هذا غير مرغوب فى زيارته، فحتى لو جاء لكان الحلم بالزائر المستحيل، ثم إن الشخص الثانى سيمحو الشخص الأول، وحين تتم عملية القتل ستكتشف أنها لم تقتل سوى نفسها:

ومع أنه قد أتيحت لها فرصة التأمل حين سافرت للولايات المتحدة للدراسة فى الخمسينيات لتكتب قصيدة بعنوان «الوصول»، ولتقول لأول مرة:

سأحب نفسى فى ارتعاش ظلالها تحيا عصور

ملأى بألوان الخيال

وهناك فى أحنائها ألقى الجمال

لكنها تعود لمحاكمة نفسها، وتواصل خط الضياع، والخوف، والانقسام على النفس

يا صمت نفسي عدتُ عدتُ إليك بعد سُرى سنين

ضاقتْ بتطوافي البحار

وشكا النهار

ما حَمَّلْته رؤاي من عبء الحنين

لم ألقَ غَيْرَكَ لي نصيرا

في ظلمة الليل المضلّ

فافتح لي الباب الأخيرا

دعني أمر

أنا وظلي[٢٠]

وهكذا حملت حزنها معها، وعادت به، بعد المرور على إيطاليا، وجنوب فرنسا. وفي عام ١٩٦٧ صدر ديوان «شجرة القمر»، ونلاحظ فيه أنها بالإضافة إلى عالمها النفسي الحزين المتشائم، أضافت خطاً جديداً وطنياً، ذلك لأنها اهتمت اهتماماً خاصاً بثورة «رشيد الكيلاني» على «نوري السعيد، وعبدالإله، والإنجليز»، فقد تفجرت حماسة لتلك الثورة، ونظمت فيها عدداً من القصائد، ولكن لم يكن هناك مجال لنشرها، ذلك لأن الثورة سرعان ما انتكست، ودخل عبدالإله على دبابات الجيش البريطاني، ونصبت المشانق للأحرار، وحين نجحت ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ كتبت قصيدة «تحية للجمهورية العراقية»

فرح الأطفال بضمة حب أبويه

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمسة نسائم ثلجيه

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهوريه[٢١]

فقد أثرت فى حياتها أعنف تأثير ولكن عبدالكريم قاسم انحرف بها، فأقامت في بيروت عاما، ثم إنها غنت لعبدالسلام عارف في قصيدة «وردة لعبدالسلام عارف» فى مساء اليوم الذى اعتقل فيه[٢٢] وتزوجت فى منتصف عام١٩٦١ بعد العودة من الدكتور عبدالهادى محبوبة، وقد ساقها هذا الالتفات الى عالم القومية العربية، فكتبت «أغنية للأطلال العربية»، وختمتها بقولها

فيا عربىّ.. أصخ للنداء   تحدَّرَ من رَحْبَةِ المدنيه

وقفْ حاسراً تحت ضوء النجوم   على ربع تلك الطلول الأبيه

وقل: يا رمال الجزيرة، يالحـ   ـنَ ملحمة العرب الأزليه

غداً ستعود إليك الحياة   تعود مع الوحدة العربيه[٢٣]

ثم كتبت «ثلاث أغنيات عربية»، جعلت فى مقدمتها كلمة «لقد دقَّتْ ساعة العمل الثورى»[٢٤]، وكما دندنت حول فلسطين، حلمت بالوحدة العربية، فى قصيدة الوحدة العربية[٢٥]، وانتظرت إعلان الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣[٢٦]، والملاحظ أنها نغَّمت الصياغة، وحافظت عليها، وقسمت الشطر على أساس المعنى دون الوزن، وطالبت بأن يرتكز الشعر الحر على نوع من

القافية الموحدة، فذلك يزيده موسيقى وجمالا، وهناك من يرجع لفتتها المقفّاة إلى الانتماء القومي فى هذه الفترة[٢٧]، وهى نفسها تقول: من قال إن الشاعر الموهوب يستطيع أن يبدع أى شئ فى غير الإطار اللغوى لعصره[٢٨]، والملاحظ أنها ركزت على أن فكرة الجمال فى الحياة هى بعينها فكرة الجمال فى الفنون، وأن الحرية وراء كل منهما، وأن مجئ الزائر المنتظر إذا كان يمثل القمة، فتحققه ينذر بالمتحدر[٢٩].

وإذا كانت لم تنس قضية فلسطين، فإن تذكرها تضاعف فى ديوان «للصلاة والثورة» الذى صدر عام ١٩٧٥، بعد فترة انقطاع استمرت ثلاث سنوات، وقد كان الدافع وراء ذلك إنها تلقت بطاقة تهنئة بعيد الفطر، وكان مرسوماً على البطاقة صورة لمسجد قبة الصخرة بالقدس، فما كادت ترى الصورة حتى زلزلت زلزالاً شديداً، وأسرعت بالكتابة على ظهر البطاقة هذه الأشطر

يا قبة الصخره

يا وردُ، يا ابتهالةً مضيئةَ الفكره

ويا هُدى تسبيحة علويّة النبره

يا صلواتٍ عذبةَ الأصداء

جاشت بها الأبهاء

يا حُرقةَ المجهول، يا تعطُّش الإنسانِ للسماء

يا ولع الركوع يا طُهْره

يا وردة الخشوع، يانداه، ياعطره

واستمر تدفقها الشعرى، وكان ديوان «الصلاة والثورة ١٩٧٨م» أما الصلاة فهى رمز الجانب الروحى فينا، هى الورود التى تنبت فى النفس الإنسانية من أثر اتصالها بالمنابع الأزلية الجميلة، منابع الله.. والثورة مرتبطة أشد الارتباط بالصلاة، وكما قالت

متى نصلى؟ إنما صلاتُنا انفجار

صلاتُنا ستُطلع النهار

تُسلّح العُزّلَ، تعلى رايةَ الثُّوار

صلاتنا ستشعل الإعصار

ستزرعُ السلاح والزنبق فى القفار

تحول اليأس إلى انتصار

«فالصلاة هنا معادل حى للقيم الثورية، والقيم الجمالية، والقيم الإنسانية، وهى تربية للروح والجسم، وإكمال لإنسانية الإنسان»[٣٠]، ثم تتعرض لقضية الشكل فهو- بصفته المطلقة- صيغة جمالية مبرأة من العيوب، سواء أكان حراً أم خليلياً، وإنما تأتى العيوب من الشعراء، هذا مع الاتفاق على أن لكل عصر لفتة مزاجية، قد تجعله يؤثر شكلا من الأشكال على سواه، هذه اللفتة ترتبط بسمة العصر الحضارية فى الأساس[٣١]، وفى هذا الديوان نجد قصيدتى «الملكة والبستان»، و«سبت التحرير»، ليستا من الشعر الحر، وإنما من البند فى صورة حديثة، وهذا يسوقنا إلى الحديث عن بحر حين كتبت عن ابنتى داليا «خضراء براقة مغدقة» ثم توقفت عند هذه العبارة، حين وجدت أن وزنها «مستفعلين. فاعلن. فاعلن» ومن هنا كانت قصيدتها «تحية للطفلة دالية»[٣٢]، وقد دار حول هذا البحر نقاش كبير، خاصة بعد أن كتبت دراسة عنوانها «ميلاد بحر جديد فى الشعر العربى»[٣٣]، وتصدى لها الدكاترة

نور الدين صمود، وعبداللطيف عبدالحليم، وعبدالعزيز الدسوقى بدعوى أن هذا الوزن وجد فى الشعر الأندلسى فى نص محدود، وإن كان الدكتور شعبان صلاح قد فصل فى هذه القضية فقال «لا يستطيع الباحث المنصف أن ينحي باللاءمة على أى من الشاعرة نازك الملائكة، أو الشاعر الدكتور عبده بدوى، حين ظنا هذا الوزن مخترعاً، وليس قديما، إذ أن ما صيغ عليه فى القديم لا يعدو أبياتاً، لا تشكل ظاهرة، ولا تلفت انتباها، فضلا عن أن تقر فى وجدان شاعر مدى طويلاً، فلعل الشاعرة قرأت النموذج الأندلسى منذ زمن، ثم صاغت عليه- حين صاغت- غير واعية بأنها مسبوقة بتلك النغمة[٣٤]، وحين تحدثت معها فى هذا الشأن قالت: يعلم الله أننى لم أقرأ هذا النص القديم، وبالتالى لم أصُغ عليه، ولكن لعله المناخ العام لحضارة المشتغلين بالشعر العربى[٣٥]

وأخيراً فالشاعرة فى هذا الديوان، شغلت نفسها بما يدور فى العالم العربى، فتكلمت فى قصيدة القنابل والياسمين، عن ليلة ١٠/٤/١٩٧٣، حين اقتحم الجيش الصهيونى بيروت وصيدا، وكان نسف البيوت، وقتل ثلاثة من قادة الفدائيين، ثم هاجم مخيم الفدائيين وغادر البلاد دون أن يعترضه أحد[٣٦]، ثم تتكلم فى «اختلاجات نحو القمة البيضاء» عن الطريق المسدود أمام العرب.

كيف أهرب؟ إن طريقى مقفلْ

وستارى البليد الكثافة مسدلْ

وستارى مسدل[٣٧]

ثم تتكلم عن «سبت التحرير»، وكيف بدأت قواتنا العربية تحريرها لسيناء والجولان، وسجلت نصراً كاسحا، ولكن أمريكا تدخلت، وطالبت

العرب أن ينسحبوا إلى مواقع ما قبل يوم السبت- ١ رمضان[٣٨]، وكعادتها زارت القاهرة، وحيتها قبل حرب رمضان ثم كانت الحرب والانفعال بها في قصيدة «الماء والبارود» في ديوان «يغير ألوانه البحر-١٩٧٧»، والتي تضفرها بكلمة الله أكبر، وبقصة هاجر، والطفل إسماعيل، والسعي بين الصفا والمروة، وقصة انفجار الماء في رمضان لفرقة من الجيش المصرى فى سيناء كانت صائمة[٣٩]، ومن هنا تكون قد أدارت ظهرها وشعرها للرموز الإغريقية على وجه الخصوص، وتكون قد دارت في فلك جديد، هو فلك «المليك».

إنني أصعد بالنار إلى ذروة آفاق حنيني

إنني أنبذ شكي وفتوني

وإلى الشمس، إلى أعلى الذرى

يمتد جذعي وغصوني

حيث ألقي في المدى وجه مليكي

كبياض الثلج، كالأنجم

كالفل ألاقيه مليكي

.. حبه. حب مليكي. رحلة في اللانهايه

وجهه يستغرق الكون، ومن آفاقه تبدأ لي كل بدايه[٤٠]

فهي قد دخلت في عالم جديد، علمت فيه نفسها، وتجاوزت تشككها في المطلق[٤١]

باسمك. باسمك. باسمك. باسمك

يا ضوئي. يا عطري. يا مجدى. يا نجمي

المهم أنها اهتدت إلى اللجوء إلى مرفأ جديد،ومن ثم كانت ابتداء قصيدة «الهجرة إلي الله» التى تدور حول وجوده فى كل شئ، وحول وجوده فى نفسها

مليكى، أنت طعم الصيف فى عمرى

وأنت تألق الأقمار

وأنت عذوبة الواحات فى قفرى

وأنت تبلّج الأسرار

وأنت تدفقى، أنت انبثاق الضوء والعطر

نثرت الخصب واللؤلؤ فوق شواطئ الخضر

وفى روحى سكبت النار

لك الأوراد والصلوات أنثرها

فدا عينيك يا مليكى، يواقيتى أكسّرها[٤٢]

وهذا اللجوء إلى الله يسوقها إلى اللجوء للرسول، فتقدم «زنابق صوفية للرسول»، وتكتب تصوراً للرسول فى صيغة معاصرة، بعيدة عن كل ما عرف باسم البردة ونهجها، فالرسول طائر حط قربها، وامتصّ قلبها، وكان بينهما حوار، ليس مثله حوار، وليس مثله طائر.

وطارت الطير فى الصباح

ولم يطر أحمد، ظل قربى

وظللتنا سحب مبقعة بالضياء

كنا نغني

للحب، للبحر، للسماء

تكسرت في غنائنا الشمس، والمرافئ، واللانهايه

والمد جاء

يلثم أقدامنا، يتكسرً

أحمد. أحمد

نحن أنا وأنت والأعالي

ليل، وصمت

والله في روحنا غناء(٤٣)

وكانت قصيدة «دكان القرائين الصغيرة»(٤٤) التى تدور حول إنسانة تبحث عن مصحف هدية لحبيبها فيقال لها فى «مندلى» وهى كلمة تساوى كلمة «يوتوبيا»، وقد سافر الحبيب دون الحصول على الهدية، وأصل هذه الكلمة أنها اسم لمدينة عراقية جميلة من مدن لواء بعقوبا، تنبت الرمان والبرتقال، وسواها من الفاكهة، ثم تكتب ميلاد نهر البنفسج(٤٥)، وبقدر ما يقترن التجاوز من العالم المادى، يكون التعامل مع النار

ففى أغصانى النشوى يكاد يسيل نَسْغُ النار.

وتنطوى رمزية الرحلة الصوفية فى هذه الأسفار النارية، على ثلاثة طرق متعاقبة، أو ثلاث دوائر نارية متتابعة، ترقاها النفس من الأضيق إلى الأرحب، ومن الأدنى إلى الأعلى، فإذا وصلت النفس إلى غايتها اتصلت،

وإذا اتصلت بالكلية عن كليتها انفصلت، كما قال المتصوفة، وعلى كل فالدائرة الأولى للنار- هى الدائرة الصغرى، والهوى الأول، والحس الترابى، والدائرة الثانية هى الوسطى، حب الأرض، والوطن، والأمة، والدائرة الثالثة العليا هى دائرة المليك، الحبيب الأول والآخر[٤٦]، المهم أن الشاعرة وصلت إلى هذه الدائرة الأخيرة بعد مجاهدة، وبهذا تكون قد اتصلت ومن هنا ينتهى السفر، وتصل المجاهدة إلى غايتها الأخيرة، بالصعود صوب وجه المليك، وفى هذا المجلى الصوفى، ينسرب ما يمكن أن يسمى «النور المحمدى»، ليوازى «أبدَ الضوء» الذى يطلع من كل الجهات، فى «زنابق صوفية للرسول»، وهى نفسها لها رأىٌ فى التصوف فتقول: «تسألنى عن التصوف، ولست متصوفة، إلا إذا كان حب الله العلى القدير، يكفى وحده لاعتبار المرء متصوفاً، فأنا شديدة الحب له سبحانه، وأقضى أوقاتاً طويلة فى بعض الليالى أناجيه، وأمجده، وأتغنى بجماله، وروعة خلقه».

– ٤ –

إذا كان لها دور فى «التنظير الاجتماعى، على حد ما نعرف من كتابها «التجزيئية فى المجتمع العربى ١٩٧٤[٤٧]، فإن لها دوراً فى التنظير الأدبى، على حد ما نعرف من مقالاتها، ومن كتاب «الصومعة والشرفة الحمراء»[٤٨]، فقد أبدت إعجابها به، لأنه كتب من أوزان عربية قل استعمالها مثل المُنسرح، ومثلت لهذا،[٤٩] ولأنه لم يستجب لدعوى المزج بين البحور إلا فى قصيدة واحدة، مزج فيها بين البحر السريع، والبحر المتقارب، ولأنه كتب من «الموشح المسترسل»، ومن «الموشح الوصفى الغنائى»، ثم كان رد اعتبارها للقافية، وإثبات أن عروضها مستمد من عروض الخليل، وإنه يمكن أن نستخرج من كل قصيدة حرة، مجموعة قصائد خليلية وافية، ومجزوءة، ومشطورة، ومنهكة، فللشكلين مزايا وعيوب، وهى حريصة عليهما معا،

وعلى إقامة توأمة بينهما، «مع ملاحظة أنني لا أخطو خطوة في تقنين قاعدة إلا بعد استشاره عروض الخليل الذى خبرت مداخله ومخارجه طويلا[٥٠]».

أما دورها الواضح في التنظير لحركة الشعر، ففي كتابها «قضايا الشعر المعاصر» ١٩٦٢م المُهدى لجمال عبدالناصر، نرى المقدمة حريصة على إثبات أن حركات التطوير تلك إنما كانت بدافع الرغبة إلى الجديد، وليست تخلصاً من قوة عمود الشعر وكرامته، وإلا ما ذهب «المعرى» وغيره إلى الزيادة في القيود.. كما أن حركة الشعر الحر مرحلة تطورية لعروض الشعر العربي، وليست مقتبسة عن الشعر الغربي، وإن كانت تشبهه في بعض الوجوه، إذ ليس كل شبيه مستمدا من شبهه[٥١]، أما الشاعرة فتؤكد ابتداء أن الشعر الحر ليس حفيداً للبند، وأن هناك قصائد نظمت قبل عام ١٩٤٧ من الشعر الحر، ولكنها لم تتعرف عليها، ثم إنها وضعت أربعة شروط يجب أن تتوافر فيما قيل، وحين نحكمها نجد أن ما قيل قبل عام ١٩٤٧ كان «إرهاصات» تتنبأ بقرب ظهور حركة الشعر الحر[٥٢]، ولعل العصر نفسه لم يكن مهيأ لتقبل الشكل الجديد إذ ذاك، ولذلك جرف الزمن ما صنعوا، وانطفأت الشعلة فلم تلتهب حتى صدر «شظايا ورماد» عام ١٩٤٩، وفيه دعوتى الرسمية الواضحة إلي الشعر الحر على أن في مقدمة ما كان يشغلها هو محاولة الابتكار، فمن المعروف ان بحر البسيط التام هو «مستفعلن. فاعلن. مستفعلن. فاعلن»، وأن مخلعه هو «مستفعلن. فاعلن. فعول» وقد لاحظت أن من الممكن أن تقسم هذا البحر إلى تفعيلتين، في الشطر الواحد، بحيث يصبحن هكذا «مستفعلاتن. مستفعلاتن. مستفعلاتن. مستفعلاتن» وفي ضوء هذا يكون بحراً صافياً يضاف إلى شعر التفعيلة، إذا أضفنا حرفاً واحداً على مخلع البسيط الخليلي، بحيث يصبح مستفعلن. فاعيلن. فعولن

«وأظنني قد استفدت من تفعيلات الرصافي في استخراج هذا البحر الجديد من بحور الشعر الحر»[٥٣] وما كادت تصل إلى هذا، حتى كتبت قصيدة «زنابق صوفية للرسول»، وفي الوقت نفسه لاحظت أنها وقعت في خطأ، لأنها كانت تقول «مستفعلاتن. فعولن. فعولن. فعولن».

ومعنى هذا، أنها كانت تنتقل من تفعيلة الرجز إلى تفعيلة المتقارب، ولكنها حين كتبت قصيدة «نجمة الدم» التزمت فيها بتفعيلة مستفعلاتن التزاما تاماً «والحقيقة أنني لا أدعو أي شاعر إلى استعمال الوزن الأول المختل، واعترف أنه حدث دون أن أنتبه خلال وهج الحالة الشعرية، وإنما جاء الانتباه بعد الانتهاء من القصيدتين: «زنابق صوفية للرسول»، و«تمتمات في ساعة الإعدام»، ولا شئ أدافع به عن نفسي، إلا كون هذا الوزن ابتكاراً مني، ولم يستعمله الشعراء قبلي، بحيث تكون أمامي نماذج، وأكون مجهزة بتجارب»[٥٤]

- ٦ -

وهكذا كان اهتمامها باللغة العربية وتراثها الأدبي، نحواً وصرفا وإيحاء[٥٥] وأما تجديدها في العروض فيدور في دائرة التعقل، والمحافظة ما أمكن على العروض الخليلي، وكما أن العالم متغير فاللغة والفن لا يقبلان الجمود[٥٦]، وإنما يقبلان التجديد والتجدد، وهل الشعر، في واقعه، إلا مقدرة الشاعر على استعمال اللغة بحيث تشع ألفاظها المعاني والظلال ،والانفعالات، وإذا كان الشاعر لا يعترف بالأساليب والقواعد الرصينة، فكيف يصون شعره من ركاكة الفوضى، وضعف الروح[٥٧]

- ٧ -

ويبقى بعد ذلك عدد من القصائد لم ينشر في ديوانها الشعري، ويبدأ بقصيدة «الوردة الحمراء» المليئة بالشجن، والحزن، والنهاية غير السعيدة، ثم

«نجمة الدم» التى تتحدث عن المأساة التى تعيشها لبنان، ثم «الزرقاء والمدينة» التى تتحدث عن عين مازالت تجرى فى المدينة، ولها قصة شعبية مازالت تتردد، وتستحيل إلى سوسنة ترش السلام، وطعم السكينة، فى القلوب الحزينة، ثم «القمر على مزدلفة»، ففى فترة الحج، افتتنت بطقوس جمع الصخور من وادي مزدلفة تحت ضوء القمر ليلة العاشر من ذى الحجة، فقد كان القمر ينثر مرجاناً على هذا المكان، ثم يكون حلم ليلة من ليالى رمضان، حين أصبح قلبها عصفور فجر يزقزق بين يدى الله، وكيف كان ذكره المسبحة، ووجهه المجد، ولقياه أجمل وعد، وأخيراً تأتى قصيدة «سيمفونية السجاجيد» حين تتحول المدينة إلى سجاجيد سماوية، عليها صورة الكعبة، مجرد لمسها توبة.

سجاجيد، وتهمى أدمع الإيمان آلاف الثريات، وآلاف العناقيد وينزل خالقُ الأرض إلى الأرض سجاجيد.

فى ضوء هذا تكون نازك الملائكة رائدة، وعلامة بارزة فى الشعر الحديث، وفى الوقت نفسه تكون إضافة عاقلة فى حركة التجديد والتجدد، وليس من المبالغة فى شئ، إذا قلنا بأن حياتها قد تحولت إلى شعر خالص، فهى منضبطة فى حياتها كالوزن الشعرى، وحريصة على معرفة ما عند الآخر، ثم إن فيها الحزن والعمق اللذين يعتبران جناحين للشعر، بالإضافة إلى أنها من الشعراء الذين يتعاملون مع «النبوءة»، وأية قراءة عابرة لشعرها - تاريخيا - توضح أنها كانت تحس بالآتي، وتتعامل مع القادم، فكأنها زرقاء اليمامة العصرية.

وأخيراً. فلعل من الوفاء أن تكون بداية ريادتها بقصيدة «الكوليرا» ١٩٤٧ التى لم يتنبه لها واحد من الشعراء المؤكدين، وأن يكون هناك مشروع إعادة طبع أعمالها فى القاهرة، فالوفاء ضرورة بين الشعر وبين المدن.

ويبقى الشكر للمجلس الأعلى للثقافة الذى عهد إلىّ بتقديم وإعداد الطبعة الثانية من ديوان الشاعرة التى تحقَّقتْ لها الريادة السّاطعة ما يقرب من نصف قرن .

هوامش:

(١) العمدة ٢/٨٠-٣.
(٢) قضايا الشعر المعاصر ص ١٢٩ ط٤، وجريدة العالم العربي ١٩٤١
(٣) مأساة الحياة وأغنية للإنسان ص٦، ولم يكن ديوانها الأول «عاشقة الليل»، قد ظهر للوجود أو طبع عام ١٩٤٧.
(٤) نفسه ص٧.
(٥) نفسه ١٢٦، ١٣٠
(٦) نفسه ٢٣٦، وقد قدمته على الهيكل المسطح، والهيكل الذهني.
(٧) قضايا الشعر المعاصر ١٩٦ ط٤دار العلم للملايين.
(٨) تعود للكتابة بها بين الحين والحين، كما في قصيدة «ضيّعنا وردة»، التي ودعت بها ابنها البراق عند سفره للخارج للحصول على الدكتوراة. نظرات في الشعر العربي الحديث. د. عبده بدوي ص ٣٢ دار قباء
(٩) أجد في اللغة اللاتينية سحرا يجتذب كياني كله، ولست أعرف سر هذا الافتتان بلغة يكرهها الطلبة عادة لمحات من سيرة حياتي وثقافتي ٧ مخطوطة- كما أنها اقتبست في التقفية من أسلوب الشاعر الأمريكي إدجار آلان بو ٢/١٨
(١) أحد مقامات الموسيقى العربية، وهي مغرمة به، ولذلك يكثر ذكره في شعر هذه المرحلة من حياتها
(١١) لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، بقلم الشاعرة - مخطوط
(١٢) موسيقى الشعر ص ٣، ١، ط٤
(١٣) بالإضافة إلى دراسة الميثولوجيا الإغريقية بكل تفاصيلها وإلى التعرف على الفرنسية بعد ذلك
(١٤) نازك الملائكة. مقال سالم الحمداني ٣٠٢
(١٥) لمحات من سيرة حياتي للشاعرة ص٤
(١٦) ديوان نازك الملائكة. المجلد الثاني ١٠ ومابعدها ط. دار العودة
(١٧) ها أنا بين فكي الموت قلبا لم يزل راعشاً بحب الحياة
فحرام أن تدفن الآن يامـــــر ت شبابي في عالم الأموات
المجلد الأول، ٤٩٢ - ٥٠٢.
(١٨) دراسات على يد ريتشرد بلاكور، وآلن روانر، وآلن تيت، ورونالد ستاوغر،

وديلمور شوارتز، ومؤلفاتهم معروفة في النقد الأدبي، ويعد العودة بدأت صلتها بمجلة الآداب والأديب، ودار العلم للملايين ببيروت.

(١٩) ثم كان موت الأم في لندن والعودة بها في رحلة لا تنسى.

(٢٠) ديوان نازك. المجلد الثاني ٣٦٩، كما كتبت هناك قصيدة لحن للنسيان

لم يا حياة

تذوى عذوبتك الطريفة في الشفاه؟

لم وارتطام الكأس بالفم لم يزل

في السمع همس من صداه؟

بالإضافة إلى قصيدة «الهاربون»

(٢١) ديوان نازك الملائكة. المجلد الثاني ص ٤٤٩ ط١

(٢٢) نفسه ٤٧٩، ٤٨٠

(٢٣) نفسه ٤٦٩ - ٤٧٣.

(٢٤) نفسه ٤٩٦-٥٠٢ الكلمة لجمال عبدالناصر، ووضعت نكاية في عبدالكريم قاسم

(٢٥) نفسه ٥٢٢-٥٢٩

(٢٦) نفسه ٥١٧

(٢٧) الشعر والنظرية عبدالجبار البصري ص ١٧٩

(٢٨) قضايا الشعر ٣٢٢.

(٢٩) المجلد الثاني ص ٢١٧

(٣٠)مقدمة للصلاة والثورة.

(٣١) نفسه.

(٣٢) نفسه ١٩٢، ١٩٣.

(٣٣) مجلة الدوحة، عدد سبتمبر ١٩٧٦م ص ٢٢-٢٥.

(٣٤) موسيقى الشعر بين الاتباع والإبداع ص١٥٣ ط٢

(٣٥) تجارب وتطبيقات في الشعر العربي الحديث ١٢٩ د/ عبده بدوى. ط ذات السلاسل.

(٣٦) للصلاة والثورة ١٣٢

(٣٧) نفسه ١٤٨.

(٣٨) نفسه ١٦٥.

(٣٩) يغير ألوانه البحر ٢٥.

(٤٠) نفسه ١٣٤.
(٤١) غطت هذه الفترة ما بين عامى ١٩٤٨-١٩٥٥ لمحات من سيرة حياتى وثقافتى ١٩
(٤٢) للصلاة والثورة ٦٨-٧٦.
(٤٣) يغير ألوانه البحر ٥٢-٧٣.
(٤٤) اعترض عامر العقاد على جمع لفظ القرآن، وقال إنه مثل كلمة «عند» لاتجمع، لأن القرآن واحد، ولايصح أن يتعدد، والجواب أنهم فى العراق يستعملون كلمة قرائين فى لفظة دارجة، فهى لاتعنى عندهم أن كتاب الله متعدد، وإنما تشير إلى نسخ القرآن كقولنا مصحف ومصاحف.
(٤٥) يغير ألوانه البحر ٨٠١، «كلمة مليكى أو ملكى فى قصائد هذه الفترة يراد بها الله مالك الملك وملك الملوك.
(٤٦) مقال د. جابر عصفور فى كتاب نازك الملائكة اعداد د. عبدالله المهنا ص٥٨٧ ط الكويت.
(٤٧) ط دار العلم للملايين.
(٤٨) الصومعة والشرفة الحمراء. ط. دار العلم للملايين.
(٤٩) قضايا الشعر المعاصر ص١٨٧-١٩٢.
(٥٠) قضايا الشعر المعاصر ٢٧ ط٤.
(٥١) مقدمة الدكتور عبدالهادى محبوبة فى الطبعة الأولى- دار الآداب.
(٥٢) قضايا الشعر المعاصر ١٤ وما بعدها ط٤.
(٥٣) يغير ألوانه البحر ١٩١
(٥٤) مقدمة يغير ألوانه البحر.
(٥٥) كانت ترى أن اللغة كانت يوما موحية، ثم ابتليت بحيل المحنطين، ومن ثم كانت دعوتها إلى الإيحاء حديثا، فهو جزء لا يتجزأ من حيوية اللغة والشعر.
(٥٦) الله هو الثبات الوحيد المطلق، قضايا الشعر ٢٩
(٥٧) نفسه ٢٢٦

لمحات
من سيرة حياتي وثقافتي

نازك الملائكة

وُلدتُ في بغداد في ٢٣ من شهر آب (أغسطس) سنة (١٩٢٣)، وكنت كبرى إخوتي وهم: أربع بنات، وولدان.

وقد تدرجت في دراستي من الابتدائية إلى المتوسطة فالثانوية، وتخرجت في الثانوية عام ١٩٣٩، وكنت، منذ صغري، أحب اللغة العربية، والإنجليزية، والتاريخ، ودروس الموسيقى، كما كنت أجد لذة في دراسة العلوم، بخاصة علم الفلك، وقوانين الوراثة، والكيمياء، ولكني أمقت الرياضيات مقتًا شديدًا، وأعد السنين يومًا يومًا لأصل إلى إنهاء مرحلة الثانوية، فأتخصص بدراسة الآداب، ثم دخلت دار المعلمين العالية، فرع اللغة العربية، وتخرجت منها بليسانس الآداب عام ١٩٤٤ من مرتبة الامتياز، وهي أعلى مرتبة تمنح، وخلال سنوات دراستي فيها تعرفت إلى موضوع الفلسفة، وأحببته حبًا شديدًا، فساعدني على تكوين ذهن منطقي، وكانت دراساتي الكثيرة للنحو العربي، في أصوله القديمة، قد هيأتني له تهيئة واضحة، وقد بدأت نظم الشعر وحبه منذ طفولتي الأولى، والواقع أنني سمعت أبويّ وجدي يقولون عني إنني «شاعرة» قبل أن أفهم معنى هذه الكلمة، لأنهم لاحظوا عليّ التقفية، وأذنًا حساسة تميز النغم الشعري تمييزًا مبكرًا. وبدأت بنظم الشعري العامي، قبل عمر سبع سنوات.

وفي سن العاشرة نظمت أول قصيدة فصيحة، وكانت في قافيتها غلطة نحوية، وعندما قرأها أبي رمى قصيدتي على الأرض بقسوة، وقال لي، في لهجة جافية مؤنبة: «اذهبي أولاً، وتعلمي قواعد النحو. ثم انظمي الشعر»، وكانت معلمة النحو في المدرسة لاتميز الفاعل من المفعول، وسرعان ما اضطر أبي إلى أن يتولى تعليمي قواعد النحو بنفسه حين دخلت المتوسطة، وفي ظرف شهر واحد تفوقت على الطالبات جميعًا، وصرت أنال أعلى الدرجات.

ولاحظ أبواي أنني موهوبة في الشعر، شديدة الولع بالمطالعة، فأعفياني من المسؤوليات المنزلية، والعائلية إعفاء تامًا، وساعدني ذلك على التفرغ، والتهيؤ لمستقبل أدبي، وفكري خالص.

وكانت والدتي، في سنوات الشعرية المبكرة، تنظم الشعر، وتنشره في المجلات، والصحف العراقية، باسم السيدة «أم نزار الملائكة» وهو اسمها الأدبي الذي عرفت به، أما أبي فكان مدرس النحو في الثانويات العراقية، وكانت له دراسة واسعة في النحو، واللغة والأدب، وقد ترك مؤلفات كثيرة أهمها موسوعة في عشرين مجلدًا، عنوانها «دائرة معارف الناس» اشتغل فيها طيلة حياته، واعتمد في تأليفها على مئات المصادر، والمراجع، ولم يكن أبي شاعرًا، ولكنه كان ينظم الشعر، وله قصائد كثيرة، وأرجوزة في أكثر من ثلاثة آلاف بيت؛ وصف فيها رحلة قام بها إلى إيران عام ١٩٥٥ وكان أبي متواضعًا، ولم يرض يومًا أن يسمى نفسه شاعرًا، مع سرعة بديهته، وقدرته على الارتجال، وظرفه.

وكان لأبويَّ تأثير عميق في حياتي الفكرية، والشعرية. أما أبي، فقد بقي أستاذي في النحو حتى أنهيت دراسة الليسانس، وكنت أهرع إليه، بكل مشكل نحوي يعرض لي، وأنا أقرأ ابن هشام، والسيوطي، والأشموني، وسواهم، والحق أني كنت، ولم أزل، شديدة الولع بالنحو.

وقد فرش لي أبي طريقًا ممهدًا رائعًا، حين وضع بين يدي مكتبته التي كانت تحتوي على متون النحو، وكتب الشواهد جميعًا، ولذلك كان من الطبيعي، تمامًا، أن أكون الطالبة الوحيدة بين طلبة قسم اللغة العربية التي اختارت رسالة لمرحلة الليسانس في موضوع نحويّ، هو (مدارس النحو)، وكان المشرف عليها أستاذي الكبير العلاّمة الدكتور مصطفى جواد الذي كان له في حياتي الفكرية أعمق الأثر، رحمه الله، وجزاه عنا نحن تلاميذه أجمل الجزاء، ولم تزل رسالتي هذه في مكتبة كلية التربية، وعليها تعليقات بالقلم الأحمر، كتبها الدكتور مصطفى عبدالجواد في حينه.

أما والدتي، فقد كان لها أثر واضح في حياتي الشعرية، لأنني كنت أعرض عليها قصائدي الأولى، فتوجه إليها النقد، وتحاول إرشادي، ولكني كنت أناقشها مناقشة عنيدة، فقد لاح عليّ، منذ مرحلة الثانوية، التأثر بالشعر الحديث؛ شعر محمود حسن إسماعيل، وبدوي الجبل، وأمجد الطرابلسي، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخوري، وأمثالهم، بينما كانت هي تعجب بشعراء أقدم مثل: الزهاوي خصوصًا. فقد كان شاعرها الأثير، وكان اهتمامها بالشعر القديم أكبر من اهتمامي، ولذلك كان تأثيره في شعرها أبرز، ولكن ذوق أمي نفسها بدأ يتطور، كما يلاحظ من يدرس شعرها الذي طُبعتُ المنشور منه، بعد وفاتها، في ديوان سميته «أنشودة المجد» وقد بدأت أمي تتجه نحو الشعر الحديث إلى درجة ملحوظة، وكانت تعجب خصوصًا بشعر إبراهيم ناجي، وصالح جودت، ولكن اتجاهاتي الشعرية بقيت مختلفة عن اتجاهاتها، بسبب معرفتي للإنجليزية، والفرنسية وكثرة قراءتي لشعرائهما.

ورغم ذلك فقد بقينا، أنا وهي، صديقتين، فكانت تقرأ لي قصائدها، وأقرأ لها قصائدي، حتى وفاتها عام ١٩٥٣، وهي في الثانية والأربعين من العمر، رحمها الله رحمة واسعة.

وخلال دراستى فى دار المعلمين العالية، كنت أساهم فى حفلات الكلية، بإلقاء قصائدى، وكانت الصحف العراقية تنشر تلك القصائد فى حينها. غير أنى أهملت هذا الإنتاج المبكر، ولم أدرج منه شيئًا فى مجموعاتى الشعرية المطبوعة، لأننى بقيت أنظر إليه على أنه شعر الصبا قبل مرحلة النضج، والواقع أننى أقبلت على نظم الشعر إقبالاً شديداً منذ عام ١٩٤١ يوم كنت طالبة فى الكلية. فقد دخلت فى ذلك العام بداية نضجى الروحى والعاطفى والاجتماعى، فضلاً عن أنه العام الذى شهد ثورتنا القومية العظيمة التى هزت كيانى هزاً عنيفًا وهى ثورة رشيد عالى الكيلانى، وكنت أتفجر حماسة لتلك الثورة ونظمت حولها القصائد المتحمسة التى لم أنشر منها أى شيء: فسرعان ما انتصر الحكم البوليسى فى العراق، ونصبت المشانق للأحرار، ولم يعد فى العراق من يستطيع التنفس، ولكننا، أنا وأمى، استمررنا ننظم القصائد الثائرة سراً، ونطويها فى دفاترنا الحزينة.

وفى عام ١٩٤٧ صدرت لى أول مجموعة شعرية، وقد سميتها (عاشقة الليل) لأن الليل كان يرمز عندى إلى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء، وكنت فى الليل أعزف على عودى فى الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغنى ساعات كل مساء، وقد كان الغناء سعادتى الكبرى منذ طفولتى، وكنت أحبس أنفاسى إذا ما سمعت صوت عبدالوهاب، أو أم كلثوم يحمله إلىّ جهاز حاكٍ (غرامافون) يدور فى بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ لأى أغنية أسمعها، وكانت أمى لا تفتأ تندهش دهشة كبيرة عندما تسمعنى أغنى، وما زلت أذكر صوتها فى صغرى وهى تتلفت، وتقول يا إلهى! من أين حفظت ابنتى كل هذه الأغانى؟ ومتى سمعتها؟ وكيف؟ ولم تدر أننى كنت حين أسمع حاكيًا يدور بأغنية أقف مسمّرة فى مكانى حتى لو كنت فى الشارع. وفى تلك

الأيام البعيدة لم يكن المذياع قد دخل الحيـاة في العراق طبعًا، فكان الاستماع إلى الأغاني لايتم إلا عن طريق الإسطوانات، ولم تبـدأ إذاعة بغداد بالبث إلا في سنة ١٩٣٥، كما أتذكر، يوم أن بلغت الثانية عشرة من العمر.

وبعد صدور (عاشقة الليل) بأشهر قليلة انتشر وباء الـكوليرا في مصر الشقيقـة، وبدأنا نسمع الإذاعـة تذكر أعداد المـوتى يوميًا، وحين بـلغ العدد ثلاثمائة في اليوم انفعلت انفعالاً شعريًـا، وجلست أنظم قصيدة استعملت لها شكل الشطرين المعتاد، مُغيِّرةً القافـية بعد كل أربعة أبيات أو نحو ذلك، وبعد أن انتهيت من القصـيدة، قرأتها فأحسست أنها لم تعبِّـر عما في نفسي، وأن عواطفي ما زالت متـأججة. وأهملت القصيدة وقررت أن أعتـبرها من شعري الخائب (الفاشل) وبعـد أيام قليلة ارتفع عدد الموتى بالكوليرا إلى سـتمائة في اليوم، فـجلست، ونظمت قصـيدة شطرين ثانية أعـبر فـيها عن إحـساسي، واخترت لها وزنًا غير وزن القصيدة الأولى، وغيرت أسلوب تقفيتها ظانة أنها ستـروي ظمأ التعبـير عن حزني، ولكنني حين انـتهيت منها شعـرت أنها لم ترسم صورة إحـساسي المتأجـج، وقررت أن القصـيدة قد خـابت كالأولى، وأحسست أنني أحتاج إلى أسلوب آخر أعـبر به عن إحساسي وجلست حزينة حائرة لا أدري كيف أستطيـع التعبير عن مأساة الكوليـرا التي تلتهم المئات من الناس كل يوم.

وفي يوم الجـمـعـة ٢٧/ ١٠/ ١٩٤٧ أفقت من النـوم، وتكاسلت في الفراش أستمع إلي المذيع وهو يذكر أن عـدد الموتى بلغ ألفًا، فاسـتولى عليّ حزن بالغ، وانفـعال شـديد، فقفـزت من الفراش، وحـملت دفـترًا، وقلمًا وغادرت منزلنا الذي يموج بالحركـة، والضجيج يوم الجمعـة، وكان إلى جوارنا بيت شاهق يُبنى، وقد وصل البناؤون إلى سطح طابقه الثاني، وكان خاليًا لأنه يوم عطلة العمل، فجلست على سياج واطئ، وبدأت أنـظم قصيدتي المعروفة

الآن «الكوليرا». وكنت قد سمعت في الإذاعة أن جثث الموتى كانت تحمل في الريف المصري مكدسة في عربات تجرها الخيل، فرحت أكتب وأنا أتحسس صوت أقدام الخيل:

سكن الليل
أصغ، إلى وقع صدى الأنات
في عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأموات

ولاحظت في سعادة بالغة أنني أعبر عن إحساسي أروع تعبير بهذه الأشطر غير المتساوية الطول، بعد أن ثبت لي عجز الشطرين عن التعبير عن مأساة الكوليرا، ووجدتني أروي ظمأ التطلق في كياني، وأنا أهتف:

الموت، الموت، الموت،
تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

وفي نحو ساعة واحدة انتهيت من القصيدة بشكلها الأخير، ونزلت ركضًا إلى البيت، وصحت بأختي "إحسان" انظري لقد نظمت قصيدة عجيبة الشكل أظنها ستثير ضجة فظيعة، وما كادت إحسان تقرأ القصيدة – وهي أول من قرأها – حتى تحمست لها تحمسًا شديدًا، وركضت بها إلى أمي فتلقتها ببرودة، وقالت لي: ما هذا الوزن الغريب؟ إن الأشطر غير متساوية، وموسيقاها ضعيفة يا بنتي، ثم قرأها أبي، وقامت الثورة الجامحة في البيت؛ فقد استنكر أبي القصيدة، وسخر منها واستهزأ بها على مختلف الأشكال، وتنبأ لها بالفشل الكامل، ثم صاح بي ساخرًا «وما هذا الموت الموت الموت؟»

لكل جديد لذة غير أنني ... وجدت جديد "الموت" غير لذيذ

وراح إخوتي يضحكون وصحت أنا بأبي «قل ما تشاء»، إني واثقة أن قصيدتي هذه ستغير خريطة الشعر العربي، وكنت مندفعة أشد الاندفاع في

عبارتي هذه، وفي أمثال لها كثيرة قلتها رداً على التحدي بالتحدي، ولكن الله سبحانه وتعالى كان يسبغ عليّ رحمته في تلك اللحظات الحرجة من حياتي الشعرية، فكتب لقصيدتي أن يكون لها شأن كما تمنيت وحلمت، في ذلك الصباح العجيب في بيتنا.

ومنذ ذلك التاريخ انطلقت في نظم الشعر الحر، وإن كنت لم أتطرف إلى درجة نبذ شعر الشطرين نبذاً تاماً، كما فعل كثير من الزملاء المتدفعين الذين أحبوا الشعر الحر، واستعملوه بعد جيلنا.

وفي عام ١٩٤٩ صدرت ببغداد مجموعتي الشعرية الثانية (شظايا ورماد)، وقد صدرتها بمقدمة أدبية ضافية عرضت فيها موجزاً لنظرية عروضية لشعري الجديد الذي نشرت منه في المجموعة عشر قصائد، وما كاد الكتاب يظهر حتى أشعل ناراً في الصحف، والأندية الأدبية، وقامت حوله ضجة عنيفة، وكتبت حوله مقالات كثيرة متلاحقة، كان غير قليل منها يرفض الشكل الجديد الذي دعوت إليه، ويأباه للشعر، غير أن الدعوة لقيت أروع القبول في الأوساط الشعرية الشابة، فما كاد يمضي عام حتى كان صدى الدعوة قد تخطى العراق إلى خارجه، وبدأت أقرأ في المجلات الأدبية في مصر، ولبنان، وسوريا، وسواها قصائد من الشعر الحر، كان غير قليل منها يحمل لافتات إهداء نثريّ: "إلى الشاعرة نازك الملائكة".

* * *

في عام ١٩٤٢ بلغ نشاطي الشعري واللغوي، والفني، والأدبي أوجه، فاندفعت أطلب الثقافة، والعلم في نهم لا يرتوي، وحرارة لا تنطفئ، ففي السنة نفسها سجلت نفسي طالبة في فرع العود بمعهد الفنون الجميلة، ودخلت طالبة في فرع التمثيل، وانتميت إلى صف لدراسة اللغة اللاتينية، وكنت إذا

ذاك فوق هذا كله - طالبة في السنة الثانية من دار المعلمين العالية، وقد وهبت نفسي، في حرارة لا مثيل لها، إلى هذه الدراسات كلها، وكنت أحبها أشد الحب.

أما العزف على العود فقد كان أمنيتي منذ صغري، وحين رأى أبي حرقة تشوقي إلى هذه الدراسة، وافق بعد تردد طويل على أن أدخل معهد الفنون الجميلة لأدرس على الفنان الكبير الموسيقار الأستاذ محيي الدين حيدر الذي كان اسمه الفني في المعهد: «الشريف»، ولهذا الفنان طريقة فريدة في العزف، والتدريس عليها أثر موهبته الفنية العظيمة، وله في العراق اليوم تلاميذ معروفون من الموسيقيين: من مثل الأستاذ سلمان شكر، والأستاذ جميل بشير، وسواهما. وكانت مدة الدراسة ست سنوات، والمنهج يقوم على تدريسنا المقامات الشرقية على بشارف وسماعيات، وسواها، وكان الطالب يتدرج حتى يصل إلى قمة المهارة الفنية في عزف مقطوعات الشريف محيي الدين التصويرية الرائعة مثل: «تأمل» و«ليت لي جناحًا» و«كابريس». وكان للشريف، يرحمه الله، مزاج في العزف، فكان يغير، ويعدل في البشارف، والسماعيات التي ألفها كبار الموسيقيين، من مثل: طانيوس أفندي، وجميل بك، وعزيز دده، ويوسف باشا، وكانت هذه التعديلات تجمل الأصل أروع تجميل، وتخرجه إخراجًا حيًا، وكنت أنا أجلس في صف العود مسحورة، وكأني أستمع إلى صلاة، وكان الشريف يكرر عليّ أن لي سمعًا موسيقيًا حساسًا، وموهبة ظاهرة، ولكنه كان خائفًا عليّ أن يجرفني حبي للشعر ويبعدني عن الموسيقى على أي شكل من الأشكال، ورغم أنني ما زلت، حتى اليوم، أعزف لنفسي لكي يصحبني العود، وأنا أغني ألحان عبدالوهاب، وأم كلثوم، وفيروز، وعبدالحليم حافظ، ونجاة. وهو انصراف محدود، غير ما كان أستاذي يتوقع مني، ولعله كان ينتظر أن أكون عازفة مشهورة في الإذاعات ومؤلفة ألحان.

وأما دراستي للتمثيل، فالحق أنه كان لي فيها دافعان اثنان.

أولهما أن أتعلم فن الإلقاء، فقد كنت أرتقي المسرح لألقي قصائدي فأقرأها قراءة رتيبة دون أن أعرف كيف ألوّن صوتي بالانفعال، وأرفعه، وأنغمه مع معاني قصيدتي، وقد خطر لي أن دراسة التمثيل ستساعدني في هذا المجال. والدافع الثاني أنني اطلعت على منهج الدراسة في هذا الفرع فبهرني. كان منه دراسة مفصلة مسهبة للميثولوجيا الإغريقية، بكل تفاصيلها الدقيقة، ومداخلها، ومخارجها. وكان موضوع «تاريخ المسرح والأدب المسرحي» للسنة الثانية يشمل دراسة إسخيلوس، وسوفوكليس، ويوريبيديس، وأريستوفان، وكنت أعلم مدى غنى الأدب اليوناني، ومدى ضرورته للممثل، والدارس، فاندفعت في حرارة أسأل أبي أن يأذن لي بدخول فرع التمثيل، وقد رفض أبي أولاً، ولكن الله سبحانه شاء أن يشملني برعايته، فإذا أبي يُكلَّف بتدريس اللغة العربية في فرع التمثيل، وعندما وجد أنني سأكون تلميذة له أخذني معه إلى الأستاذ حقي الشبلي المسؤول عن الفرع، وسجلني طالبة، واكتملت سعادتي.

وأما اللغة اللاتينية فإن قصة دراستي لها كانت أغرب، فقد كنت طالبة في قسم اللغة العربية، وكنا ندرس اللغة الإنجليزية، وصادف أن أستاذنا أشار في الصف، مرارًا، إلى ضرورة معرفة اللغة اللاتينية لمن يريد التخصص في الأدب الإنجليزي، فشوقني ذلك إلى دراستها، وبقيت هذه الرغبة عابرة في نفسي حتى سمعت في آخر العام الدراسي ١٩٤١- ١٩٤٢ أن إدارة الكلية قررت إضافة مادة اللغة اللاتينية إلى منهج طلبة السنة الأولى، فرع اللغة الإنجليزية، وهنا بدأت لهفتي، أردت - بأي ثمن- أن أنتمي إلى هذا الصف لأتعلم اللغة اللاتينية، وراجعت أستاذ المادة فاعتذر عن قبولي في الصف، وسألني مندهشا: «ولكنك طالبة في قسم اللغة العربية، فماذا تنفعك

اللاتينية؟!» ولم يوهن هذا عزيمتى، وراجعت عميد الكلية، ورجوته أن يأذن لى بالدراسة مع طلبة الإنجليزية، عندما رأى العميد لهفتى سمح لى، وانتميت إلى صف اللغة اللاتينية، وبدأت أحفظ، بحماسة، تلك القوائم التى لاتنتهى من حالات الأسماء وفصائلها، وتصريفات الأفعال، وسواها مما يعتبر من أصعب ما يعرفه طلبة اللغات.

وقد بقى حب اللغة اللاتينية فى دمى حتى اليوم، وما زلت أقتنى كتب الشعر اللاتينى، وأحاول أن أقرأها كلما وجدت فراغا، وأتذكر أننى، بعد شهرين من بدئى لدراسة هذه اللغة، أصبحت أكتب مذكراتى بها، كما نظمت نشيدًا لاتينيًا على نغمة الأغنية المشهورة (At The Ballalika). وكان من الطبيعى أن يكون النشيد بدائيا ساذج الصيغة، فقد كنت لم أزل طالبة مبتدئة، ولقد واصلت دراسة اللغة اللاتينية سنوات كثيرة وحدى من دون أستاذ بمساعدة القواميس، ثم دخلت صفا فيها فى جامعة برنستن بالولايات المتحدة درسنا فيه نصوصًا للخطيب الرومانى شيشرون، وقد أعجبت أشد الإعجاب بشعر الشاعر اللاتينى «كوتولوس»، وحفظت مجموعة من القصائد له، وما زلت أترنم بها أحيانًا فى وحدتى، فأجد سعادة بالغة فى ترديدها. والواقع أنى أجد فى اللغة اللاتينية نفسها سحرا يجتذب كيانى كله، ولست أعرف سر هذا الافتتان بلغة يكرهها الطلبة عادة، وينفرون منها أشد النفور.

وفى عام ١٩٤٩ بدأت بدراسة اللغة الفرنسية، فى البيت، مع أخى الذى يصغرنى: نزار وكان إذ ذاك طالبًا فى قسم اللغة الإنجليزية بدار المعلمين العالية، وكان له ولع شديد بالأدب، واللغات، وهو شاعر أيضًا، وإن كان مقلاً، وكانت تربطنى به صداقة عميقة، وكنا نشترك أنا وهو فى غرفة واحدة تنتشر فيها الكتب على سريرينا، وطالما قام الجدل بيننا فى موضوعات الأدب والحياة.

بدأنا إذن، أنا ونزار ندرس الفرنسية من دون مدرس، وذلك اعتماداً على كتاب إنجليزي يعلم هذه اللغة، أهدانا إياه عمي، وقد سعدنا سعادة بالغة بتعلم هذه اللغة الجميلة، وواصلنا تعلمها حتى أصبحنا نقرأ فيها كتب الشعر، والنقد، والفلسفة، وفي عام ١٩٥٣ دخلت دورة في المعهد العراقي، قرأنا فيها نصوصاً من الأدب الفرنسي، من مثل قصص: ألفونس دوديه، وموباسان، ومسرحيات موليير، ولكن نطقي بهذه اللغة بقي رديئاً حتى اليوم، لأنني تعلمتها من دون أستاذ يلفظ أمامي الكلمات، ولم تتح لي فرصة للسفر إلى فرنسا، والحياة فيها فترة، وهذا ما يحزنني دائماً حين أجدني أقرأ، وأفهم، ومع ذلك لا أحسن الكلام، ولا النطق الصحيح.

أما الأدب الإنجليزي فقد بدأت عنايتي به وأنا طالبة في دار المعلمين العالية يوم كنا نقرأ شعر شكسبير (Sonnets) ومسرحية «حلم منتصف ليلة صيف»، وقد ترجمت إلى الشعر العربي إحدى سونيتات شكسبير، إذ ذاك. واقبلت بعد ذلك على قراءة شعر بايرون، وشيللي. وفي عام ١٩٥٠ دخلت دورة في المعهد الثقافي البريطاني لدراسة الشعر الإنجليزي، والدراما الحديثة، استعداداً لأداء امتحان تقيمه جامعة كامبردج وتمنح بعده شهادة الـ(PROFI-CENCY)، وكان مستوى هذه الدراسة أعلى من ليسانس اللغة الإنجليزية، لأن طالبة متفوقة في السنة الرابعة من فرع اللغة الإنجليزية دخلت معي هذه الدورة، فكانت النتيجة أنها رسبتْ، ونجحتُ. وكان سر نجاحي أنني انهمكت طيلة العام في قراءة عشرات من كتب الشعر، والدراما، في حماسة، ونهم، والواقع أن أغلب الذين اشتركوا في الامتحان معنا قد رسبوا، ولم ينجح سواي وسوى طالب واحد خارجي لم يشترك معنا في الدراسة بالمعهد البريطاني، وكان لهذا الامتحان امتحان ثان أعلى منه تقيمه جامعة كمبردج نفسها، ولكني لم أقدمه، وإنما سافرت إلى الولايات المتحدة لدراسة النقد الأدبي.

وكانت هذه المرحلة تمتد عامًا، وقد أوفدتني إليها مؤسسة روكفلر الأمريكية، واختارت لي أن أدرس النقد الأدبي في جامعة برنستن في نيو جيرسي بالولايات المتحدة، وهي جامعة رجالية ليس في تقاليدها دخول الطالبات فيها، ولذلك كنت الطالبة الوحيدة، وكان ذلك يثير دهشة المسؤولين في الجامعة كلما التقى بي أحدهم في أروقة المكتبة، أو الكليات، وقد أتيحت لي في هذه الفترة الدراسة على أساطين النقد الأدبي في الولايات المتحدة، من مثل ديتشرد بالاكمور، وآلن دوانر، وآلن تيت، ودونالد ستاوفر، وديلمور شوارتز، وكلهم أساتذة لهم مؤلفات معروفة في النقد الأدبي، كما عرفوا بأبحاثهم في مجلات الجامعات الأمريكية، وسائر الصحف الأدبية.

* * *

بعد عودتي إلى العراق عام ١٩٥١ بدأت أتجه إلى كتابة النثر بخاصة في النقد الأدبي وفي عام ١٩٥٣ ألقيت محاضرة في نادي الاتحاد النسائي ببغداد كان عنوانها (المرأة بين الطرفين: السلبية، والأخلاق) انتقدت فيها أوضاع المرأة الحاضرة، وعقم المجتمع العربي، ودعوت إلى تحرير المرأة من الجمود والسلبية، وقد أثارت هذه المحاضرة ضجة في بغداد، وتحدثت عنها المحافل طويلا بخاصة وأن إذاعة بغداد نقلتها كاملة، وأذاعتها على الجمهور وسرعان ما نشرتها مجلة (الآداب) البيروتية التي كانت تصدرها إذ ذاك دار العلم للملايين.

وواصلت خلال ذلك نظم الشعر ونشره، ونشر مقالات النقد الأدبي في مجلتي (الأديب) و(الآداب) ببيروت.

وفي عام ١٩٥٣ حدث لي حادث هز حياتي إلى أعماقها، فقد مرضت والدتي مرضًا مفاجئًا شديدًا، وقرر الأطباء ضرورة إجراء عملية جراحية لها في لندن فورًا، ولم يكن في بيتنا من يستطيع السفر معها إلى إنجلترا سواي،

بسبب معرفتي للندن، وحياتي فيها فترة وبسبب إتقاني للغة الإنجليزية - وكان نزار قد سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة. كل هذا اضطرني إلى أن أصحب أمي المريضة أشد المرض إلى لندن على عجل، والرعب مُستَوْلٍ عليَّ، فقد كنت خائفة في أعماقي من شيء رهيب سيقع لي لم أشخصه، وقبل سفري بأسبوع حلمت أنني أسير في شوارع لندن وأحاول شراء تابوت ملون، وأبحث، أبحث، وأبحث في لهفة ورعب فلا أجد من يبيعني تابوتًا، ولم أقص حلمي هذا على أحد في البيت، وسافرت بها، وتم إدخالها إلى غرفة العمليات، وخرجت منها محمولة على نقالة حيث أودعوها في عنبر الموتى بالمستشفى ريثما تتم إجراءات الدفن المعقدة، وقد رأيتها، وهي تحتضر في مشهد رهيب هز حياتي إلى أعماقها، وكان عليَّ أن أحضر مشاهد الجنازة والدفن وأنهض بأعبائها، وهي أعمال لم أعتد القيام بمثلها، وعدت إلى العراق بعد أسبوعين ذابلة حزينة مهزوزة النفس، فقد كنت أحب أمي حبًا شديدًا لا مثيل له، وما كدت أرى إخوتي، وأقاربي يلبسون السواد وهم يستقبلونني في مطار بغداد حتى بدأت أبكي، وأبكي بكاء لا ينقطع ليلاً ولا نهارًا، وسرعان ما لاح لي بوضوح أنني مريضة، فبادرت إلى مراجعة طبيب عالجني بالحبوب المهدئة، فتوقفت دموعي، وإن بقي الحزن يحفر في حياتي حتى اليوم بعد خمسة وأربعين سنة من وفاة والدتي يرحمها الله، وكانت حصيلتي الشعرية المباشرة، بعد وفاة أمي، قصيدة سميتها «ثلاث مرات لأمي» استعملت فيها أسلوبًا جديدًا في الرثاء لم يسبقني إليه أحد، وسرعان ما ذاعت قصيدتي هذه، واستقبلها الشعراء بحرارة، وإعجاب بالغين.

وقد كان من حسن حظي - وأنا في أحزاني التي هدمتني بعد وفاة أمي - أن انتخبتني مديرية البعثات العراقية لدراسة الأدب المقارن في الولايات المتحدة، وقد قبلت في جامعة وسكنسن، إحدى أول عشر جامعات في

الولايات المتحدة، فسافرت متحمسة للدراسة أشد الحماسة، وأتاح لى موضوع الأدب المقارن أن أستفيد من اللغات الأجنبية التى أعرفها، بخاصة الإنجليزية، والفرنسية. وخلال هذه الدراسة اكتسبت ثقافة غنية رائعة أخصبت ذهنى وملأتني سعادة. وقد كنت أقضى أغلب الوقت في مكتبة الجامعة الغربية التى كان لها أعمق الأثر فى حياتى فى تلك الفترة، كما اغتنت حياتى بأفكار عذبة كثيرة منوعة، واكتسبت من التجارب أضعاف ما كسبته فى حياتى السابقة كلها. وتغيرت مفاهيمى، ومُثلى، ومقاييسى، وتبدلت شخصيتى كلها.

وقد كان النظام فى هذه الجامعة رائعًا، لأنه لايتطلب كتابة أطروحة كبيرة، بل يكلف الطالب بإعداد مجموعة كبيرة من الأبحاث فى موضوعات أدبية منوعة، فكنت أجد متعة عظيمة فى كتابة هذه المقالات التى مرنت قابليتى فى النقد الأدبى، وما زالت الأبحاث المكتوبة بالإنجليزية تنتظر أن أترجمها إلى العربية، وأنشرها. وسبب إعراضى عنها، حتى الآن، يرجع إلى أنها كلها تتناول الآداب الأوروبية، فلا يتخللها اسم عربى، وقد ألفت أن أشعر أن كتابة الأديب العربى مقالات تغص بالأعلام الأجنبية نوع من التكلف، وإقحام لثقافة أجنبية على القارئ العربى البسيط. ولذلك أنوى أن أوسع الجانب المقارن فى أبحاثى هذه بحيث يشمل أعلامًا عربية إلى جانب الأوروبية، وإذ ذاك سأستريح إلى نشرها، وأرجو أن يتاح لى يومًا أن أفعل هذا.

وكان سفرى إلى وسكنسن عام ١٩٥٤، واستغرق إعداد الماجستير فى الأدب المقارن سنتين كتبت خلالهما مذكرات أدبية كثيرة سجلت فيها ملاحظاتى على الكتب التى قرأتها، والأشخاص الذين تعرفت إليهم، وعشت بينهم فى تلك الفترة، كما احتوت على آراتى المفصلة المركزة فى المرأة الأمريكية. ومع هذا كله، كنت فى مذكراتى أغوص غوصًا عميقًا فى تحليل

نفسي، وقد اكتشفت أنني كنت لا أعبر عن ذهني، وعواطفي كما يفعل كل إنسان حولي، وإنما ألوذ بالانطواء، والصمت، والخجل، واتخذت قرارًا حاسمًا أن أخرج على هذا الطبع السلبي، وشهدت مذكراتي صراعًا عظيمًا مع نفسي من أجل تحقيق هذا الهدف، فكنت إذا تقدمت خطوة تراجعت عشر خطوات بحيث اقتضاني التغير الكامل سنوات كثيرة طويلة.

وأنا اليوم أدرك أن تغيير العادات النفسية من أصعب الأمور، ولذلك أعتبر كفاحي المتواصل لتعديل أعماقي النفسية، ومسلكي الاجتماعي كفاحًا بطوليًا، لم يساعدني عليه إلا الله تعالى برحمته السابغة، ورعايته الدائمة، مهما يكن فإن في نيتي أن أفرغ يوما لانتخاب مختارات من مذكراتي في مادسن/ وسكنسن للنشر، وقد أعطيت حلقة منها إلى جريدة الأهرام صيف سنة ١٩٦٦، فنشرتها في عددها الصادر يوم ٥/ ٨/ ١٩٦٦

وعندما رجعت من الولايات المتحدة، مررت في طريق العودة بإيطاليا، وجنوب فرنسا، ثم عرجت على دمشق حيث مؤتمر الأدباء العرب الثاني في بلودان، وكانوا قد وجهوا إليَّ دعوة وأنا في الولايات المتحدة. وكنت يومها أحس بنوع من الأزمة أعانيه، فقد كان التعبير بالعربية لا يطاوعني تمامًا بعد سنتين لم أتكلم خلالهما إلا بالإنجليزية، وكانت حياتي الفكرية والروحية كلها تقوم على هذه اللغة الأجنبية، وكنت أحس بذلك إحساسًا قاسيًا بخاصة خلال وجودي في مؤتمر الأدباء الذي افتتحت به عودتي إلى الوطن العربي الحبيب. ولم يزايلني هذا الإحساس إلا بعد مرور أشهر في العراق استعدت خلالها طلاقة التعبير بالعربية.

وفي عام ١٩٥٧ صدرت في بيروت مجموعتي الشعرية الثالثة (قرارة الموجة)، وقد احتوت على منتخبات من شعري بعد (شظايا ورماد)، ونشرتها دار الآداب ببيروت.

وفي عـام ١٩٥٨ قامت في العـراق ثورة ١٤ تموز، وأثرت في حيـاتي أعنف تأثير حتى اسـتغرقت كل لحظة من عمـري ذلك العام. وقد استقـبلتها بقصيدة ساخنة بدأتها:

فرح الأيتام بضمة حب أبوية

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمس نسائم ثلجية

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهورية

وكانت القـصيدة تعبـيراً بسيطاً عن الفـرح العميق الغامـر وتحذيراً من مؤامرات أمريكا، والصهيونية العالمية:

السوق صحا يا ورد حذار

من نقمته الصهيونية

ومخالبه الأمريكية

ولكن عبـدالكريم قاسم سرعان مـا انحرف، واستهوته شـهوة الحكم، وسمح للشـعوبية أن تمس جمـال الثورة، وتقضي على مـبادئها القومـية التي أحبـها أشد الحب، وقـد اضطرني عسف الحكم، وتهـديده المسـتمر إلى ترك العراق، والسكن ببيروت عـامًا كـاملاً (١٩٥٩ ١٩٦) وخـلال ذلك، واصلت نشر إنتاجي القومي في مجلة (الآداب).

في عام ١٩٥٧ عينت مدرسة معيـدة في كلية التربية ببغداد أدرس النقد الأدبي، العـروض، وبعد عـودتي من بيروت عـام ١٩٦٠ تعرفت إلى زمـيل جديد في قسم اللغـة العربية هو الدكتور عبـدالهادي محبوبة، خريـج جامعة

القاهـرة. وفي منتصف عـام ١٩٦١ تزوجنا، فكان لي نعم الصديق والـرفيق والزميل.

وفي عام ١٩٦٢ صدر لي أول كتاب في النقد الأدبي هو (قضايا الشعر المعاصـر)، وقد درست فيه الشـعر الحر دراسـة خاصة مفـصلة، ووضعت له عروضًا كـاملاً اعتمادًا على معـرفتي للعروض، وعلى قوة سمـعي الشعري، وعلى كثرة قراءتي لشعر الزملاء من الشعراء، وقد أهديت الكتاب إلى الرئيس العربي جـمال عبـدالناصر، متحـدية عبدالكريم قـاسم الذي كان يمقتـه أشد المقت.

وفي عام ١٩٦٤ سـافرنا، أنا وزوجي، للعـمل في تأسيس جامـعة في البصـرة؛ حيث كان الدكـتور عبـدالهادي رئيسًـا للجامعـة، وكنت أعمل في التدريس بقـسم اللغة العربية، ثم انتـخبت رئيسًـا للقسم واستمـر عملنا هناك أربع سنوات، وغادرنا البـصرة إلى بغـداد أواخر عام ١٩٦٨ حـيث عدنا إلى التـدريس في كليـة التربيـة سنة واحـدة، غادرنا العـراق بعـدها إلى الكويت للتدريس في جامعتها.

وفي عام ١٩٦٤ دعاني معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة إلى إلقاء محاضـرات حول الشعر في موضـوع أختاره، فعكفت على كتـابة كتاب عن الشاعر المبدع على محمود طه الذي كنت تأثرت بشعره خلال فترة الصبا، يوم كنت طالبة في فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة، وقد طبع هذا الكتاب (شعر على محمود طه) في القاهرة عام ١٩٦٥ وكان عنوان طبعته الثانية (الصومعة والشرفة الحمراء)، وقد طبعته دار العلم للملايين.

وفي أول سنة ١٩٦٨ صدرت لي مجموعة شعرية رابعة عنوانها (شجرة القمر)، تطور فيـها شعري تطورًا واضحًا عما كـان عليه في المرحلة السابقة،

مرحلة (قرارة الموجة) التي كنت خلالها أميل إلى الفلسفة، والفكر في شعري، ونثري جميعًا.

وفي عام ١٩٧ صدرت مطولتي الشعرية (مأساة الحياة وأغنية للإنسان). عن دار العودة ببيروت.

* * *

وبعد، فهذه خطوات مركزة مختصرة من سيرة حياتي كتبتها تلبية لطلبات كثيرة ترد على من الباحثين، وطلبة الجامعات الذين يكتبون رسائل الماجستير، والدكتوراه. أما سيرة حياتي المفصلة، ففيها كثير من الغرائب الممتعة، وأرجو أن يتاح لي أن أفرغ لكتابتها يومًا قبل الموت.

مأساة الحياة

الطبعة الأولى ١٩٧٠

«أكثر هذه المطوّلة قد نُظم سنة ١٩٤٥ والقليل منها امتد إلى ١٩٤٦، وكان عمري ثلاثة وعشرين عاماً»

تقدمة

- بقلم الشاعرة -

يضمّ الأثر الشعريّ الذى أضعه بين يدى القارئ فى هذا الكتاب ثلاث صور شعرية لقصيدة واحدة، أولها قد نظم بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٦، وثانيها قد نظم سنة ١٩٥٠ وثالثها متأخر التاريخ حتى ١٩٦٥، ولقد يمكن أن تعدّ قصيدة من هذه القصائد المطولّة مستقلّة عن الأخريين، لولا أننى قد نسخت بعض الأبيات أحيانًا فنقلتها من قصيدة إلى أخرى على اعتبار أنها مازالت ترضى ذوقى رغم مرور السنين، ولعلّ من المفيد أن أشرح الظروف الزمنية والنفسية والفكرية التى أحاطت بى خلال عشرين عامًا من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥م:

أما القصيدة الأولى فقد نظمتها عام ١٩٤٥ - وكان عمرى إذ ذاك اثنين وعشرين عامًا- ولم يكن ديوانى الأول (عاشقة الليل) قد ظهر إلى الوجود أو طبع، وكنت إذ ذاك أكثر من قراءة الشعر الانجليزى فأعجبت بالمطوّلات الشعرية التى نظمها الشعراء وأحببت أن يكون لنا فى الوطن العربىّ مطوّلات مثلهم، وسرعان ما بدأت قصيدتى وسمّيتها «مأساة الحياة» وهو عنوان يدل على تشاؤمى المطلق وشعورى بأن الحياة كلها ألم وإبهام وتعقيد، وقد اتخذت للقصيدة شعارًا يكشف عن فلسفتى فيها هو هذه الكلمات للفيلسوف الألمانى المتشائم «شوبنهاور»: (لست أدرى لماذا نرفع الستار عن حياة جديدة كلما أسدل على هزيمة وموت، لست أدرى لماذا نخدع أنفسنا بهذه الزوبعة التى تثور حول لا شئ؟ حتّام نصبر على هذا الألم الذى لا ينتهى؟ متى نتدرّع بالشجاعة الكافية فنعترف بأن حبّ الحياة أكذوبة، وأن أعظم نعيم للناس جميعاً هو الموت؟)، والواقع أن تشاؤمى قد فاق تشاؤم شوبنهاور نفسه، لأنه

- كما يبدو - كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان، أما أنا فلم تكن عندى كارثة أقسى من الموت، كان الموت يلوح لى مأساة الحياة الكبرى، وذلك هو الشعور الذى حملته من أقصى أقاصى صباى إلى سنّ متأخرة.

وهكذا بدأت نظم المطولة، وقد اخترت لها بحراً عروضياً مرناً هو البحر الخفيف الذى يجرى بين يدى الشاعر كما يجرى نهر عريض فى أرض منبسطة، وقد بلغت القصيدة ألفا ومائتى بيت نظمتها فى ستة أشهر تقريبا وانتهيت منها عام ١٩٤٦ وكان موضوعها فلسفيا يدور حول الموت والحياة وما وراءهما من أسرار، وقد تخلل القصيدة جزء منها شكوت فيه من المآسى التى سببتها الحرب العالمية الثانية التى كانت تستعر فى الغرب ودعوت إلى السلام وتغنيت به ونددت بتجار الحروب وقاتلى البشر، ثم انتقلت إلى الحديث عن السعادة متسائلة إن كان لها وجود حق فى الدنيا، ثم رحلت أبحث عنها فى مختلف الأوساط فلا أجدها، بحثت أولا لدى الأغنياء لعل السعادة فى قصورهم وحياتهم المترفة الناعمة، ولكنى لم أجدها لأنّ الغنيّ لا يستطيع أن يدفع وحشة القبر والأكفان بأمواله، ثم مررت بالرهبان والزاهدين فوجدت عواطفهم المكبوتة تقلقل حياتهم ومضض الحرمان يظلل مساكنهم ويبدو على وجوههم، ثم قلت لعلّ السعادة فى ارتكاب الشرور والآثام فطفت بأوكار اللصوص، والمجرمين، فوجدت أن ضمائرهم تعذبهم ولا تأذن لهم أن يرتاحوا، ووصلت إلى الريف بأشجاره وامتداداته الجميلة فوجدت سكانه فقراء محرومين يعيشون عيشة البؤس والعذاب، وصورت فى هذا القسم من المطوّلة، راعيا صغيرا يأكله الذئب ثم وصفت الثلوج التى تهبط طوال الشتاء وتحرم الفلاحين من استنبات الأرض فينتشر الجوع والحزن بينهم وتموت مواشيهم، ومن الريف انتقلت إلى دنيا الشعراء لعل السعادة عندهم، ولكن بارقة الأمل سرعان ما تخبو بسبب حساسية الشاعر وتألمه للجياع والمحزونين

والمحرومين، ثم أنتقل إلى العشاق لعلهم ذاقوا السعادة، فلا أجد بينهم من يعرفها لأن الشهوة الجنسية تدنس الروح وتحد آفاق الفكر، وهكذا تنتهى الرحلة بالخيبة فلا تجد الشاعرة السعادة مطلقا

ولقد كانت «مأساة الحياة» صورة واضحة من اتجاهات الرومانسية التى غلبتنى فى سن العشرين وما تلته من سنوات، وكان من مشاعرى إذ ذاك التشاؤم والخوف من الموت وهما مفتاح هذه الصورة الأولى من المطولة، صورة ١٩٤٥

وكنت فى عام ١٩٤٦ أنوى أن أقدم المطولة للقراء بعد مجموعتى الشعرية الأولى «عاشقة الليل»، وعندما طبع هذا الديوان كان فى آخره إعلان صغير عن «مأساة الحياة» ولكن الظروف حالت دون ذلك، فأصدرت مجموعتى الشعرية الثانية «شظايا ورماد» عام ١٩٤٩ وهى المجموعة التى دعوت فيها إلى الشعر الحر

وفى عام ١٩٥٠ كان أسلوبى الشعرى قد تطور تطوراً كبيراً عما كان أيام نظمى للمطولة، فأصبحت مواردى الأدبية أغزر، وأسلوبى أكثر صوراً وثقافتى أغنى، فلم أعد راضية عن (مأساة الحياة) ولذلك قررت أن أعيد نظمها بأسلوبى الجديد فكانت صورتها الثانية، وعندما مضيت فى نظمها لاحظت أنها - رغم وحدة الموضوع - قد أصبحت قصيدة ثانية تختلف فى كل لفظة منها عن (مأساة الحياة) فرأيت أن أهبها عنواناً جديداً خاصة وأننى بدأت أنظر إلى الحياة بمنظار جديد فيه مسحة من تفاؤل ووضوح بحيث لا أحتمل أن استبقى العنوان القديم ولذلك سميتها «أغنية للإنسان»، وقد مضيت فى نظمها حتى بلغت أبياتها ٥٨٦ بيتاً من الوزن الخفيف نفسه، وعند هذا بدأت أشعر بالضيق، فقد لاحظت اننى مقيدة بالنسخة الأولى مادمت أعيد نظمها فليس فى وسعى أن أخرج عن الإطار العام للقصيدة الأولى، وكان

على فى «أغنية للإنسان» أن أبحث عن السعادة فلا أعثر عليها، بينما كنت قد بدأت أدرك أن السعادة ممكنة ولو إلى مدى محدود، فكيف أوفق بين الموضوع القديم وآرائى الجديدة؟

واستعصى على الحل وقلت لنفسى إننى لا أستطيع مواصلة القصيدة ولابد لى من تركها، وكان ذلك، اذ توقفت عن النظم وتركت القصيدتين خمسة عشر عاما من ١٩٥ إلى ١٩٦٥ وقد كنت خلال هذه السنوات أشعر بالضيق كلما تذكرتها لأن «مأساة الحياة» كانت أجمل شعرى فى مرحلتى الأولى، مرحلة «عاشقة الليل» وكانت نسخة ١٩٥٠ أجمل شعرى فى مرحلتى الثانية، ولذلك عزّ على أن تبقى محجوبة عن القراء، وراح الدكتور عبدالهادى محبوبة (زوجى) يحثنى على إتمامها، وفكرت فى ذلك فعلا، ولكنى لاحظت أن أسلوبى الشعرى قد تطور وتغير ما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٥ فلو أتممت (أغنية للإنسان) لظهر عليها فارق الأسلوب، وبقيت حائرة ماذا أصنع، ثم قررت أن أنشر (مأساة الحياة) كما هى دون تعديل، وجلست ذات صباح أنسخها معدلّة كلمة هنا وشطرا هناك دون أن أعيد نظمها كما صنعت سنة ١٩٥٠

ولكنى ما كدت أمضى صفحات حتى بدأت التغييرات تتسع وتشمل كثيراً من الأبيات، وبعد يومين وجدتنى أغير القصيدة القديمة تغييرا كاملا دون أن استبقى من المطولة الأولى لفظة واحدة، وهكذا ولدت الصورة الثالثة من القصيدة عام ١٩٦٥، ولسوف يلوح للقارئ أننى أقرب إلى التفاؤل فى هذه القصيدة، والواقع أن آرائى المتشائمة كانت قد زالت جميعا وحل محلها الإيمان بالله والاطمئنان إلى الحياة، ولذلك راح جو مأساة الحياة يتبدد تدريجيا، وقررت أن تجد الشاعرة السعادة فى هذه القصيدة، وعندما بلغت ستمائة بيت أو يزيد شغلتنى الحياة بأعمال وظروف معقدة فاضطررت إلى ترك المطولّة والانصراف إلى مشاغلى، ومنذ ذلك لم أعد إلى المطولّة.

واليوم إذ أقدّم الصـور الثلاث إلى المطبعة، أحسّ انني أقدّم عـملا أدبياً متكاملا، لأن الشعر قد يقرأ لمجـرد كونه شعراً، وهذه المطوّلة بصورها الثلاث تدلّ علي خط التطوّر فى شعـرى ما بين السـنوات العشـرين من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥

وبعد فلست أول من تعتريه هذه الحالات الشـعرية في سنين مختلفة فإن الشاعر الانجليـزى جون كيتس مثـلا قد نظـم قصـيدة عنوانهـا «هايبيريون» HYPERION تناول فيها سقوط الآلهة الأوائل في الميثولوجى اليونانية، عندمـا حلّت مكانها أسرة جـوبيتر Jupiter إله الآلهة الثانى، وقـد صوّر «كيتس» فى هذه المطوّلة ميلاد (أبولو) إله الشمس وكيـف حلّ محل الإله السابق هايبيريون إله الشمس الأول السـاقط، وتعده هذه القصيـدة من أروع شعر كيـتس، وقد نشرها في مجموعته الشعرية الصادرة سنة ١٨٢٠، وعندما انصرم الوقت شعر كيـتس أن قصيدته لم تعـد تمثل أسلوبه، فعاد ونظم منهـا نسخة ثانية سـماها «سقوط هايبيريون» The Fall of Hyperion ونجد النسـختين منشورتين فى ديوان كيتس تدلان على تطوره الشعرىّ من مرحلة إلى مرحلة.

وأنا إذ أقدم اليوم مطولتى باشكالها الثـلاثة إنما أرجو أن يعذرنى القارئ بعد أن قصصت عليه التاريخ النفسى لها وصلتـها بالتيارات الخفية من عواطفى وآرائى وحياتى، ومهـما يكن من أمر فإن نسخة ١٩٤٥ كـاملة لا نقص فيها، وأما القصيدتان التاليتان فحسبى أنهما تقدّمان الحقيقة الشعرية التى تختلف عن الحقـيقة القصـصية، فالشـعر أعمق وأجـمل من مجرد الموضوع الذى يعـالجه ولذلك يمكن أن ترتوى مـشاعـرنا بجزء من قـصيـدة، وأما القـصة فـإن تمام الحكاية فيها جزء من كمالها لا ينفصل عنه.

وأود هنا أن أقتبس نماذج من مـوضوع واحد من القصـائد الثلاث ليرى القارئ اتجاه التطور فى شعـرى عبر عشرين عاماً، ورد فى «مأسـاة الحياة» عام

١٩٤٥ فى موضوع البحث عن السعادة عند سكان الأديرة الأبيات التالية:

أيهـا الراهب الذي يقطع العمـ ـر وحيـداً في كوخـه المكفـهر
هات حـدثني العـشـيّة عمـا عنـد دنيـاك من نعـيم وبشـر
حـدثوني عنكم فـقـالوا حيـاة من نعـيم وأنفس من نقـاء
عـجبـاً أين مـا يقـولون؟ مـالى لا أرى غير حيـرة الأشـقيـاء؟
مـا الذى عندكم من البشـر والأفـ ـراح مـاذا يـا أيهـا الزاهدونا!
ليس إلا عـمـر يمـرّ حـزينـاً يتـهـاوى كـآبـةً وسكـونا

أما فى نسخة ١٩٥٠ فهذه هى الصورة التى صورت بها مشاعر الرهبان وعلكتهم التى تقوم على الكبت والحرمان:

شـيّدوها مـن كـل لفتة شـوق فـى العـيون الحبيسـة المحرومـه
وسقـوا أرضهـا الجـديبة مـن بسر كـان تـلك العواطـف المكـتومه
وحمـوها مـن أن تغـازلها الشمـ ـس بألـوانها ولـين شـذاها
وأبـوا أن يلامـس القـمر المنـ ـفعل الضوء فى المسـاء دجـاها
وتمـنّوا ألاّ تمـر بهـا ريـ ـحٌ عبيرية الصـدى والنشـيد
فشفـاه الـرياح تكمُـن فـيها قـبلٌ عـذبة وذكـرى خـدود
وتمـنوا أن يقفـل اللـيل عينيـ ـه وتخبـو نجـومه السحـريّه
فعـيون النجـوم تغـوى بأهدا ب حـريـرية الـرؤى قمـريه

أما فى نسخة عام ١٩٦٥ فقد تحوّلت هذه المعانى إلى الصيغة التالية:

أيهـا الراهـب الـذى يقطع العمـ ـر وحـيداً فـى غـرفة منسيـه
ليـس يدرى دفء المودة فى عيـ ـنين فـى قـرّ ليـلة شـتويه
حـدثونى عنكـم فقالـوا ضياء وكـؤوس مـن الشـذى روحيّه
وسموٌ إلـى الذرى الطاهرات الـ ـبيض فـوق الرغـائب البشريه

عجباً أين ما سمعت هنا شوقٌ ونارٌ وأعينٌ مفتونه
وهوى قيّدوه عطشان محروماً فأين السلام أين السكينه؟

ولكن الذى يلاحظ أن نسخة عام ١٩٦٥ قد لمحت تلميحاً واضحاً إلى أن هذه الشاعرة لا تنظر بعيداً ولا عميقاً وهي تبحث عن السعادة وإنما هي متشائمة لأن نظراتها تقع فوق السطوح ولا تغوص عميقاً وراء المظاهر الخادعة. وقد جاء هذا المعنى فى «أنشودة الرياح» التى خاطبت الشاعرة قائلة:

أنصتي تسمعي في السكون حفيف
وانظري تبصري أن جدبي وريف
لك قلب غفا عن معاني الذري
لك روح ثوى في ضباب الكرى

وهذا التطوّر فى النظرة هو التمهيد لفكرة عثور الشاعرة على السعادة فى ختام القصيدة.

وقد يتساءل متسائل: لماذا بقيت متمسكة بالبحر الخفيف فى القصائد الثلاث دون أن أخرج عنه إلى بحور أخرى؟ وجواب هذا أننى رأيت هذا البحر أكثر ملاءمة للمطوّلات فهو يسمح بالعبارة الطويلة على صورة تريح الشاعر الحديث، ولا يخفى أننا إنما دعونا إلى الشعر الحرّ لتمكن الشاعر العربى من ايراد جمل طويلة دون تقطع.

نازك الملائكة

بحمدون فى ١١/٨/١٩٧٠

مأساة الحياة

عبثاً تحلمين شاعرتي ما ... من صباح لليل هذا الوجود
عبثاً تسألين لن يكشف السر ... ولن تنعمي بفك القيود

في ظلال الصفصاف قضيت ساعا ... تك حيرى تمضك الأسرار
تسألين الظلال والظلّ لا يعـ ... ـلم شيئاً وتعلم الأقدار

أبداً تنظرين للأفق المجـ ... ـهول حيرى فهل تجلّى الخفي؟
أبداً تسألين والقدر السا ... خر صمت مستغلق أبديُّ

فيم لا تيأسين؟ ما أدرك الأسـ ... ـرارَ قلبٌ من قبل كي تدركيها
أسفاً يا فتاة لن تفهمي الأيـ ... ـام فلتقنعي بأن تجهليها

أتركي الزورق الكليل تسيـ ... ـره أكفُّ الأقدار كيف تشاء
ما الذي نلت من مصارعة المو ... ج؟ وهل نام من مناك الشقاء؟

آه يا من ضاعت حياتك في الأحـ ... ـلام ماذا جنيت غير الملال؟
لم يزل سرها دفيناً فيا ضيـ ... ـعة عمرٍ قضّيته في السؤالِ

هُوَ سـرُّ الحـيـاة دقَّ عـلى الأفـ ـهام حـتى ضـاقت به الحكماء
فـيأسى يـا فـتـاة مـا فُـهـمت من قـبـلُ أسـرارها فـفـيم الـرجـاء؟

جـاء من قـبلِ أن تجيـئى إلى الدُّنـ ـيـا مـلايين ثم زالـوا وبادوا
ليتَ شـعـرى مـاذا جَنَوْا من لـيالـيـ ـهم؟ وأيـنَ الأفـراحُ والأعـيـادُ؟

ليـس منهم إلا قـبـورٌ حـزيـنا ت أقـيـمت على ضـفـاف الحـيـاة
رحلوا عن حِـمَى الوجـود ولاذوا فى سـكونٍ بـعـالم الأمـواتِ

كم أطاف الليلُ الكئيب على الجو وكـم أذعـنـت له الأكـوانُ
شـهـد الليلُ أنه مـثـلمـا كـا ن فـأيـن الذين بالأمـس كـانوا؟

كـيـف يا دهر تنـطفى بين كـفَّـيـ ـك الأمـانى وتخمـد الأحـلامُ؟
كـيف تَذْوى القلوبُ وهى ضـيـاءٌ ويـعـيـش الـظـلام وهْو ظـلامُ

كـيف تحـيـا الأشـواك والزهر الفـا تن يذوى فى قـبـضـة الإعـصـار
كـيـف تمضى إلى الفناء الأنـاشـيـ ـد وتبـقـى سـخـريـة الأقـدار

حـدثى الـقـلبَ أنتِ أيتـهـا المأ سـاة يا من قـد سُـمِّـيت بالحـيـاة
ما الذى تصنعين بى فى الغد المجـ ـهـول مـاذا ترى مصـيـر رفـاتى؟

أى قبر أعددت لى؟ أهو كهفٌ / ملء انحائه الظلامُ الداجى؟

أم ترى زورقى سيغرق بى يو / ماً فأثوى فى ظلمه الأثباج

لهفتى يا حياة كم تلعب الأو / هام بى؟ كم يؤودنى التفكير

أبدا أسأل الليالى عن المو / ت وماذا ترى يكون المصير؟

طالما قد سألت ليلى لكن / عز فى هذه الحياة الجواب

ليس غير الأوهام تسخر منى / ليس إلا تمزق واضطراب

هل فهمت الحياة كى أفهم المو / ت وأدنو من سره المكنون

لم يزل عالم المنية لغزا / عزّ حلاً على فؤادى الحزين

فليكن يا حياة لن أسأل اللي / ل عن السر فاحكمى كيف شئت

امنحينى عمر الزهور فلن أبـ / كى ومدى الأيام لى إن رغبت

ما الذى ينفع البكاء وما يصـ / غى إلى الصارخين قلب القضاء

لن يزيد البكاء يوماً على عمـ / رى ولن يرحم المماتُ شقائى

ولتجرّعنى الحياة كؤوس الـ / حزن واليأس ما يشاء شقاها

هل ستصغى إلى رجائى المنايا / إن تمنيت صحتها ودجاها

هكذا جئت للحياة وما أد ... ري إلى أين سوف تمضي الحياةُ
وسأحيا كما يشاء لي المجـ ... ـهول حيرى تلهو بي الظُلُماتُ

إن تمنيت أن أعيش فما يسـ ... ـتمع الموت أو يمد السنينا
أو تمنيت أن أموت فما يرْ ... حم حلمي ولست ألقى المنونا

هكذا، ما يريده القدر المحـ ... ـتوم لا ما تُريدهُ آمالي
سيرتني الحياةُ أين ترى مَر ... سى سفينتي؟ وعند أي رمالِ؟

ها أنا الآن حيرةٌ وذهولٌ ... بين ماضٍ ذَوى وعُمْر يمرٍ
لست أدري ما غايتي في مسيري ... آهِ لو ينجلي لعينيَّ سرٌ

يا ضفافَ الأفراح يا ليتني أعـ ... ـرفُ شيئاً عن أفقكِ المجهولِ
لم أعد أستطيع أن أكتم الشو ... قَ فأيان يا ضفاف وصولي؟

كلُّ شئ حولي يحدِّثني عنـ ... ـك ولكن متى يحين اللقاءُ؟
فارحميني من قبل أن يحطم المو ... جُ شراعي وتصخب الأنواءُ

آه يا ضفة السعادة ما أنـ ... ـتِ؟ خيالٌ أم واقعٌ مشهودُ؟
أترى قلبي الطعينُ سيلقا ... كِ أخيراً أم أنت حلمٌ بعيدُ؟

طالما حـدثوا فـؤادى عن لـقـ ـيـاكِ لكن مـا زلتِ حُلْمَ صـبى

لم أزل أصـرفُ الليـالىَ أبكى وأغنى حـزنَ الوجـودِ الشـقىِّ

على تل الرمال

لم يزل مجلسي على تلّيَ الرمـ ـلِيِّ يُصغي إلى أناشيد أمسي
لم أزلْ طفلة سوى أنني قد زدتُ جهلاً بكُنْه عُمْري ونفسي

ليتني لم أزَلْ كما كنت قلبا ليس فيه إلا السَّنا والنقاءُ
كلَّ يومٍ أبني حياتيَ أحلا ماً وأنسَى اذا أتاني المساءُ

أبداً أصرف النهار على التل وأبني من الرمال قصورا
ليت شعري أين القصور الجميلا تُ وهل عُدْنَ ظلمةً وقبورا؟

ايه تلَّ الرمالِ ماذا ترى أبـ ـقيتَ لي من مدينة الأحلام؟
أنظر الآنَ هل ترى في حياتي لمحةً غيرَ نشوة الأوهام؟

ذَهبَ الأمسُ لم أُعدْ طفلة ترْ قُبُ عشَّ العصفور كلَّ صباحِ
لم أعد أبصر الحياة كما كُنْـ ـتُ رحيقاً يذوب في أقداحي

لم أعد في الشتاء أرنو إلى الأمـ ـطار من مَهْديَ الجميلِ الصغيرِ
لم أعدْ أعشقُ الحمامة إن غنّـ ـت وألهو على ضفاف الغديرِ

كم زهورٍ جمعتها لم تذر منـ … ـها الليالي شيئاً سوى الأشواكِ

كم تعاليلَ صغتها فَنيتْ إلا … خيالاً يؤودُ قلبي الباكي

آه يا تلُّ ها أنا مثلما كنـ … ـتُ فأرجع فردوسيَ المفقودا

أيُّ كفٍّ أثيمة سلبتْ رَمْـ … ـلَكَ هذا جمالَهُ المعبودا

كنتَ عرشي بالأمسِ يا تليَّ الرمـ … ـليَّ والآن لم تَعُدْ غيرَ تلِّ

كان شدو الطيورِ رجعَ أناشيـ … ـدي وكان النعيم يتبع ظلي

كان هذا الوجود مملكتي الكبـ … ـرى فيا ليتني أعودُ إليها

ليت هذي الرمال تسترجع السحـ … ـرَ وليت الربيع يحنو عليها

لم أعدْ أستطيعُ أن أحكم الزهـ … ـرَ وأرعى النجوم في كل ليلِ

هل أنا الآنَ غير شاعرة حَيْـ … ـرى وهل غير هيكلي المضمحلِّ؟

ذهب الأمسُ والطفولةُ واعتضـ … ـتُ بحسّي الرهيف عن لهو أمسي

كل ما في الوجود يؤلمني الآ … نَ وهذي الحياةُ تجرحُ نفسي

أين لونُ الأزهار لم أعد الآ … نَ أرى في الأزهار غير البوارِ

كلما شممتُ زهرةً صوّر الوهـ … ـمُ لعينيَّ قاطفَ الأزهارِ

أين شدو الطيور ما عدت ألقى   فى صَفَاهُ من يأس قلبى خلاصا
كلّ لحنٍ لصادحٍ يتلاشى   فى ادّكارى الصيّاد والأقفاصا

أينَ همس النسيمِ لم تَعُد الأنـ   ـسامُ تغرى قلبى بحبّ الجمال؟
فغداً يهمس النسيمُ بموتى   فى عميقِ الهُوَى وفوق الجبالِ

أين منّى مفاتنُ القَمَرِ السا   حرِ والصيف والظلام المثيرِ؟
لم أعدْ أعشقُ الظلامَ غداً أر   قدُ تحت الظلام بين القبورِ

ها أنا الآن تحت ظلّ من الصفْـ   ـصاف والتين مستطاب ظليلِ
أقطف الزهر إن رغبتُ وأجنى الثَـ   ـمرَ الحُلْوَ فى صباحى الجميلِ

وغداً ترسم الظلالُ على قبـ   ـرى خطوطاً من الجمال الكئيبِ
وغداً من دمى غذاؤكَ يا صفـ   ـصاف يا تينُ أىُّ ثأرٍ رهيبِ

ذاك دأبِ الحياة تسلبُ ما تعـ   ـطيهِ بخلاً لا كان ما تعطيهِ
تتقاضى الأحياءَ قيمةَ عيشٍ   ضمهم من شَقاهُ أعمقُ تيهِ

هى هذى الحياةُ ساقية السمّ   كؤوساً يطفو عليها الرحيقُ
أو ماتتْ للعطاش فاغترفوا منـ   ـها ومن ذاقها فليس يُفيقُ

هي هذي الحسـبـاةُ زارعــةُ الأشـ ـواكِ لا الزهرِ والدُجى لا الضيـاءِ

هي نـبعُ الآثامِ نسـستلـهمُ الشــر وتحـيـا في الأرضِ لا في السـمـاءِ

آدم وحواء

حَسْبُها أننا دفعنا إليها ... ثمنَ العيشِ حَيْرةً ودموعا
أيُّ ذنبٍ جناه آدمُ حتى ... نتلقى العقاب نحنُ جميعاً؟

وليكن آدمُ جَنَى حسبُهُ فُقْـ ... ـدانُ فردوسهِ الجميلِ عقابا
حسبُهُ يا حياةُ أن هبط الأر ... ضَ ليحيا ويجرعَ الأوصابا

حسبُهُ أنه أتى الأرضَ مطرو ... داً من الخُلْدِ مستطاراً حزينا
حسبُهُ ما رأى من الشر والإثـ ... ـم وما ذاقَ من عذاب السنينا

ليت شعرى ماذا يروق لعينيْـ ... ـهِ على الأرضِ بعد سحر السماء
كيفَ ينسَى جمالَ فردوسهِ المفـ ... ـقود فى عالمٍ دجيِّ الفضاء

كيف ينسَى الأمس الجميل ليهنا ... بحياةٍ موسومة بالشقاء؟
ليس يحيا فيها سوى الآثم الجبـ ... ـارِ يا رحمتاهُ للضعفاء

قابيل وهابيل

ولماذا يتنسَّى وهل نَمَّ في الأر ... ضِ عــزاءٌ عن حلمـه المعسـولِ

كلمـــا لاذ بالخـيـــالِ تجلّى ... لأمــاهُ مـا كــان من قـابيلِ

أوَلم تسمع الحقولُ صدى صر ... خـةِ هابيلَ حـين خـرَّ قـتيـلا؟

أو لم يشـهـدِ القطيع على الجسـا ... نيَّ؟ ألم يـبـصـرِ الدمَ المطلولا؟

أين هابيلُ؟ أين وقعُ خطَى أغـ ... ـنامه في الحقول والوديان؟

ليس منه إلا ضـريح كـئـيبُ ... شـادهُ في العـراء أول جـانِ

وأتت ظلمة المساء على الحقـ ... ـلِ وعـاد القطيعُ من دونِ راعي

ليس إلا قـابيل يمشي كـئيباً ... وهو نَهْبُ الأفكارِ والأوجـاعِ

مـا الذي تنفعُ المدامعُ يا آ ... دم فيما قَضَتْ به السنواتُ

إن يكن من فقدتَ أول مقتو ... لٍ فـلاً يا سُيَقتَلُ العشراتُ

يا لأحـزان آدم حـينمـا أبـ ... ـصَر بابنيه قـاتلاً وقـتيـلاً

أيها المستطار لن تردع الأقـ ... ـدارَ حـتى إذا بكيتَ طويلاً

استرح أنت، نَمْ، دع العالَم المحـ　　ـزون يحيا فى ظُلْمة الأرجاسِ
دعْهُ فى غيِّه فما كان هابيـ　　ـلُ القتيلَ الوحيد بين الناسِ

إنها لعنةُ السماء على العا　　لَم مسدولةَ الرؤى مكفهرّه
كلما ذاق قطرة من نعيمٍ　　أعقبتها من الأسى ألف قطره

الحرب العالمية الثانية

لم يكد يستفيق من حربه الأو ... لى وبهنا حتى رمته الرزايا
رحمة يا حياة حسبكِ ما سا ... ل على الأرض من دماء الضحايا

انظري الآنَ هل ترينَ سوى آ ... ثار دنيا بالأمسِ كانتْ جنانا
ليس من سحرها سوى سودِ أحجا ... ر تثير الدموع والأشجانا

أين نُعماك يا بقايا القصور الـ ... بيضِ أين الأزهار والأطيارُ؟
هجرتْكِ الطيورُ غيرَ غرابٍ ... وجفاك الأريج والإخضرار

أين أهلوكِ؟ حدثيني ماذا ... يا ركام الأنقاضِ كان المصير؟
أين يحيون؟ أي كهف من الأر ... ضِ زواهم أساه والديجور؟

أين أهلوك يا قصورُ أتحتَ الشـ ... لج أم مزقتهُمُ القاذفاتُ
أسفاً ضاقت الميادينُ بالقتـ ... ـلى وما عاد يُدْفَن الأمواتُ

في سفوح الجبال تحت ذُرى الأشـ ... ـجارِ خلف القصور والأكواخِ
ليس غيرُ الموتى عظاماً وأشلا ... ءٌ وغير اكتآبةٍ وصُراخِ

يا مـلاكَ الـسـلامِ أقـبل من الأجـ ـواءِ واهبط على الـوجـود الكئيبِ
إبكِ للـراقـدينَ في وَجْـمـةِ المو ـتِ وأشـرقْ عـلى الظلامِ الـرهيبِ

طف بهـــذي القُـرى لتلـمَسَ آها تِ الحزانى والساغبـينَ الظماءِ
وارحم الصارخينَ في سُرر الأمـ ـراضِ بين الأحــزانِ والأدواءِ

طُفْ بانقـاضِ عـالـمٍ ليس يدري هل سيحظى بمبهجات الحياة؟
هو إن نـامَ لحظةً هبَّ مـذعـو راً لـيـبكي ويرسلَ الآهاتِ

مـا درَى حيـنَ أضرمَ الحربَ إلا حُلُمَ النصْر والفخارِ العظيمِ
يا لقلب المسكين! مـا ينفع المجـ ـدُ لقلبٍ مُلَوَّعٍ مصدومِ

فليُفقْ حسبُهُ خيالاً وأوها ماً ليلقى ما قد جنتْ كفّاهُ
عـالم مظلم يضجُّ به المرْ ضى ويشكو من الطوى أبناهُ

جفَّ زهرُ الرياض والورقُ النضْـ ـرُ وآوتْ إلى الجفاف الحقولُ
أسفاً لم تَدَعْ لنا الحرب شيئاً وتلاشى الحُلْمُ الطروبُ الجميلُ

من ترى يحرثُ الحقولَ ويشدو ... أغنياتِ المراحِ وقتَ الحصادِ
أين لهوُ الأطفالِ عند البحيرا ... تِ وفوقَ الثلوج في الأعيادِ

أين؟ ضاع الخيالُ والحُلُم الفا ... تنُ ضاع الجمالُ ضاع الرخاءُ
ليس إلاّ دنيّا من الجوعِ والفق ... رِ عليها يعذَّبُ الأبرياءُ

يا قلوب الأطفال لا تخفقي الآ ... نَ حنيناً لن يرجعَ الآباءُ
هكذا شاءتِ السنينُ فرفقاً ... بعيونٍ قد عضَّ فيها البكاءُ

عيون الأموات

يا رُفاتَ الأمواتِ في الأرضِ ماذا ... رَسَمَ الموتُ فوقَ هذي العيونِ؟

أيَّ رعبٍ وحَسْرَةٍ وشَكاةٍ ... أيُّ معنىً من الرجاءِ الحزينِ؟

كل عينين فيهما صور تبـ ... ـكي وترثي للعالمِ المغرورِ

كلّ عينينِ تَسْخَرانِ من العَبْـ ... ـثِ وتستهزآنِ بالمقدورِ

كل عينينِ تنظران إلى الأفـ ... ـقِ بعيداً عن كل ما في الحياةِ

آه يا ربِّ آه لو فهم الأحـ ... ـياءُ ماذا في أعينِ الأمواتِ

يا فتاةَ الخيالِ حسبُكِ شدواً ... برثاءِ الموتى وحسبُك، حزنا

سوف يبقى الخصامُ والشرّ ما عا ... شَ الأناسيُّ والأناشيدُ تَفْنَى

هكذا شاءت المقاديرُ للعا ... لمِ إثمٌ وشقوةٌ وحُروبُ

وهيَ النفسُ تحملُ الشرَّ والبغـ ... ـضَ فماذا يُفيدُها التهذيبُ

كم تغنّى بالسلمِ والحبِّ والرحْـ ... ـمةِ من شاعرٍ ومن فيلسوفِ

أسفاً ضاعت الأغاني ولم تبـ ... ـقَ سوى ضجّةِ القتالِ العنيفِ

يا لهــذا الكــون المعــذب في قـيـ   ـد من الشـر والأذى والآثام

كيف ينجو من الآسى ومتى يشـ   ـفى من الموجعــات والآلام؟

كيف ينجو والطبعُ والقَدَرُ القا   سي يَسُوقانه الى الأحزان؟

يا لَقَلْبِ المسكينِ ليسَ له في   حومة الشرِّ والشَقاءِ يدانِ

كم أرادَ السُّمُوَّ عن وَهْدَة الشر   فحالت طباعُه الآثماتُ

كم أرادَ النجاة من مخلب القدْ   رِ فعزَّتْ على مُنَاهُ النجاةُ

ما الذي رامَهُ المسيحُ لكي يُجْـ   ـزى بما كان ما الذي كان منه؟

أيها العالمُ الذي اقترفَ الذنـ   ـبَ أما آنَ أن تكفِّرَ عنه؟

أو لم يَكْفِكَ الشقاءُ أما زلـ   ـتَ مَشُوقاً إلى حياة الدماء؟

جفَّ نبعُ الدموعِ والدمِ يا كو   نُ فهلاّ رثيتَ للأشقياءِ؟

لُذْ بِبُرْجِ السماء من نشوة القتـ   ـلِ ألا وليُختَمْ سجلُّ الرزايا

وليكن من فقدتَ في هذه الحر   بِ ختامَ الذين ماتوا ضحايا

أنشودة السلام

أيها السادرونَ في ظلمة الأر ض كفاكم شقاوةً وذهولا
احملوا نادمينَ أشلاء موتا كم ونوحوا على القبور طويلا

ضمّخوها بالعطر لفّوا بقايا ها بزَهْر الكنارِ والياسمينِ
واهتفوا حولها بأنشودة السلـ مِ ليهنا في القبر كلُّ حزينِ

اجمعوا الصبية الصغار ليشدوا بلحون الصفاء والإبتسامِ
أنقذوا الميّتين من ضجّة الحر ب ليستشعروا جمال السلامِ

فيم هذا الصراع يا أيها الأحـ ياءُ؟ فيم القتالُ؟ فيم الدماءُ؟
فيمَ راح الشُبّانُ في زَهْرة العُمْـ رِ ضحايا وفيمَ هذا العداءُ؟

أهْو حبُّ الثراء؟ يا عَجَبَ القلـ ب! وما قيمة الثراء الفاني؟
في غدٍ رحلةٌ فهل يدفع الأمـ وات بالمالِ وحشةَ الأكفانِ

كل حيّ غداً إلى القبر مغدا ه فهل ثَمَّ في المماتِ ثراء
افتحوا هذه القبورَ وهاتوا حدثونا أين الغنى والرخاءُ؟

انظروا ها هنا على الشوك والرمـ ـلِ ثوى الأغنياء والمعدمونا
أيُّ فَرقٍ ترى وهل غير صمت الـ ـموتِ فوق القبور والراقدينا؟

عجباً ما الذي إذن ساق هذا الـ ـكون للموت والأذى والدمّارِ
فيم تحدو الشعُوبَ أطماعُ غِرٍّ يتصبّى عينيه وهجُ النارِ

نشوةُ النَصرِ؟ يا لسُخرية الألـ ـفاظ! يا للأوهامِ يا للضلالِ
أيها الواهمونَ حسبكمو وهـ ـماً وهبّوا من الكرَى والخيالِ

نحن أسرى يقودنا القدر الأعـ ـمى إلى ليل عالمٍ مجهولِ
ليس منا من يستطيع فكاكاً ليس منا غير الأسيرِ الذليلِ

أبداً تأمرُ الليالي ونمشي ليس يُجدي تضرّعٌ أو بكاءُ
ليس يخشى المماتُ صولةَ جبّا رٍ وما يستثيرُهُ الضُعفاءُ

هكذا الموت غالبٌ أبد الدهـ ـر ونحن الصّرعى الضعافُ الحيارى
وله النصّرُ والفخارُ علينا فاندبوا ما دعوتموهُ انتصارا

أيها العالمُ المخرّب قد أسـ ـفرت الحربُ عن غلاب المنايا
شهدتْ هذهِ القبورُ لها بالنـ ـصْرِ يا رحمتا لتلك الضحايا

ثم مــاذا يا ســاكنى العــالم المحـ ـــزونِ؟ مــاذا من القتــال جنيتُمْ؟
هل وصلتم إلى النجوم البعـيـدا تِ وهل من كفِّ العذابِ نجوتم؟

هل تغلَّبتُمُ على الفقـر والأحـ ـزان والسُـقْمِ أيهـا الواهمـونا
ألجـــــــوتم من المآثمِ أم لـم يَزَلِ الـعـيشُ فـتنةً ومجـونا

أسفـاً لم تزل كـمـا كـانت الأنـ ـفُسُ تحـيـا فى إثمـهـا الابدىِّ
لم تزل خمرةُ الضلال رجاء الـ آدمـيـينَ فى الوجـود الشقىِّ

لم تزل فى الـوجـود أغنيـةُ الحـز ن يغنّى بـهـا الضـعـاف الجـيـاعُ
لم يزل فى الوجود مرضى حيارى أبداً تـعـتـــريهـمُ الأوجــاعُ

كل شئ باقٍ كـمـا كـان قـبل الـ ـحرب غيـر الأيتام والأمواتِ
غـيــر ظلٍّ من الكآبة والحـيـْـ ـرةِ يمشى على ضفـاف الحياة

هؤلاء الأيـتـامُ بالأمس كـانوا صـورةَ البشـرْ والمراحِ الجـميلِ
تحت ظلّ الآباء يقـضـون عـيشـاً مـا دروا غيـر صـفـوه المعسـول

وأفـاقـوا من حلمـهـم فـإذا الأفـ ـقُ دارُ حـربٌ والكونُ قـتلٌ ونارُ
يا عـيـونَ الأطفـال لا تسألى الدنـ ـيـا عـلام اللظـى؟ وفـيم الدمـارُ؟

في سبيل المجد المزيف هذا الـ ـهولُ لا كان مجدهُم لا كانا
في سبيل النَصْر المموّهِ عاد الـ ـعالم الحلو في اللهيبِ دخانا

هؤلاء الصرعى على الصخر والشو ك شباباً وفتيةً وكهولا
كيف كانوا بالأمس أية رؤيا رسموها فلم تَعِشْ طويلا؟

أيها الأشقياءُ في الأرض يا من لم تعتهم قذائفُ النيرانِ
عبثاً تأملون أن يرجع الآ نَ أعزاؤكم إلى الأوطانِ

أنظروا ها هم الجنود يعودو ن فرادى مهشّمي الأعضاء
آهِ لولا بقيةٌ من حياةٍ لمْ يُعدّوا في جملةِ الأحياءِ

عبثاً يبحثون في هذه الأنـ ـقاضِ عن أهلهم وعن مأواهم
عبثاً يسألون ما يعلم العا برُ شيئاً فيا لثارِ أساهم

كيف ذاقوا مرارة الخيبة السَوْ داءِ بعد الآلامِ والأدواءِ
هل نجوا من براثن الموت والأسـ ـر لكي يسقطوا أسارى الشقاءِ؟

أيها الأشقياء يا زُمَر الأحـ ـياء في كل قرية وصعيد
آنَ أن نستعيد ماضيَ حبٍّ هو مفتاح حلمنا المفقودِ

ما الذي بيننا من البغض ماذا ... كان سر القتال والأحقاد؟
أيها الناقمون نحن جميعا ... شرعٌ في أيدي الخطوب الشداد

نحن نحيا في عالم ليس يُدْرَى ... سرُّه فهو غيهبٌ مجهولُ
تطلعُ الشمس كل يومٍ فما كُنْـ ... ـهُ سناها؟ وفيم كان الأفولُ؟

ما الذي يُطْلِعُ النجومَ على الكو ... نِ مساءً؟ ما كُنْهُ هذا الوجودِ؟
أي شيءٍ هذا الفضاء وما سر ... دجاه؟ هل خلقُهُ من حدودِ؟

نحن هل نحن في الوجود سوى الجهـ ... ـلِ مَصُوغاً في صورة الإنسان؟
كلُّ ما في الأكوانِ يحكمنا ما ... ذا إذنْ سرُّ ذلك الطُّغيانِ؟

فيم نطغى؟ وكيف ننسى قوى الكو ... نِ وما في الوجود أضعف منّا
ينخَرُ الدودُ ما نشيدُ ولا تُبْـ ... ـقي البراكينُ والرياحُ علينا

فيم نقضي حياتنا في العداوا ... تِ ونغضي السنين يأساً وحزنا؟
كيف ننسى أنّا نعيش حياة الـ ... وردِ سرعان ما يموت ويفنى

لن تدوم الأيام لن يحفظ الدهـ ... ـرُ كياناً لكائنٍ بشريٍّ
فلندعْ هذه الضغائنَ والأحـ ... ـقادَ ولنحي في الوداد النقيِّ

البحث عن السعادة

قد بحثنا عن السعادة لكنْ ... ما عثرنا بكوخها المسحورِ
أبداً نسأل الليالِيَ عنها ... وهي سرُّ الدنيا ولغزُ الدهورِ

طالما حدّثوا فؤاديَ عنها ... في ليالي طفولتي وصبايا
طالما صوروا لعينيَّ لقيا ... ها وألقوا أنباءها في رؤايا

فهي آناً ليستْ سوى العطرِ والألـ ... ـوانِ والأغنياتِ والأضواءِ
ليس تحيا إلا على باب قَصْر ... شيدته أيدي الغنى والرخاءِ

وهي آناً في الصوم عن مُتَع الدنـ ... ـيا وعند الزهّادِ والرهبانِ
ليس تحيا إلا على صخر المعـ ... ـبدِ بين الدعاءِ والإيمانِ

وهي حيناً في الإثم والمتع الدنـ ... ـيا وفي الشرِّ والأذى والخصامِ
ليس تصفو إلا لقلب دنيءٍ ... لائذٍ بالشرور والآثامِ

وهي في شرع بعضهم عند راعٍ ... يصرف العمر في سفوح الجبالِ
يتغنىَّ مع القطيع إذا شا ... ء ويغفو تحت الشَّذَى والظلالِ

وهي في شرع آخرين ابنة العز ... لة والفن والجمال الرفيع
ليس تحيا إلا على فم غريـ ... ـد يغني أو شاعر مطبوع

وهي حيناً في الحب يلهمها سه ... م كيوبيد قلب كل محب
ليس تحيا إلا على شفة العا ... شق يشدو حياته لحن حب

حدثوني عنها كثيراً ولكن ... لم أجدها وقد بحثت طويلا
لم أزل أصرف الليالي بحثا ... وأغني بها الوجود الجميلا

مر عمري سدى وما زلت أمشي ... فوق هذي الشواطئ المحزونه
لم أجد في الرمال إلا بقايا الـ ... ـشوك! يا للأمنية المغبونه

أين أصدافك اللوامع يا شط ... إذن أين كنزك الموعود؟
هاته رحمة بنا، هات كنزاً ... هو ما يرتجيه هذا الوجود

هاته حسب رملك البارد القا ... سي خداعاً لنا وحسبك هزءا
يا الحلم نزيد منه اقترابا ... وهو مازال أيها الشط ينأى

لم تعد قصة السعادة تغريـ ... ـني فدعني يا شاطئ الآهات
عبثاً أرتجي العثور على الكنـ ... ـز فلا شيء غير صمت الحياة

أين من هذه الحياة ابتساما ... تُ الأماني ونشوةُ الأفراحِ؟
كيف يحيا فيها السعيدُ وليستْ ... غير بحرٍ تحت الدجى والرياحِ

طال بحثي يا ربُّ أين ترى ذا ... كَ السعيدُ الجذلانُ أين تراهُ؟
ليس حولي إلا دياجيرُ كونٍ ... ليس يَفْنَى بكاؤه وأساهُ

كل يوم مَيْتٌ يسيرُ بِه الأحـ ... ياءُ باكينَ نحوَ دُنْيا الظلامِ
يا لأسطورةِ الخلود فما الخا ... لدُ غير القبور والآلامِ

يا دويَّ النُّواحِ في الأرض أيّا ... نَ يكفُّ الباكونَ والصارخونا؟
ومتى ينتهي الشقاءُ متى يَرْ ... تاحُ كونٌ ذاق العذاب قروناً

عالمٌ كلُّ من على وجهه يَشْـ ... قَى ويقضي الأيامَ حزناً ويأسا
جرّعتْهُ السنينُ حنظلَها المرَّ ... فعافَ الحياةَ عيناً ونفسا

إيه أُسْطورةَ السعادة هاتي ... حدِّثيني عن سرِّكِ المنشودِ
أينَ ألقاكِ؟ أين مسكنُكِ المر ... موقُ؟ في الأُفْقِ أم وراءَ الوجودِ؟

سرتُ وحدي تحت النجوم طويلاً ... أسألُ الليلَ والدياجيرَ عنكِ
أسفاً لم أجدْكِ في الشاطئِ الصخـ ... ريِّ حيثُ المياهُ تفتأُ تبكي

حيثُ تبقَى الأشواكُ والورد يَذْوى ... تحتَ عـــينِ الأيّام والأقـــدارِ
حـيثُ يفني الصـفـاءُ والـليلُ يأتي ... بجنونِ الأنـواءِ والأعـــصــــارِ

حـيثُ تقـضـي الأغنامُ أيامـهـا غَـرْ ... ثي ولاعُـشبَ في جـديبِ المراعي
أبداً تـتــبـعُ الـســـرابَ وتشـكو ... بُـخْلَ دهـرٍ مــــزيّفٍ خَـــدّاعِ

حـيث يحيـا الغـرابُ، والبلبلُ المو ... هوبُ يَهْـوي في عـشّه المصـفـورِ
ويغنّي البـومُ الـبـغـيضُ على الدَوْ ... حِ ويَثْـوي القـمريُّ بينَ الـصخـورِ

حـيث تبقي الغـيومُ في الجـوّ رمزاً ... لحـيــــاة ســـوادُها لـبسَ يَفْني
حـيث تبـقي الرياحُ تصـفـر لحناً ... هو ســــخْــرِيّةُ المقـــادرِ منّا

حيثُ صـوتُ الحياة يـهتفُ بالأحـ ... ـيـاءِ: ماذا تحتَ الدُجَى تبـتـغـونا؟
انظروا كلُّ مـا عـلى الأرض يبكي ... فـأفـيـقـوا يا مـعـشـر الحـالمينا

بين قصور الأغنياء

سرتُ بين القصور وحدي طويلاً ... أسألُ العابرينَ أين الطروبُ؟
فإذا فتنة القصور ستارٌ ... خادعٌ خلفَهُ الأسَى والشحوبُ

لم أجدْ في القصور إلا قلوباً ... حائرات وعالماً محزونا
ليس إلا قوم يضيقون بالأيـ ... ـام ضيقَ الجياع والبائسينا

ليس ينجيهم الغنى من يد الأشـ ... ـجانِ ليستْ تُنْجيهمُ الكبرياءُ
ليس يعفو المماتُ عنهم فهم حز ... نٌ وصمتٌ وحيرةٌ وبكاءُ

كم وراء القصور من مُقَل تبـ ... ـكي وتشكو قساوةَ المقدورِ
كم قلوبٍ تَوَدُّ أن تبدلَ القصـ ... ـرَ بكوخٍ على حِفاف الغديرِ

إن يكونوا نَجَوْا من الجوع والفقـ ... ـر ولم يفترسهمُ الحرمانُ
فلقد طالما أحسُّوا بجوعِ الـ ... ـروحِ واستعبدتهمُ الأحزانُ

إن يكونوا يقضونَ أيامَهم بيـ ... ـن الحريرِ الملَّونِ الجذَّابِ
فغداً تعبرُ الدهورُ وهم مَوْ ... تَى على الشَّوْكِ والحَصى والترابِ

إن يكن في قصورهم من سَنا الأضـ ـواءِ مــا يُرجعِ الـظلامَ ضـيـاءَ
فـغـداً يخـمَـدُ الضيـاءُ وتـبـقى ظلـمـةُ الليلِ بُكْرةً ومـسـاءَ

ليس تُنْجي القصورُ من ربْقة الحُزْ نِ إذا طـافَ بالـقـلوب دجـاه
كم غنيٍّ يَقْضي الحياةَ شقيّاً مُـغـرقـاً فـي أنينه وبُكاه

كل مـا في هذا الوجـود من الأمـ ـوالِ لايسـتطيعُ دفْعَ الشـقـاءِ
كلُّ تلكَ الكنوزِ مـا غَـمَرَتْ قطُّ غنيـاً بـسـاعـةٍ من هناءِ

يا طريقي ملْ بي العشيّة مـا عـا د جـمـالُ القصور يَحلُو لـعيني
لم أجدْ ومْضَة السعادة فيـهـا لم أجـدْ غيـرَ ظلِّ يأسٍ وحـزن

عند الرهبان

سِرْ بنا نحو ذلك المعْبد القا ئم فوق الصخور بين الجبالِ
سِرْ بنا سِرْ بنا لعلّ لدى الرُّهـ ـبان سِرَّ النعيمِ والآمالِ

هؤلاءِ الزُّهَّادُ في القنّةِ البيـ ـضاء حيث الصفاءُ ملء الوجودِ
علّهم يعرفونَ ما قد جَهِلْنا عن شِهابِ السعادة المفقودِ

قد سألتُ الرهبان عن كنزنا السِّحْـ ـريِّ لكن لم ألقَ منهمْ جوابا
لم يُجِبْني منهم سوى صوتِ محزو نٍ يغنّي ويجرَعُ الأوصابا

لم أجدْ في تلك الصوامعِ غير الـ أوجُهِ الشاحباتِ والديجورِ
لم أجد غيرَ وحشةٍ تبعثُ اليأ سِ وصمتٍ كمثل صمتِ القبورِ

هؤلاء الأشباحُ ماذا تراهم؟ آدميّونَ أم بقايا طُيوفِ
فيم جاءوا هنا وأيةُ سلوىً وجدوها ما بينَ هذي الكهوفِ

في بعيدِ الآفاقِ تحتَ دياجيـ ـرِ وجودٍ تمضي الكآبةُ فيه
حيثُ ما زالتِ الحياةُ كما كا نتْ على عهدِ آدمٍ وبنيه

حـيث لا زهر لا عـرائش لا أشـ ... ـجـار لا شيءَ غيـر هـذا السكونِ

لا جديدٌ فيـه سوى موتِ حيٍّ ... من بنيهِ مـا بينَ حـينٍ وحـينِ

أيّها الراهبُ الذي يقطعُ العُمْـ ... ـرَ وحيداً في كوخهِ المكفهرّْ

هاتِ حدّثني العشيّةَ عمّا ... عند دنياكَ من نعيمٍ وبشْرِ

حدّثوني عنكم فقالوا حياةٌ ... من نعيمٍ وأنفُسٌ من نقاءِ

عجباً أين ما يقولونَ؟ ما لي ... لا أرى غيرَ حَيْرةِ الأشقياءِ

ما الذي عندكم من البشر والأفـ ... ـراحِ؟ ماذا يا أيّها الزاهدونا؟

ليس إلا عُمْرٌ يمرّ حزيناً ... يتساوى كآبةً وسكُونا

حدّثوني عنكم فقالوا قلوبٌ ... نُسجتْ من نقاوةٍ وثَراءِ

ونفوسٌ صيغَتْ من الزهْرِ والعطـ ... ـرِ وهامتْ مع السَّنا والنَّقاءِ

أين هذا الذي يقولونَ عنكم ... أيّها الراهبونَ؟ أين تراهُ؟

إسمُ (تاييس) لم يزَلْ يملأُ الكو ... نَ فأينَ الذي أضلّتْ خُطاهُ؟

ما نَسِيتا غَوَايَةَ الراهبِ المسْـ ... ـكينِ في حبِّها، وكيف هداها!
يا له بائساً بابنةِ الإثـ ... ـمِ إلى قِمّةِ السَّماءِ وتاها

أيّها الراهبون لن تنبت الأز ... هارُ والعطرُ والسَّنا في النفوسِ
عبثاً تَهْربونَ من مُغريات الـ ... ـعَيْشِ كم في الوجودِ من تاييسِ

لن تذوقوا شهدَ السعادة ما دمـ ... ـتم أناسيَّ من ترابٍ وماءِ
كتبتْ هذهِ الطبيعةُ للأحـ ... ـياءِ أن يَكْرعوا كؤوسَ الشقاءِ

أوَ تَنْسَوْن أنكم لم تزالوا ... مثلما كنتمو حَيَارَى حَزَانَى
لم تَزَلْ فتنةُ الوجود تناديـ ... ـكم وتُهْفيكمُ إلى ما كانا

لم تَزَلْ ذكرياتُ أمْسِكُمُ المهـ ... ـجور تحيا في الأنفسِ المحزونه
وخيالٌ من عالمٍ فاتنِ الألـ ... ـوانِ ملءَ المشاعر المغبونه

أيها الراهبونَ ماذا إذَنْ نفـ ... ـعُ اعتزالٍ تشوبُهُ الصبواتُ
آهِ عودوا إلى مصارعةِ الدهـ ... ـرِ وعيشوا كما تشاءُ الحياةُ

أيهـا المعبدُ الحزين وداعـاً   أنت يا من لاذتْ به آمـالي
لم أجدْ في حِمَاكَ زهرةَ أحلا   مي فيا ضَيْعةَ السُّرى والكلالِ

لم أجد زهرةَ السعادةِ والأفـ   ـراحِ عند الزُّهَّادِ والراهبينا
آهِ ضاعتْ أيّامُ عُمري وما زا   لَ شِراعي يطوى فراغاً حزيناً

عند شط الحياة ألقيتُ مَرْسَى   زورقي في الضبابِ تحت الظلامِ
أرقُبُ السائرينَ في الشاطئِ الصخـ   ـريِّ بين الوهاد والآكامِ

أين ألقاكِ يا سعادةُ؟ هاتي   حدِّثيني فقد بحثتُ طويلا
طال تيهي فنبّئيني متى يبـ   ـلغُ قلبي مقرَّكِ المجهولا

أولَم أقطعِ البحارِ إلى الرُّهْـ   ـبانِ والزاهدينَ في الصّحراءِ
أولَم تُنكر الفضيلةُ ألوا   نَكِ يا لهفتاهُ ضاع رجائي

مع الأشرار

قد رقبتُ الأشرارَ حيناً فلم أعـ ـشر لديهم على سناك الحبيبِ
فهمُ البائسونَ تطحنُهم أيـ ـدي الليالي بما جنَوا من ذنوبِ

ورأيتُ الطغاةَ يحيون محزو نين بين الأوهام والأشباحِ
ليس يشفيهمُ من الحزن واليأ س دواءٌ فالداءُ في الأرواحِ

فإذا أخمدوا هتافاتِ مظلو مٍ فما يُخمدون صوتَ الضميرِ
ذلك الراقبُ الإلهيُّ في النفـ ـس لسانُ الهُدَى وصوتُ الشعورِ

أبداً ساهرٌ يراقبُ أقدا رَ الليالي وسَطْوة الأيّامِ
أبداً يرمقُ الحياةَ من الأعـ ـماقِ، مُستهزئاً من الأعوامِ

فإذا حادت القلوبُ عن الخيـ ـرِ علا صوتُ ذلكَ الجبّارِ
فَهُوَ الناقمُ النبيلُ على الشرِّ وقاضي الطُغَاةِ والأشرارِ

كيف ينجو الأشرارُ من شقوة الرو حِ وصوتُ الضمير بالمرصادِ
لا ملاذٌ من حاكمٍ يملكُ الرو حَ بما في كفَّيْهِ من أصفادِ

عـجـبــاً أينَ تلتـقـيك حَـيَـاتي؟   يا ضـفــافَ السـعــادة المنشـوده؟
جـــبتُ هذا الوجــود أبحث لكن   لم تزالـى الحـقــيــقـةَ المـفـقـوده

جـهـلتك الـدنيـا فـلا أحـدٌ يعـ   ـلم مــا أنتِ واقعٌ أم خـــيـالُ؟
كلُّـهم يـســـألون عـنكِ ولـكن   لــم تحــدّثْ بـســـرِّكِ الآزالُ

ها أنا ذي حـملتُ قلـبى على كـفّـ   ـى وســرتُ الحـيـاةَ أبحثُ عنكِ
أســألُ العــابرينَ هل فـيـهمُ من   قـــد روَى قلبَـــهُ الشـوقَ منكِ

في الريف

عند هذي الأكواخ شاعرتي ألـ ـقى المراسي تحتَ الفضاء الصاحي
أنظري أيُّ عالمٍ فاتنِ المجـ ـلى بعيدٍ عن ضَجّةِ الأتراحِ

أنظري علّنا بلغنا أخيراً ذلكَ الشاطئَ الذي نتمنّى
بعدَ ليلٍ من المسير طويلٍ ضاعَ فيه عمري كَلالاً وحُزْنا

أنظري أنظري هنا العُشُبُ الأخـ ـضرُ نشوانَ في سُفوحِ الجبالِ
عندَ نبعٍ من قُنّةِ الجبلِ الأبـ ـيضِ يَجْري تحتَ السّنا والظلالِ

الصباحُ الجميلُ قد توّجَ الود يان بالضوء والجمال البهيجِ
ما أحبَّ الحياةَ في هذه الجنّـ ـةِ تحتَ الضياءِ بين المروجِ

ما أحبَّ الصفاءَ يحتضن الأشجـ ـجارَ والواديَ النضيرَ الخصيبا
ما أرقَّ الأزهارَ في مَهْدها الور ديِّ ما أعطر الرُّبى والسهوبا

كلُّ شيءٍ في هذه الجنّةِ الحُلـ ـوة يوحي بأننا قد وصلنا
ها هنا شاطئُ السعادةِ هذا حُلُمُ قلبي فما ألذَّ وأهنا

فلنطف بالعرائش الخضر فلنغـ ـنم صفاء الحياة بعد أساها
فلتجف الدموع فليمض أمسٌ مرّ بالقلب باكياً أوّاها

ولنعش للصفاء يفتنّ دنيا تنا غناء الرعاة عند الجبال
ونشيد تديره شفتا طفـ ـل يغنّي على تلول الرمال

وقطيع الأغنام في المرج تحت الظـ ـل والفجر والندى والنسيم
وليالي الحصاد والقمر السحـ ـري والطيف والصدى والغيوم

فلنقضّ الحياة في هذه الجنـ ـة ناسين حادثات الحياة
ها هنا فتنة الطبيعة تنجي الـ ـكائن الحيّ من خيال الممات

هاهنا أستطيع أن أفهم السر فقيم الأسى وقيم البكاء؟
هل خلت هذه المجالي من الأنـ ـام يوماً؟ وهل تعرّى الفضاء؟

ها هنا يستطيع أن يفهم القلـ ـب جمال الدنيا وسرّ الخلود
كل حيّ باقٍ فإن مات غرّيـ ـد فكم في الأعشاش من غرّيد

ها هنا كل زهرة تبعث العطـ ـر فإن تفن فالشذى غير فان
كم زهور ستنشر العطر والألـ ـوان من بعد في فضاء المغاني

ها هنا إن يَسِرْ أبولو بضوء الشـ ـمسِ نحوَ المغيبِ كلَّ مساءِ
فالنجومُ الملألئاتُ جمالٌ شاعريٌّ الألوانِ والأضواءِ

ها هنا تنطقُ العرائشُ بالشِعْـ ـرِ وتحنو على مجاري الجداولْ
ها هنا تستحمُّ آلهةُ الأنـ ـهارِ في الماءِ تحت ظلِّ الخمائلْ

كلُّ شيءٍ حلوٌ فأينَ ترى السكـ ـانُ؟ أين الفلاحُ والقُطعانُ؟
فيمَ لا يملأون عالمَهم لهـ ـواً؟ وأين الآمالُ والألحانُ؟

سرتُ فيه وحدي أسائلُهُ عن ساكنيهِ وأيُّ وادٍ حَوَاهم؟
أيُّ لحنٍ يرنِّمونَ إذا الشمـ ـسُ أطلَّتْ؟ وما ترى نجواهم؟

كيف يحيَوْنَ في صفاءٍ من العيـ ـشِ بعيدٍ عن قسوةِ الضرَّاءِ
أأظلَّتْهُمُ السعادةُ بالأحـ ـلامِ أم هُمْ كسائرِ الأشقياءِ

أتراهم يرنِّمونَ الأغاريـ ـدَ ويلْهُونَ في ليالي الحصادِ
تحت ضَوْءِ النجومِ والقَمَرِ البا سمِ بين العطورِ والأورادِ

أتراهم أولئك البَشَرُ اللا هونَ بين الجمالِ والأحلامِ؟
أتراهم كما تخيَّل قلبي؟ أم تراني أمعنتُ في أوهامي

يا رُعاةَ الأغنامِ في السفحِ عند النـ ـبعِ بين العرائشِ السُّنْدسيّه
حدّثوني عن أغنياتكم الجَذْ لَى وعن بسمةِ القُرى الشاعريّه

حدّثوني عن الربيعِ إذا مرَّ على هذه القُرى والشطوط
حدّثوني عن الحَصادِ ومجنى الـ ـزهرِ والبرتقالِ والبلّوط

حدّثوني ما لي أراكم حَزانَى؟ كلُّ راعٍ في وحشةٍ واكتئابِ
كلُّ راعٍ جهمُ الملامحِ لا يشـ ـدو ولا يَزْدهيه سحرُ الغابِ

أنت يا أيّها الحزينُ أجبني أيُّ حزنٍ في مقلتيكَ أراهُ؟
أيُّ قيدٍ من المرارةِ واليأ سِ أظلَّتْكَ يا كئيبُ يداهُ؟

كيفَ يَشْقَى من في حِمى هذه الجنـ ـةِ يحيا وتحت هذي السماءِ
كيفَ يشقى الراعي وبين يديْهِ جنَّةٌ من مفاتنٍ وضياءِ

أسفاً قد خُدعتُ لم تَصْدُقِ الأحـ ـلامُ فيما رسمن من أفراحِ
لم أجدْ عند ذلكَ الشاحبِ الصامتِ إلا مرارةَ الأقداحِ

فهو عندَ الينبوعِ ينظرُ في الظلِّ إلى الأفقِ شاحباً مصدوما
ممعناً في الجُمودِ والصمتِ كالمو تَى يُناجي الفضاءَ يرعَى الغيوما

لم تزلْ قُـربَهُ على العُـشُـبِ النا   دي عظـامٌ لكائـنٍ مـقـتـولِ
هو ذاكَ الراعي الصـغيـرُ الذي را   حَ طعـامـا للذئـبِ بين الحـقـولِ

إيه راعـي الأغنامِ يا أيّـهـا المقـ   ـتولُ فوق العُـشْبِ النديِّ النضيرِ
كيف مـاتَ الراعي ولم تَمُتِ الأغـ   ـنامُ يا لَـلْمـقـدَّرِ المَسْطورِ

يا لحَكمِ الأقـدارِ يا راعـيَ الأغـ   ـنام يـا ظُلْمَ مـا تُريـدُ الصـروفُ
كيف تَفْنَى الأشـواكُ حارسةُ الزهـ   ـرِ ويبْقـى الوردُ الرقيقُ الضعيفُ؟

إنهـا قـصَّـةُ الطـبـيـعـةِ يا را   عي قـتـالٌ وأدمعٌ وشكاةُ
إن تكنْ قـد قُـتلتَ فـالثـأرُ باقٍ   وغـداً تَقـتلُ الذئابَ الرُعَـاةُ

نازعـتنا البـقـاءَ في هذه الأر   ضِ وحوشُ الأحراشِ والأطيارُ
فلنا النصـرُ مـرّةً ولهم أُخـ   ـرى كـمـا تبتـغي لنا الاقـدارُ

فـعـزاءً يا أيّهـا الجَـسَـدُ المصـ   ـروعُ في غـمـرة الـكرى الأبديّ
قـد بكاكَ الراعي الصديقُ ومـا زا   لَ غـريقـاً فـي حُـزْنِه الأخـويّ

لم يزَلْ جـامـداً على حـافـةِ النبـ   ـعِ وفي مقـلتيـه دمْعُ الشـجـونِ
يرقـبُ الماءَ شـاكـيـاً قـسـوة الاقـ   ـدار مسـتـنكراً ضـلالَ المنونِ

صامتاً ساهماً بعيداً عن الأغـ ـنامِ حيرانَ في ضَبَابِ الوجودِ
رازحاً تحت وَطْأةِ الألَمِ الطا غي مُشيحاً عن الشذى والورودِ

كلما جفَّ دمعُهُ ذكر المقـ ـتولَ والذئبَ فاستردَّ أساهُ
يا لأحزانِهِ المُلحّاتِ يا لـلـ ـهولِ ماذا ترى يعيدُ صفاهُ؟

السَّنا والجمال؟ يا حَيْرةَ الرا عي ويا ضَيْعةَ السنا والجمالِ
بعد حينٍ ستَعْصِفُ الريحُ بالصفْـ ـصافِ والوردِ في سفُوحِ الجبالِ

بعد حينٍ يأتي المساءُ كئيباً ويلفُّ الجبالَ بالأحزانِ
ويسودُ السكونُ غيرَ هُتافٍ ردّدتْهُ ضفادعُ الغدرانِ

غيرَ صوتِ النشيجِ في قريةِ الرا عي تعالى تحتَ الدُّجى المنشورِ
غيرِ صوتِ القَدُومِ يُعْمِلُهُ الحفّـ ـارُ في الأرضِ بين صَمْتِ القبورِ

ثم يمضي الليلُ العميقُ إلى غيـ ـرِ رُجوعٍ وتبسمُ الأضواءُ
ويعودُ القُمْريُّ يَصْدحُ جذلا نَ كأنْ ليس في الحياةِ شقاءُ

غيرَ دارٍ ماذا يعذّبُ أهلَ الـ ـقريةِ البائسين من آلامِ
غيرَ دارٍ ما خلّفَ اكتواخهم من رَعَشاتٍ ولوعةٍ وسَقامِ

لَيسَ يدري القُمْريُّ لا ليس يدري ما وراء الأكواخ من حِرْمانِ
ليس يدري أنَّ الطبيعةَ تَقْسو ليس يدري مرارةَ الأحزانِ

ليس يدري ماذا وراء بيوت الطـ ـين هذي من وحشةٍ وظلامِ
ليس يدري ماذا يهزُّ الخيام الـ ـسودَ من لهفةٍ ومِن آلامِ

ليس يدري القمريُّ ما يُحْزِنُ الفـ ـلاحَ في كوخِه وليس يراهُ
ليس يدري أنّ الأماسيَّ قد تمـ ـضي عليه وما يغيبُ أساهُ

ليس يدري ما يفعلُ الجوعُ والحز نُ بأهلِ الأكواخِ كلَّ شتاءِ
حينما تَغْمُرُ الثلوجُ ثَرَى المر جِ وتطغَى عواصفُ الأجواءِ

حينما في حَضائرِ القريةِ الحيـ ـرَى يموتُ القطيعُ موت غَبينِ
حينما تُذْبِلُ العواصفُ زهر الـ لوز والبرتقالِ والياسمينِ

حينما تدفن الثلوجُ حقول الـ ـقمح يا رحمتاه بالفلّاحِ
حينما يصرخُ الجياعُ الحَيارَى في ظلامِ الأكواخِ كلَّ صباحِ

أيّها الصادحُ المغرِّدُ فوق الـ ـدَّوحِ طِرْ عن هذا الوجودِ الأليمِ
دَعْ أساهُ يا طيرُ لي أنا وحدي واحيَ أنتَ الجذلانَ بين الغيومِ

دعْــهُ لى دَعْ آمـــالَ قـلبيَ تـذبل ... بعـد بحثى الطويل فى الكون عنـها
دعْ فـؤادى يَعُـدْ إلـى ظُلْمـةِ الأحـ ... ـزانِ واخلص يـا بلبلى أنت منـهـا

خَـيبتْ هذه الـقُرَى حُلْوَ أحـلا ... مى فـلا رَسْمَ للسـعادة فـيهـا
ليس يدرى الراعى المعـذَّبُ مـأوا ... ها ولا كـان مـرةً من بنيـهـا

خـدعـتنى الأوهامُ لـيس لدى الرا ... عى رخـاءُ الحـيـاةِ ليس لـديَه
فـهو ذاك المكدودُ تصهـرهُ الشمـ ... ـس ويقـسو الحَـصَى على قَـدَمَيْه

يتـمنّى أن لو تبـدلَ بيتُ الـطـ ... ـين قـصراً على حـفـافِ المدينه
ويُريدُ الحـيـاةَ لـهـواً فـلا أغـ ... ـنامَ تـشغـو ولا نُفُـوسَ حـزينه

يا لوهـم المسكين، كـم من شـقىٍّ ... فى ظلال القـصـور كم مـصـلومِ
ليس للـمـال أن يُـذيقَ فـؤاداً ... بشـريّا مـعنى الرضى والـنعـيمِ

يا سفـينتى ما عـاد فى القـرية الحلـ ... ـوةِ مـرسى لـنا فـفـيمَ البـقـاءُ
ليسَ تحتَ الصفصاف إلا بيوتُ الطـ ... ـينِ والسُـقْم والـطَوَى والبـكاءُ

أقلعـى أقلعى بـنا قـد سـئـمـنا ... صَـرَخـاتِ الجـياع فى كلِّ شِعْبِ
قـد رأينا الـدموعَ فـى كلِّ عـينٍ ... وشَـهِـدْنا الشـقـاءَ فـى كلِّ قلبِ

ما الذى يا سفينُ يُغْرى بأن نَبـ ـقَى إذن؟ ما الذى ترى يُبْقِينا؟

هل وجدنا طيفَ السعادة هل فى هذه الأرضِ فرحةٌ تُغْرينا؟

بين الفنانين

انشري يا سفينُ أشرعةَ السيـ ... ـر وشُقّي عُبابَ هذي الحياةِ
ثم ارسي بنا على شاطئ الفنِّ ... وبين الأشعار والأغنياتِ

علّنا واجدونَ في ذلك الشا ... طئ ظلَّ السعادة المتمنّى
علهم قد ترشّفوا شهدَهَا السا ... حرَ حتى صاغوه شعراً وفنّا

طالما صوّروا لألحانهم مسا ... قد دَعَوهُ بنشوة الفنّانِ
طالما حدّثوا عن الأملِ الحلـ ... ـوِ وغنّوا بالنور والألوانِ

فلنقف عندهم إذن ولنراقبْ ... ركبَ أيّامهم وكيفَ تمرُّ
أتراها ليلٌ ودمعٌ وحزنٌ؟ ... أم تراها فجرٌ وضحكٌ وبِشرُ؟

مأساة الشاعر

قد هبطنا في شاطئ الشعر والفن ... فماذا فيه من الأفراحِ؟
ها هو الشاعرُ الكئيبُ وحيداً ... تحت سمع الآصال والأصباحِ

أبداً ساهمٌ يراقبُ أيا ... مَ حياة لاتنقضي بَلْواها
لا يرى الواهمون غير ضُحَاها ... ويعيشُ الفَنّانُ تحت دُجَاها

يرقبُ الأشقياءَ في ظُلْمة العَشْ ... شِ ويبكي لهم بكاءَ غَبين
ويصوغ الألحانَ يرثي لبلوا ... هُم ويبكي على الوجودِ الحزينِ

طالما باتَ ساهدَ الطرف حيرا ... نَ يُسرُّ الظلامَ أحزانَ شاعر
لا يَرَى في الحياة إلا وجوداً ... ظلّلتهُ يدُ الشقاء العاصرْ

أبداً لا يَرَى سوى مسرح المأ ... ساة بين الدموع والتنهيد
وستاراً من الدُجَى يتجلّى ... كلَّ يومٍ عن مَيتٍ ووليدِ

واكتئاباً يمشي على صور الكو ... ن جميعاً ولوعةً وشقاءَ
ودموعاً تلوحُ في كل عَيْنَيـ ... ـنِ ودهراً يخادعُ الأحياء

لیس یَلقَی الحیـاةَ إلاّ حـزینَ الـ ـقلب حیـرانَ فی همـوم الحیـاةِ
کلمـــا أنَّ بائسٌ ذرف الشـــا عــرُ دمع الأسَی علی المأســـاةِ

وإذا أذبلَ الجلیـــــدُ زهو الــ لوز رانَ الأسی العـمـیقُ علیـهِ
واذا مــاتت البـلابلُ ظـمـأی جـال دمعُ الرثاء فی مُـقلَتـیـهِ

فهو قلبٌ قد صیغَ من رقّة الزهـ ـر وعـینٌ قد طُهّرتْ بالدمـوعِ
وحـیـاة حـسّاسة لیس یدری ســرَّها غـیـرُ شـاعـرٍ مطبـوعِ

هی عـمـر ظمـآنُ تعصُـرُهُ العزْ لةُ عَـصْـراً، یمـرُّ کـالآزالِ
فی سکونٍ لا صوتَ یُسْمعُ فیه غیرُ صوتِ الصرّارِ تحت اللیالی

غیر همس الحمام فی الجَبَل المو حشِ أو لحن بلبلٍ مـهـجـورِ
وحـفیف الأشجار فی قبضـةِ الر یحِ وصـوت الرعـود فی الدیجـورِ

غیر همْس الأشباح ملء دُجَی الشا عـرِ فی لیله الطویل الجـدیبِ
یتلقّی الأشـعـارَ عنهـا ویحیـا أبداً فی حـمی الأسَی والشحـوبِ

أیها الشـاعرُ الذی یسـهـرُ اللیـ ـلَ وحیداً مستَغرقاً فی الجمودِ
مُحْرِقاً روحَهُ بَخُوراً علی حبِّ (أبولـو) ووحــیــهِ المنشـــودِ

ساهداً حانياً على القلم الشا ... عر يرثي الدجى ويبكي السنينا

راسماً للحياة صورتها المرّ ... ة بين الجياع والبائسينا

أطفئ الضوءَ أيها الشاعر المتـ ... ـعبُ وارحم فؤادكَ الموجوعا

كاد يخبو ضوء السراج وتأتي ... ظُلُمات الدُّجَى عليه جميعا

رقد العالَمُ المعذَّبُ تحت الـ ... ـليلِ فارقد واترُكْ بقايا النشيد

حسبُكَ الآن ما سهرتَ مع الحا ... رسِ تَرثي لليله المكدود

قد أوى الحارسُ الكئيبُ إلى الكو ... خِ إلى غمضة الكَرَى والطيوف

فكَفَى يا حزينُ عطفاً على الكو ... ن ورفقاً بقلبك الملهوف

عجباً كيف تُسهر الشاعرَ المُلْـ ... ـهَمَ أحزانُ من عن الحزن ناموا

كيف ترقا مدامعُ الورد في الحقـ ... ـلِ ويبكي على أساها الحَمَامُ

آه يا شاعري المعذَّبَ ماذا؟ ... أكذا تصرف الحياةَ غبينا؟

في سبيل الوحي السماويِّ تحيا ... شاحب الوجه متعباً محزونا

بعتَ بالشعر لهوَ أيامك الظمأ ... ى وعُفتَ الحياةَ عيناً وقلبا

ونذرت الشبابَ والحبَّ للفن ... لتحيا على الجراح مُحبّا

ليس يعنيكَ أنْ ترافقَكَ الأحـ ـزانُ ما دمت مُلْهَمًا صدّاحا
ليس يُرْضيك غيرُ لحنٍ تغنّيـ ـهِ وإن صغتَهُ أسىً ونواحا

ليس تُعْطى الحياةُ للشاعر المجـ ـدَ إذا لم يَذُقْ هموم الحياةِ
ليس تسمو الأرواحُ إن لم تطهّرْ ها معاني الدموع والآهاتِ

فإذا أشحبَ الأسى وجنةَ الشا عرِ أو بات ليلَهُ أوّاها
وإذا عضّ قلبَهُ مخلبُ الحز نِ وضاقت حياتُهُ بأساها

خاطبتْهُ الحياةُ: يا شاعري المل ـهمَ يا ابن الشحوب والآلامِ
النجومُ الوضاءُ لا تبعثُ السحـ ـرَ اذا لم يُسدَلْ ستارُ الظلامِ

والذي يجمعُ الزهورَ يدوس الـ ـشوكَ يا شاعري ويمشي عليه
والذي يعشقُ الطبيعةَ لا يثـ ـقُلُ صمتُ الدُّجى على مِسْمعيه

فاحتمل ما استطعتَ أحزان عمر هو لولا الأحزانُ ما كان شيّا
وادفنِ النورَ في جفونك مَيْتاً وابعثِ الشعرَ من فؤادك حيّا

عَنٍّ هذا العذابَ صف لحياة النـ ـاسِ ماذا يُبكي فؤادَ الشاعرِ
صِفْ لهم كيف يصرفُ العمرَ حيرا نَ ويحيا على أساهُ العاصرِ

صفْ لهم ذلك الصراعَ صراعَ الـ ـفكر والقلب في ظلام الحياة
كلَّما أخفتَ النعيمُ صراخَ الـ ـقلب ضجَّ الفكرُ الأبيّ العاتي

فهما في حياته نبعُ أحزا ن يَردّ الحياة أفقاً كئيبا
وهما الثائرانِ لابدَّ ممن صبو تهما وليكنْ دماً ولهيبا

شرعة الفكر أن يغرّدَ بالشعـ ـر ويشلو وان يكن محزونا
ومُنَاه السموُّ للعالم الأعـ ـلى وان يلْقَ في الطريق المنونا

فهو أفقٌ حرٌّ يريد حياة الـ ـعقل في معزل عن الإحساس
وسواءٌ لديه أن يشحبَ الشا عرُ أو أن تقسو عليه المآسي

أفليس الشحوبُ والألمُ العا صرُ نبعاً للشعر والألحانِ
أو لا تقنعُ الحياةُ من الشا عر باللحنِ في حمَى الحرمانِ؟

فيمَ كان الصراعُ يبعثه القلـ ـبُ إذنْ فيم؟ فيم لا يطمئنُّ
فيمَ يأبَى الحياةَ في وحشة العُزْ لةِ والفكر فيم يمضي يئنُّ؟

هكذا تصرخُ الخواطرُ بالشا عر في ليله، فإن جاءَ فجرُ
ورأى الراعيَ الصبيَّ يسوقُ الـ ـغنَم الظامئاتِ لم يبقَ شِعرُ

ومضى القلبُ صارخاً أين حبّى؟   أين لهوى؟ وفيمَ أبقى أسيرا
أبداً لا أنى أضحّى بأفرا   حى، وأحيا ذاكَ الحزينَ الكسيرا

من بكائى تصوغُ شعرَكَ للكو   نِ ومنّى المُنَى ومنّى الحنينُ
من دمى هذه الملاحمُ فارحمـ   ـنى أنا العاشق الشجِى المغبونُ

انطلق بى دعنى أذقْ فرحة الحبِّ   لعلّى من الشقاء أقرُّ
ما غَنَاءُ الأشعارِ يا شاعرى المتـ   ـعَبَ إن كانتِ الحياة تمرُّ؟

ليس يُغْنى عنكَ النشيدُ إذا متَّ   حزيناً وليس يرويك لحنُ
لاتَقُلْ فى غدٍ غدٌ نَدَمٌ قا   سٍ على ما مضى ويأسٌ وحزْنُ

تحت ثقْلِ الثرَى وفي وحشة المو   تِ سيخبو هذا النشيدُ ويَفْنى
فإذا لحنُكَ الذى صغتَهُ يأ   سا وحزناً للناعمينَ يُغنّى

وستَنْسَى أنت الذى ملأ الدنـ   ـيا جمالاً وماتَ ظمآنَ جَهْما
وسيُبْلى الترابُ ما يتبقّى   منك يا مستطارُ لحماً وعظما

ثم ماذا؟ غداً يقولونَ قد كا   نَ فتىٌ بيننا طواهُ الهزالُ؟
ما رأينا منه سوى طيفِ إنسا   نٍ فقدناهُ واصطفاهُ الخيالُ

سيقولون شاعرٌ رَكِبَتْهُ ... لُوثَةٌ فانزوَى وعاشَ غريبا

أبداً يرقب الفضاء يصيد النـ ... ـجمَ أو يحصدُ الظلامَ الكئيبا

يرمق الزهر من بعيد وفي عيـ ... ـنَيْهِ أحلامُ عاشقٍ ولهانِ

جامداً قانعاً بعُذْرِيِّ حبٍّ ... يكتفي بالعطورِ والألوانِ

أيها الشاعرُ السجينُ كفانا ... غربةٌ في حياتنا ووجوما

حسبُكَ الآنَ ما خضعتَ لصوت ... العقل وارحم شبابَكَ المحروما

ويمرُّ النهار والشاعر المفـ ... ـتونُ حيرانُ بين فكّي أساهُ

بين همس الصوتين يحيا كئيباً ... ويناجي طيوفَهُ ومُنَاهُ

فإذا جاش قلبُهُ بمعاني الـ ... ـيأس ألقى أحزانَهُ في النشيدِ

لائذاً باليَرَاعِ يسكبُ فيه ... ما يُعاني من العذابِ الشديدِ

ساكباً روحَهُ على كل بيت ... ناحتاً من فؤاده الألحانا

راضياً بالشُحوب والسُقم حبّاً ... لأبولو مُسْتَسْهِلاً ما كانا

كلُّ بيتٍ من شعره يتقاضا ... هُ شحوباً ورعشةً وسَقَاما

فهو في لحنه يُذيبُ صِباهُ ... ويضيعُ الشبابَ والأحلاما

ثم مــاذا؟ ســرعــانَ مــا يزأر الإعـ ـصــارُ، والزهرةُ الجمــيلةُ تذوى
وإذا الضـوءُ فـى الأعـالىّ يخـبـو وإذا النجـمــةُ الوضـيئـةُ تهـوى

ويغـيـبُ الضـيـاءُ فى لـيلٍ قـبـرٍ ليس تبكى لـه سـوى الأمطارِ
ليس يرثـيـه غـيـر ذاوى صِبـاهُ وبقــايا القــيـثـارِ والأشــعــارِ

ذلك الشــاعرُ الذى كـان يحـيـا عـمَـرهُ باكــيــاً على كلِّ باكِ
ذلك العــاطفُ النبـيـلُ على الأحـ ـزان ذاكَ المُلْقَى على الأشـــواكِ

نبــذتْهُ الأيام فـى قـنـبـره المو حش تحت الرياح والظلمـــاتِ
حــيثُ لا آهةٌ يُصَــعِّــدُها قـلـ ـبٌ ولا دمــعــةٌ على المأســاةِ

هكذا فى العذاب تمضى حياة الشـ ـاعـــرِ الملهمِ الرقــيقِ وتُنْسَى
هكذا يـمــلأ الوجــود جــمــالاً ويذوق الآلام كـــأســـاً فكأســا

هكذا كـلُّ شــاعــرٍ فــارحـلى بى يا ســفـينى عن عــالَم الشـعـراءِ
ولندَعــهـم فى ذلك الشَّجَـنِ العـا صـفِ بـيـن الآهــات والأدواءِ

ولنسـر فى بحر الحـيـاة كـمـا كنّـ ـا ونُلْقى المرسى على كل ساحلْ
ربما يا ســفــينُ نلقى ضـيــاءً يتــجلّى بعــد الظلامِ القــاتلْ

عند العشاق

ربما كـان فـي حـيـاة المحـبـيـ ـنَ رجـاءٌ أو دفـقـةٌ من ضـيـاء
ربما كــان عـنـدهـم ذلكَ الإكــ ـسـيـرُ بينَ الخـيـالِ والأهواء

شـاطئَ الحبِّ أيّهـا اللامعُ الخـا دع هاتِ الحـديث عن أبنائكْ
صفْ مُنَاهم وبِشْرهم وأسـاهم صفْ لنا مـا اختفى وراء صفائك

صفْ لنا كيف يعصرُ العاشقَ الشو قُ إلـى من يـنـامُ عـن بـلـواهُ
كـيفَ يلهو بهِ الخـيالُ فـيُمْضي الـ ـليلَ سـهـرانَ غـارقـاً فـي مناه

صفْ حـيـاةَ الذي استبـدَّ به الحبُّ فـخـالَ الحـيـاةَ جنّة سـحْـر
ومــضى فـاتحــاً ذراعـيـه لـلنو رِ يصـوغُ الحـيـاةَ ديـوانَ شِـعْـر

يلثم الـزهْرَ في الحـقـول ويشـدو للـيـالي الحـصـادِ لحنَ هواهُ
راقـصـاً كـالفـراش لـلقَـمَـر الحلـ ـو خـلـيـاً مـن يأسـه وأسـاهُ

راسـمـاً للغـدِ الجـمـيلِ من الأحـ ـلام مـا لا تطيـقُـهُ الأقـدارُ
سـادراً فـي أوهامـه غـيـرَ دارٍ أن هذي الحـيـاةَ هـولٌ ونارُ

فى يـديه كـأسُ الرحـيق يغنيـ ـه على مسمعِ النهـار ويَشْربْ
وعلى ثغره ابتـسامـةُ مخـدو عٍ يُغَنّى له الشـقـاءُ فـيطرَبْ

ثم يخبـو الضـياءُ ذات مسـاء ويُفـيقُ النشـوانُ بـالأوهامِ
فـإذا الحـقل ذابلٌ لا زهورٌ لا فـراشٌ لا شيءَ غـيـر الظلام

أين تلكَ الأحلامُ؟ كيف ذوى الحبُّ؟ وأين الوجـهُ الحبـيبُ النضـيرُ
يا لَغَـدْرِ الأيامِ لـم تحـفظِ العـهـ ـدَ لقـلبٍ جَنَى عليـه الشـعـورُ

وتمرّ الحـيـاةُ والعـاشق المـهـ ـجـورُ قلبٌ دامٍ ووجهٌ شـاحبْ
أبداً يُـرجعُ الخـيـال إلـى المـا ضى ويبكى على الغـرام الذاهب

أبداً يَرْمقُ الحـيـاة كـئـيـبـاً من وراء الـدمـوع والأحـزان
ويراهـا الذئبَ الـذى ينـهشُ القلـ ـبَ ويقسو على الأسى الإنسانى

أبداً يسـألُ الظلام حـزيناً شـاردَ الفكر أين ألحـانُ قلبى
أيـن زَهـرى وأيـن بـلبـلىَ المنـ ـشـودُ؟ ماذا أضـاعَ أحلامَ حبّى؟

أين تـلكَ التى سكبتُ عليـهـا من حـيـاتى ومن فـؤادى ولحنى
أين تلـكَ العـيـونُ تُلْـهمُ أحـلا مى وتمحـو غـشـاوة الحـزن عنّى؟

يا لَقلبِ المسكينِ تلذعه الذكـ | ـرى وتُخْفي غرامَه وأساهُ
هكذا قد قضى عليه كيوبيـ | ـدُ فماذا تُفيدُه شكواه؟

فليجدْ في الخيالِ والشعرِ والذكـ | ـرَى دواءً لحبّه المصدومِ
وليقضِ الحياةَ بين حقول الـ | ـقمح والقطن تحت ضوء النجومِ

وليحبّ الغيومَ والفجرَ والنهـ | ـرَ ويُمضي الأيامَ بين التلالِ
يتغنّى فيعشقُ الزهرُ موسيـ | ـقاهُ عند الهوَى وفوق الجبالِ

فحياةُ الخيالِ أجملُ من وا | قعِ حبٍّ ملفّعٍ بالرمادِ
وهنا يا مصدومُ حريّةُ الرو | ح فماذا يُغْريكَ بالأصفادِ

سل كيوبيد عن شقاوة صرعا | هُ وماذا يَلقَوْنَ من تعذيبِ
كيف يَحْيَوْنَ في جحيمٍ من الشكّ | وليلٍ من الضَّنَى والشُّحُوبِ

إن قضتْ بالحرمانِ أيّامُهم عا | شوا حَزانَى معذَّبين حَيَارى
يشتكون الأقدار والزمن العا | تي ويحيون أشقياء أسارى

وإذا ما تحقّق الحُلُمُ العَذْ | بُ أشاحوا عن سحره كارهينا
ويعودُ الضياءُ ليلاً دجيّاً | وتعود الأزهارُ شوكاً وطينا

هكذا يخمد الغرامُ وتخبو ... شعلةُ الحبِّ والمنى والحنينِ
فالسعيدُ السعيدُ من دَفَنَ الحبَّ ... وعاشَ الحياةَ غيرَ سجينِ

يا دموعَ العشّاق قد شبع العا ... لم بؤساً فلا تزيدي أساهُ
قد ملأنا الكون الجميل دموعاً ... وشبعنا من صمتهِ ودجاهُ

فانضبي أنتِ حسبُنا شَجَنُ العيـ ... ـش وبلوى الحياةِ والأيام
حسبُ هذي الأرضِ الكئيبةِ دمع الـ ... ـبائسين الجياعِ والأيتام

انضبي واطردي خيالَ كيوبيـ ... ـدَ وحسبُ الغرامِ هذي الضحايا
لن ينالَ العشّاقُ يوماً سوى أد ... مع حبٍّ حقّقتْ سناهُ المنايا

قيس وليلى

كيف مات المجنون؟ هل سَعِدتْ ليـ ـلى؟ سلوا هذه الصحارى الحزينه
اسألوها ما حدَّثَ الريحَ قيسُ الـ أسِ ليلاً وكيف عاش سنيَّهْ

ذلك الشاعرُ الشريدُ الخيالىُّ صديقُ الظباءِ فى الصحراءِ
ونجِيُّ الرمالِ والوحشِ والبيـ ـدِ وطيفُ الشحوب والأدواءِ

سحقَ الحبُّ قلبَهُ المرهفَ الغضَّ فعاش الحياةَ دونَ مقرٌ
فوق تلك الرمالِ يُنْشِدُ أشعا رَ هواهُ لكل هوجاءَ تسرى

راسماً فوق صفحةِ الرملِ ما كا نَ من الشوقِ والأسى والحنينِ
لاثماً كلَّ موضعٍ خطرت ليـ ـلَى عليه فى ماضياتِ السنينِ

يومَ كانت ترعى الشياهَ ويرعى قيسُ أغنامَهُ فتشدو ويشدو
وتدوِّى باللحن تلك الرمالُ الـ ـسُمْرُ حيث الظباءُ تلهو وتعدو

يومَ كانتْ يا لهفةَ الشاعرِ العا شقِ ماذا قد أبقتِ الأقدارُ؟
نضبتْ فرحةُ الصبا وذَوَى الوا دى وجفَّت فى رَحْبِهِ الأزهارُ

وتبـــقّى قــبــر على قــدَمِ التلِّ ذوّتْ تحــتـَــهُ مـعــــالم ليلى
وحنَتْ فــوقَــهُ شــجـيــرةُ ورد تخِـذَتها الأشلاءُ في القبرِ ظلاّ

وتبـــقّى قــيسُ المعــذّبُ يبكي مــا تبقّى من عُمْره المصدوم
راقـداً عـند حـافـة القبــر لا يفـ ـتأ يشكو إلى الصَبَا والـغـيوم

يتــــمنى ليلَ المنايا ويـدعـــو هُ إليـــه بأعــذب الأســـمـــاءِ
ويغنّى للمـــوت أجـملَ ألحــا نِ هواهُ تحت الدُجى والضــيـــاءِ

ثم جـاء الصبــاحُ يومـاً وقـيسٌ فى يـد الموتِ ذاهلٌ مــصـروعُ
ليس تَبكيه غيـرُ تنهيـدةِ الريـ ـحِ وصوتِ البومِ الـكئيبِ دموعُ

يا قلوبَ العشّاق حسبُك حبّاً واقـبسى من مأساة قيس مثالا
هى هذى الحــيـاةُ لاتمنحُ الأحــيـــاءَ إلا الـعــذابَ والأهوالا

خدعـتنا بالحبّ والشوق والذكـ ـرى ومـا خلفـهـا سوى الأوهامِ
عــالمٌ سـافلٌ يضجُّ من الإثـ ـم ويحـيـا بين الهـوَى والظلامِ

فى أحضان الطبيعة

أيها الشاعرون يا عاشقي النبـ ـلِ وروحِ الخيال والأنغامِ
ابعدوا ابعدوا عن الحبِّ واغيوا بأغانيكمُ من الآثامِ

اهربوا لا تدنّسوا عالمَ الفنِّ بهذي العواطف الآدميّه
احفظوا للفنون معبدها السا مي وغنّوا أنغامَها القُدُسيّه

قد نعمتم من الحياة بأحلى ما عليها وفزتُمُ بجنّاها
يعمهُ الآخَرون فى ليلها الدا جى وأنتم تحيَون تحت سناها

اقنعوا باكتئابكم واعشقوا الفنَّ وعيشوا فى عُزلة الأنبياءِ
وغداً تهتفُ العصورُ بذكرا كم وتحيَوْنَ فى رِحابِ السماءِ

اقنعوا من حياتكم بهوى الفنِّ وسحر الطبيعة المعبودِ
واحلموا بالطيور فى ظُلَلِ الأغـ ـصان بين التحليقِ والتغريدِ

اعشقوا الثلجَ فى سفوح جبال الـ أرضِ والوردَ فى سفوحِ التلالِ
وأصيخوا لصوتِ قمريّةِ الحقـ ـلِ تغنى فى داجيات الليالى

اجلسوا في ظلال صَفصافة الوا ... دي وأصغُوا إلى خرير الماءِ
واستمدّوا من نغمة المَطَر السا ... قطِ أحلى الإلهام والإيحاءِ

وتغنّوا مع الرعاة إذا مرّ ... وا على الكوخ بالقطيع الجميلِ
وأحيّوا النخيلَ والقمحَ والزهـ ... ـرَ وهيموا في فاتنات الحقولِ

شجرات الصفصاف أجملُ ظلاً ... من ظلال القصورِ والشُرُفاتِ
وغناءُ الرعاةِ أطهرُ لحناً ... من ضجيج الأبواقِ والعَجَلاتِ

وعبيرُ النارنج أحلى وأندى ... من غُبارِ المدينةِ المتراكمْ
وصفاء الحقول أوقعُ في النفـ ... ـسِ من القتلِ والأذى والمآثمْ

وغرامُ الفراشِ بالزهر أسمى ... من صبابات عاشقٍ بشريٍّ
ونسيمُ القُرى المغازلُ أوفى ... لعهود الهَوى من الآدميّ

وحياةُ الراعي الخياليّ أهنا ... من حياة الغنيّ بين القصورِ
في سفوح التلالِ حيثُ القطيعُ الـ ... ـحلوُ يرعى على ضفاف الغديرِ

حيثُ تثغو الأغنامُ في عطفة المَرْ ... جِ وتلهو في شاسعاتِ المجالي
وينامُ الراعي المغرّدُ تحت السـ ... ـروِ مستسلماً لأيدي الخيالِ

في يديه النايُ الطَروبُ يناجيـ ـهِ ويشدو على خُطَى الأغنامِ
مستمداً من همسِ ساقيةِ السفـ ـحِ لحونَ الشبابِ والأحلامِ

آه لو عشتُ في الجبالِ البعيدا تِ أسوقُ الأغنامَ كل صباحِ
وأغنّي الصفصافَ والسَّروَ أنغا مِي وأُصغي إلى صفيرِ الرياحِ

أعشقُ الكَرْمَ والعرائشَ والنبـ ـعَ وأحيا عُمْري حياةَ إلهِ
كلَّ يومٍ أمضي إلى ضفّةِ الوا دي وأرنو إلى صفاءِ المياهِ

أصدقائي الثلوجُ والزَهْرُ والأغـ ـنامُ، والعود مؤنسي ونجيّي
ومعي في الجبال ديوانُ شعرٍ عبقريٌّ لشاعرٍ عبقريٌّ

أتغنّى حيناً فتُصغي إلى لحـ ـني مياهُ الوادي ومرتفعاتُهْ
وأناجي الكتاب حيناً وقربي هدهدٌ شاعرٌ صفَتْ نغماتُهْ

وخريرٌ من جدولٍ مُعْشِبِ الضفـ ـةِ يجري إلى ضفاف الوادي
وثغاءٌ عذبٌ من الغنم النشـ ـوَى وهمسٌ من النسيم الشادي

آه لو كان لي هنالك كوخٌ شاعريٌّ بين المروج الحزينه
في سكون القُرى ووحشتها أقـ ـضي حياتي لا في ضجيج المدينه

ليتني من بنات تلك الجبال الـ ـغُنَّ حيثُ الجمالُ في كل رُكْنِ
ليتني ليتني وهل تبعث الأحـ ـلامُ إلا الدموعَ في كلّ عينِ

قدّرتْ لي السنينُ أني هنا أقـ ـضي حياتي قلباً رقيقاً شجيّا
في ضبابِ الخيالِ أمشي وحولي عالم للغنى يموت ويحيا

قد أحبّوا أيامَهم وغرّدْ ت عليها فعشتُ في أحلامي
إن أكنْ قد وُلدتُ في هذه الضجّـ ـةِ فالألتجيْ إلى أوهامي

ولأعشْ في الخيال حيث تهيمُ الـ ـروحُ بين المروجِ والقطعانِ
هكذا تَهْدأُ الأماني إلى حيـ ـنٍ وتخبو مرارةُ الأحزانِ

هكذا أدفِنُ الطموحَ كما يَدْ فِنُهُ كلُّ طامحٍ بَشَريٌّ
وعيون الأقدارِ يضحكن مني هازئاتٍ بضعفيَ الآدميِّ

يا عيونَ الأقدار لا ترمقي دمـ ـعي ولا تهزأي بقلبي الحزينِ
إن يكن في دمي طموحٌ نبيٌّ فأسى اليائسينَ ملء عيوني

كان هذا الطموح لعنةَ أيّا مي فيا ليتني عصيتُ هواهُ
كلما حقّق الزمانُ لقلبي حلُماً صوّرتْ حياتي سواهُ

لست أدرى ماذا سيجنيه قلبى من شرودى فى كل أفقٍ ونجمِ
أبداً أرتقى النجومَ وأرنو لمجاهيلِ عالمٍ مدلهمِّ

لست أدرى شيئاً أنا اليأس يا أر ضُ وأنت ابتسامتى ودموعى
أنتِ وحيى ومنكِ تنبعُ أحلا مى، وإن كنتُ فى حماكِ الوضيعِ

ارفعينى إلى السماء إذا شئـ ـتِ بوحيٍ من سحركِ الشاعرىِّ
وأعيدى منى إذا شئتِ للطيـ ـنِ فتاةً تبكى على كل حيِّ

أضحكينى وأطلقينى ورقاء تغنى بحسنكِ الفتانِ
أو دعينى أبكى على أشقياءِ الـ أرضِ بين الحنينِ والحرمانِ

ضاع يا أرضُ فيك معنى الأمانى وتبقّى الشقاءُ والأكدارُ
وخبَتْ فى كآبةِ الموتِ أصوا تُ الأغانى واستسلم القيثار

فسلام العزاءُ والأمل المو هومُ فى حومة الدجى المدلهمِّ
ولم الأشقياءُ يُخفون بلوا هُمْ ويَخْبَوْنَ فى خداعٍ ووهمِ

قد وصفتُ الشقاء فى شعرى البا كى وصوّرتُ أنفسَ الأشقياءِ
وشدوتُ الحياةَ لحناً كئيبا ليس فى ليلهِ شعاعُ ضياءِ

فـــأثارت كـــآبتي عَـــجَبَ الـنا   سِ وحـــاروا فى ســرِّهـــا المجـهـولِ
مـــا دروا أننى أنوح على مـــا   ســـاتهم فى ظلامـــهـــا المســـدولِ

أنـــا أبكي لكـل قـلـب حـــــزيـنٍ   بعـــثـــرتْ أغنيـــاتـه الأقـــدارُ
وأروِّى بأدمـــعى كـلَّ غـــصنٍ   ظـــامئٍ جـفَّ زهرهُ المـــمطـارُ

القصر والكوخ

كلَّ فـجـرٍ أرى الـرعـاةَ يمـرّو   نَ فـأبكي على حـيـاة الرُّعـاةِ
في ثلوجِ الجـبـالِ أو لهب الـشـمـ   ـسِ يريقـون مـبـهـجـات الحـيـاةِ

ويمــرّ الـقطيعُ بي فـــأرى الأغـ   ـنامَ بيـن الـذبّاحِ والـسكّيـنِ
يا حـيــاةَ الإنسانِ لا فـرحــةٌ فيـ   ـكِ إذا لم تُصـحـبْ بدمع غـبـينِ

فكنوز الـغنيِّ يجـمـعـهـا الفـلاَّ   حُ في عُـمْـره الـشـقيّ الـكسيـرِ
ذلكَ الـكادحُ المعــذَّبُ في القَـفْرْ   ية بين المحــراثِ والـنـاعـــورِ

كلَّ صيفٍ يسقي البساتينَ تحت الشـ   ـمسِ ، والـقــصــرُ هاجـعٌ وسَنَانُ
فـهـو يُلْقي الـبـذورَ والمترفُ الهـا   نئُ يـجني وتشــهــدُ الأحــزانُ

يا ليــالي الحـصــادِ مــاذا وراء الـ   ـحـقـلِ والحـاصـدينَ من مــأسـاةِ
شــهــد الكوخُ أنّه يحــمل الحـزْ   نَ لتـحـظى الـقـصـورُ بالخـيـراتِ

كيف يجني الأزهارَ والقمحَ والأثـ ـمارَ من لم يجرحْ يديْه القَدُومُ؟
ويموتُ الفلاّحُ جوعاً ليفترَّ لعينَيْ ربٍّ القصورِ النعيمُ؟

كيف هذا يا ربِّ؟ رفقاً بنا رفـ ـقاً قد غَصَّتِ الكؤوسُ دموعا
وطغتْ في الفضاء آهاتُنا الحيـ ـرَى تغني رجاءنا المصروعا

كآبة الفصول الأربعة

نحن نحيـا في عـالمٍ كلُّه دمـ ـعٌ وعُمْـرٍ يفيض يأسـاً وحزنا
تتشـفّى عناصـر الزمن القـا سي بآهاتنا وتسـخـرُ منّا

في غموضِ الحياة نسربُ كالأشـ ـبـاحِ بين البكاءِ والآهاتِ
كلَّ يومٍ طفلٌ جـديدٌ ومَـيْتٌ ودمـوعٌ تبكي على المأسـاةِ

ثم مـاذا؟ في أيّ عـالمنا المُحْـ ـزنِ نلقَى العزاءَ عمّا نقاسي؟
عند وجهِ الطبيعة الجهم أم عنـ ـدَ فـؤادِ الزمـانِ وهو القـاسي

قد عبرنا نهْرَ الحياة حَيَارَى في ظلامِ الفصـولِ والسَنَواتِ
وثبتنا على أسـانا خـريفـاً وربيعـاً فمـا جمالُ الحياةِ؟

طالما مـرّ بي الخريفُ فأصغيـ ـتُ لصوتِ القُمْـريّةِ المحزونِ
وأنا في سكون غـرفتي الدجـ ـياءِ أرنو إلى وجوم الغصـونِ

طالما في الخريف سرت إلى الحقـ ـلِ وأمعنتُ في وجومي وحزني
كـيف لا والكآبةُ المرّةُ الخـر ساءُ قد رفرفتْ على كلّ غصنِ

والحمامُ الجميلُ قد هَجَر الأعـ ـشاشَ سأمانَ من وجومِ السهوب
وطيورُ الكنار آثرت الهجـ ـرةَ والعيشَ في حقول الجنوبِ

وغصونُ الأشجار مصفرّةُ الأو راقِ والزهرُ ذابلٌ مكفهِرٌّ
ورياحُ الخريف تعبث بالأو راقِ والسُّحْبُ في الفضاءِ تمرُّ

طالما سرتُ في المساء وفي سمـ ـعيَ صوتُ الأوراقِ تحت خُطايا
كلما سرت خطوة أنّت الأو راقُ فاستجمعتْ بعيد أسايا

أرمقُ الحقل والجداولُ قد جفـ ـتْ ولون الفضاء أسودُ غائم
وأحسُّ اليومَ الكئيبَ يُغنّي من بعيدٍ بين النخيلِ الواجمْ

وأرى النهر من بعيد كسرٍّ غلّفته أيدي الخريف الكئيب
لا رُعاةٌ على شواطئه يزْ جونَ أغنامهمْ قُبيلَ الغروبِ

لا اخضرارٌ يغري الحزانى بأن يسْـ ـعوا إليه ولا صفاءٌ جميلُ
ليس إلا رطوبةُ الأرض والوحـ ـشةُ والصمتُ والربى والنخيلُ

فإذا رعشةٌ تضمُّ فؤادي وإذا الروحُ ضائقٌ بأساهُ
ما أمرَّ الخريفَ يا ربِّ ما أو حشَ إصباحَهُ وأقسى مساهُ

ثم يأتى الشتــاء بالثلج والأمـ ـطارِ والريح فى سكون الليالى
وتمرّ الأيام مـوحـشـةَ الخطـ ـو بطاءَ الإصبـاحِ والآصالِ

وتموتُ الأزهارُ فى قبضةِ الثلـ ـجِ ويعرو الأشجارَ لونُ الزوالِ
وتغيب الأطيارُ فى الموقد المهـ ـجور أو فى كهفٍ وراء الجبالِ

ويجيءُ المساءُ بالمطر المنـ ـهلِّ يبكى على شَجا الإنسانِ
وتظَلُّ الرياحُ تعصفُ بالنخـ ـلِ وترثى لكل قلبٍ عانِ

آه ما أكأبَ الشتاءَ لياليـ ـه وأيامَهُ وما أقساهُ
حينَ أخلو لنارِ موقديَ الخامـ ـدِ والقلبُ مُغْرَقٌ فى أساه

لستُ أصغى إلا إلى ضجة الإعـ ـصارِ بين النخيل والصفصافِ
واصطفاقِ الأمواجِ فى شاطئ النهـ ـرِ ووقعِ الأمطارِ فوق الضفافِ

كل شيء فى الكون حولى كئيب فى ليالى الشتاء ذات الرعودِ
كل شيء حولى سوى ساعتى الصمـ ـاء فى صمتِ غرفتى المعهودِ

ايه يا ساعتى الكئيبةَ يا من صحبتنى فى فرحتى وشقائى
ما الذى تبعثين فى نفسى الحيـ ـرَى من الحزن فى ليالى الشتاءِ

أبداً تخفقين في مسمعي البا ... رد والليلُ مُظلمٌ ممدودُ
لحظاتٌ تمرُّ في ثِقَلِ الساع ... ع وليلٌ مُعذَّبٌ منكودُ

كم سهرت المساءَ أصغي إلى دقـ ... ـاتك الحائراتِ في مسمعيّا
أنت يا من أحصيتِ ساعاتِ أيّا ... مي وكنتِ الرسولَ منها إليّا

رحمةً في الشتاء بي لا تعدّي ... ما تبقّى يا ساعتي من حياتي
واتركيني أُصْغي إلى نَغَمِ الأمـ ... ـطارِ فوقَ الحقولِ والرَّبواتِ

اتركيني فنغمةُ المَطَرِ الها ... مرِ أحلى من صوتكِ الجبّارِ
يا رسولَ القضاءِ والزَّمنِ المُقْـ ... ـنِي وصوتَ الأحداثِ والأقدارِ

اتركيني وحدي وإن كان ليلي ... مكفهراً تحت البروقِ طويلا
اتركيني أُصْغي إلى الرعدِ والأمـ ... ـطارِ يا ساعتي وكُفّي العويلا

وغداً يُقبلُ الربيعُ فيحلو ... عبقرياكِ المحبَّبانِ لسمعي
وتعود الدقّاتُ منكِ نشيداً ... أتغنّى به ويصدحُ قَلْبي

الربيعُ الجميلُ فصلُ الطيورِ الـ ... ـبيضِ والزَهْرِ والسَّنا والعطورِ
عندما تكتسي العرائشُ بالكرْ ... مِ وتشدو طيورُها في البكورِ

عندما يخرجُ الرعاةُ إلى الوا ... دي بأغنامهم وتزهو الضفافُ
عندما يُزْهر البنفسجُ والخبّـ ... ـازُ والبرتقالُ والصفصافُ

وتذوبُ الثلوجُ في القمم العُلْـ ... ـيا فتجرى السيولُ في كل وادِ
ويعودُ البطُّ الجميلُ إلى الشا ... طئِ بين الأعشاب والأورادِ

ويعود الفَلاحُ يخرُجُ للحقـ ... ـلِ طروبَ الفؤادِ كلَّ صباحِ
تحت شمسِ الربيعِ يسقى جذورَ الـ ... ـتينِ والبرتقالِ والتفّاحِ

وتعود الطيورُ للوطن المهـ ... ـجور جَذْلَى مفتونةً بالربيعِ
في ثنايا الأغصانِ تتخذُ الأعـ ... ـشاشَ تحتَ النور النقيِّ البديعِ

والقمارىُّ تستحمُّ وتلهو ... بين زهر الخبّاز فوق الضفافِ
وتغّنى للنهر أعذبَ ألحا ... نِ الأماني في مِسْمعِ الصفصافِ

وزهورُ السفوحِ تضحكُ للنحـ ... ـلِ وتُحنى رؤوسها للنسيمِ
وقطيعُ الأغنامِ يمَرحُ والرا ... عي يُقَضّى النهارَ تحت الكروم

وصبايا القُرَى يرحنَ ويغدو ... نَ تَشَاوى على ضفافِ السواقى
منشداتٍ أحلامَهنّ على سمـ ... ـع الينابيعِ والورودِ الرقاقِ

وســمـاء الحـيــاة تزخـر بـالوحـ ـى ويصـحـو الشـعـورُ والأحـلامُ
أى أدونيس آه لـو عـشتَ فى الأر ضِ فـعـاشَ السَّنا ومـات الظلامُ

آه لو لم يكن مـقـامُكَ فى عـا لمنا المكفـهـرِّ حُـلمـاً قـصـيـرا
آه لـو دمـتَ يـا أدونـيـسُ لـلأر ضِ وأبقـيت عطرَكَ المسـحـورا

يا ضيـاع الأحلام فى مِسْمع المو تِ ومـاذا تُقَـبِّـلنا الأحـلامُ
ليس يبـقى الربيعُ إلا قليـلاً ثم يخـبـو الجـمـالُ والأوهامُ

مثل زهْرِ الصحراء سُرْعان ما تقـ ـتلُهُ الشـمسُ والرياحُ الهـوجُ
وتعـودُ الواحـاتُ قَـفْراً كـمـا كا نت ويَذْوى العشبُ النضيرُ البهيج

هكـذا يرحل الربيعُ سـريعـاً وتعـود الحـيـاةُ للأحـزانِ
وتمـوتُ الآمـالُ فى كـل قلبٍ وتعـيشُ النفوسُ للحـرمـانِ

فكأنّ الحـيـاةَ لم تبـتسـم إلاّ لـتُلقى سـوادَهـا فى رؤانـا
وكـأنّ الزهـورَ لم تنشـرِ الأشـ ـذاءَ إلا لـكى تُثـيـرَ أسـانـا

وكـأنّ النضـارةَ الحـلوةَ الجَـذْ لى حُـدَاءٌ بنا لصمت القـبـورِ
وكـأنّ الطيـورَ ترسل لحن الـ ـمـوتِ فى سمع كلِّ حىّ غـريرِ

يا شبابَ الحياة ما أنتَ بالخا ... لـدِ إلا خلودَ زهرِ الربيعِ

ليس تُبْقي على نَضَارتك الأقـ ... ـدارُ في حومة الأسَى والدموعِ

أسفاً يا ربيعُ يا وردُ يا عطـ ... ـرُ أهذا ختامُ كلِّ جمالِ

أكذا يخفتُ الضياءُ ويبقى الصـ ... ـمتُ والحزنُ في سكون الليالي

قصةُ الحبِّ والجمال أهذا ... ما إليه تكونُ بعد صباها؟

تتصدَّى لها يدُ الزمَنِ الما ... حي فتُبْلي ضياءَها وصداها

هكذا يا ربيعُ يَختتم النسـ ... ـيانُ والصمتُ كلَّ شيء جميلِ

ويعيشُ الإنسانُ تعصرُه الذكـ ... ـرى ويبكي على أساه الطويلِ

فإذا عضَّت الكآبةُ قلبي ... في أضاحي الربيعِ واشتدَّ حزني

فعلى مصرعِ الفراشاتِ أبكي ... وذبول الوادي الشجيرِ الأغنِّ

يا معاني الزوال والعدم الرا ... ئع رحماك وارفقي بصبايا

لا تُطلّي عليَّ من كلِّ شيءٍ ... في وجودي فقد سئمتُ أسايا

اتركيني أرَ الربيع طيوراً ... ليس يَنوي لها الأذى مُغتالُ

ولتكن زهرةُ البنفسج في عيـ ... ـني خلوداً لا يَعتريه زوالُ

ودعيني أعشْ مع الذكريات الـ ـبيض في أمسيَ الجميلِ الراحلْ
علَّ هذا يجلو أسى الصيفِ عن قلـ ـبي ويُحْيي مَواتَ حُلمي الذابلْ

فلقد جفّت الرياضُ الجميلا تُ فلا زهرةٌ ولا أشذاءُ
وانطوتْ فرحةُ الربيعِ ومات الـ ـعُشْبُ في أرضِها وجفَّ الماءُ

لم تَعُدْ في العشاشِ قمريّة تشـ ـدو وتسقي أفراخها في النهارِ
كيف تحيا الطيورُ في لَهَب الشمـ ـسِ وتلهو تحتَ اللظى والنارِ

لم يعد للنسيم قلبٌ يحبُّ النـ ـهرَ والمرجَ في ظلام الأماسي
لم يعد للأزهار لونٌ جميلٌ يتجلّى لمرهفي الإحساسِ

كلُّ شيءٍ في الصيف ينطق بالقسْـ ـوة والشمسُ شعلةٌ ولهيبُ
تشتكي عريشةُ الكَرْم لكن ليس يُجْدي توسُّلٌ ونحيبُ

آه ما أكأبَ الظهيرة في الصيـ ـف إذا لاذَ جوُّها بالسكونِ
وتلاشى في الجوِّ كلُّ هُتافٍ غيرَ صوتِ الطاحونةِ المحزونِ

وبكاءُ الحمامة الخافت النا ئي وصوتُ الغرابِ بين الكرومِ
وأزيزٌ من نَحْلَةٍ تملأ القلـ ـبَ مَلالاً بصوتها المسؤومِ

ثم ماذا؟ ماذا ترى العينُ في الصبـ ... ـحِ إذا أقبل المساءُ الداجي؟

هل سوى منظرِ النخيلِ البعيدا ... ت وحزنِ الأشجار خلفَ السياجِ

هل سوى منظر الرعاة يعودو ... نَ بأغنامِهم حيارَى بطاءَ

بعدَ يومٍ أمضَوهُ تحت لَظَى الشمـ ... ـس ملالاً وشقوةً وعناءَ

هل سوى الصائدين في النَهر الضحـ ... ـلِ يعودون في المساءِ الكئيبِ

لم يصيدوا وصادَ أرواحَهم حرُّ ... نهارٍ مؤذٍ وعيشٍ جديبِ

كلَّ يوم يمضي النهارُ ولا صيـ ... ـدَ يعزِّي صيَّادَهُ الطوَّافا

يا لَقلبِ المسكينِ قد سئمَ النهـ ... ـرَ وعافَ المياهَ والمجذافا

فهو عند الغروب يرجعُ بالزوْ ... رقِ سأمانَ واجمَ الأحزانَ

إن تغنَّى فبالشكاةِ يُزجّيـ ... ـها إلى خافقِ الحياةِ الجاني

كم رأيتُ الصيَّادَ في الشارع المُقْـ ... ـفرِ يمشي معذَّباً مصدوما

عكستْ مقلتاهُ أحزانَ قلبٍ ... سئم العيشَ والوجودَ الأليما

لستَ أنتَ المحزونَ وحدَكَ يا صيّـ ... ـادُ في حومة الشقاء المخيفِ

هو سجنُ الحياةِ قد كبّلت أقـ ... ـيادُهُ السودُ كلَّ قلبٍ رهيفِ

ذلك شأنُ الإنسانِ يا أيّها الصيّـ ـادُ يا شاكياً ظلامَ الرزايا
في صراعٍ مع العناصر لا يَهْـ ـدأُ حتى يأوي لوادي المنايا

في سبيل الحياة يبذلُ أفرا حَ صِباهُ ويستطيب أساهُ
فهو يجري وراءَ حُلْمٍ كذوبٍ رسمَتْهُ أوهامُهُ ورؤاهُ

وعجيبٌ أنّا نذوقُ سوادَ الـ ـعيش واليأسِ والملالِ لنحيا
أيُّ عُمْرٍ هذا؟ وأيّةُ مأسا ةٍ بَلَوْنا سوادَها الأبديّا؟

أبداً نحنُ في كفاحٍ مع الأقـ ـدار والحادثاتُ تُبْلي وتُفْني
يتحدّى أحلامَنا الواقعُ المرّ ويقسو زمانُنا المتجنّي

ونخافُ الغدَ الدجيَّ ولا نعـ ـلمُ ماذا يكونُ فيه المصير
يا ظلامَ المجهولِ ما أرهبَ التفـ ـكيرَ لا كانَ سرُّكَ المستورُ

آه لو كان في الحياة مفرٌّ من شقاءِ الأوهام والأفكار
في شعابِ الهدوء يا ليتنا نُلْـ ـقى بأعباءِ خوفنا الجبّار

أسطورة نهر النسيان

مخلبُ الخوفِ والتشاؤمِ قد جَرَّ ... حَ أيّامنا وأدْمى صبانا
ليتَ نَهْرَ النسيانِ لم يكُ وهماً ... صوّرَتْهُ أحلامُنا لأسانا

ليتهُ كانَ ليتَ أخبارَهُ حقٌّ ... لننسَى ما كان أو ما يكونُ
ونعيشُ الأحرارَ من قيدِ بلوا ... نا ويعفو عنا الغدُ المجنونُ

يا ضفافَ النسيان قد جاءك الشا ... عرُ فلترحمي جراحَ أساه
انضحيه بمائك الأسودِ البا ... ردِ ولتُشْفِقي على بلواهُ

فهو ذاكَ القلبُ الذي طوّفَتْهُ ... حادثاتُ السنين بالأشواكِ
منحتْهُ الحسَّ الرهيفَ وقالتْ: ... لتكن في الحياةِ أوّلَ باكِ

يا ضفافَ النسيانِ يا ليتَ هذا الـ ... موجَ يَطْغَى على الوجودِ الحزينِ
يغسلُ الإثمَ والدموعَ ويأسو ... كلَّ جرحٍ في قلبه المطعونِ

أَلَمُ العـيشِ يا ضِـعـافُ قويٌّ وشَقـاءُ المماتِ أقـوى وأقسى

في ظلامِ الحـيـاةِ نضطربُ الآ نَ ونفنى عـمـا قليلٍ ونُنْسى

كلُّ عُمْـرٍ قصيـدةٌ كتبتْـهـا في كتابِ الحياةِ كفُّ الزمانِ

وغـداً يمحي الكتابُ جميعاً وتذوبُ الحروفُ في الأكفانِ

أنشودة الأموات

لحظةُ الموتِ لحظةٌ ليس من رَهْـ ـبتها في وجودنا المرِّ حامي
وسيأتي اليومُ الذي نحنُ فيه ذكرياتٌ في خاطر الأيّام

كلُّ رسمٍ قد غيّرتْهُ الليالي كلُّ قلبٍ قد عاد صخراً أصمّا
دفنتْ عُمرَنا السنينُ كأنْ لم نملأ الأرضَ بالأناشيدِ يوما

ليسَ إلا صوتُ العواصفِ فوق الـ ـمدفنِ الصامتِ الرهيبِ الستورِ
وحفيفُ النخيلِ في رعشةِ الريـ ـحِ ونوحُ الأمواجِ بين الصخورِ

قد سمعنا صوتَ الرياحِ المدوّي حين كان الوجودُ ملكَ يدينا
وعَشِقنا صوتَ النخيلِ وهمنا بخريرِ الأمواجِ قلباً وعَيْنا

وعبدنا أشعّةَ القمرِ الضا حكِ في الصيفِ وابتسمنا إليه
وشدونا الأنغامَ تحتَ سناهُ ورسمنا الأحلامَ بين يَدَيْه

وضحكنا مع الزمانِ وسرنا في ظلامِ الحياةِ مُبْتسمينا
تارةً ساخرين من كلِّ ما نلْـ ـقَى وأخرى تحت الدُّجَى باكينا

وبنينا قصورنا تحت ضوء الشـ ـمسِ يوماً إلى جوارِ القبورِ

وزرعنا زهورَنا وتخذنا من دماءِ الموتَى غذاءَ الزهورِ

وضحكنا إذ الطبيعةُ تبكى بالدُجى والرياحِ والأمطارِ

وسَخِرنا والدهرُ غضبانُ جَهْمٌ ورَقَصْنا على حفافِ النارِ

فإذا غَنَّتِ العصافيرُ وافتر تْ ثغورُ الأزهارِ فوقَ ثرانا

وتمشَّى الأحياءُ فوقَ بقايا نا وداسُوا عظامَنَا ودمانا

فهو ثأرُ الطبيعةِ البارِدِ المُرّ وسخريةُ الزمانِ العاتى

وحقودُ الحياةِ لابدَّ للميـ ـتِ منها فى عالمِ الأمواتِ

يا جموعَ الأحياء فى الأرضِ هيها تَ يعودُ الماضى الجميلُ إليكم

فاغنَموا لَيلكُم وغنُّوا فمن يَدْ رى؟ لعلَّ الصباحَ يقضى عليكم

علَّها الليلةُ الأخيرةُ من عُمْـ ـركمُ فى الوجود يا أحياءُ

ليس منكم من يضمنُ الغَدَ فاشدوا فقريباً يضيعُ هذا المساءُ

ربما كنتمُ مساءَ غدٍ تحـ ـت ترابِ القبورِ والأحجارِ

يتباكى عليكمُ البومُ والغر بانُ بعدَ الكؤوسِ والأوتارِ

وتعودُ القصورُ والزهرُ مِلكاً ... لسواكم من ضاحكي الأحياءِ
ويظلُّ القمريُّ يشدو وأنتم ... في سكونِ المنيةِ الخرساءِ

وتعود الحقولُ في الفجر خلواً ... من أغانيكمُ ووقعِ خطاكمْ
ويذيبُ النسيانُ ذكر أمانيـ ... ـكمْ ويذوي المماتُ غصنَ صباكم

ويظلّ الراعي يغرِّدُ للأشـ ... ـجارِ والنبع في صفاء المغاني
وتنامونَ أنتمُ لا حَراكٌ ... لا نشيدٌ في قبضةِ الأكفانِ

لن تنوحَ الحياةُ إن مُتّمُ أنـ ... ـتم فغنّوا ولا تَنوحوا عليها
فهي تلكَ الخَلُوبُ تبسِمُ للأحـ ... ـياءِ والسمُّ كامنٌ في يديْها

فانعَموا في ظلال أفراحكم فيـ ... ـها ورَوّوا الظّماءَ قبلَ المماتِ
وامرحوا في الحقولِ واستنشقوا العطـ ... ـرَ وصوغوا فواتنَ النَّغَماتِ

ودِّعوا هذه الشوارعَ عند النـ ... ـهر يا أشقياءُ قبلَ الرحيلِ
ودَعوها فليس في القبرِ غيرُ الصـ ... ـمتِ والهمِّ والظلامِ الطويلِ

وابسموا للنجومِ والقمرِ الحُلـ ... ـوِ وغنّوا النسيمَ كلَّ مساءِ
أيُّ غبنٍ أن تفقدوا كلَّ شيءٍ ... في البِلَى والسكونِ والظلماءِ

مرثية للإنسان

أيُّ عَيبٍ أن يذبلَ الكائنُ الحيُّ   ويذوي شبابُهُ الفينانُ
ثمَّ يمضي به محبُّوهُ جثما   نًا جَسَفَتْهُ الآمالُ والألحانُ

ويُنيمونَه على الشوكِ والصخـ   ـرِ وتحتَ الترابِ والأحجارِ
ويعودونَ تاركينَ بقايا   هُ للدنيا خفيَّةَ الأسرارِ

هو والوحدةُ المريرةُ والظلـ   ـمةُ في قبرِه المخيفِ الرهيبِ
تحت حكمِ الديدانِ والشوكِ والرمـ   ـلِ وأيدي الفناءِ والتعذيبِ

وهو من كان أمسِ يضحكُ جذلا   نَ ويشدو مع النسيمِ البليلِ
يجمعُ الزهرَ كلَّ يومٍ ويلهو   عند شطِّ الغديرِ بين النخيلِ

ذلكَ الميْتُ الذي حملوهُ   جثةً لا تحسُّ نحو القبورِ
كان قلباً بالأمسِ تملؤه الرغـ   ـبةُ والشوقُ بين عطرِ الزهورِ

كان قلباً له طموحٌ فماذا   تركَ الموتُ من طموحِ الحياةِ
يا لحزنِ المسكينِ لم تبقَ أحلا   مٌ سوى ظلمةِ البلى والمماتِ

آهِ يا حامليه نحو سكون الـ   ـقبرِ لا تُسرعوا وسيروا الهوينا
اتركوه يودِّعِ العالمَ الفا   تنَ قبلَ الرحيل ظلماً وغُبنا

واكشفوا جسمَهُ الغبينَ لضوء الشـ   ـمسِ والعطر فهي آخرُ مرّه
لن يَرَى بعدُ ذلكَ الضوءَ لن يتـ   ـشقَ في سجنِ قبرِه عِطرَ زهره

لا تنوحوا عليه وليكنِ الشَّدْ   وُ ختاماً لما وعَتْ أذناهُ
حسبُهُ أنَّه يودِّعُ دنيا   هُ إلى قبرِه وتفنى مُناهُ

فاتركوا نعشَهُ على الأرض حيناً   قبل أن تقبروهُ تحت اللحود
ربّما كان خائفاً من دُجَى القبـ   ـرِ حريصاً على جمالِ الوجودِ

ربما كان راغباً في وَدَاعِ الـ   أرضِ من قبلَ أن يسودَ الظلامُ
قبلَ أن تتركوهُ في وحشة المو   تِ وتخبو العطورُ والأنغامُ

اتركوهُ يراكمُ أنتمُ يا   من دفعتُمْ به إلى الظلماءِ
وهو من كان أمسِ ملءَ أمانيـ   ـكم فصار الغداةَ ملءَ الفناءِ

هكذا الآدميُّ يُسلمُهُ أحـ   ـبابُهُ للترابِ والديدانِ
ربِّ لا كانت الحياةُ ولا كنّـ   ـا هبطنا هذا الوجودَ الفاني

فيمَ جئنا هنا؟ وماذا يعزّيـ | ـنا عن العالم الذي قد فقدْنا
ليت حوّاءَ لم تذُقْ ثمرَ الدو | حةِ ليت الشيطانَ لم يتحنّا

علمتْنا ثمارُها فكرةَ الشرِّ | فكان الحزنُ العميقُ المعاصِرْ
وفهمنا معنى الفناءِ وأدركـ | ـنا صراعَ البقاء تحتَ الدياجر

وهبطنا هذا الوجودَ لنشقى | منذ فجرِ الحياة حتى المغيب
كلُّنا تستغيثُ من شَجنِ العيـ | ـش فيا لليلِ الحزينِ الرهيبِ

يا لَظلمِ الأحزانِ ما سلِم الأطـ | ـفالُ من أسرِها ولا الشبّانُ
كم وليدٍ يبكي وما تعلم الأمّ | لماذا يبكي وما الأحزانُ

مأساة الأطفال

ودمـــوعُ الأطفـــال تجـرحُ لكن ... ليس منهـا بدٌّ فـيـا لَلْشـقـاءِ

هؤلاء الذيـنَ قـد مُنِحـوا الحسَّ ... ومـا يملكـونَ غـيـرَ البُكاءِ

منحـتْهم كـفُّ الطبيـعة قلباً ... بشـرِيّاً يسـتشـعـرُ الآلامـا

ورمـتْهم فى كـفّـة القَدَر الـغا ... شمِ جسـماً لا يسـتطيع كـلامـا

فـإذا مـا بكوا فـأدمعُ خُـرْسٍ ... ربما كـان خلـقَهـا ألفُ معنى

ربما كـان خـلـقـهـا الألـمُ القـا ... تلُ أو رغـبـةٌ مع الريحِ تَغنَّى

ربما ربما ومـا ينفع الظَّنُّ ... ونَوحُ الأطفـال ملء الحـيـاة

وُلِدوا صـارخـينَ بين يـدِ الأقـ ... ـدارِ فليـصرخُوا ليـوم المماتِ

علهم يدركونَ مـا لم نقفْ نحـ ... ـنُ عليـه من ظُلْمـةِ الأسـرارِ

ويرونَ الحـيـاة ليـلاً من الشـرِّ ... تدلَّى على حـفـاف النارِ

فـهـمُ يصرخـونَ من ألم المُقْـ ... ـبِلِ أو يندبون مـا قـد أضاعـوا

أو لم يُقْبلوا على غَـيْـهَب العـا ... لم حيثُ المحيـا أسىً وصـراعُ

لم يَزَلْ في نفـوسهم أثَرُ الما ... ضي النقيُّ الجميلِ أو ذكراهُ

حين كانوا في عالم عبقريٍّ ... كلُّ حيٍّ على ثراهُ إلهُ

عالمٌ غيرُ عالم البَشَر المرّ ... بعيد عن الدُّجَى والفَنَاءِ

ليس فيه أسىً عنيف ودمعٌ ... وقبورٌ تلفّعتْ بالخَفَاءِ

ليس فيه طبيعة جَهْمةُ المر ... أى تدوسُ الأحياءَ والأيّاما

ليس فيه معذّبون حَيَارَى ... وثَكَالى تحت الدُّجَى ويتامَى

ليس فيه شرٌّ وظُلْم وتعذيـ ... ـبٌ ولا فيه مولدٌ ومماتُ

ليس فيه هذا النزاعُ على الخُبـ ... ـزِ ولا في صفحاته مأساةُ

يا جموعَ الأطفال يا مُرْهَفي الحسِّ ... كفاكم تفجعاً وبكاءَ

لم تزالوا في أوّلِ العُمُر المرِّ ... ولأياً ستعرفونَ الشقاءَ

لاتنوحوا على الذي قد فقدتم ... من جمالٍ ومتعةٍ وسموٍّ

وأصيخوا لمأتم القَدَر الظا ... لمِ في عاصفِ الحياةِ المُدوّي

لم تزالوا براعماً لم نُفَتّح ـهـا الليالى على ظلام الحياةِ
فاضحكوا الآنَ قبلما يزأرُ الهو لُ وتستنسرُ الهموم العواتى

قبلما تدلهمُّ أعماركم تحـ ـتَ غيوم الشباب والاحلامِ
وترَوْنَ الوجود قفراً فما فيـ ـهِ سوى الليلِ والأسى والقتامِ

أينما ترسلوا عيونَكُمُ الظمـ ـأى فثَمَّ الأهوالُ والأضغانُ
وتضيعُ الآمالُ والمُثُلُ العُلـ ـيا وتبقى الآهاتُ والأحزانُ

امرحوا الآنَ فى ظلال أب يَشـ ـقَى وأمٍّ جَنَتْ عليها الحياةُ
فغداً تحملون أنتم هموم الـ ـعيشِ إذ ذاكَ تُسْفرُ المأساةُ

شيّدوا فى الرمالِ أبراجَ أحلا مكمُ وابسموا للهو الطفوله
كلُّ طفلٍ غداً فتىً ضائعُ الأحـ ـلامِ تحتَ المقادرِ المجهوله

وغداً تدركونَ ماذا أضعتم من صفاء ومُتْعة ونقاءِ
وترونَ الحياةَ منبعَ شرٍّ ليس منه منجىً وليلُ شقاءِ

وإذا مــــا بنيــــتمُ أمس زَهْرٌ ذابلٌ تحت رحـــمة الإعــصار
وإذا كلُّ رغــبـةٍ كـوكـبٌ خـا بِ وأنتم على شــفــاهِ النار

تتــشــفَّى بكم يدُ القَـدَر القـا سي وتُلقَى عليكمــو بالرزايا
وتبيع الشبـابَ بالأدمُعِ الحرّ ى وتلهو على رُفَاتِ الضحـايا

فـإذا كلُّ ضُحكةٍ من صبـاكم بعدها فـى شبابكم ألفُ عَبره
وإذا عُمْرُكم مـسـاءٌ حـزينٌ ليس تجلو سوى المنيةِ سِرَّه

أحزان الشباب *

يا همومَ الشبابِ فيمَ تكونيـ ـنَ أحرَّ الهمومِ والأحزانِ؟
أنتِ يا مَنْ يصوغُكِ القَدَرُ الظا لمُ ليلاً على الوجودِ الفانى

فيمَ كانَ الشبابُ مرماكِ يا أحـ ـزانُ ماذا ترى الشبابُ جنَاهُ؟
فيمَ لاتعصرينَ إلا صِبَانا حَسْبُنا يا أحزانُ ما ذقناهُ

سوف يطوى شبابَنا الزمنُ المُسْـ ـرِعُ والحلمُ ينطفي ويضيعُ
وتُميتُ الشيخوخةُ المرَّةُ السَوْ داءُ أحلامنا ويمضي الربيعُ

فاتركينا رحماكِ نَنْعَمْ به الآ نَ لتنسَى ما فى غدٍ سيكونُ
قبلَ أن تخمد الأماني ويَفْنَى فى الدياجى شبابُنَا المغبونُ

ها أنا فى الشباب تقتلني الوحـ ـدةُ والصمتُ والأسَى يا همومُ
أينما اتجهْ فثمّةَ أحزا نٌ أراها ووحشةٌ ووجوم

كلُّ شيء أراه يملؤني حُزْ نأ ويأساً من مُبْهجات الحياة
يا لعُمْرٍ يمرُّ جَهْماً مخيفاً تحت عبءِ الأحلامِ والآهاتِ

ومــعـاني الفــنـاء ألمحُــهــا حَــوْ   لىَ فـي كلِّ مـــا تراهُ عُــيــوني
فـي دويِّ الريـاح فـي نَغَـم الـطيـ   ـرِ وفي ظُـلْمــة المســاءِ الحزينِ

فـــإذا أنّـتِ الريـاحُ الحـــزينـا   تُ تــذكّـــرتُ خُلْـدَها وفنائي
ورأيتُ الـقـــبــورَ تحت يدِ الـريـ   ـحِ وصـــوتِ الأمطـارِ والأنواء

وإذا غنّت الحـــمـــامـــةُ في الوكـ   ـرِ تبـــرّمْتُ بالنشـيـدِ المثـبـرِ
وتذكــرتُ أنّـهــا ســوف تتّـوى   في غـدٍ تحـتَ عشّـهـا المهـجورِ

وإذا أقــــبلَ المســـاءُ ولـفَّ الـ   ـكونَ بالصمتِ والدُّجَى والهمومِ
وحــملتُ العـودَ الـكئيبَ الى الوا   دي أُغنّي شـعري لضوءِ النجومِ

صــرخَتْ نفسيَ الـكئيبـةُ لا يخـ   ـدعْك هذا الظلامُ يا أختــاهُ
كم شعـوبٍ غنّتْ له فـمـحـاها   وهو مــا زالَ في ربيعِ صـبَـاهُ

نحن تحت الليلِ العميقِ ضيوفٌ   وقـــريبـــاً تدوسُنّا قـدَمـاهُ
فـاحفظي يا أختـاهُ ألحانك الظمْـ   ـأى فـمـا ترحمُ الشَّـجَا أُذُناهُ

أينَ أمضي يـا ربِّ أم كيف أنجو   من قــيــود الفنّاء والأيّامِ؟
ضاقَ بي العالم الفسيحُ فيا للـ   ـهـــولِ أينَ المفــرُّ من آلامي؟

كلَّ يومٍ أرى شَـبـابَ حـيـاتي　　في حـمى الوَحْـدَةَ المريرة يَذوي
وأراني أسـيرُ مـرغَـمـةَ الأقـ　　ـدامِ في عـاصفِ الزمـانِ المُدَوِّي

لستُ ألقى حولي سوى عالمٍ يَشْـ　　ـقَى ويَلْقَى عـزاءَهُ في الشُـرُورِ
ويبـيعِ الحـيـاةَ بـالمُتَعِ الحـمـ　　ـقـاءِ والإثمِ والأذى والغـرورِ

ويرَى اللـهـو في الحـيـاة أمـانيـ　　ـه ويدعـو الخيالَ والشعرَ حُمْقـاً
يا لَجهـلِ الإنسانِ فليبقَ حـيرا　　نَ إذن وليَظَلَّ بـأسى ويَشْـقى

ولأعشْ في ظلال وَحـدتي الخـر　　سـاءِ أبكي ولا مُـصـيخَ إليّـا
لا فـؤادٌ أبثُّـهُ ألمي المرَّ　　ولا خـافقٌ يحنّ عليّـا

وليقـولوا إنّي فـتاةٌ جنى الشعـ　　ـرُ عليـهـا فـعـشتُ للأحـزانِ
وعبرتُ الحياةَ كـالشَبَحِ الضلّـ　　ـيلِ في غَيْـهب الوجودِ الفاني

يا ظلالَ الشباب فـابقَيْ إذا شئـ　　ـتِ معي أو فأسرعي بالرحيلِ
لستُ أُعنَى بظلّكِ الشاحبِ المُقْـ　　ـلِقِ ما دمتُ في خيالي الجميلِ

سـوف أبني اذا رحلتِ شبـاباً　　لفـؤادي أعيشُ تحت سمائهْ
من رحيقِ الخيالِ والشعرِ والأنـ　　ـغـامِ أسقي الزهورَ في أرجائهْ

وجمالُ الحياة يذوى ويفْنيـ ـه الأسَى والدموعُ والآهاتُ
فليضعْ عُمْري الحزينُ كما شا ءَ فعندي من الشعورِ حياةُ

فإذا أدبر الشبابُ وآويـ ـتُ لظلِّ المشيبِ والأسقامِ
ظلَّ قلبي الحسَّاسُ ذاك الفتَى الفيـ ـنانَ بين الخيالِ والأحلامِ

ثم ماذا؟ من قالَ إنّي سأبقى في الوجود الحزين يا آمالى
كيف أدري أنّي سألبث فيه ربّما متُّ في صباىَ الحالى

ربما تنقضي حياتي قريباً وتموتُ الألحانُ في شَفَتَيّا
قبلَ أن أسمعَ الحياةَ أناشيـ ـدي ويُصْغي سمعُ الوجود إليّا

ربّما... لستُ أعلمُ الآنَ شيئاً فلأعشْ في انتظار ما سيكونُ
ولأحبَّ الحياةَ ما شئتُ من أجـ ـلِ نشيدي وإن رمَتْني المَنونُ

ولتجئْ بعدها المنايا كما تر جو فما في الوجود ما يُغْريني
لستُ ألقى فيه حياةً أغنّيـ ـها فيا بؤسَ عُمْريَ المغبونِ

أو لم أترك الحياةَ وما فيـ ـها إلى معبد الأسَى والشعور
أولم أرضَ عُزْلتي في ظلال الشـ ـعرِ والعودِ والخيالِ الطَّهُورِ

فـــاذا مـــا أتممتُ لحني كـــمـــا أهـ ـــوَى فـــمـــاذا أريدُهُ مـــن حـــيـــاتي؟
ليس في الكونِ بعد شعري ما يغـ ـــري فؤادي فــمــرحــبــاً بالممـاتِ

ســوف ألقى الموتَ المحبَّب روحـاً شـــاعـــريّاً يُحـــبُّ صَمْتَ التـــرابِ
وفـــؤاداً يرى المـــمـــاتَ شـــبـــاباً للمُنَى والشـــعـــورِ أيَّ شـــبـــابَ

ســوف ألقـــاكَ غـيـرَ مـحـزونة يا مـــوتُ في مـــيـــعة الشــبـاب الغَـريدِ
وعـــــــــزائي أنّـي تـركتُ ورائي لحنيَ الـســـرمـــديَّ ملء الوجـــود

لستُ وحـــدي التي تموتُ ومـــا زا لتْ شـــبـــاباً لم تَسْـــقِـــه الأنداءُ
نَعِـــسَـــتْ هذه الحـــيـــاةُ فـكم قـــد مـــاتَ في مـــيـــعـــة الصِـــبَا شُعــراءُ

أذبلتْ عُـــمْـــرَهـــم يدُ القَـدَر الجـــا نِي وكـــانوا نشـــيـــدَ هذي الحـــيـــاةِ
يسكبـونَ الشـبـابَ والحبَّ والأحـ ـلامَ لحناً مـــرقـــرقَ النـغـــمـــاتِ

ويُضـــيـــعون عُـــمْـــرَهم وصباهم ليـصـــوغـــوا الحـيـاةَ لحنَ صـــفـــاءِ
وإذا عـــــاصفُ المنايا المُدَوِّي يَتَـــعَـــالَى على لحـــونِ الغـــنـاءِ

يا يدَ الموت فـيمَ كـان نصيبُ الشـ ـــاعـــر الفـــذِّ منك هـــذا التـجنّي؟
فـــيـم لا تُطفـــئـــين إلاّ مناهُ؟ وهو في مـيـعـــةِ الشـــبـــابِ الأغنِّ؟

ألكي تكتسي الخلودَ لذكرا   هُ على الأرض وهو غضٌّ يافعْ؟
أم لكي تُنقذيه من شَجَن العُزْ   لةِ والفكرِ والأسَى والمدامعْ؟

أم تُرى تبخَلين بالنَغَم العذْ   بِ على العالمِ الأثيمِ الشقيِّ
فتضمّين للدُجَى والمنايا   كلَّ شادٍ في الأرض أو عبقريٍّ

أم ترى سنّةُ الوجود تُرَى ما   ليس يَدْري الأحياءُ أو يُدْركونا
فهي تَسْري كما تشاءُ المقاديـ   ـرُ وتُمْضي شبابَنا المطعونا

وسواء على المقادير موتُ الشـ   ـاعرِ الفذِّ في الصبا أو حياتُهْ
فهو جسمٌ على الثرَى بشريٌّ   ضيّعته أحلامُه وشكاتُهْ

فإذا ماتَ في صِباهُ فما اختا   رَتْهُ كفُّ المنونِ للأكفانِ
وإذا عاشَ ما يشاءُ فما للـ   ـموتِ في عُمْرِه الطويلِ يدانِ

نبّئيني أهكذا الأمر يا أقـ   ـدارُ أم قد ضللتُ في أفكاري؟
أترانا كالزهرِ يقطفُهُ الفلا   حُ في الفجرِ شارداً غيرَ دارِ؟

ليس تعنيه هذه الزهرةُ الحُلـ   ـوةُ ما دام في يَدَيه سواها
وهو يَجْني منهنّ ما هو دانٍ   منهُ ما دمنَ في الشذَى أشباها

أكذا يا أقدارُ؟ ما أخيب المَسْـ ـعَى إذن في ظلامِ هذا الوجودِ
أكذا تتركينَ حكمَكِ للصُّدْ فةِ؟ يا للشقاءِ والتنكيدِ

كل حيٍّ منّا إذن ليس يدري ما سيلقى في يومه من شقاءِ
ربما كانت المنيّةُ في أوّ لِ ساعِ النهارِ أو في المساءِ

فهو يحيا على شفا الألم الدا ئمِ منذ الشروق حتى المغيبِ
كلَّ يوم يقول: حان رحيلي يا لَهذا العُمْرِ الشقيِّ الكئيبِ

أفليس المماتُ في ميعة العُمْـ ـرِ إذنْ نعمةً على الأحياءِ
حين ينجو الحيُّ الشقيُّ من الخو فِ ويَفْنَى في داجياتِ الفناءِ

تاركاً هذه الحياةَ وما فيـ ـها من الزيفِ والأسى والظلامِ
بين كفِّ الرياح والقَدَرِ العا تي ونَوحِ الشيوخِ والأيتامِ

آلام الشيخوخة

يا دموعَ الشيوخِ في الأرض هيها ... تَ تجفّين في العيونِ الشقيّه

أيُّ شيخٍ لا يَذْرف الأدمعَ الحرّ ... ى على ما مضى ويشكو البليّه

فهو ذاكَ المحزونُ قضى صباهُ ... في لهيبِ الهمومِ والأحزانِ

ثم ذاق الشبابَ كأسةَ دمعٍ ... ما الحيُّ على قذاها يدانِ

ثم غاب الشبابُ في ظلمة العمْـ ... ـرِ ومات الأحبابُ والأنصارُ

كلُّ عامٍ يرى الأحبّاء يفنو ... نَ وتمحو ذكراهمُ الاقدارُ

يا لركب مشى به القدرُ الخا ... دعُ تحتَ الرياحِ والظلماءِ

رامياً في فم المنيّةِ فرداً ... منه في كلّ بكرةٍ ومساءِ

يا شتاءَ الحياة لم يبق في الظلْـ ... ـمة إلا هذا الشقيُّ الغبينُ

ذهبوا كلُّهم إلى الموتِ إلاّ ... هُ فلدوى نحيبُهُ المحزونُ

وهو ذاكَ المسكينُ أضعفَهُ العمْـ ... ـرُ وحلّتْ بجسمه الأدواءُ

ومضتْ ظلمةُ الحياة بعينيـ ... ـهِ وغابتْ عن وعيه الأشياءُ

وهو يدرى أنَّ المماتَ قريبٌ ... منهُ قُربَ الأحزانِ والأوجاعِ
كلَّ يومٍ يكادُ يُلقى على العا ... لمِ والعُمْرِ أغنياتِ الوداعِ

يا غموضَ الحياةِ من أسلمَ الإنـ ... ـسانَ للحادثاتِ والأقدارِ
ذلكَ البائسُ الضعيفُ الذى يأ ... تى ويمضى ولم يَزَلْ غيرَ دارِ

فهو ما زالَ هائماً بهَوى العا ... لمِ والعيشِ فى ظلالِ الزهورِ
يتغنَّى بحبِّهِ رغم ما يَلـ ... ـقى من الحُزْنِ واحتدامِ الشعورِ

فإذا ما بَدَتْ له ساعةُ المو ... تِ ولم يبقَ فى الحياةِ رَجاءُ
رسمَ الحزنُ فى محيَّاهُ رعباً ... ما رأى مثلَ هَولِهِ الأحياءُ

وأطَلَّتْ عيناهُ تُلقى على الكو ... نِ تحايا الوَدَاعِ والحرمانِ
فى ذهولٍ وروعةٍ يملآنِ الـ ... ـقلبَ حقداً على الوجودِ الفانى

يا معانى الذهولِ فى جبهةِ الميّـ ... ـتِ، لا لن أخافَ هذى المعانى
سأرَى فيك بَلسماً يُنقذِ الأحـ ... ـياءَ مما يَلْقَوْنَ من أحزانِ

سأرَى فى المماتِ خُلدَ حياتى ... حين تعفو عنّى المُنى والجروحُ
وينامُ الجسمُ الوضيعُ على الأرْ ... ضِ وتختالُ فى السماءِ الروحُ

عندما تخفتُ الأعاصيرُ في سَمْـ ... ـعي وأنسى الأصواتَ والأشياءَ
كلُّ شيء في العالمِ الأحمقِ الجا ... هلِ يخبو ويستحيلُ هباءَ

فإذا أمعنَ النشاوَى بكأس الـ ... إثم في اللهو والصُّراخِ الأثيمِ
لم يجئني من صوتهم أيُّ همسٍ ... وتفرَّدْتُ بالسكونِ المُقيمِ

وتمرُّ السنينُ لا ألمٌ فيـ ... ـها ولا إثمَ في ظلال الخلودِ
عالمٌ ليس لي التغلغلُ فيه الـ ... آنَ فلأمضِ في غناءِ نشيدي

ولأعِشْ في هذي الحياة مع الأحـ ... ـلامِ تحت النهار والظلماتِ
أعشقُ الفتنةَ النبيلةَ في الور ... دِ وفي ضجّةِ الرياحِ العواتي

وأسلّي نفسي وقلبي برأي الـ ... ـعابثينَ الأشرارِ والواهمينا
هؤلاء الذينَ يقضون أيّا ... مَ صباهُمْ في هَذْرهم سادرينا

ليس تَعنيهمو الفضيلةُ والنبـ ... ـلُ وما يحزنون للأشقياءِ
فإذا ما رأوا حزيناً معنّىً ... رجموهُ بالشوك والأقذاءِ

وضعافُ الطيور في ظُلَلِ الأغـ ... ـصانِ تَلْقى منهمْ صنوفَ النَّكالِ
وزهورُ الخبّازِ في رحبةِ الحقـ ... ـلِ يدوسونها فيا لَلضَّلالِ

وحـيـاةُ الفنّانِ فـي عـالـم الوَحْـ ـدة والـفـكـرِ عنـدهم كـالجـنونِ
يا لـهـذي المأسـاةِ يا ربِّ مـاذا كـتـبتْ للأحـيـاء كفُّ الـسنينِ؟

ولتـسـرْ هذه الحـيـاةُ كـمـا تر جـو المقـاديرُ والأسى والظَّلامُ
وليَظَلّ الأحـيـاءُ في التيـهِ يشقو نَ وتقـسـو عليـهـمـو الأيَّامُ

ولأعشْ مـا يشـاؤه القَـدَرُ الظا لمُ أبكي على أسَى الأحـيـاءِ
هؤلاء الصَـرْعَي الظمـاءُ الحَيَارَى بـيـن فـكّ الآثـام والأدواء

بين يدي الله

المساكينُ يا سماءُ فمُدّي ... لأساهم كفَّيك يقْنَ الشقاءُ

إن يكونوا جنَوْا فقلبُكِ أسمى ... أو يكونوا ضلُّوا فأنتِ السماءُ

ليس يُعْيِي كفَّ الألوهة أن تمـ ... ـحو حُزْنَ المعذَّبين الجياعِ

فهي نبعُ الحياةِ والخيرِ والفنِّ ... وبُرْءُ الأحزانِ والأوجاعِ

جئتُ يا ربِّ تحتَ ليلي الطويلِ الـ ... ـمرِّ أبكي حزني وحزنَ الوجودِ

حينَ ضاقتْ بي الحياةُ وأسلمـ ... ـتُ قيادي لليأسِ والتنكيدِ

جئتُك الآنَ يا إلهي ومالي ... غير قلبي ونغمتي من شفيعِ

أنا من قد رسمتُ مأساة هذا الـ ... ـكون شعراً رويتُهُ بدموعي

ها أنا قد مددتُ كفَّيَّ يا ربِّ ... وعودي مُلْقىً على قدميّا

وهو لحني الأخيرُ يا ربِّ ذوبـ ... ـتُ حياتي فيه وحُلْمي التقيّا

فإذا لم تصِلْ سماءَكَ ألحا ... ني فعُذْرِي كيانيَ البَشَريُّ

وإذا ما تركتَني لشقاء الـ ... ـعيشِ يلهو بيَ الدُّجَى الأبديُّ

فهو حظِّي من الحياة قضتْهُ … شرعةُ الدهرِ والوجودِ الأبيدِ
كلّ حيٍّ لابدَّ أن يقطعَ العُمْـ … ـرَ صريعاً على ترابِ الوجودِ

بين فكِّ الرَّحَى يغنّي ويبكي … ويذوقُ الحياةَ بِشْراً وحُزْنا
آهِ لابدَّ من أسانا فماذا … نفعُ هذي الشكوى الحزينة منّا

فلنلُذْ بالإيمانِ فهو ختامُ الـ … ـيأسِ والدمعِ والشقاءِ العاتي
يمسَحُ الأعينَ الحزينةَ من أد … معها الهامرات في الظلمات

فاصرخي يا رياحُ في شُعَبِ العا … لم وامضي تفجُّعاً وعويلا
واصخبي يا بحارُ ما شئت في سمـ … ـعي واستصرخي الضُّحَى والأصيلا

واطغَ يا ليلُ بالأسَى ومعاني الـ … ـيأسِ في قلبي الرقيقِ الكئيبِ
لن تنالَ الآهاتُ منّيَ بعد الـ … آنَ حتى إن عشتُ فوقَ اللهيبِ

فوراء الحياة معنىً عميقٌ … ليس تفنيه سورة الأحزانِ
هو معنى الألوهةِ الخالدُ المر … جوُّ خلفَ الوجود والأزمانِ

الرحيل

فوداعاً يا كلَّ ما في الوجود الـ | ـعبقريِّ العميقِ من آهات
كنتِ في قلبيَ الخياليِّ مأسا | ةً وأنت الغداةَ سرُّ حياتي

سوف أهواكِ يا دموعي وأحزا | ني ما عشتُ في الوجودِ الجميلِ
فاصْحَبيني إذا أنا عشتُ في العا | لمِ أو حانَ عن ثَراهُ رحيلي

يا حياتي في هذه الأرضِ أمّا | أنت فامضي كما يشاءُ الزمانُ
انشري ذلك الشراعَ وسيري | وتَغَنَّيْ ما شاءتِ الألحانُ

وإذا ما هبّت رياحُ الرَّدَى يو | ماً وهزّت كفُّ القضاء الشراعا
فابسمي للأمواجِ مغمَضةَ العيـ | ـنِ وقولي يا أُغنياتُ وَداعا

هكذا تبلغ السفينةُ يا شا | عرةَ الحزن شطَّها الأبديّا
شاطئَ الموتِ شاطئَ الوحي والأسـ | ـرارِ ذاك المحجَّب المخفيّا

أغنية للإنسان

- ١ -

"نظمت هذه القصيدة عام ١٩٥٠"

فى عـمـيق الظلام زمـجـرتِ الأمـ ـطـارُ فى ثـورة وجُنَّ الـوجـــودُ
طاش عَـصْفُ الرياح والتهب البر قُ وثارت علـى السكون الـرعــودُ

ثـورةٌ ثـورة تمـزّق قـلـب الـ ـليل والصمت بـالصـدى بالبـريق
ثورةٌ تحت عــصـفـهـا رقـد الكو نُ عـمـيقَ الأسى كـجـرْحٍ عـمـيقِ

صرخاتُ الإعصار أيقظتِ الرعـ ـبَ بـقلب الطـبـيـعـة المدلـهمِّ
تتلوَّى الأشـجـار ضـارعـة والـ ـمطـر البـارد الشـتـائىّ يهـمى

تـتـلوّى فى رعـشـة، فى جنون وفـؤادُ الإعـصـار فى غَلَيـانهْ
تـتـلوّى كـأنهـا روح إنسـا نٍ يريـد الخـلاصَ من أحـزانهْ

كل شـيء فى ثورة وانـفـعـال كلُّ شـيء فى لـيلىَ المحـزونِ
وأنا مـثـلُهـا تمـزقـنى الثـو رة والحـزنُ، مـثلُهـا فـى جنونِ

أنا حـيـثُ الآلامُ تُطبـق جنْحـيـ ـها المخـيفين فى الدياجـير حولى
أدمع فى مـحـاجـرى، ولهـيبٌ فى دمى واكـتـئـابةٌ فـوق ظلّى

لم أزل في كـآبتي وشـرودي   أرقبُ الليلَ والأعاصيرَ حَيْرى
في عيوني آثارُ حُلْمٍ جميلٍ   كان يوماً وأصبح الآن ذكرى

في جمود وقفتُ أرقب من نا   فذتي ثورةَ الدُّجَى وجنونَهْ
ورشاش الأمطار يلطم وجهي   وأنا في خواطري المحزونهْ

يا أعاصيرُ من دماتي خذي النا   رَ ومن حزني العميق الشديدِ
يا دياجيرُ من فؤادي خذي الظلـ   ـمةَ إنّي في غيهبٍ ممدودِ

عصرتني الحياةُ لم يبقَ معنىً   لوجودي لأدمعي لحياتي
كل شيء يلوحُ لي عَدَماً مـرّاً   ولغزاً مكفّناً بالشكاةِ

كلُّ شيء تلفّه ظلمة أعـ   ـمقُ من أن يُنيرها قطُّ ضوءُ
ظلمة كالممات تخنقني خنـ   ـقاً هي اللاانتهاءُ واللاشيءُ

ظلمة في امتدادها يخبط الأحـ   ـياءُ في غفلة عن الأقدارِ
أين غشي ما عدتُ أحتمل الجهـ   ـل متى الفجرُ؟ طال بي انتظاري

في ضباب الأحلام والشعر مرّغـ   ـتُ غرامي ونشوتي وصبايا
في بحار الخيال تاه شراعي   فيمَ؟ ماذا جنيتُ غير أسايا؟

ودفنتُ الشبــابَ والحبَّ من أجـ ـلِ طموحي ولم أزل في هيامي
حـرقة الاطّلاعِ تصهر أحــلا مي وإحســاس فكري المترامي

وشعوري الرقيقُ؟ آوّاه من عمـ ـق شعوري وحسّي المشبوبِ
كيف أنجو من الأحاسيس من حـ ـبّي وكرهي؟ من هدأتي ولهيبي؟

كيف أنجو من الأسى إن يكن حو لي وجود مسقّيدٌ موبوءُ
ألفُ جُرْحٍ في صدره ثار في عمـ ـق هدوئي فلم يعد لي هدوءُ

وأكفّ الحيـاة تجرحني وال لغزُ يبقى لُغْزاً عميقاً خفيّا
تتحدّى الأحياءَ قهقهةُ المو تِ وتبقى الحياةُ ليلاً دجيّا

أين أين الذين غنّوا على الأر ض طويلاً واستبشروا وأحبّوا؟
لا صدىً من غنائهم لا لهيبٌ من أحاسيسهم يثورُ ويخبو

ليس منهم إلا قبور حزينا تٌ تبقّت على ضفاف الحياة
جفّ نبع الحياة فيهم فلانوا في سكون بعالم الأمواتِ

المساء الجميل حدّثني عنـ ـهم أقاصيص كلُّها أحزانُ
شهد الليل أنّه مثلما كا ن فأين الذين بالأمس كانوا؟

كـيف يا دهر تنطفي بين كـفّـيـ ـلك الأمـاني وتخـمـدُ الأحـلامُ؟
كـيف تلوى القلوبُ وهي ضـيـاءٌ ويعـيـش الظـلامُ وهو ظـلامُ؟

كـيف تحيا الأشـواكُ والزَهَرُ الفـا تنُ يَذْوى في قـبـضـة الإعـصـارِ؟
كـيـف تمضى إلى الـفناء الأناشـيـ ـدُ وتبـقى مـرارةُ الأقـدارِ؟

وأكفّ الحـيـاة تجـرحنى فـيـ ـمَ بقائى؟ حسـبى أسىً وعذابا
فى ربيع الشبـاب ما أعمق الجر حَ إذا كـانـت الحـيـاةُ شـبـابا

الشـبـابُ الذى يسمّـونه تُعْـ ـمى شـبـاب الشعورِ والرَغَـبـات
والشبـابُ الذى أسـمّـيه إحسـا سـاً عـمـيـقـاً بكلّ مـا فى الحيـاةِ

الشباب الكئيب حين يفيق الـ ـحـالـمُ القلب شارداً مسـتطارا
ويرى فـى تـفـجّـع جـثّـة المـا ضى الغريقِ الثـاوى وكيف تُوارى

ذكـريـاتُ الطفـولة العـذبةُ البـيـ ـضـاءُ راحت تنهار فى استسـلامِ
وظلال البـسـاطة الفـجّـةُ الحُلْـ ـوةُ ذابت فـى مُـنـحَـنـى الأيّامِ

والفـؤاد الرقـيـق يصدمـه الإحـ ـسـاس بـالواقع الغـريـب الجـديد
واقع لـم يحـسّـه قـط من قـبـ ـل وأفقٌ مـن عـالـمٍ مـفـقـودِ

ليس يدري مــاذا يُحسُّ لماذا تتبقّى أعماقُهُ في انتفاض
مُـــثْلٌ في تمزّق واصطراعٍ وأحاسيسُ ما وعاها ماضي

رَغَبات كالليل غامضةُ الأصـ ـداء تُزْفى فيها وراء الشعورِ
وشعورٌ بفورةٍ في الدم الجا رفِ تبقى كناقمٍ موتورِ

وانبثاقٌ يريد أن يملكَ النجـ ـمَ ويسطو على ذرى الآفاقِ
واندفاعٌ إلى معانٍ وراء الـ ـحسّ في المستحيل في الأعماقِ

كل هذا يُحسّه قلبي الدا مي بجُرْحِ الشباب والإحساسِ
ليتني لم أشبَّ بعدُ عن العشـ ـر ولم يَستفقْ شعوري الناسي

ليتني لم أزل كما كنتُ قلباً ليس فيه إلا السّنا والنقاءُ
كلَّ يوم أبني حياتيَ أحلا ماً وأنسى إذا أتاني المساءُ

فوق تلّ الرمال أصرف أيّا مي وأبني مستقبلاً من رمالِ
لا أحسّ المأساة حولي ولا أسـ ـمعُ في الرمل ألفَ ألفِ سؤالِ

كالعصافير لم أحيّر أحاسيـ ـسي يوماً بما تقول الرياحُ
فوق تلّ الرمال أرسم أشبا هَ قصورٍ سكّانُها أشباحُ

وتمرّ الســـاعـــاتُ بي وأنا أبـ ـــنى خـــفــايا مـــدينة الأحــلام

أيّ يوتوبــيـا فــقــدتُ وعــزّ الآ نَ إدراكُـــهـــا على أيّامى

تلك يوتوبيــا الطفــولة لـو ترجع لـو لم تكـن خــيــالَ مَنام

إيه تـلّ الرمــال مــاذا تُرى أبـ ـقَيْتَ لى من مــدينة الأحــلام؟

هو ذا أنت، مــثلمـــا كنتَ تلاً شــاعــرياً مكـللاً بالجـمــال

وأنا لم أزل أمــرّغ أحـــلا مى وأبنى... لـكن قـصـورَ رمالِ

كنتْ عرشى بالأمس كنت لىَ الأو لعبَ والآن لـم تعـد غـيـر تلٍّ

كـــان فى هذه الرمـــال وجـــودٌ شــاعــرىٌ يلفُّـــهُ ألـفُ ظلٍّ

ذهب الأمسُ لم أعـــد طفلة ترقبُ عشّ العـصـفور كل صبـاح

لم أعـد أبصـر الحيـاة كـمـا كـا نتْ رحـيـقـاً يذوب فى أقــداحى

لم أعــد فى الشتـــاء أرتقب الأمـ ـطار من مـهدى الجميل الصغيرِ

لم أعــد أتبعُ الحـمـامـة إن غنّـ ـتْ وألهـو على ضفـاف الغدير

لم أعــد أستطيع أن أحكم الزهـ ـر وأرعى النجـــومَ فى كلّ ليلِ

لم أعـــد أمـــزج الوجـود بقـلبى وأعـــدُّ الحــيــاةَ قــصّــةَ طفلِ

ذَهبَ الحُلم والطفولة واعتضـ   ـتُ بحسّي الرهيفِ عن لهو أمسِ
كل ما في الوجود يجرحني الآ   نَ ولون الحياة يطعن نفسي

أين شعر الوجود؟ أسفر عن شيءٍ   طَوَى سرَّهُ ذيولُ الرماد
كل شيء قد عاد أشبه بالقبـ   ـر رهيباً ملفعاً بالسواد

النشيد القديمُ ضاع صداه   حين مرّت به يد الأعوام
كلّ شيء ينهارُ إلا عنادي   وحنين الجمال في أحلامي

وحواليَّ تُطبق الخيبةُ المرّ   ةُ جُنحَي نسرٍ مخيف السكون
أيها الواقعُ الثقيلُ حنانَيـ   ـكْ أهذي عقبى المنى والحنين؟

رعشات الأزهار لم تعد الآ   نَ نشيداً وضحكة استبشار
بعضُ شيءٍ فيها يمرّ على سمـ   ـعي بأقدام قاطفِ الأزهار

وغناء الطيور لم يعد الآ   نَ شفاءً لأدمعي وخلاصا
بعضُ شيءٍ فيه يذكّرني الأقـ   ـيادَ والصائدين والأقفاصا

وعبور النسيم لم يعد الآ   نَ كما كانَ فرحةً في كياني
بعضُ شيءٍ فيه يُذكّرني الأ   مواتَ تحت السكون والنسيان

واختلاجُ الأمواجِ فى النهر ما عُدْ   تُ أراه إلا دُجَى مدلهمّا
بعض شيء فيه يذكّرني جسـ   ـم غريقٍ رأيتُه فيه يوما

ومرور الأيّام ما عاد يبدو   لي ربيعاً ملوّناً سحريّا
بعض شيء فيه يذكرني الأقـ   ـدار والموت والأسى الآدميا

وجمال الوجود ما عاد يبدو   لي مثيراً لنشوةٍ لا تُحَدُّ
بعض شيء فيه يلخّص لي القصـّ   ـة في لفظتين: مهّد ولحدُ

عُدْتُ أخشى الحياةَ، أفرق منها   وأراها دعابةً لانطلاقُ
إنها الآن قصّةٌ حاكها بالدّ   معِ والنار ماردٌ عملاقُ

حسبُها أنّنا دفعنا إليها   ثمنَ العيش حُرقةً ودموعا
أي ذنب جناه آدم حتى   نتلقّى العقاب نحن جميعا؟

أيُّ ذنب جنتْه حوّاءُ؟ ماذا   عرفتْ من ثعبانها المشؤومِ
ليتها لم تمسَّ دوحتها قطُّ   ولم تصبُ للمجنّى المسموم

ليتها لم تحسّ بالشرّ والخيـ   ـر ولم تَدْرِ للتمرّد طعما
ليتها حافظت على جهلها المطـ   ـبق ما دامت الغباوةُ نُعْمى

وليكن آدمٌ وحـــواءُ قـــد ثارا		وداسا السمـــاءَ فى إصـــرارِ
أو لم يكـفِ أن أضاعا جنانَ الـ		ـخُلْد؟ لم تكف سورة الاحتقار؟

وسدىً يبحثان فى عالم يَسْـ		ـكنُ فيه الغموض والأسرارُ
السماء التى أضاعها خلودٌ		وهنا يحكم الردَى الجبّار

هبطا فى تعثرٍ صامت الآ		هات غرقانَ فى جمود الذهولِ
يسحبان الذكرى الكئيبة فى صمـ		ـتٍ ويستحييان جذبَ الحقولِ

إيه حوّاءُ! كيف عوقبتِ بالنفـ		ـيِ ولولاكِ ما عرفنا النورا
أنتِ يا من بعتِ الخلودَ بأحزا		نِ لياليكِ واشتريتِ الشعورا

الخطايا التى اقترفتِ ستبقى		شُعَلاً فى وجودنا وضياءَ
كخطايا الربّ سرق النا		رَ لعبّاده ونال الشقاءَ

آهةٌ فى الوجود تُسْمع يا حوّ		اءُ روحى حديثك المجهولا
كيف ألقيت رأسك الحلو فى يأ		سٍ على صخرةٍ ونُحتِ طويلا

وعلى بعد خطوتين هنا آ		دم فى صمته الرهيبِ الحزينِ
شعرهُ الأشقرُ الجميلُ تهاوى		خُصُلاتٍ على شحوب الجبينِ

إهدأ أيّها الكثيبان ما زا   ل لقلبيكما بقايا هناءِ
بعضُ ذكرىً من السماء غداً تمـ   ـحي بذرّيةٍ من الأشقياءِ

في الجبال التي تموتُ بها الأصـ   ـداءُ رجعٌ من ماضيات القرونِ
وكأني هناك أسمع أصدا   ء خطىً تستثيرُ قلبَ السكونِ

شبهُ أقصوصة يُرَجّعها الوا   دي حديثاً عن سيرة بشَريّه
مسحتها الأيامُ لم تُبْقِ منها   غيرَ همس في الأنفس الشاعريّه

حدّثتني الوديانُ عن زمنٍ مرّ   ولفّته بالضباب الليالي
عندما كان في الوجودِ فتىً را   عٍ يُغنّي الرياحَ فوقَ الجبالِ

كان يُدْعى هابيل كان يسوق الـ   ـغنَم الظامئاتِ كلَّ صباحِ
كان في روحه بقيّةُ ذكرىً   من حياة السماء والأرواحِ

مقلتاهُ حُلْمان بالشعر والحب   يذوبان في صفاء المراعي
شفتاه ارتعاشتان لما يُبـ   ـصِرُ من فتنةٍ ومن إبداعِ

يسقط الليل بالندَى فوق جفنيـ   ـه ويغفو على ظفائر شعره
ذلك الحُلمُ، ذلك الأبدُ النا   ئمُ هابيلُ في صفاهُ وطُهرِهْ

كان يوماً ينام في ظُلَّة الجو ... ز على شطّ جدول نعسانِ

حالماً بالآفاق كفّاه في الما ... ءِ العبيريِّ في سكون المكان

نشوةٌ ملءَ روحه، روحه الظمـ ... ـأى إلى كل فاتن مسحورِ

ليس يصغي إلا إلى همسة الما ... ء وخطو القطيع فوق الصخورِ

لم يشاهد قابيلَ تقتلُهُ الغيـ ... ـرةُ يمشي في نقمة محمومه

في يديه سكّينُهُ الحاقدُ المسـ ... ـمومُ في مقلتَيْه طيفُ جريمه

لم تكن غيرُ صرخةٍ، غير تأويـ ... ـهةِ حزنٍ غير اضطرابٍ قصيرِ

هدأ الجسم بعدها وثوى الرا ... عي النبيلُ المقتول عند الغدير

وأتت ظلمةُ المساء على الحقـ ... ـل وصاد القطيعُ من دون راعي

ليس إلا قابيل يمشي رهيبَ الـ ... ـخطوِ نهبَ الأفكارِ والأوجاعِ

عَبَثاً يطرد الجريمةَ والمقـ ... ـتولَ عن ذهنه الأثيم المسيءِ

كلما قاتل الأسى عاودتْهُ ... في الدُجَى صرخةُ القتيل البريءِ

أولم تسمع الحقولُ صدى أنّـ ... ـة هابيل حين خرّ قتيلا

أولم يشهدِ القطيعُ على الجا ... ني ألم يبصرِ الدمَ المطلولا

أين هابيلُ؟ أين وقع خطى أغـ ... ـنامه في الجبال والوديان؟
ليس منه إلا ضريح كئيب ... شادهُ في العراء أولُ جانِ

يا لأحزان آدم عندما أبـ ... ـصرَ بابنيه قاتلاً وقتيلا
أيها المستطارُ لن تردعَ الأقـ ... ـدارَ حتى إذا بكيتَ طويلا

استرحْ أنت، نم دع القاتل الآ ... ثم يسكر على نشيش الدماء
لَعَناتُ القتيل لن تعرفَ الصمـ ... ـت غداً تستبدّ بالأحياء

لعنات تظل تصرخ بالثأ ... ر وتبقى تحزُّ في الأعصابِ
وتحيل الأيدي مخالبَ والأر ... ضَ قبوراً والناسَ محض ذئابِ

سوف يأتي جيل من الناس محمو ... مٌ يصيحُ الجنونُ في رغباته
يتمنى لو كانت الأرض لحماً ... ليصبَّ المزيدَ من طَعَناته

وانسياقُ الدماء يُغريه ما لذ ... ةُ هذي الشمالة المسمومهْ؟
إنها اللعنة القديمة أبقت ... في عروقِ الأبناء نبض الجريمهْ

ذلك النبض لن ينام إلى أن ... يترك الكون في الفضاء شظايا
ذلك النبض لو يحدّثُ عما ... سال في الأرض من دماء الضحايا

حدثينا يا فورة الشرّ في أعـ ... ـماق هذي السلالة العمياءِ

عن جنون الطموح يقتات من ضوء ... المآقي ويرتوي بالدماءِ

عن جمود الرجاء في أعين القتـ ... ـلى ولون الشرود والنسيان

العيونُ التي تحدّق في اللا ... شيءِ في غفلة من الأزمانِ

عن عيون كأنّ فيها فُتوراً ... ساخراً من وجودنا المجنونِ

وعيونٍ كأنها تقذف اللعنة ... والموت في لظى وجنونِ

وعيون ترسّب الصمتُ فيها ... وانطوى خلف لونها ألف سرٍّ

وعيون أخرى يضجُّ أساها ... ترمق الموت في ابتهال وذُعْرِ

والعيون التي تحدّق لا قسـ ... ـر لها لا بداية لا نهايه

والعيون التي استحالتْ رماداً ... مطفأً ليس في تلاشيه غايه

والعيون التي تحقّرُ في صمـ ... ـت وتلك التي تلوح ذهولا

والعيون التي يغلفها الحز ... نُ وتبكي شبابها المقتولا

والعيون التي يعفّرها الرمـ ... ـلُ وتمحو ضياءها الظلماتُ

والعيون التي تحدّق في الأر ... ضِ كأن ليس في الوجود حياةُ

وعيون العدل الصريع مع الأمـ ـوات بين الدمـاء والأشـلاءِ
من رآها استحال صخراً أصمّاً ميّت الحسّ خادر الأعضاءِ

أين أين المفرُّ من هاته الأعـ ـين من لونها العميق الرهيبِ
إنها لا تنام لا تعرف المو ت وتبقى في حقدها المشبوبِ

إنها لا تغضُّ أحداقها السو د وتبقى غضبى تفيض جنونا
إنها في السماءِ في الأرض في كل مكانٍ يحسّ بالميتينا

في هدوء العروق تصرخ في الليـ ـل وتعوى في كلّ قلب أصمٍّ
في جمود الضمائر الميتة الشلاَّءِ في كل قادمٍ مدلهمٍّ

ليس يقوى على فظاعتها النسـ ـيانُ فهي ارتجافة في الشعورِ
وانتصار في الروح يغلى جنونا وسياط تنصبُّ فوق الضميرِ

وكوابيسُ كالسَّعالي تجوسُ اللـ ـيلَ خلف استنامة اللاشعورِ
كلما أخلد الضميرُ إلى النو م أفاقت من كهفها المسحورِ

ودعت موكبَ الخطايا فسخّفَتْ من أقاصى الدُّجَى المخيف الجديبِ
موكب قاد خطوهُ الندم القا تل غرقانَ في جمود رهيبِ

أين أين المنجى؟ وكيف تنامُ الر وحُ فى ضجّةِ الضمير المُهانِ؟
أىّ نوم يذوق راحته الجلاّ دُ؟ هل للذنوبِ من نسيانِ؟

يا حبال الجلاّد لفّى على الأعـ ـناق أفعى الذنوب والآثامِ
انسجيها من رجع أغنية الأمـ ـوات من لعنةِ الجراحِ الدوامى

اجمعيها من كل عمر طوتهُ كفٌّ (آريس) وهو ما زال غضّا
القطى لحنها من الموكب الأخـ ـرسِ ما بين ثاكلين ومَرضى

من شفاه الأطفال تحلم بالمأ وَى وبالدفء فى رياحِ الشتاءِ
من عيون الصبيان ترسم فى الظلـ ـماءِ أحلامَ عودة الآباءِ

من جنون الرياح تعصف كالأقـ ـدار فوق الخرائب المنثوره
حيث كانت تقوم أبراج تلك الـ ـمدن العبقريّة المسحوره

حيث أمست تمتدّ مملكة النسـ ـيان والليل والمنايا السودِ
عالم يحكى التأكّل فيه ليس فيه غير الصدى من جديدِ

وأماسيه لا تمرّ كما كا نت عليها الأوتار والأقداحُ
إنها الآن مسكنُ الرُعب تأوى لذراها الرياح والأشباحُ

القصور البيضاء هبّت من الحُلْـ — ـم على منجل الردى القتّالِ
تتهاوى أحجارها السود في صمـ — ـتٍ وتنهار في سكون الليالي

ذلك الحلم في عيون الصبايا الـ — ـناعساتِ الأجفانِ والأعمارِ
حَصَدَتْهُ في الفجر قهقهةُ المد — فعِ فانهار خامدَ الأوتارِ

والشفاه العذراء أطبقها المو — تُ على لحنِ حبِّها المبتورِ
والجباه التي ذوت قبل أن يلـ — ـمَسَها إصبعُ الهوى المسحورِ

والخدود التي تعير مغيب الشمـ — ـسِ ألوانها وتسقي الشروقا
غارَ فيها جُرْحُ التراب عميقاً — وذوت قبل أن تذوق الرحيقا

والعيون الظمأى التي تشربِ الأنـ — ـجم منها وتستعير سناها
دفن الموت خلف أهدابها أغـ — ـنيةَ اللون وانطوت ذكراها

والأكف التي انطوت وهي ما زا — لت تحوك الطموح والأهواء
لم تزل غضّة أصابعها اللد — نة تستعصر الحصى والهواءَ

والقلوبِ التي بنت من صباها — معبداً للجمال والألحانِ
من ضبابِ الأحلام من ملمس الور — د ومن روعةِ الدجى الوسنان

في جنون ظلت تصفق شوقاً لرحيق المستقبل المجهولِ

فأفاقت على مطاردة المنـ ـجل في ميعة الصبا المعسولِ

وأطلّت إلهةُ الفجر أورو را على المشهد المثير الرهيب

لحظة ثم أطبق الأمس جفنيـ ـه على الحاضر المقيت الجديبِ

لحظة ثم نامت الأعينُ الشهلا ءُ واستسلمت إلى النسيانِ

وحشاها التراب صمتا وبردا بعد دفء الشعور والألوان

لحظةٌ ثم مرّغت مُدنُ الأحـ ـلام أبراجها الضخام القباب

في تراب الفوضى وعادت خيالاً مسحتْ رسمَهُ يدُ الأحقاب

حيث كان الجمال يفرش ضوء الشـ ـمسِ روحاً وفتنة وطيوفا

أصبحت ترسل الخرائب صوت الصـ ـمتِ والموت غيهبيّا مخيفا

حيث تمتدّ وحشةُ المُدُن الميـ ـتةِ صمّاءَ في جُمُودِ الصخورِ

كل شيء فيها تحوّل صمتا ليس فيه من خلجةٍ أو شعورِ

غير معنىً مكبّل ربما استيـ ـقظَ في رقدة الرخام الحزين

لا تعيه إلا النفوسُ التي تسـ ـمعُ همس الدجى وصوت السكونِ

لا تعيــــه إلا القلوبُ التي تقـ ـــرأ ســـرَّ الذهول في عـــينين

وتُحسَ البغضاء ترجف كأسا وتحسُّ الجنونَ في شـــفتين

هذه الأنفس العميقة تدرى أنّ سِـراً يشيع في الأحجار

وتواريخَ كـــامـــلاتٍ يغنيـ ـــهـا العمود الكابى لحزن الجدارِ

وتلال الأنقاض تروى الأقاصيـ ـــصَ لسمع الظلام والأشباح

عن مئات الخطى التي عبرت يو مــاً ومــاتت مع الدجى والرياح

عن أغانٍ مرّتْ بأعمدة الأبـ ـــهـاء غَرْقَى بالدفءِ والأحلامِ

ناعمات تغوص في رجعها الآ هاتُ سكرى الخطوط والأنغام

الأغانى التى تلامس خد الـ ـليل ملساءَ صافيات الشفاه

نام فيها لُغْزُ الجمال وأغفت فـتنة الحبّ والشباب اللاهي

جفّ عرق الحياة فيها وعادت ذكريات مطموسةَ الألحان

في زوايا الأنقاضِ تسردها الأعـ ـــمدةُ الباليـاتُ للجُدْرانِ

وتلولُ الأنقاض تروى الأقاصيـ ـــصَ لسمع الظلام والأشباح

عن فلول الذين عادوا من الحر بِ حطاماً وحفنةٌ من جراح

كيف مرّتْ على وجوههمُ الربـ ... ـداءِ كفّ الرَّدَى فلم تُبْقِ لونا
كيف عادوا يرتلون نشيدَ الـ ... ـموتِ ملءَ الفضاء لحناً فلحنا

كيف ألقى الحرمان ظلَّ السنين الصـ ... ـفرِ فوق العيون فوق الشفاه؟
ويدُ الموتِ كيف أبقتْ أساها ... وتراث الذهولِ فوق الجباهِ؟

وخطاهم كأن وقعَ صداها ... جرسُ الموت رنّ ملء الفضاء
منشداً للحياة أغنيةَ القَوْ ... ضىَ ولحن الجنائز السوداءِ

رَجَعوا في جباههم صُفْرةُ الأشـ ... ـباحِ يمشون في جمودٍ عميقِ
هذه الأعينُ الرماديةُ الأسْـ ... ـرارِ هل خلف صمتها من بريقِ؟

هل حديث عن الليالي البطيئا ... تِ وعن ثلجها الكثيف الثقيل
عن جليد الضباب ينهش جسمَ الـ ... ـصمت في ظلمة المساء الطويلِ

عن سهاد الأحزان في أعين الحرّ ... اسِ في الخندق الرهيب الدامي
رَسَبَ الليلُ فوق أهدابهم ثلـ ... ـجا ومات الإحساسُ في الأقدام

سهروا يرصدون أقبية الليـ ... ـلَ سكارى بالسهد والانتصار
مات في ذكرياتهم وتر الإحـ ... ـساس بالبرد والسكون العاري

يرصدون الحياة في ملل مرّ الـتلوى مـسنّ الأصـفـاد
كل عينين فيهما قصة تتْـلى وتروى للّيل سهد الرماد

والجنود الذين أغفوا مع الموتى وناموا على الثرى الثلجي
كل أحلامهم كوابيس من نار وقتلى ووحشة ودوىّ

ثم يأتي الصباحُ ثانيةً يصحَبُهُ الموتُ أسودَ الأنيابِ
من جديد يمرُّ يحصُدُ لا يُبْـقي على الأرض غير صمتِ الخرابِ

ويضيعُ المساءُ في ألف فجر ويضيع الصباح في ألف ليلِ
كلُّ شيء يذوي ونهار لا يُبْـقي على الأرض غيرَ ذكرىً وظلِّ

ويظلُّ السلام ذاتَ ضحىً حطّمه الليل والمدى المستحيل
ملء عينيه نعسة الحلم الخجـلان والصمت والرجاءُ الهزيلُ

السلام الحزين هذا الطريد الـشائه الخطو ما له من مَقَرّ
ذو العيون الزرقاء ينبع منها الشعرُ والحبُّ في صفاءِ وطهر

ها هو الآن يستقر على الأرض غريبا ممزغ الجنحين
في دماء السنين تتكئ الخيـبة في مقلتيه في الشفتينِ

يعبر الميتين والمُدنِ الصمّـ ـاءَ والجدب والأسى والذهولا
باسماً في مرارة ليس يدري كيف عاد الأمس القديم ذبولا؟

اتركوه يهيم في الجدب والفو ضى ويحصي الجراح والآهاتِ
اتركوه مضيعاً دونَ مأوى تائهاً في مجاهل الظُلُماتِ

يتغذى بالذكريات ويأوي لتلال الأنقاض والأشلاءِ
ويغني له الغراب نشيد الشـ ـرّ والموت في ارتداد المساءِ

أيُّ قلبٍ يؤويه؟ كيفَ يعيش الضـ ـوءُ في رفقه الدُجَى والشرورِ؟
كيفَ يحيا البياض في هذه الأو عية السود في خمودِ الصدورِ؟

أيُّ عينينِ تُدركانِ صَفَاهُ ونُحسّان سره المكنونا؟
هل تبقت إلا كهوف شقيّا تٍ تسمى مآقياً وعيونا

ملؤها اليأس والمرارة حيناً ملؤها الشرُّ والأذى أحيانا
أين يأوى السلام والحب؟ يا للـ ـحربِ لم تبق في الثرى إنسانا

ليس إلا قوافل من حَيارَى نام في ذكرياتهم كلُّ صوتِ
يذرعون الحياة في حيرة الأشـ ـباح يمشون ميتاً إثر ميتِ

بردت في عيـــونهم قـصـة الحب   وأبقت صمـتـا عميـقا طويلا

وخبتْ في جفونهم ومْضة المعـ   ـنى وأبقت غـشـاوة وذهولا

الحـيـاري لا يدركـون لماذا   يمـلأون الوجـودَ ضـحكا وحـزنا

وجنونُ الحـيـاة من أجلِ مـاذا؟   أي مـغزى وراءها؟ أي مـعنى؟

الحيـاري أبقت لهم قـصـة الحـ   ـب اضطرابا ممزقـا لا يقـر

وجحـودا يكادُ يكفُرُ بالرّو   ح وشكا في كل شيء يمـر

يعبـرون الأيام أجنحـة شـلاء   قـصـت زوابعُ الأيام

ريشها فهي في الثرى تبصر التحـ   ـليق في غـطّة من الأحلامِ

وانطوت في عيونهم قدرةُ التلـ   ـوين والخلق واصطياد المعاني

فـهم لا يرون مـا يختـفي خلـ   ـفَ جمودِ الأشياء من ألوانِ

ربما أبصروا على الأفق التعـ   ـسان قوسَ الأمطار يقطر شعرا

كل لونٍ يذيع في خاطر الغـيـ   ـم نشيدا يذوب شهدا وعطرا

وهم يسحبون أقدامهم فو   قَ تراب الملال والبغضاء

ومـآقيهم الرمادية الجد   باء قبر الجمال والإيحاءِ

اشـحبى يـا غـيـوم وانطفـئى يا　　مـقلة الشمس فى الفـضاء البـعيـد

ولمن يشـرق الجـمـال؟ أللنسـ　　ـيـان؟ للاحـتـراق؟ للتبـديد؟

ولمن تضـحك النجومُ؟ لمن تَسـ　　ـكبُ أهدابـهـا كـؤوس الضـيـاء

ولمن ترقـص الفـراشـات سكرى　　بعـيـون البنفـسج الـزرقـاء؟

ولمن هذه الـعـبـذوبة فـى الأز　　هارِ؟ فى نَعسةَ الشذى النشوانِ؟

فى غناء الجداول الـعـذبـة الوَسْـ　　ـنَى لأرض عـشـبـيـة الأحـضـان

فى ابتسام المروج بعد مساء　　ممطر الصمت دافئ الديجورِ

فى دموع الندى على زهرة بيـ　　ـضاءَ نامتْ على حفاف الغديرِ

ولمن تُرسلُ العصافيرُ لحن الـ　　ـحبِّ والضوء والشذىَ كل فجر؟

والحفيف المفتون إن لم توسد　　ه رؤانا لمن يذوبُ ويَسْـرى؟

أغنياءُ ولا مسامعَ تؤوى الـ　　لحن والحب فى كـؤوس الشعور؟

وجمال ولا عيون تحوك الـ　　ـحبَّ منه لحُلمها المسحورِ؟

وينابيعُ تسكب السكّر الذا　　ئبَ ماءً وليس من عطشان

وورودٌ حمراء يحترق العطـ　　ـرُ عليها فى الجدب والنسيان

ومهادٌ من الشذى رخصة العشـ ـب تذيع اخضرارها في الفراغ
وعطور تظل تجرفها الأمـ ـطارُ في عاصفِ الرياح الطاغي

كلُّ هذا العطر المبعثر ملء الأ رضِ ملء الحياة والآفاق
لم يعد يوقظ العروق التي أغـ ـفت عن اللونِ والسنا البراق

وانطوت فوق ذاتها ترقب الأيـ ـامَ مملوءةً أسى وملالا
الشعورُ العميق تدعوه وهماً وتسمى حب الجمال خيالا

هذه الأنفسُ الممزقةُ العمـ ـياء، هذي المدافن الجوفاءُ
هدّمتها مخالبُ الحربِ وامتصّـ ـت شذاها الدماءُ والأشلاءُ

وتبقت فيها مقابرُ للشر وللبأس جهمة الآفاق
عكست بعض جدبها وأساها صرخات الفراغ ملء المآقي

أين تمضي هذي الملايين في العتـ ـمة؟ ماذا يجرّها للمسير؟
ما معاني الألفاظ في صمتها الـ ـمسكون بالحزن والرجاء الكسير؟

إنهم يقطعونَ أرض الأسى والـ ـجَدْبِ حيث الجمالُ لا يستقرُّ
حيث فكُّ الملال يبتلعُ الألـ ـوانَ حيث الذكرى ظلام وشرٌّ

حيثُ يبني الفــراغُ عشّــا رَمَـاد يا وينمي فيــه الأذى والشـقــاء
وطيــورا شــوهاء حــاقــدة الأنــ ــغــام مملوءةَ الصّــدَى بغــضــاء

اشْــحبي يـا غـيـومُ وانطفـئي يا مقلة الشمس في الفضاء الفسيح
ودعــيـنا هنـا مع النقم السـو داء نهب الـسـهــاد والتــبـريح

في دوي الـرياح مـسوكــبنا يز حفُ نحــو الضــيـاء تحت الظلام
عــاثراً بالأشــلاء أشــلاء من مـا توا وأبقــوا هيــاكــلا مــن عظامِ

من بعـيـد خلف الـغـيـوم التي تغـ ـغــر فــاها في دربنا المجــهــولِ
ربّمـا لاح بارق كــــشــــراعٍ أبيضٍ الوعــد في الظلام الثــقـيل

بعض دفء نـاد يـسـيلُ عـلى الأفـ ـق وراءَ الـوهـادِ والآكـــامِ
بعضُ كـأسٍ تنالُ حــافـتـهـا البيـ ضـاءَ إغــمـاءةُ الشـفـاهِ الظوامي

ذلك النبعُ بعد هـذا السُّرَى العطـ ـشان بعـد الصـراع بعـد الجراحِ
لـو لمسناهُ لـو غـمــسـلنـا به كـلّ أســــانـا ويأسـنـا الملتـــاحِ

ذلك النـبعُ حـيـث نغـمـس شكوا نا ونَسْـقي تعطُّشَ الأحـــلامِ
من جـديدٍ نعيشُ تَعْـرِفُنا الريـ ـحُ وتتـلو نشــيـدَنا للغـمـامِ

من جديد يعودُ يَبْنى لنا التـا — ريخ فى ظلّه الفسيح مكانا

وتقول الحياةُ إن لنا ظلاً — لنا بعضَ قصّةٍ وكيانا

إننا لم نمرّ بالعالم الميـ — ـت صَرْعَى ولم نعش أمواتا

إنّ فى ذكرياتنا وتراً يخـ — ـفقُ بالضوءِ إنّ فيها حياةَ

ستقولُ الحياةُ إنّا مررنا — وملأنا الحياة شعراً وفنّاً

إن شيئاً منّا عميقاً سيبقى — فى سكونِ الوجودِ لحناً يُغَنّى

فى حفيف الأوراق تسحبها الريـ — ـحُ على الأرض فى وجوم الخريف

فى بروق الشتاء تقتحم الليـ — ـلَ وفى عاصف الرياحِ المخيفِ

فى ارتشاف الظلام للقمر الأبـ — ـيض فى الصيفِ فى سكون المساءِ

فى أغانى فلاّحين تجوبا — نِ مع الفجر دولة الأنداءِ

ستقول الحياة إنّا بحثنا — فى الدياجيرِ أشهراً وسنينا

عن رحيقٍ مغلّفٍ بالأساطيـ — ـرِ جَهِلْنا وعساهُ المكنونا

نحن ندعوه بالسعادة لكن — ليس منّا من ذاقَهُ أو رآهُ

ذلك اللُّغْزُ، ذلك الحُلُمُ المحـ — ـجوبُ خلفَ الضباب أين تراهُ؟

في أناشيدنا يعيش ضباباً   تائهاً في مدىً فسيحٍ عريضِ
في حكاياتنا يَظَلُّ أساطيـ   ـرَ ولُغزاً محجّباً بالغموضِ

نتغنّى به ونجهل ما كُنْـ   ـهُ شذاهُ وأين يحيا ضياهُ؟
أهو جنيّةٌ مجنّحَةُ الأقـ   ـدام تحيا في عالم لا نراه؟

من حرير السحاب أثوابُها النا   عمةُ النَسْج من خدودِ الزهور
من جنّاح الفراش ملمسُ خدّيـ   ـها ومن رقّة الشّذى المسحورِ

مقلتاها العميقتان وجودٌ   أزرقُ اللون ناعمٌ وُضّاءُ
منهما تنبعُ السماءُ ولونُ الـ   ـبحر من نَعْسَتيهما الأضواءُ

من غبار النجوم جدرانُ مأوا   ها الغريب المَشيد فوق الزمانِ
في مكانٍ من الوجود على با   بِ رؤاهُ يضيعُ حدُّ المكانِ

وعلى رأسها جدائلُ بيض الـ   ـعطر من زنبق غريبِ الرُّواء
أنبتته حدائقُ القمر النا   ئي لتلك الجنّية البيضاء

ويداها المسحورتان تقودا   نِ النجومَ الشقراء عبر الفضاء
وتسوقان ركب أحلامنا الحو   راءِ نحو الضياع والانطفاء

تلكَ جنيّة السعادة في قصـ ـرٍ بعيد يقومُ خلف الغيوم

عنده تنتهي رغائبُنا الولـ ـهى وأشتاتُ حُلمنا المحطوم

وعلى سوره تصبُّ أمانيـ ـنا وأشواقُنا ونارُ صبانا

في انفعالٍ نَدُقُّ أبوابَهُ الصمـ ـاء والصمتُ ساخرٌ من أسانا

وهي تلك الجنيّةُ الفظّةُ الوحـ ـشيةُ القلب من بنات السَعالي

ربّما اقتاتَ روحُها بصدى آ هاتنا في الفراغ ملءَ الليالي

ربّما شيّدتْ أريكتَها الفضّـ ـيّةَ النَسج من حُطام مُنانا

ربّما لوّنت ملابسها الفجـ ـريّة اللونِ من لهيب دمانا

وصداها ترويه من عطَش السا رينَ في كل قفرة ربداءِ

وتغذّي نيرانَ موقدها من كل حُلمٍ نصوغُهُ ورجاءِ

هذه الربةُ النحاسيّةُ الإحـ ـساسِ لو لانَ قلبُها الصخريُّ

لو أراقَتْ ضياءَها فوقَ هذي الأ رضِ وافترَّ وجهُها الزنبقيُّ

لو حنَا سمعُها وأصغى إلى رَجْـ ـعِ الأغاني المُسَوَّداتِ الرنينِ

يتلوّى الحنينُ فيها وينسا بُ كأمواج جدولٍ مفتونِ

أرسلتــهــا حناجــرٌ نــسـيت أنّ — الأغـــانى قـــد لاتـكون بـكاء

لم تعــد تعــرف العـذوبة فـاليـأ — سُ حَشَّاها خَشـونة وازدراءَ

آه اصـــــغى يا ربّـةَ الأفُـق المقـ — ـقـودِ من سـتـرك الذى لا يُزاحُ

ربّمـــا لـم تزل حـناجـــرنـا تمـ — ـلكُ لحنـاً لم تبــتلعــهُ الجـراحُ

وانظرى من ضباب قـصرك من لُغْـ — ـزكِ من صـمـت جـوِّك المجهولِ

أرسلى نظـرةً كـمـا يعـبرُ البـر — ـقُ إلينـا من جَـفْنك المعســولِ

نحن جـئنـا بيـأسنا بأمـانيـ — ـنا بأشـلاء أمسنا المدفـونِ

الملايينُ مُـرْسلين مع الأحـ — ـزانِ حُلْمَ المستقبل الموهونِ

نداء إلى السعادة

يا ضباباً من الشذى الشفّافِ
يا جمالاً بلا حدودْ
يا رفيفاً معطّراً في ضفافِ
ليس يدري بها الوجودْ

أين تحيينَ في شغافِ الغيومِ
حيثُ لايبلغُ الخيالْ؟
أم تجوبينَ في بحار النجومِ
زورقاً يعبُدُ الجمال؟

أسدلي شَعْرَكِ الطويل الطرّيا
خُصُلاتٍ من الحريرْ
وأريقي اشقرارَها الغيميّا
يفرش الكونَ بالعبير

وأزيحي أهدابَكِ العبِقاتِ
عن أساطيرِ مقلتينْ
ملء لونيهما اندفاعُ حياةٍ
وائتلاقاتُ كوكبينْ

يا جبيناً ملوّناً بالمعاني
حجبتْ سحرَهُ الغيومْ
يا عبيراً نشوانَ بالألحانِ
يا خدوداً من النجومْ

من ضبابِ الرؤى إلينا إلينا
قبل أن نُزْمعَ الرحيلْ
وابسطي ظلَّكِ الحنونَ علينا
ظلَّكِ الدافئَ الجميلْ

نحن في ميْعة الصباحِ سنمضي
قبل أن تفرَغَ الكؤوسْ
وركابُ الديدان في كلِّ أرضٍ
لم تزلْ تحفرُ الرُّموسْ

ووراء السياج ينعق بومٌ

ملء عينيه أحجياتٌ

رنَّ في صوته الصَدَى المشؤومُ

دون أن تعلمَ الحياةْ

والسكونُ العميقُ ملءالوجودِ

جامدٌ يرصُدُ الحياه

يتغذى بكل لحنٍ سعيدِ

لَمَسَتْ عطرَهُ الشّفاهْ

وزهور الحقول تحمل سراً

بذرةَ الموتِ والذبولْ

لحظةً في الصباح تقطُرُ عِطرا

ثم يمضي بها الأفول

وكؤوسُ الهوى المعطرِ تَسْقي

عسلَ الحبّ لحظتينْ

يختفي بعدها الرحيقُ ويبقى

في فمِ الكأسِ غُصَّتَيْنْ

وارتعاشُ الظلالِ فوق السواقي
سوف يمضي به الشَفَقْ
والجمَالُ الذي يُظِلُّ المآقي
ربّما غاله الأرق

والأغاريدُ قد يرنُّ صداها
لحظات مع الصَّبَاحْ
وزهورُ المروجِ عُمْرُ شذاها
ليس أبقى من الرياحْ

نحن نحيا في عالمٍ من ظلالِ
عابرٍ نَسْجِ عنكبوتْ
كالعصافيرِ في ربيعِ الدوالي
نتغنّى لكي نموتْ

فامنحينا رؤياكِ قبلَ الرحيلِ
يا ابنةَ الحبِّ والخيالْ
لحظة عند نبعك المعسول
نغسلُ اليأسَ بالجمالْ

علّنا من رحيق عينيك نَسْقى
عَطَشَ الروحِ والشفاهْ
وعلى مُلْتَقى سواقيك نُلقى
عبءِ ما شَجَّتِ الحياهْ

علَّنا بازْرقاقِ عينيك نبني
من جديد لنا سماءْ
علَّنا باشْقرارِ شَعْرِكِ نُفْني
سطوةَ الليلِ والفَنَاءْ

آه مُدِّي يديك مدِّي يديكِ
كلُّ شيءٍ هنا يضيعْ
وانبجاسُ النعيم من شفتيكِ
كيف نُبْقيهِ للربيعْ؟

وهنا تغربُ النجومُ وتَذْوى
في الدُجَى رقصةُ القَمَرْ
وكؤوس الأزهار في الحق تَهْوى
هكذا يحكمُ القَدَرْ

فى شعابِ الظلامِ نبقَى نسيرُ
أينَ أوّاهُ تهربينْ؟
قصرُكِ الزئبقيُّ أينَ يغورُ؟
كلَّما كاد أن يَبينْ

فيمَ، كالماءِ في رمالِ الصحارى،
لَحَظاتٍ وتَنْضَبينْ؟
كشُرُوقِ الهلالِ، كالأزهارِ
كخيالاتِ حالمينْ؟

ولماذا، إن جئتِ بعدَ العذابِ،
يقتفى خطوَكِ القلقْ؟
فيحسَّ الفؤادُ ظلَّ اكتئاب
كغيومٍ على الأُفُقْ؟

وذراعاكِ فيم بالسُّمِّ تهمى
حينما تملأُ الكؤوسْ؟
كلُّ كأسٍ وفيه قطرةُ همٍّ
ما زجتْ نشوةَ النفوسْ

كلُّ لونٍ تعيشُ خلفَ صفائه
ظلمةٌ تأكلُ الجمالْ
كلُّ حبٍّ يضمُّ خلفَ انتشائه
بذرةَ الموتِ والزوالْ

اهبطي يا أنشودةَ الحالمينا
من فضاكِ المورَّدِ
وامسحي مرةً صدَى الظامئينا
في دُجَى ضائعِ الغدِ

وسنبني هنا معابدَ بيضا
فوق أرضٍ من الرجاءْ
غسلتْ صدْرَها الفسيحَ العريضا
أدمعُ اليأسِ والشقاءْ

علَّنا مرةً نذوقُ شذاكْ
بعد هذا الصدَى الطويلْ
والشقاءُ الظمآن لشَهْد نداكَ
نلمسُ الكوثَرَ الجميلْ

■■■

فى غبار الحياة، في مَزْلق الأيـ ـام فى كل معبرٍ مسكونِ
رنَّ هذا النشيدُ مُختلج التر ديد نشوانَ بالأسى والحنينِ

وشَدَتْهُ القرونُ منذ رأى الفجـ ـر بعينيْ حواءَ أولَ حُزْنِ
منذُ رنَّتْ فؤوسُ آدم فى الصخـ ـر ولم تَبقَ فسحةٌ للتمنى

منذُ مرّت قوافلُ البشر الأو لى وعمرُ الوجود بضعُ سنينِ
عبروا يبحثون عنها عن الجنَّـ ـيةِ الزئبقية التكوين

باسمها يحرثون من أجل عينيـ ـها أحبّوا حتّى أكتئابَ الرحيل
ثم ماتوا وأوْرثونا هَواها وخفايا كيانِها المستحيلِ

حدّثونا عنها فقالوا فتاةٌ غَمَسَتْ فى الحرير شوق صباها
ليس تَقوى على الحياة إذا جا عتْ إلى رقّةِ القصور رؤاها

فهى للأغنياء تبسط من أهـ ـدابها الناعمات ألفَ خميلِ
وعلى شعرها العبيرى يقضو ن لياليهمو كحلم جميلِ

ثم قالوا جنيةٌ تتبع الرهـ ... ـبان والزاهدين حيث أفاءوا
مثلَهم تعشقُ السكونَ ويرضيـ ... ـها مكانَ النعيم خبزٌ وماءُ

من تراتيلهم تشيّد مأوىً ... ظللتهُ سكينةٌ ديريه
من بَخور الكُهّانِ جدرانه البيـ ... ـضُ ومن خشعة الشموع التقيّه

وسواهم يظنّها ربّةَ الريـ ... ـفِ وبنت الثرى وأخت الوهادِ
ليس يروى إحساسها غيرُ جوٍّ ... أثقلتْ عطرَهُ أغاني الحصادِ

من كؤوسِ الأزهار حمرةُ خديّـ ... ـها وتأوى إلى بيوتِ الفراشِ
وتغنى لها النواعيرُ والشمـ ... ـسُ إذا قبّلَتْ ذُرى الأحراشِ

وسواهم يروى الحكايات عنها ... كيف تحيا فى عالم النغماتِ
من بكاء الأوتار تنسجُ أُرجو ... حَتَها الكوكبيّة الرَعَشاتِ

ويقولون إنّ مسكنها الأعـ ... ـلى خيالاتُ شاعر مسحورِ
ظَلّلَتْ روحَهُ جدائلُها الشُقـ ... ـرُ وأسرارُ طرفها البلُّوري

وقلوب تَظنُّها ربّةَ الحبّ ... تصبُّ الرحيقَ للعشاقِ
ويقولون إنّهم شهدوها ... تسكبُ الظلّ فى هَجير الفراقِ

وَرأوها تهشُّ في مقلتي (قيـ ... ـس) مع الدمع والضباب الثقيل
وأحسوا كيانها المرحَ الرا ... قص في حزن (توبة) و(جميل)

ومئاتٌ تُحسُّها في شفاه الـ ... ـكأسِ في غمرةٍ من الهَذَيانِ
في ضَبابِ الجنونِ، في دولة الأجـ ... ـسادِ في عالَمٍ من الأدرانِ

ومئات ترجو العثور عليها ... في زوايا النفوس خلف دجاها
في دروبٍ دكناءَ يَجْهَدُ ضوءُ الـ ... ـقمرِ الطفلِ أن يَمسَّ ثَراها

في خفايا مغمورة عنكبوت الـ ... ـشر ألفى فيها سريراً مريحا
وركاب (السيرين) آوت إليها ... والثعابين أثقلتْها فحيحا

صلاة إلى بلاوتس

(إله الذهب)

من ضفاف الدُّجَى الأُخَرْ | نحن جئناكَ لاهين
واقتفينا خُطَى القَمَرْ | فوق أرضٍ من الإبر
في دياجيرَ من أنين

الصحاري رمتْ بنا | في متاهاتها الغلاظْ
رملُها في جلودنا | في حنايا جفوننا
لم يزل يسكبُ الشواظ

والأعاصيرُ والرياح | تركتْ في جباهنا
من سكاكينها جراحْ | وأراقت مع النواحْ
ملحَها في شفاهنا

كلما رقَّ الكلالْ | بحّةَ الموتِ في نشيد
وحَنَتْ أذرعُ الرمال | فوقَ أجسامنا الثقالْ
عبئَها الساحقَ المبيدْ

رنَّ في أُفْــــقنـــا صَـــدَى　　من رنينِ اســـمك الأحبْ
فــمــضــينا إلى المَــدَى　　فـــي صــراعٍ مــع الـــــرَّدَى
باسم معبودنا الذهب

هكذا يـمّـموا إلى الشـرق آلا　　فـا جـيـاعـاً للمنبع المزعومِ
يقطعون الآكامَ ترسيهمُ الصحـ　　ـراءُ من حـيرةٍ ليأسٍ أليمِ

ضَلَّلتهم أسطورةٌ عن مكانٍ　　خلفَ بعضِ الجبالِ في حضن وادِ
حيث يجري نهرٌ من التبر مسحو　　رٌ طوتْ سرَّهُ صخورُ الوهادِ

قطرةٌ منه تمنحُ الكفَّ لمساً　　ذهبيَّ التأثير في الأشياءِ
والزهور التي تحفّ بشطّيه　　شظايا كواكبٍ بيضاءِ

أين هذا الوادي؟ وضجَّ فضاءُ الصـ　　ـمتِ والليل والمدى بالسؤالِ
أين هذا الوادي؟ وساروا يجرّو　　ن قيوداً من الرِّغابِ الثقالِ

في سكون يلوذ كلٌّ بسرٍّ　　ذهبيَّ الوشاحِ والتلوين
حالماً في الظلام بالجدول المو　　عودِ في عاصفٍ عميق الحنين

من خـيالاته يصوغ على الأفْـ ... ـق قلاعاً فضَّية الأبوابِ
وبلادا وديانُها تُنبتُ التبـ ... ـرَ مكانَ الأشجار والأعشابِ

ومكان الفراش تسرحُ أطيا ... رُ رقاق تبسريَّةَ الأبدان
ومكان القطيع تحيا وعول ... مترفات فضية السيقان

فى خفايا هذا المكان الخرافى ... أساطيرُ قلعة مسحوره
من تراث الإغريق شيدها (فلـ ... كان) سرا فى أعصر مطموره

وبناها على رَوَابٍ من المعـ ... ـدن منحوتةَ الذُرَى سوداءَ
ناعمات على مزالقها تصـ ... ـقلُ (فيكا) خدودها الملساءَ

هى برجٌ عَلَتْ حواليه أشجا ... رٌ ضخامٌ تَمَسُّ أفقَ النجومِ
وتَمَتْ فى أنحائه الكوكبيّا ... تِ أساطيرُ عن زمانٍ قديمِ

ويقولون إنّ جدرانها الغا ... مضة اللونِ من لآلي البحارِ
جمعتها عرائسُ الماءِ من أعـ ... ـماقِ بحرٍ مُطَلّسم الأسرارِ

ويقولون إنّ أبوابَها المُقْـ ... ـفلةَ الصمتِ فوق أروعِ سرٍّ
نُزعتْ من جُدرانِ قصرِ سميرا ... ميسَ فى ليلِ بابلٍ ذاتَ عصرِ

والقبابُ الضخامُ من خَشَبِ الجو — زِ الشــذيِّ المعطّرِ الألواحِ
من شِعابِ الهندِ الملفّعةِ الغا — باتِ بالذكرياتِ والأشباحِ

هذه القلعةُ الضبابيةُ الشكـ — ـلِ إليها يضيعُ خطوُ الساري
ليس يدري مكان سلّمها العا — لي رواةُ الألغازِ والأخبارِ

ليس يدرونَ كيف يبلغُها سا — كنُها الصامتُ الغريبُ الطباعِ
ذلك الأعرجُ البطيءُ الخطى يَسْـ — ـبقُهُ النملُ – إنْ مَشَى – والأفاعي

٥

ذلكَ العاجزُ الكفيفُ الذي يَمْـ — ـنحُ من لا يَرَى كنوزاً ضخاما
ليس يَعنيه أن يُسلّمها شـ — ـخاً بخيلاً أو قاتلاً أو غلاما

ذلك الشيخ، كيف يصعدُ أين الـ — ـضبابُ؟ أينَ السلالمُ السحريّه؟
أتراهُ –كما يقولونَ– يؤوي — بين جُدرانِ قصرِهِ جنّيه؟

شعرُها –هكذا رَوَوْا– باركتْهُ — من قنانِ (الأولمب) أيدٍ خفيّه
فنما كالحياةِ ثَرّاً غزيراً — أبديَّ المسيلِ كالأبديّه

وغا كالضياء كالبحر يمتدّ — سحيق السواد دون انتهاءِ
إن أرادتْ شدّتْ به القَمَرَ النا — ئي إلى الأرضِ أو إلى الجوزاءِ

ذلك الشَّعْرُ رُبَّما أرسلتْهُ سلّماً للضرير كلّ مساءِ
يتخطّى عليه مرتعشَ الخَطْوِ مراقي تلك الرُّبى الملساءِ

أرسلي يا طويلةَ الشعر يا سمراءُ إحدى الجدائلِ المسحوره
وارفعي الهائمين بالذّهب البرّاقِ من هذه الوهادِ الكسيره

أو أطلّي يوماً بوجهك، بالفتنة والصمت في مَدَى أحداقكْ
وأعيدي على الجموع أقاصيصَ عن الهالكينَ من عُشّاقك

حدّثيهم عن ذلك الملكِ الغابرِ (ميداس) كيفَ كان مصيرُهْ؟
أين ساقتْهُ شهوةُ الذهبِ العمياءُ ماذا جنّى عليه غرورُهْ

جُنَّ بالتبر لم يعُدْ يعشق الأنجمَ إلاَّ إن أذكرتْهُ سَنَاهُ
وازرقاقُ الغيومِ والبحرِ ما عادَ مثيراً لحبِّه ورؤاهُ

واخضرارُ الجبال أصبحَ يؤذي روحَهُ، والزهورُ لا تَرْويه
فهو عطشانُ يدفعُ الذهبُ الوهاجُ أحلامَهُ إلى ألف تيهِ

ودَّ لو حوّلَ الخدودَ وأهدابَ العيونِ الكحلاءِ تبراً نقيّا
واشقرارَ الآفاقِ، والشَّفقَ الخجلانَ والشوقَ نائماً في مُحَيّا

والشفاهُ الحمراءُ ينضحُ منها الـ　　فـهُ كم ودَّ لو تحولن سرّا
ذهباً تجمدُ الشفاهُ عليه　　قُبَلاً كالرخامِ يقطرن تبرا

حدّثيهم وكيفَ ذاتَ مساءٍ　　كان (مَيداس) لاهثَ المقلتينِ
يلمسُ الكنزَ في انفعالٍ جنونيٍّ　　وفي كفّه لَظَى شفتيْنِ

وأزاح المساءُ ستْرَ دجاهُ　　عن صبيٍّ من عالَمِ الأطيافِ
في استداراتِ وجهِهِ المخمليّ الـ　　لونِ إبراقُ مَنْبَعٍ شفّافِ

وعلى رأسِهِ جدائلُ شعرٍ　　ذهبيٌّ يغار منه الفتونُ
وسماءٌ في مقلتَيْهِ من الزرْ　　قةِ والعُمْقِ لم تنلها عيونُ

«عِمْ مساءً» وأجفلَ الملكُ الشيـ　　ـخُ وماتَ البريقُ في عينيه
غير أصداءِ بحّةٍ حشرجتْ وانـ　　ـطلقَتْ صرخةٌ على شفتَيْهِ

أيُّ بابٍ قادتْ خُطى الوافد المجـ　　ـهولِ؟ هل جاءَ من شقوق الجدار؟
أم تَراهُ خيالةٌ جسّدتها　　فتنةُ الكنزِ وائتلاقُ النُّضارِ؟

«عِمْ مساءً ميداسُ» مَنْ أنت ماذا　　تبتغيهِ في قبوِيَ المجهولِ؟»
وأجابَ الطيفُ الكريمُ: «أنا أمـ　　ـلك تحقيقَ كلِّ حُلمٍ جميلِ

أنا ربّ التمنّيات شفاهي تملكُ المستحيلَ والأبعادا
في ذراعيَّ قدرةُ الخَلْقِ لو شئـ ـتُ لحوّلتُ كلَّ حيٍّ جَمادا

ملءُ كفّي الورودُ والذهبُ الوهّـ ـاجُ واللونُ والشّبابُ الطريُّ
كلَّ ما شئتَ فاقترحْ تهبط الأفـ ـلاكُ والأفْقُ والسَّنا الكوكبيُّ

أرأيتَ الأغصانَ في قَبْضة الإعـ ـصار تهتزُّ وردةً بعد ورده؟
أرأيتَ النعيم في قلب رحّا ل سنينٍ وآتاهُ حُلْم العوده؟

هكذا لوّنَ الحماسُ خدودَ الـ ـملك الغِرِّ وهو يسمعُ هذا
وجثا ضارعاً وصاحَ: «حنانيـ ـكَ ملاكي ماذا سؤالُكَ ماذا

أعط هذي اليدَ المشوقةَ لمساً ذهبيّاً وقوّةً من سحرِ
دع ذراعيَّ لا تمسّان إلاّ لتُعيدا الأشياءَ عالَمَ تبرِ

إيهِ ميداسُ، أيّها الملكُ الأحـ ـمقُ ماذا جنيتَ؟ أيُّ غرورِ؟
ارقبِ الآنَ مطلعَ الفجرِ وانظر كيف عُقبى خيالِكَ المغرورِ

في غدٍ تستحيلُ أشجارُكَ الحبـ ـةُ تبراً تعافُه الأنداءُ
وسواقي المياهِ تجمدُ صفرا ءَ كصحراءَ جفَّ فيها الماءُ

ودموعُ النّدَى تعودُ حَصىً صلْـ ـبـاً ولينُ الورودِ يُصْبِحُ صلدا
ورحيقُ الكرومِ يجمدُ كالصَخْـ ـرِ ودفءُ الأعشاشِ يُصْبِح بَرْدا

وحريرُ الستائرِ اللُّدْنِ يغدو جامداً لا ليونةٌ لا انثيالا
و(نهاوندُ) بتُك العذبةُ الجذ لى ستغدو في لحظةٍ تمثالا

هكذا تنتهي خيالاتُكَ التبـ ـرِيّةُ الصُفْـرُ للأسى الأبديِّ
فاشربِ الآنَ خمرةَ الندمِ البا رِدِ واسكَرْ بِحُلْمِكَ الذهبيِّ

أنشودة الرهبان

نحنُ بالأمسِ تركنا صِبَانا	ووهبنا للسماءِ هوانا
ودفنّا كلّ حبٍّ عميقٍ	في مكانٍ لا تعيه رؤانا
ولففْنا في ذهولٍ أبيدٍ	كلّ دربٍ قطعتْهُ خطانا
وأصرنا للسكونِ نشيداً	بشريّاً كان ملءَ منانا

لا تَسلْنا عن طَراوة أمسِ	عن معاني ألف كأسٍ وكأسِ
عن عيونٍ مرحات الأماني	نثرت في عمرنا دفءَ شمسِ
عن شفاهٍ في برودةِ فجرِ	مَطَريٌّ الصمت لمياءَ لُعْسِ
عن خدودٍ دافئاتٍ عذابٍ	كخدودِ الوَرْدِ رقّةَ لمسِ

نحن ضيّعنا روابيَ حُلوه	ودفنّا الحبَّ في كلِّ ربوه
ثم تهنا في مسالكِ حُلْمٍ	وأفقنا عند حافةِ هوّه
وشربنا اللونَ والعطرَ حتى	مادت الكاساتُ تَنْضَحُ شقوه
فأتينا الدير صرْعَى حَيَارَى	علَّ في ديجورِهِ بعضَ سلوه

هذه يا حياةُ مملكةُ الرهـ	ـبانِ في عزلةٍ وفي اكفهرارِ
دفنوها وكاد ينسى رعايا	ها الحَيَارَى حتى ضياءُ النهارِ

شيّدوها من كلِّ لفتةِ شوقٍ ... في العيون الحبيسة المحرومه
وسقوا أرضها الجديبة من بر ... كانِ تلك العواطفِ المكتومه

وحَمَوْها من أن تغازلَها الشمـ ... ـسُ بألوانها ولينِ شذاها
وأبوا أن يلامسَ القمرُ المُنْـ ... ـفعلُ الضوءِ في المساءِ دجاها

وتمنّوا ألاّ تمرَّ بها ريـ ... ـحٌ عبيريّةُ الصدى والنشيدِ
فشفاهُ الرياحِ تكمن فيها ... قُبَلٌ عذْبةٌ وذكرى خدودِ

وتمنّوا أن يُقْفلَ الليلُ عينيه ... وتخبو نجومُهُ السحريّه
فعيونُ النجوم تُغْوى بأهدا ... بِ حريريّةِ الرؤى قمريّة

وهم يمقتون أن تشرب النحـ ... ـلةُ شهدَ الأزهار كلَّ صباحِ
فرحيقُ الورود في شرعهم خمـ ... ـرٌ تُريقُ السُّموم في الأرواحِ

والعطورُ السكرى ألم تنبعِ الأحـ ... ـزانُ بعد ارتشافها والجراحُ
إنّها كالنبيذ تُسْكِرُ تُذْكي ... من حنين الجمالِ ما لا يُباحُ

وغناءُ القنابرِ الذاهلَ المبـ ... ـهورُ -في عرفهم- نداءُ خطايا
في ثناياه آهةٌ كسَّرَ الحبُّ ... صداها وفيه نجوى صبايا

وخـدودُ الفـجـر المورَّدةُ النا ... عـمـةُ الدفء والشـذَى والرحيقِ
حـرمَّوهـا فـقـد تمرُّ على الزهـ ... ـدِ فتُصْحيـه من سُبَاتٍ عميقِ

وأقاموا سوراً ليمنعَ عنهم ... كلُّ ذكرىً من كلِّ أمسٍ بعيـد
وأرادوه حارساً يطردُ العطـ ... ـر ويَحْمى من النسيمِ البَرُودِ

وأباحوا أيّامهم لـيـد الصـمـ ... ـت الرصاصية العروق الثقيله
وأقاموهُ حاكماً مُخلبيَّ الـ ... ـحكم لاذت به المُنَى المقتوله

إنه الديرُ فيه يتـصـرُ المو ... تُ وفي قـبـوه يعيش الآهُ
في خفاياه، في ممّراته السـو ... د الحزينات لا يعيش اللهُ

مسكنُ الصمتِ والكآبة والجَدْ ... ب ومأوَى الرغائب المدفونه
وصراعٌ مع العواصفِ تُضْحى ... نارُهُ أذرعَ الليالي اللعينه

ذلك العنكبوتُ ذو الأرجُلِ الفظّ ... ـةِ هل منه مهربٌ أو ملاذُ
إنه من دمائهم يتغذَّى ... وهو من قلب أمْسِهم أفلاذُ

إنه حبُّهم يعود إليهمْ ... ينسجُ الذكرياتِ والأهواءَ
لا تطيق الأسوارُ ردَّ خُطاهُ ... فهو قد خالطَ الرؤى والدماءَ

وهو حيناً عينانِ صافيتا اللو ... ن كأعماقِ بركةٍ صيفيّه
أو شفاهٍ من قعرِ حُلْمٍ بعيدٍ ... أو يدٍ لدنةِ البياضِ شهيه

ذلك العنكبوتُ كم عادَ وجهاً ... عكستْهُ للراهبينَ الكؤوسْ
إنّه وجهُها، أينسَوْنَ؟ هذي ... ربّةُ الدير، هذه تايِيسْ

أغنية تاييس

من خيوطِ الضوءِ أرديتي ... ومن الأزهارِ الواني
الهوى المبهورُ في شفتي ... عصرتهُ كفُّ شيطانِ
ولهاثُ الورد أغنيتي ... وخفايا عالمٍ ثانِ

وخلودي مُخملٌ لَدِنٌ ... بقعتهُ حمرةٌ خجلى
من شذاها ينبعُ اللونُ ... ويرشُّ الوردةَ الجذلى
وأنا اللذّةُ والأمنُ ... للرياح العذبةِ الكسلى

وشفاهي ها هنا اللينُ ... ورؤىً صيفيةٌ لَدِنَه
إنها إن شئت سكّين ... وإذا شئتَ رقًى فتنه
وذراعايَ أفانين ... فيهما النشوةُ واللعنه

من قديمٍ عَشِقَ الديرُ ... ضحكاتي واستطاب اسمي
ذكرياتٌ ما لها غَورُ ... رسخت في الدمِ والعظمِ
أأنا النقمة والشرُّ ... لم يُضنيكم إذنْ رسمي؟

راهبُ الأمسِ أتنساه؟ كيف أشعلتُ أحاسيسَهْ؟
ما حياةُ الدير؟ ما اللهُ؟ إن أنا أصبحتُ تايسهْ
وهَوَى في ركبِ من تاهوا وهبطتُ الخُلْدَ قدِّيسهْ

أغنية للإنسان

- ٢ -

"نظمت هذه القصيدة عام ١٩٦٥ عدا الأبيات المنسوخة

من مأساة الحياة في القسم الأول من القصيدة"

عَبثاً تَحْلُمين شاعرتي ما من صباحٍ لليلِ هذا الوجودِ
عبثاً تسألينَ لن يُكْشَفَ السرُّ ولن تنعمي بفكِّ القُيودِ

في ظلالِ الصَّفْصافِ قَضيْتِ ساعا تٍ حَيْرى تُمضُّكِ الأسرارُ
تسألينَ الظِّلالَ والظِّلُّ لا يعـ ـلمُ شيئاً وتعلمُ الأقدارُ

أبداً تنظرينَ للأُفُقِ المجـ ـهولِ حيْرَى فهل تَجَلَّى الخفيُّ؟
أبداً تسألينَ والقَدَرُ السا خرُ صمْتٌ مستغلِقٌ أبديُّ

فيمَ لا تيأسينَ؟ ما أدرك الأسـ ـرارَ قلبٌ من قبلُ كي تُدْرِكيها
أسفاً يا فتاةُ! لن تفهمي الأيـ ـامَ فلتقنعي بأن تجهليها

اتركي الزورقَ الكليلَ تُسيِّرْ هُ أكُفُّ الأقدار كيف تشاءُ
ما الذي نلتِ من مصارعَةِ المو جِ؟ وهل نامَ عن مناكِ الشقاءُ؟

آهِ يا من ضاعتْ حياتُكِ في الأحـ ـلامِ ماذا جنيتِ غيرِ الملالِ؟
لم يَزَلْ سرُّها دفيناً فيا ضَيْـ ـعةَ عُمْرٍ بدّدتِهِ في السؤالِ

هو سرُّ الحياة دقَّ على الأفـ ـهام حتى ضاقتْ به الحُكَماءُ
فـا يأسي يا فتاةُ، ما فُهِمَتْ من قبلُ أسرارُها فـفيمَ الرَّجَاءُ؟

جاء من قبلِ أن تجيئي إلى الدنْـ ـيا ملايينُ ثم زالوا وبادوا
ليتَ شِعري ماذا جَنَوْا من لياليـ ـهِمْ؟ وأينَ الأفراحُ والأعيادُ؟

ليس منهم إلا قبورٌ حزيناتٌ أُقيمت على ضفاف الحياةِ
رَحَلوا عن حِمى الوجود ولاذوا في سكونٍ بعالَمِ الأمواتِ

كم أطافَ الليلُ الكئيبُ على الجوِّ وكم أذعنَتْ له الأكوانُ
شَهِدَ الليلُ أنّه مثلما كا نَ فأينَ الذين بالأمسِ كانوا؟

كيف يا دهرُ تنطفي بين كفَّيْـ ـكَ الأماني وتخمدُ الأحلامُ
كيفَ تذوي القلوبُ وهي ضياءٌ ويعيشُ الظلامُ وهو ظلامُ؟

كيف تحيا الأشواكُ والزهَرُ الفا تنُ يَذوي في قبضة الإعصارِ
كيف تمضي إلى الفناءِ الأناشيـ ـدُ وتبقى سُخريَّةُ الأقدارِ

حدّثي القلبَ أنتِ أيتها المأ ساةُ يا من قد سُمِّيَتْ بالحياةِ
ما الذي تصنعين بي في الغدِ المجـ ـهولِ؟ ماذا ترى مصيرُ رُفاتي؟

أيَّ قبرٍ أعددتِ لي؟ أهو كهفٌ ... ملءُ أنحائه الظلامُ الداجي؟
أم ترى زورقي سيغرقُ بي يو ... ماً فأثوى فى ظلمة الأثباجِ

وغرامى بالسرِّ يصرخُ من أيـ ... ـنَ؟ إلى أين؟ ما مصيرُ حياتى؟
وأمامى أفقٌ من الصمتِ والألـ ... ـغازِ ضلّتْ في تيهه خُطُراتى

لهفتى يا حياةُ كم تلعبُ الأو ... هامُ بى كم يؤودنى التفكيرُ
أبداً أسألُ الليالى عن المو ... تِ وماذا ترى يكونُ المصيرُ

طالما قد سألتُ ليليَ لكن ... عزَّ فى هذه الحياة الجوابُ
ليس غير الأوهام تسخر منى ... ليس إلا تخبُّطٌ واضطرابُ

هل فهمتُ الحياةَ كي أفهمَ المو ... تَ وللموت صمتُ قلبٍ ضنينِ
لم يزلْ عالَمُ المنيّةِ لُغزا ... عزَّ حلاً على فؤادى الحزينِ

فليكن يا أيّامُ لن أسألَ الليـ ... ـلَ عن السر فاحكمى كيف شئتِ
امنحينى عُمْرَ الزهور فلن أبـ ... ـكي ومُدّي الحياةَ لى إن رغبْتِ

ولماذا أبكى؟ وهل يردع الدمـ ... ـعُ المنايا؟ وهل يُحسُّ القضاءُ؟
لن تزيدَ الدموعُ يوماً على عمـ ... ـرى غداً رقْدةٌ غداً انطفاءُ

ولو أنّي أحببتُ موتي ونادَيـ ... ـتُ دُجاهُ بأجملِ الأسماءِ
هل يُجيبُ المماتُ رغبتيَ الحرّ ... ى ويأتي ملبّيا لندائي؟

هكذا جئتُ للحياة وما أد ... رى إلى أينَ سوف تمضي الحياةُ
وسأحيا كما يشاءُ ليَ المجـ ... ـهولُ قلباً حفّتْ به الظّلماتُ

هكذا، ما يُريدهُ القَدَرُ المَحْـ ... ـتومُ لا ما تُريدهُ آمالي
سَيَّرتني الحياةُ أين ترى مَرْ ... سَى سفيني وعند أيِّ رمالِ؟

لم أزلْ مِلْكَ حَيْرتي وذهولي ... بينَ ماضٍ ذَوَى وعُمْرٍ يَمُرُّ
لستُ أدري ما غايتي في مسيري ... آهِ لو ينجلي لعينيَّ سِرُّ

لم أزلْ اقتُلُ الليالي بحثاً ... عن ديار السَّعادة البَشَريّه
دون يأسٍ بحثتُ دون كلالٍ ... في قِفارٍ ممتدّةٍ أبديّه

يا ديارَ الأحلام يا شاطئَ الغبـ ... ـطة يا من يضُمُّك المجهولُ؟
لم أعُدْ أستطيعُ أن أُسكتَ الشوْ ... قَ فكيف الوصولُ؟ كيف الوصولُ؟

كل شيء حولي يحدّثني عنـ ... ـك ولكن متى يَحينُ اللقاءُ؟
فاحمليني إليكِ من قبلِ أن يَهْـ ... ـوِي شِراعي وتصخبَ الأنواءُ

ودعيني أعرفك ما أنت؟ حقٌّ ... وعِيانٌ وواقعٌ مشهودُ؟

أم ترى أنتِ محضُ وهمٍ ورؤيا ... وضبابٌ مُطَلْسَمٌ ممدودُ؟

طالما حدّثوا فؤادي عن لُقْـ ... ـياك لكنْ ما زلتِ حُلْمَ صبيٌّ

لم أزلْ أملأُ الليالي حنيناً ... وأغنّيكِ للوجودِ الشقيُّ

ذكريات الطفولة

لم يَزَلْ مـجلسي على تلّةِ الرمْـ ـلِ يُصْـغي إلى أناشـيد أمسي
لم أزلْ طـفلةً سـوى أنني قـد زدتُ جـهلاً بِكنْهِ عُمْري ونفسي

ليـتني لم أزلْ كـمـا كنتُ قلبـاً ليس فـيـه إلا السَّنا والنقـاءُ
كلّ يومٍ أبني حـيـاتي أحـلا مـاً وأنسى إذا أتاني المَسَـاءُ

في ظلال النخـيلِ أبني قـلاعـاً وقـصـوراً مَشـيـدةً في الرِّمـال
أسـفـاً يا حـيـاةُ أين رمـالي وقُصوري؟ وكيف ضاعتْ ظلالي؟

إيه تلَّ الرمـالِ مـاذا ترى أبـ ـقَيْتَ لي من مـدينةِ الأحـلام؟
أينَ أبراجُـهـا العَلِيَّـات هل نا هتْ وراء الزمـان في أوهامي؟

ذَهَبَ الأمسُ لم أعُـدْ طفلةً تَرْ قُبُ عشَّ العصـفور كلَّ صباحِ
لم أعُدْ أُبصـرُ الحيـاة كـمـا كـا نتْ رحيـقاً يذوبُ في أقداحي

لم أعُدْ في الشتـاء أرنو إلى الأمـ ـطارِ من مَهْدي الجميلِ الصغيرِ
لم أعُدْ أعـشَقُ الحمامـةَ ان غنّـ ـتْ وألهو على ضِفَافِ الغديرِ

كم زهور جَمَّعتُها وعطور   سرقَتْها الحياةُ لم تُبقِ شيّا
كم تعاليلَ صُغتُها بدنْها   وتبقَّى تذكارُها في يديّا

كنتَ عرشي بالأمسِ يا تلّيَ الرَّمـ   ـلِ والآنَ لم تعُدْ غيرَ تَلٍّ
كان شدوُ الطيور رجْعَ أناشيـ   ـدي وكان النعيمُ يتبعُ ظلّي

كانَ هذا الوجودُ مملكتي الكبـ   ـرى فيا ليتها تعودُ إليّا
ليت تلَّ الرمالِ يسترجع الأسـ   ـرارَ والشعرَ والجمالَ الطّريّا

لم أعُدْ أستطيعُ أن أحكُمَ الزهـ   ـرَ وأرعى النجومَ في كلِّ ليلِ
هل أنا الآن غير شاعرة تُدْ   ركُ سرَّ الكون الجديبِ المُملِّ؟

ذهبَ الأمسُ والطُّفولةُ واعتَضْـ   ـتُ بحسّي الرهيف عن لهو أمسي
كل ما في الوجود يؤلمني الآ   نَ وهذي الحياةُ تجرحُ نفسي

قد تجلّتْ لي الحقيقةُ طيفاً   غيهبيّاً في مُقلتَيْه جنونُ
وتلاشى حُلْمُ الطفولة في الما   ضي ولم يَبقَ منه إلا الحنينُ

أينَ لونُ الأزهارِ؟ لم أعُدِ الآ ... نَ أرَى في الأزهارِ غيرَ البَوارِ
كلّما أبصرتْ عيوني أزها ... راً تذكّرتُ قاطفَ الأزهارِ

أينَ لحنُ الطيورِ؟ لم يعُدِ الآ ... نَ اشتياقاً وفرقةٌ في فؤادي
فالغناءُ اللذيذُ ضاعَ صَداهُ ... وانطوى في تذكّرِ الصيّادِ

أينَ همسُ النسيمِ؟ أشواقُهُ السكْـ ... ـرَى انطفَتْ لم تَعُدْ تُثيرُ خيالي
فغداً يهمسُ النسيمُ بموتي ... في عميقِ الهوَى وفوقَ التلالِ

أينَ مني مفاتنُ الليلِ، شِعرٌ ... وغموضٌ في غيهبٍ مَسْحورِ
لم أعُدْ أعشَقُ الظلامَ غداً أهْـ ... ـوى عظاماً تحتَ الظلامِ الكبيرِ

ها أنا الآنَ تحتَ ظلٍّ من الصفْـ ... ـصافِ والتينِ مُسْتَطابٍ ظليلِ
أقطفُ الزَهْرَ إن رَغِبتُ وأجني الـ ... ـثَمَرَ الحُلْوَ في صباحي الجميلِ

وغداً ترسمُ الظلالُ على قَبـ ... ـري خطوطاً من الجمالِ الكئيبِ
وغداً من دمي غذاؤكِ يا صفْـ ... ـصافُ يا تينُ أيُّ ثأرٍ رهيبِ

ذاكَ دأبُ الحـيـاة تسلـبُ مـا تُعْـ ـطيـه بُخْـلاً لا كـان مـا تُعْطيـه
تتـقـاضى الإحـيـاءَ قـيـمـةَ عيشٍ ضــمّـهمْ مـن شـقـائه ألفُ تيـهِ

هى هذى الحــيـاةُ سـاقـيـةُ السمِّ كـؤوسـاً يـطفـو عليـهـا الرحـيقُ
أومـأتْ للعِطَاشِ فـاغـتـرفـوا منـ ـهـا ومـن ذاقـهـا فليس يُفـيقُ

هى هذى الحــيــاةُ زارعــة الأشـ ـواكِ لا الزهرِ والدُّجَى لا الضـيـاءِ
هى نبعُ الآثام تســتلهمُ الشـــرَّ وتحـيـا فى الأرضِ لا فى السَّمـاءِ

آدم وفردوسه

حسبُها أنّنا دفَعنا إليها   ثمنَ العيشِ حَيْرةً ودموعا
أيَّ ذنبٍ جَناهُ آدمُ حتى   تتلقّى العقابَ نحنُ جميعا؟

وليكن آدمٌ جنَى حسبُهُ فُقْـ   ـدانُ فردوسه الجميل عقابا
أوَلم يَكْفِ أنّهُ هبط الأر   ضَ ليَسْقَى آلامَهَا أكوابا؟

أو لم يكفِ أنهُ هبط الدنْـ   ـيا طريداً من خُلْده الفَيْنَان
أو لم يكفِ أنّهُ عرَفَ الشرَّ   وقد كانَ طاهراً في الجِنَانِ؟

ليت شعري ماذا يَرُوقُ لعَيْنَيْـ   ـيه هُنا في انغلاق هذا الوجود؟
كيف ينسَى آفاقَ جنّتِه ما   ذا يغذّي حنينَهُ للخلود؟

كيف ينسَى الأمسَ الطليق ليَهْنا   بحياة القيود والأرسان؟
أين ذاكَ الحسُّ الرهيفُ؟ هنا سجـ   ـنٌ بليدٌ مغلَّفُ الجُدْران

ولماذا يَنْسَى وهل في الثرَى شيءٌ   يعزّي عن حُلمه المَعْسُول؟
كلما لاذَ بالخيالِ تجلّى   لأساهُ ما كان من قابلِ

أوَ لَمْ تسمَعِ الحقولُ صَدَى صر ... خةِ هابيلَ حين خرَّ قتيلا؟
أوَ لَمْ يشهدِ القطيعُ على الجا ... نى ألم يُبصرِ الدمَ المطلولا؟

أينَ هابيلُ؟ أين وقْعُ خُطَى أغـ ... ـنامه فى الحقول والوديان؟
ليسَ منه إلا ضريحٌ كئيبٌ ... شادَهُ فى العَراءِ أوّلُ جانِ

وأتت ظلمةُ المساءِ على الحقـ ... ـلِ وعاد القطيعُ من دون راعِ
ليسَ إلا قابيلُ يمشى رهيبَ الـ ... ـخطوِ نهبَ الأفكارِ والأوجاعِ

يا لأحزانِ آدمٍ عندما أبـ ... ـصرَ بابنَيْه قاتلاً وقتيلا
أيّها المُسْتطارُ لَن تردَعَ الأقـ ... ـدارَ حتى إذا بكيتَ طويلا

ما الذى تنفعُ المدامعُ يا آ ... دمُ؟ هل تدفعُ القضاءَ المريرا؟
إن يكنْ من فقدْتَ أولَ مقتو ... لٍ على الأرضِ فهو ليس الأخيرا

إنّها لعنةٌ تَظَلُّ على العا ... لَمِ مَسْدولةَ الدُّجى مُكْفَهِرَّهْ
كلّما ذاقَ قطرةً من نعيمٍ ... أعقبتْها من الأسى ألفُ قَطرهْ

كلّما أسدلَ الستارَ على حرْ ... بٍ أطلّتْ حربٌ وجاءت رزايا
رحمةً يا حياةُ حسبُكِ ما سا ... لَ على الأرضِ من دماءِ الضحايا

الحرب العالمية الثانية

انظري، هل تَرَيْنَ غيرَ بقايا   ذلكَ العالَمِ الجميلِ الخصيبِ
هل تبقَّى منهُ سوى دِمَنٍ جَدْ   باءَ في قَبْضةِ الدمَّارِ الرهيبِ

يا قصوراً بالأمسِ كانت هنا يضـ   ـحكُ من حولها نَدىً واخضرارُ
أصبحَتْ مسكنَ الخرابِ وجفَّتْ   في حِماها العطورُ والأزهارُ

أينَ أهلوكِ يا قصورُ؟ وفي أيِّ   قبورٍ ثَوَوا أتحتَ الثُلوجِ؟
أم ترى مزَّقتْهمو قاذفاتُ الـ   ـنارِ في عاصفٍ رهيبِ الأجيجِ؟

أسفاً يا قصورُ أهلُكِ ناموا   فوقَ صدرِ الثرى عُراةَ الصُدورِ
رقدوا حاسري العظامِ فلا قَبْـ   ـرَ لهُمْ في التُرابِ أو في الشُعورِ

في سفوحِ الجبالِ، تحت ذرى الأشـ   ـجارِ خلفَ الضياءِ والظلماءِ
ليس غيرُ الموتى عظاماً وأشلاءً   وغيرُ اكتئابةٍ وبكاءِ

يـ نشيدَ السَّلامِ يا ساكناً في   قعرِ أحلامنا وراءَ مُنَانا
رفَّ فوقَ الدُنْيا الحزينةِ وابعثْ   لحنَ حُبٍّ في تيهنا ودُجانا

طُفْ بأنغامِكَ النَّشاوَى على هَـ ... ـذي القُرَى المُسْتَباحةِ المهدومه
بنداكَ الرحيمِ رطِّبْ شِفاهاً ... ظامئاتٍ أو جبهةً محمومه

طُفْ بأنقاضِ عالمٍ ليس يَدْرِي ... أترى للمساءِ بَعْدُ بقيّه؟
راسفٌ في الدُّجى، ويَسمعُ بالفجـ ... ـرِ حديثاً وقِصَّةً مرويّه

كانتِ الحَربُ يومَ أشعلَها صو ... رةَ حُلْمٍ مُضَوّأَ الأستارِ
غلّفوها له بومضٍ بريقٍ ... من سَنا المَجْدِ والرؤى والفَخارِ

فإذا نبعُها دمٌ وشَذاها ... لَهَبٌ آكلٌ اللظَى وهَجيرُ
وإذا مجدُها شَقاءٌ طويلٌ ... ليس ينجابُ ليلُهُ المحرورُ

جفَّ زهرُ التلالِ والوَرَقُ النَّضْـ ... ـرُ وآوَتْ إلى الجَفافِ الحقولُ
أسفاً لم تَدَعْ لنا الحربُ شيئاً ... وتلاشى الحُلْمُ الطَّروبُ الجميلُ

من ترى يحرثُ الحقولَ الجديبا ... ت؟ وأين اختفتْ أغاني الحَصّادِ
أين لَهوُ الأطفالِ عند البحيرا ... تِ النَّشاوَى في بهجةِ الأعيادِ؟

يا قلوبَ أطفالٍ لا تخفقي الآ ... نَ حنيناً لن يَرجِعَ الآباءُ
ذلك الحُلمُ في مآقيكمُ الولـ ... ـهى طوتْهُ المنيَّةُ السوداءُ

وبقـــايا الآبـاء نهبَ غُـبــار الـ ... أرضِ صمّاءُ شـاخصاتُ العيونِ
أيُّ مـعنىً في هذه الأعيُنِ الغَـرْ ... قَى، من الصمتِ والذُّهولِ الحزينِ؟

كلُّ عـينينِ فيـهما صورةٌ تبـ ... ـكي وترثي للعـالَمِ المغـرورِ
كل عـينينِ تسـخرانِ من العَيْـ ... ـشِ وتسـتهزآنِ بالمقـدورِ

كلُّ عـينينِ تنظرانِ إلى الأفْـ ... ـقِ بعيـداً عن كلِّ ما في الحياةْ
آهِ يـا ربِّ، آهِ لو فَـهِمَ الأحـ ... ـياءُ مـاذا في أعيُنِ الأمـواتِ

يا فـتاةَ الأحـلامِ حسبُكِ شدواً ... برثاء القَتْلَى وحسبُكِ حُـزْنا
سوف يَفْنَى هذا النشيدُ ويَبْقَى الـ ... ـشرُّ في الأرض خـالداً ليس يَفْنَى

هكـذا شـاءت المقاديرُ للعـا ... لَمِ إثمٌ ونقـمـةٌ وحـروبُ
وهي النفسُ تحملُ الشرَّ والبغضاءَ ... مـاذا يُفيـدُها التهـذيبُ؟

وأغـاني السـلامِ كم قد وهبنا ... ها قلوباً وألسُناً وشِـفَـاها
فطَواها الفضـاءُ وابتلعَ النسـ ... ـيانُ ألحانَها وضاعَ صـداها

كيف ينجو الوجودُ إن كان في الإنـ ... ـسانِ عـرقٌ من الشرورِ عـريقُ
كيف يَشْفَى مـن الأسَى يا مقاديـ ... ـرُ؟ متى فجرُهُ السنيُّ الوريقُ؟

ما الذى رامَهُ المسيحُ لكى يُجْـ   ـزَى بما كانَ؟ ما الذى كانَ منه؟
أيّها العالمُ الذى اقترفَ الذنْـ   ـبَ أما آنَ ان تُكَفِّرَ عنه؟

أو لم يَشْبعِ الوجودُ من الحُزْ   نِ أما زال ظامئاً للدِّماءِ؟
أوما فى كاساتِهِ غيرِ مِلحِ الـ   ـدمعِ للجائعينَ والأشقياء؟

أيها الكونُ يا جَنَاحاً مُدمَّىً   حطّمتْهُ مقادرٌ ومنايا
ليكن من فقدتَ فى هذه الحَرْ   بِ ختامَ الذينَ ماتوا ضحايا

نَهَمُ القتلِ فى عُروقك قد آ   نَ له أن ينامَ آن تَتَنَاساهُ
فالتجئْ للسماءِ حيثُ المُنَى والـ   ـرِىُّ حيثُ الضياءُ حيثُ اللهُ

ذلكَ المنبعُ الأثيرىُّ ما أعـ   ـذبَ كاساتِه لمن يُسْقَاها
لم يزل فى انتظار دنياً ترامتْ   فى دروبِ الدُّجَى فضلّتْ خُطَاها

أيُّها التائهونَ تحجبُ أبصا   رَهُمُ ظُلمةٌ وألفُ ستارِ
احملوا نادمينَ أشلاءَ قتلا   كُمْ وغنُّوا لها نشيدَ اعتذارِ

ضمّخوها بالعِطرِ لفُّوا بقايا   ها بزَهْرِ الليمونِ والياسمينِ
احملوا الميّتينَ فى نعشِ موسيـ   ـقىً وحبٍّ وعِطرِ دمعٍ سخينِ

واجمعوا الصبية الصغار ليُلقوا أغنيات فجريّةَ الأنغامِ
وليكن آخرُ اللحون التي تُلـ ـقَى على سمعهم نشيدُ السَّلامِ

فيم هذا الصراعُ؟ فيم الدماءُ الـ ـحُمْرُ تجرى على الثرَى العَطْشان
والشبابُ البريءُ في زهرة العمـ ـرِ لماذا يُلقَى إلى النيرانِ

في سبيل الثرَاءِ هذا؟ أليس الضـ ـوءُ والحبُّ والورودُ ثَراءَ
وليالى السلامِ والأمْنِ هل في الـ ـعُمْرِ أغلى منها وأحلى ضياءَ؟

وغداً رحلةٌ إلى الأُفْق المجـ ـهول، نحو السكون والنسيان
وغداً رحلةٌ فهل يدفع الأمـ ـواتُ بالمالِ وحْشَةَ الأكفانِ؟

إنّه الموتُ ذلك الواهبُ العا دلُ مُلقى الهمود في كل قَبرِ
ومُريقُ الفناء في كلّ خدٍّ وذراعٍ وكلّ نحرٍ وصدْرِ

فلماذا إذن مَشى العالَمُ المجـ ـنونُ للموت والأذَى والدَّمَارِ
فيم تحدو الشعوبَ أطماعُ غرٍّ يتصبَّى عَينَيْهِ وهجُ النّارِ

أعن النصر يبحثون؟ وهل نصـ ـرٌ لمن تستذلُّه الأهواءُ
هل فَخَارٌ وحولنا عالَمٌ يمـ ـلؤهُ الجائعونَ والأشقياءُ؟

نحنُ أسرى يقودُنا القَدَرُ الأعـ ـمى إلى ليلِ عالمٍ مجهولِ
ومنينُ الحياةِ نومٌ ونصحو ذاتَ يومٍ على نداءِ الرَّحيلِ

وطبولُ النَّصْرِ العظيم غداً تَفـ ـنَى وتغفو فى قبرها المقبورِ
وتُضيعُ الرِّياحُ فى أُفُقِ العا لَمِ ذكرى المنصورِ والمدحورِ

وصحا العالَمُ العميقُ الأسى وانـ ـتهت الحربُ بانتصارِ المنايا
شَهِدت هذه القبورُ لها بالـ ـنصرِ يا رحمتا لتلكَ الضحايا

ثم ماذا يا ساكنى العالمِ المو جوعِ ماذا من القتالِ جنينا؟
هل وصلنا إلى النجومِ الحوالى ولَمَسْنا أسرارَها بيَدَيْنا؟

هل غلبنا الشقاءَ والفقرَ فى أر جاءِ هذا الكونِ الطعينِ الذليلِ؟
والصغارُ العُراةُ هل وجدوا مأ وىً ودفئاً عبر الشتاءِ الطويلِ؟

والأذى والشرورُ هل دَحَرَتْها الـ ـحَرْبُ يا من حملْتموا لظاها؟
أسَفاً لم يزَلْ على الأرضِ من يتـ ـخذُ الكأسَ والمجونَ إلها

لم تزَلْ فى الوجودِ أغنيةٌ تقـ ـطُرُ حزناً على شفاهِ جياعِ
فى هتافاتِ لاجئين رمتْهم محنةُ الحَرْبِ للضنَى والضياعِ

كل شيء باقٍ كما كان قبل الـ ـحربِ غير الأيتام والأمواتِ
غير ظلٍّ من الكآبة والحيـ ـرة يمشي على ضفافِ الحياةِ

هؤلاء الأيتام بالأمس كانوا صورةَ البِشْر والمراحِ الجميلِ
تحت ظلِّ الآباءِ يقضُون عَيْشاً ما دروْا غير صفوِهِ المَغسولِ

وأفاقوا من حُلْمهم فإذا الآ مالُ حربٌ والذكريات دُخانُ
يا عيونَ الأطفالِ لا تسألي الدنـ ـيا فقد مات فى القلوبِ الحَنانُ

فى سبيل المجدِ المزيّفِ هذا الـ ـهولُ لا كان مجدُهمْ لا كانا
فى سبيل النصرِ المموّهِ عاد الـ ـعالَمُ الحُلْوُ فى اللهيبِ دخانا

هؤلاء الصرْعَى على الشوك والصخـ ـرِ شباباً وصِبيةً وكهولا
كيف كانوا بالأمس؟ أيّةُ رؤيا رسموها فلم تعشْ طويلا؟

أيها الأشقياءُ في الأرضِ يا من لم تُمسّهم قذائفُ النيرانِ
عَبَثاً تأملونَ أن يرجعَ الآ نَ أعزاؤكم إلى الأوطانِ

انظروا ها هم الجنود يعودو نَ فرادَى مُهشّمي الأعضاءِ
آهِ لولا بقيّةٌ من حياةٍ لم يُعَدّوا فى جملةِ الأحياءِ

عبثاً يبحثون فى هذه الأنـ ـقاضِ عن أهلهم وعن مأواهُمْ

عبثاً يسألون ما يعلم الما برُ شيئاً فيا لنار أساهُمْ

كيف ذاقوا مرارةَ الخيبةِ المُرَّ ةِ بعد العذابِ والأوصابِ؟

أتراهم نجوا من الموتِ كى يحـ ـيوا بلا رفقةٍ ولا أحبابِ؟

أينَ تلكَ البيوتُ يلمعُ فيها الضـ ـوءُ والحبُّ أين من سكنوها؟

أين أطفالُهم ورجْعُ أغانيـ ـهِمْ وتلكَ المُنى التى صَوَّروها؟

أيها الأشقياءُ يا زُمَر الأحـ ـياء فى كل قرية وصعيدِ

آن أن نستعيدَ ماضىَ حبٍّ هو مفتاحُ حُلْمِنا المفقودِ

ما الذى بيننا من الحِقْد والبغـ ـضاء؟ ما كان سر هذا الدَّمَارِ؟

أيها الأشقياءُ نحن جميعاً لعبةٌ فى مخالبِ الأقدارِ

نحنُ نحيا فى عالمٍ ليس يُدْرَى سرهُ فهو غيهبٌ مجهولُ

تطلَعُ الشمسُ كل يومٍ فما كُنـ ـهُ سناها؟ وفيمَ كان الأفولُ؟

ما الذى يُطْلِع النجومَ على الكو ن مساءً ما كُنْهُ هذا الوجود؟

أىُّ شىءٍ هذا الفضاءُ؟ وما سرُّ دجاهُ؟ هل خلفَهُ من حُدود؟

يا ضَبابًا من الجَهَالة والخَيْـ ـرة قد لَقَّبوهُ بالإنسانِ
كل ما في الوجودِ يحكمُهُ ما ذا إذنْ سرٌّ ذلكَ الطُّغْيانِ؟

فيمَ نَطْغَى وكيف ننسَى قوى الكوْ نِ وما في الوجود أضعفُ منّا
ينخرُ الدودُ ما نَشيدُ ولا تُبْـ ـقِي البراكينُ والرياحُ علينا

فيم نقضى حياتنا في العداوا تِ ونُمْضِي السنينَ يأساً وحُزْنا
كيف ننسَى أنّا نعيشُ حياةَ الـ ـوَرْدِ سُرْعانَ ما يموتُ ونَفْنَى

لن تدومَ الأيامُ لن تحفظ الدنـ ـيـا كيانـاً لكائنٍ بشـريٍّ
فلْنَدَعْ هذه الضغائنَ والأحـ ـقادَ ولنَحْيَا للودادِ النقيِّ

البحث عن السعادة

كم بَحثْنا عن السعادةِ لكن ... ما عَثَرْنا بكوخها المَسْحور

أبداً نسألُ الليالىَ عنها ... وهى سرُّ الدُّنيا ولُغزُ الدُّهورِ

طالما حدّثوا فؤادىَ عنّها ... فى ليالى طفولتى وصِبَايا

طالما صوّروا لعينىَّ لُقْيا ... ها وألقَوْا أنباءَها فى رؤايا

فهى آنا ربيبةُ اليُسْر والثَّر ... وةِ بنتُ الألوان والأضواءِ

ليس تحيا إلا على باب قَصْر ... شَيَّدتْهُ أيدى الغِنَى والرَّخاءِ

وهى آناً فى الزُّهْدِ عن مُتَعِ الدنـ ... ـيا وعنْد النُّسَّاكِ والرُّهبانِ

ليس تحيا إلاّ على صَخَرِ المَعْـ ... ـبدِ بين الدُّعَاءِ والإيمانِ

وهى فى شَرْعِ بعضِهم مِلْكُ من يُطْـ ... ـلِقُ أهواءَ قلبِه دون قَيْدِ

ليس تصفو إلا لمن عاشَ للكأ ... سِ وللّهو بين ثَغْرٍ وخَدِّ

وهى فى شرع آخرينَ لراعٍ ... يصرفُ العُمْر فى سفُوح الجبالِ

يتغنّى مع القطيع إذا شاء ... ويغفو تحت الشَّذَى والظِّلالِ

وهي في شَرْعِ غيرهم في حمَى العزِّ … لة والفنِّ والجمالِ الرفيعِ
ليس تحيا إلا على فم غِرِّيـ … ـدٍ يُغنّي أو شاعرٍ مَطبوعِ

وسواهم يَرَى السعادةَ في الحبِّ … وفي أغنياتِ كلِّ مُحِبِّ
ليس تحيا إلا على شَفَةِ العا … شقِ لحناً من الوداد العذْبِ

حدثوني عنها كثيراً ولكن … لم أجِلْها وقد بحثتُ طويلا
لم أزل أصرفُ الليالي بَحثاً … وأغنّي بها الوجودَ الجميلا

مرّ عمري سدًى وما زلتُ أمشي … فوق هذي الشواطئ المحزونه
لم أجدْ في الرمال إلا بقايا الشـ … ـوكِ يا للأمنيّةِ المغبونهْ

أينَ أصدافُكَ اللوامعُ يا شطُّ … إذنْ؟ أين كنزُكَ الموعودُ؟
هاتِه رحمةً بنا هاتِ كنزاً … هو ما يرتجيه هذا الوجودُ

هاته حسبُ رملكَ البارد القا … سي خداعاً لنا وحسبُكَ هزْءا
يا لَحُلْمٍ نزيدُ منه اقتراباً … وهو مازال أيها الشطُّ يَنأى

طال بحثي يا ربِّ أينَ ترى ذا ... كَ السعيدُ الجذلانُ أين تراهُ؟

ليسَ حولي إلا دياجيرُ كونٍ ... مُغرقٍ في نُواحِهِ وأساهُ

لم أجدْ في الرمالِ إلا بقايا الـ ... ـموت من أعصُرٍ طوالٍ دفينه

كلُّ جيلٍ يعيشُ يحلمُ حتى ... يُطفئَ الموتُ قلبَهُ وعُيونَهْ

عالمٌ يَنْشُدُ السعادةَ والأيـ ... ـامُ تَسْقيه غُصَّةً بعد غُصَّه

كلَّما ضجَّ شاكياً أمَّلتْهُ ... مُقَلٌ عذبةٌ وأيدٍ رخصه

إيه أسطورةَ السعادةِ غنّيـ ... ـني نشيداً عن أفقكِ المفقودِ

أين ألقاكِ؟ أين مسكنُكِ المسـ ... ـحورُ؟ في المستحيلِ أم في الوجود؟

سرتُ وحدي تحتَ النجومِ عصوراً ... أسألُ الليلَ والدياجيرَ عنكِ

أسفاً لم أجدْكِ في الشاطئِ الصخـ ... ـريِّ حيثُ المياهُ تَفْتأُ تبكي

حيثُ تبقى الأشواكُ والوردُ يَذْوي ... تحت عسينِ الأيامِ والأقدارِ

حيثُ يَفْنَى الضياءُ والليلُ يأتي ... بوعيدِ الرياحِ والأمطارِ

حيثُ تحيا الأغنامُ جائعةً لا — عُشْبَ لا ريَّ في المراعي البخيله
وغداً في الصباح تنتظرُ السكِّـ — ـينُ أعناقَها العِجَافَ النحيله

حيثُ يحيا الغُرابُ والبلبلُ المو — هوبُ يَهْوي من عُشِّه المقهورِ
ويغنّي البومُ البليدُ على النَّوْ — حِ ويَنْوي القُمْريُّ بين الصخور

حيثُ تبقى الغيومُ مُمْطرةَ الأهـ — ـداب رمزاً لدمعنا وبُكَانا
وتَظَلُّ الرياحُ تصفرُ مُسْخريَّـ — ـتَهَا من أهوائنا ومُنَانا

أنشودة الرياح

-١-

أيها السادرونْ … ما الذي تَنْشُدونْ؟
ملءَ هذا المَدَى … في الدُجَى حالمونْ
كم رَسَمْتم مُنًى … أطفأتْها القرونْ
وأغانيكمو … كم طواها السكونْ

تذرعون الذُرى … تقطعونَ القفارْ
تحت سمع الدُجَى … وعيونِ النَهارْ
تُطْعِمونَ الرؤى … بالدموع الغزارْ
إنّ دونَ المُنَى … ألفَ ألفِ سِتارْ

وأمانيكمو … طيفُ حبٍّ نَفُورْ
أتظنونها … في زوايا القصورْ؟
دونَكمْ فابحثوا … في حرير السُتورْ
وأنا للمَدَى … كلُّ عُمْري مرورْ

بين القصور

سرتُ وحدى بين القصور طويلاً
أسألُ العابرينَ أين السعيدُ؟

فإذا بهجةُ القُصور ستارٌ
يختفي خلفَهُ الظلامُ المديدُ

إنّ فيها أغانياً ذابلاتٍ
وصلاةً حزينةَ النَّبَراتِ

وعُيوناً مملوءةً حَيْرَةً تَسْـ
ـتفهِمُ اللُّغْزَ فى ضَباب الحياةِ

شبعوا وارتووا وما شَبِعتْ أر
واحُهم وارتوتْ وباتوا حَيارَى

إن جوعَ النفس المُنَعمَةِ النَشْـ
ـوى إلى حُلْمِها أشدُّ استعارا

ليس يُنْجيهمو الغنى من يد الحُزْ
نِ وإن طاولوا الذُّرَى بالغرورِ

ولهم موتُهُم ومأساتُهُ المُغْـ
ـلَقَةُ السرِّ مثلَ ما للفقيرِ

كم وراءَ القصور من أغنياتٍ
أخرستْها عواصفُ المقدورِ

كم قلوبٍ تَوَدُّ أن تُبدلَ القصـ
ـرَ بكوخٍ على ضفافِ الغديرِ

ليس يُنجي الحريرُ من عُمْقِ هذا الـ
ـلغزِ لغزِ المصيرِ لُغْزِ البدايه

هل يبيعُ القضاءُ أسرارَهُ بالـ
ـمالِ هل تُشْتَرَى به اللانهايَة؟

وعــبـرنا الـقُـصــورَ لم نجِـدِ المنـ ... ـشودَ فى ضـوئهـا ولا فى دُجـاها
فـهى خلوٌّ من المعانى ومـا فـيـ ... ـهـا سـوى المال والحرير إلهـا

أقـفرتْ من سـعـادةِ الروح من مُنْـ ... ـطَلَقِ الفكْرِ فـى مَـدَى الأزمـانِ
وسَـرَى المَحْلُ فى أزهارها الـظَمْـ ... ـأى إلى اللون والـشذَى والمَعانى

غَـرِقـوا فى الضـيـاء والـعطر لكنْ ... ليس فـيهم قلبٌ يحسُّ الضـوءا
وتمرُّ أنـهـارُ فى أرضـهـم تسـ ... ـقى شـفـاهاً وتتركُ الروحَ ظمأى

تلك إغـفـاءةُ القـصـور يموتُ الـ ... ـحسُّ والشـعرُ فى حَـمـاها الضَنينِ
آهِ فلـنمضِ بـاحـثـينَ لعـلَّ الـ ... ـمكونَ يُفْـضى بسـرِّهِ المَكْنونِ

أنشودة الرياح

-٢-

كلُّ عُمْرى سُرَى ... فى الوجودِ الجميلْ
فى الصباحِ النَّدى ... والظلامِ الثقيلْ
فوق سَرْوِ الذُّرَى ... فوق حقلِ النخيلْ
أنا أمضى أنا ... كلُّ عمرى رحيلْ

وشهِدْتُ هنا ... ألفَ جيلٍ وجيلْ
وُلِدوا وانطووا ... فى التُرابِ المَهيلْ
ضَحكوا أو بكَوْا ... فى الضُحَى والأصيلْ
ما لهمْ مهربٌ ... من رُقادٍ طويلْ

وسمعتُ هُنا ... كلَّ جيلٍ يقولْ:
«فى يدى منبعٌ ... خالدٌ لا يزولْ»
وأناشيدُهُمْ ... قد طَوَاها الذبولْ
ومبانيهمو ... جَرَفَتْها السُّيولْ

أَقْبِلي أقبلي   فتاةَ النشيدْ
وابحثي بينهم   عن فؤاد سعيدْ
كلَّ يومٍ لنا   منكِ حُلْمٌ جديدْ
وأنا ما أنا   غير سيرٍ أبيدْ

ومَضى بحثها   عن ديارِ النعيمْ
لم يَزَلْ قلبُها   في المَرَاقي يهيمْ
القصورُ طوت   حُلْمَها المستديمْ
فانتهى سيرُها   عند ديرٍ قديمْ

في دنيا الرهبان

سِرْ بنا يا طريقُ نحو حِمَى الديـ ... ـرِ فقد نلتقي الرِّضَى والأمنَا
فلعلَّ الرُّهبانَ قد أدركوا السرَّ ... المعمّى الخافي الذي نتمنَّى

هؤلاء الزُّهَّادُ في القُنَّة الخضـ ... ـراءِ حيثُ الحياةُ صَمتٌ مديدُ
ربما كاشَفَتْهمُ الأنجُمُ العلْـ ... ـيا بأسرارها وباحَ الخلودُ

مرحباً يا رهبانُ هل في حِماكم ... من حديثٍ عن كنزنا المفقودِ؟
هل لمستمْ بريقَهُ وشذاهُ؟ ... هل نعمتم بظلّه الممدودِ؟

إنّ في أفقكمْ جلالاً وشِعْراً ... وسكوناً مُطَلْسم الأستارِ
وصلاةً لله تقطُرُ حُبّاً ... طهّرتها يدُ الدمُوعِ الغزارِ

فلمَ الحزْنُ والشحوبُ يُطلاّ ... نِ لديكمْ من أعينٍ وشفاهِ؟
يُلْقيانِ الظلالَ فوقَ وجوهٍ ... صامتاتِ المرْأى خواء الجباهِ؟

ووراءَ الأعتابِ أستارُ حزنٍ ... وذهولٍ ووحشةٍ لا تَنَامُ
إن يكنْ ديرُكُم عذاباً وهمّاً ... أيُّها الراهبونَ فيمَ المُقَامُ؟

لم أجدْ في الصوامعِ الرثّةِ الحَيْـ ... ـرَى عُلوّاً ولم أجدْ آفاقا

إنّ هذا الجَنّاحَ يا ديرُ مقصو ... صٌ فلن يستطيعَ قطُّ انطلاقا

أثقلتْهُ رغائبٌ ثرّةٌ حَيرَ ... ى تبقّتْ من أمسِهِ المدفونِ

واشتياقٌ إلى الطُّفولةِ والحبِّ ... إلى ضَمّةٍ وصدرٍ حنونِ

أيُّها الراهبُ الذي يقطعُ العُمْـ ... ـرَ وحيداً في غُرفةٍ منسيّه

ليس يدري دفءَ المودّةِ في عيـ ... ـنينِ في قَفْرِ لَيلةٍ شِتْويّه

حدّثوني عنكم فقالوا: قلوبٌ ... نُسجتْ من وداعةٍ ونَقاء

ونفوسٌ صيغتْ من الضوءِ والعطـ ... ـرِ وحامتْ على شِفاهِ السَّماء

وحكَوْا لي عنكم فقالوا: ضياءٌ ... وكؤوسٌ من الشّذى روحيّه

وسُموٌّ إلى الذُّرى الطاهراتِ الـ ... ـبيضِ فوقَ الرغائبِ البَشريّه

عَجباً أينَ ما سمعتُ؟ هنا شَوْ ... قٌ ونارٌ وأعينٌ مَسفتونهْ

وهوىً قيّدوه عطشانَ محرو ... راً فأين السلامُ؟ أين السكينه؟

واسمُ (تاييس) لم يزلْ في شفاه الـ ... ـريحِ يُتلى على الوجودِ اللاهي

رمزَ قلبٍ ممزّقٍ بين صوتَيْـ ... ـنِ: نداءِ الهوى وصوتِ اللهِ

مَـا نَسِينا غَوَايَةَ الراهبِ المَفْـ ـتونِ في حبِّها وكيفَ هَدَاها
يا لـه بائساً سما بابنةِ الإثـ ـمِ إلى قمّةِ السماءِ وتاها

أيُّها الديرُ يا جديباً من الحبِّ خواءً من النَّدَى والحنانِ
يا غريقاً في الصمتِ والوحشةِ الصَّمَّـ ـاءِ يا مُقْفِرَ الرؤى والأماني

حانَ عن صمتكَ الكئيبِ رحيلي فدروبُ الحياةِ خضراءُ حيّه
وفراغُ الوجودِ يفرشُ لي دَرْ باً من الخِصْبِ والظلالِ الثريّه

وسألقى ربّي هناكَ بعيداً عن دياجيكَ إنَّ ربّي ضياءُ
وطريقي يمتدُّ حيثُ يدُ اللـ ـهِ جمالٌ ورحمةٌ وارتواءُ

أنشودة الرياح

-٣-

طال تَجْوالُها   في الفِجاحِ الفِساحْ
في مُرورِ الدُّجَى   وانطواءِ الصَّباح
في تَلاشي النَّدَى   وضَياعِ الرياحْ
إن احلامَها   ملّكتْها جَناحْ

كلّما ضيَّعتْ   في الدياجي رجاءْ
فتَّحتْ قلبَها   للشَّذَى والضياءْ
إنّ في روحها   ودماها نداءْ
لارتقاء الذُّرَى   وبُلُوغِ السماءْ

يا فتاةَ الرؤى   ما أحبَّ الوصولْ
حيث يمضي الأسَى   والضَّبابُ يزولْ
غير أنّ السُّرَى   في جديبِ طُلولْ
والمَدَى شاسعٌ   والديارُ مُحولْ

ما وجدت المُنَى — في حمى الرُهْبانْ
عالمٌ مُغلَقٌ — قاتم الجُدْرانْ
وأطلَّ على — طرفك الحيرانْ
شاطئٌ أخضرٌ — مُبْرِقُ الغُدْرانْ

إنّه شاطئٌ — غامضٌ لا يَبِينْ
واعدٌ بالسَّنا — كلَّ قلبٍ حزينْ
وهبطتِ إلى — أرضِه تَبحثينْ
أسفاً إنّه — شاطئُ العابثينْ

في دنيا الأشرار

عند شطِّ الحياة ألقيتُ مَرْسَى | زورقي في الضباب والأوهامِ
أرقبُ السائرينَ في الشاطئِ الصخـ | ـري بين الوهاد والآكـامِ

أينَ ألقاكِ يا سعادةُ؟ هل من | نبأ عن حماكِ يهدي الحَيَارَى؟
كلَّما قلتُ هذه دارُهَا امتـدَّ | تْ قفارٌ لاتنتهي وصَحَارَى

في ديار الأشرارِ نحنُ نزلنا | بين أشواكها وحرِّ حَصَاها
ربَّما كان في جداولها الفظَّـ | ـةِ كأسٌ يَرْوِي المُنَى والشِّفاها

ونزلنا في أرضهـا ورحَلْنَا | عن دُجَاها وحرِّها مُسْرِعينا
لم يَزَلْ طعمُ مائها المرِّ يحيا | في رؤانا يَفيضُ مِلْحاً وطينا

الطُّغاةُ المُلوِّثو الروحِ فيها | لم تَجِدْ في عيونهم من نورِ
فَقَدُوا الحبَّ والسَّلامَ وناموا | فوقَ شوكٍ من العذابِ المريرِ

فإذا أسكتوا تَظَلُّمَ مظلو | مٍ فهل يُسكِتُون صوتَ الضميرِ؟
ذلكَ الراقبُ الإلهيُّ في النفـ | ـسِ لسانُ الهُدَى وصوتُ الشعُورِ

لم يَزَلْ ساهراً يُراقبُ في صَمْـ | ـتٍ خُطاهم فليسَ منه هروبُ
أبداً يرقُبُ الحياةَ وفي عيـ | ـنيهِ سرٌّ عاتٍ ومعنىً رهيبُ

فإذا حادت القلوبُ عن الخيـ | ـرِ علا صوتُ ذلكَ الجبّارِ
إنّهُ النائمُ النبيلُ على الشرِّ | وقاضي الطُغاةِ والأشرارِ

كيف ينجو الأشرارُ من شقوة الرُّو | حِ وسوطُ الضميرِ بالمرْصادِ
لا ملاذٌ من حاكمٍ يملكُ الرو | حَ بما في كفَّيْهِ من أصفادِ

ولصوصٌ في هذه الدار عاشُوا | يسرقونَ الحياةَ والأشياءَ
يسرقون الجَمالَ والحبَّ والخُبْـ | ـزَ جميعاً ويسرقون الضياءَ

وأكفٌّ تمتدُّ تسرِقُ قُرطاً | وسواراً وخاتماً لمّاعا
وأكفٌّ لاترتوي دون أن تَسْـ | ـرقَ خلداً ومعصماً وذراعا

ونفوسٌ وضيعةٌ تسلبُ العا | برَ حُلماً أو رغبةً أو قلبا
ونفوسٌ أحطُّ تؤمنُ بالعقـ | ـةِ والعدلِ ثم تسرِقُ شَعْبا

هل يعيشُ الضياءُ في هذه الُجدْ ... رانِ حيثُ الأقباءُ حيث الزَّوَايا

في عيونٍ مزيّفاتٍ تُغَذّيـ ... ـهـا رغابٌ دنيئةٌ ونوايا

عالمٌ مُقفر من الحُبّ والدِّفْء ... تعيشُ النفوسُ فيه خواءَ

نُزِعَتْ من فضائه لَمَسةُ اللـ ... ـهِ فأبقتْ أذلّةً أشقياءَ

يا نشيدَ الرياح خذنا مع اللّحْـ ... ـنِ إلى عالمٍ أرقَّ وأغلى

كلّما لامَسَتْهُ أقدامُنا افترَّ ... وفاضتْ أنداؤه واخضلّاَ

أنشودة الرياح

-٤-

انبسطْ يا مَدَى		واختفى يا حدودْ
إن أقدامها		شردت فى الوجود
كلَّما صعَّدَتْ		فى الذُرَى والنجودْ
قابلتها ذرى		ومَضَتْ فى صعود

إنها رحلةٌ		فى طريق الحياة
بحثَتْ عن دُنىً		تتحدّى المماتْ
كلَّما أبصرت		رَمةً فى فلاة
جدّدتْ عزْمَها		بندَى الأغنياتْ

يا فتاةَ الرؤى		والفؤادِ الرهيفْ
خاطبتكِ الدُنىَ		فى الظلامِ الكثيفْ:
«أنصتى تَسْمعى		فى السكونِ حفيفْ
وانظرى تُبْصرى		أنَّ جدْبى وريفْ»

لكِ قلبٌ غـــــفـــــا　　عن مـــعـــــاني الذُّرَى
لـــــك روحٍ ثـــــوى　　في ضَـبَـــاب الكرى
لا يُـحـــس الـنَّـــدى　　في جَـفَـــاف الثَّرَى
فـــاهبطي وابحـــثي　　عند أهلِ القُـــــرَى

ربّمـــا حـــرَّروا　　مُـقْـلةً راســـقـــه
أغـــمـــضتْ لا تَرى　　روعـة العـاصـفَـه
ربّمـــا خـفَـقـوا　　حُـرْقَـةً لاهَـفـه
انّ دنـيـــاهمُ　　جنّـةٌ وارفـــه

في الريف

ما تقول الرياحُ؟ هذي هي الجبـ ـةُ؟ هذي ظلالُها الممدودة؟
أترى حانَ أن تراكِ عيوني يا ضفافَ السعادةِ المفقودة؟

بعد طول السُّرَى وتيهي في الآ فاقِ، والدربُ ظلمةٌ وزوالُ
بعد بحثي عن التي غَلَّفتْ أسـ رارَها لم تَبُحْ بها الآزالُ

أنا من قد حملتُ قلبي على كفِّـ ـي وسرتُ الوجودَ أبحث عنها
أسألُ العابرينَ عمّن رآها وروَى قلبَهُ المُشوَّقَ منها

أتراها هنا؟ أتلكَ إذن أسـ ـوارُهَا تملأُ المشاعر أمنًا؟
أترانا إذن وصلنا أخيرا ذلك الشاطئَ الذي نتمنَّى؟

إنّهُ الريفُ فالحياةُ ربيعٌ خضِلُ العطرِ باردُ الأنداءِ
والمراعي النشوى تُراقصُها الريـ ـحُ وتغفو على خدود الضياءِ

والصباحُ الوضيءُ قد ذوّب الألـ ـوانَ والعطرَ في كؤوس الورودِ
والفراشاتُ يرتشفن ويثملْـ ـنَ من الوَهج والرحيقِ البَرُودِ

وفروعُ النخيلِ مدّتْ على مجـ ـرى السواقي ظلالها السَمْراءَ
سكبتْ عطرها وخطّرتِ المرْ جَ وفاضتْ خصوبةً ونَماءَ

وذراعُ الضياءِ تحتضنُ الأشـ ـجارَ والواديَ النضيرَ الثريّا
وورودٌ بيضٌ تنامُ على ينـ ـبوعِ ماءٍ يسيلُ شهداً نقيّا

كلُّ شيء في هذه الجنّة العَذْ بةِ يوحي بأنّنا قد وصلنا
إنَّ ما في قلوبنا من هوىً عط شانَ قد نال حُلْمَهُ المُتَمنّى

أنَّ هذي ديارُهَا، هي جنّتْـ ـةَ حُلْمي الخافي وسرٌّ رحيلي
هي ذاكَ اللغزُ المحيّرُ شوقُ الـ أمسِ واليومِ والغدِ المجهولِ

فلْنُقِمْ ها هنا عريشَ أمانيـ ـنا من الورد والشّذَى الروحيِّ
ولنَذُقْ حكمةَ النخيلِ ونقبسْ بعضَ أسرارِ صبرِهِ الأبديِّ

لنعشْ ها هنا تعلّمنّا الأشـ ـجارُ سرَّ الدنيا وموسيقاها
والمروجُ الغنّاءُ تكشفُ للرو حِ معاني اخضرارِها وشذاها

وغناءُ الرُعاةِ تنقلُهُ الرِّيـ ـحُ بعيداً إلى قنانِ الجبالِ
ونشيدٌ تُديرُهُ شَفَتا طفـ ـلٍ يغنّي على تلالِ الرِّمالِ

إنّ في هذه المجالي كؤوساً   هي ريّ المُنى وريّ الشفاه
إنّ فيها نبعاً يفيء إليه الـ   ـمُتْعَبُونَ العطاشُ بعد المَتَاه

وهنا تمنحُ الطبيعةُ دفئاً   وسكوناً عذباً وينبوعَ ضَوْءِ
ويداها تَمَسُّ في روحنا جُرْ   حَ الرَّدَى والذبولِ واللاشيءِ

إنّ هذا الجمالَ أقوى من المو   تِ ففيه عُمْقٌ وفيه خُلودُ
هل خَلَتْ هذه المجالي من الأغـ   ـنامِ يوماً؟ وهل تلاشَى النشيدُ؟

وزهورٌ تذوي وتولدُ آلا   فُ سواها سحريّةَ الألوانِ
تمنحُ العطرَ والجمالَ غذاءً   للنسيمِ المعطّرِ النعسانِ

وطيورٌ تَسقي الوجودَ كؤوساً   من أناشيدها العذابِ النقيّة
لا صداها يموتُ، لا نبعُها ينْـ   ـضَبُ في مَسْمَعِ الرَّوابي الشذيّه

ومجيءُ المساءِ- عند نضوبِ الـ   ـضوءِ في حافةِ الفضاءِ البعيدِ
أولا ينثُرُ النجومَ الكحيلا   تِ على جبهةِ المساءِ الوليدِ؟

ها هنا يولَدُ الخلودُ كما يو   لَدُ قَطْرُ الندى وعطرُ الرِّياحِ
مثلما يَنْبُتُ الضياءُ أثيريـ   ـاً ظُهُورَ الأهدابِ كلَّ صَبَاحِ

ويموتُ الفتاء، يضحكُ من فكـ ـسرته الظلُّ والندَى والوَرْدُ
ونجومُ المساءِ تُبصرُ فى الآ فاقِ مَا لا يُرَى وما لا يُحَدُّ

إنَّهُ الريفُ من ثَرَاهُ العبيرىٌّ المندَّى تُستنبتُ الأشعارُ
موطنُ الحبِّ والأغانى وأرضُ غلَّفتْ رملَها الندِى أسرارُ

سرتُ فيه فجراً وسرتُ مساءً وعَرَفتُ الظهيرةَ العنبريّةْ
وارتوتْ من شَذَى النخيلِ وعطرِ الـ ـقمحِ روحى الطليقةُ الفجْريه

سرتُ فيه وحدى، سعادةُ قلبى غمرتنى وحدى، وغنّيتُ وحدى
إن هذا الفردوسَ يَنْقُصُهُ الإنـ ـسانُ: يُضحى ضياءهُ ويُندِّى

تلك أكواخهم حصيرٌ وأحجا رٌ وبؤسٌ مخيم لا يزاحُ
تخجَلُ الشمسُ أن تمرّ عليها ويَحيدُ الضُحى ويكبو الصَبَاحُ

غُرَفٌ رثّةُ المداخلِ والجُدْ رانِ سودٌ تجولُ فيها الرّياحُ
فى دجاها يعيشُ قومٌ جياعٌ نَضَبتْ فى أيديهمُ الأقداحُ

ويغنى القُمْرىُّ تجرى السواقى ويلاقى الضياءُ تلةَ زنبقْ
ويُراقُ الجمالُ فى الفجرِ أكوا بأ ولا قلب فى القُرَى يتذوّقْ

شَغَلتهم أحزانُهم عن معاني الـ ـظلِّ والضوء والنّدَى الألاّقِ
عن مذاق الجمالِ في وردة خجـ ـلَى على شطِّ جدولٍ رقْراقِ

كيف يَرْقى الجياعُ في عالم الرّو حِ وهم في حبالة الجسْم أسْرَى
يعصرون الصخورَ بحثاً ولا قطـ ـرةَ ماءٍ تَبلُّ والروح حَرَّى

يحرثون المياهَ، يستنبتون الـ ـنارَ والموتَ يعزلون الرِّياحا
يا ضَياعَ الإنسانِ يخدعه التيـ ـهُ ويسري ولا يُلاقي صباحا

هؤلاء الجياعُ في عُزلة الحِرْ مانِ تمتدُّ حولهم أسوارُ
لفَّ أرواحهم حجاب كثيف وانطوت في عيونهم أسرارُ

خلف باب الكوخ الكئيبة قمر يٌّ يغنِّي ألحانَهُ ومُنَاهُ
لا هُم يسمعونَهُ لا ولا القُمْـ ـريُّ يدري ذهولَهُم عن غناهُ

ليس يدري القمريُّ ما يفعل الجو عُ بأهل الأكواخ كل شتاء
حينما تغمر الثلوجُ ثرى المر جِ وتطويه عن عيونِ الضياء

حينما يجمدُ القطيعُ من البر دِ على المرج في شتاء حزينِ
حينما تُذبل العواصفُ زهر الـ ـلوز والبرتقال والياسمين

حينما تدفنُ الثلوجُ حقولَ الـ ـقمح والرزّ تحت سوط الرياحِ
وجياع في ظلمة الكوخ لم تَدْ رِ بأحزانهم عيونُ الصباحِ

ليس يدري القمريُّ لا ليس يدري ما وراء الأكواخ من حرمانِ
يا دياراً سكّانُها الجوع والحمّـ ى خواءٌ من الندى والحنانِ

أيّها الصادحُ المغنّي على قمّـ ـة هذا الدوح الندىّ البليل
دعْ أساهُ يا طيرُ لي، لمسيري في لياليه، إنّ قلبي دليلي

ضاع في هذه القُرى حلمىَ المضـ ـفور بالضوء والندَى والبرودة
عطش اللحنُ في شفاهي إلى الرىّ إلى جنّة الرؤى المفقوده

حملتني الأوهامُ أوهامىَ العطـ ـشى بعيداً ولم أجد لي ارتواء
سقط الريشُ عن جناح خيالي وفقدتُ الرؤى فقدتُ الضياءَ

يا سفيني ارحلي، دعي شاطئ القر يةِ إنّ المرسى ضنين بعيدُ
وغصونُ الصفصاف عارية السيـ ـقانِ والليلُ في الحقول أبيدُ

أقلعي أقلعي بنا قد سئمنا صرخات الجياع في كلّ شعْبِ
قد رأينا الدموعَ في كل جفنٍ ولمسنا العويلَ في كلّ قلبِ

وَوَداعاً يا زيفُ جِئتاكَ حلو ... ثين رؤيا فلم تَطُلْ رؤيانا

إنّ في الأُفق لمحةً من ديارٍ ... هي أحنى على جراح مُنانا

أنشودة الرياح

-٥-

حُلُمٌ وانطوى   في الفضاء المديدْ
كلَّما أخفقتْ   في رجاء فريد
شيَّدت في الذُّرَى   حُلْمَها من جديدْ
لا تبالي الظلى   لا تبالي الجليدُ

خيَّبتها القُرَى   ودجاها الحزينْ
إنّ في أرضها   بشَراً جائعين
لم تجد عندهم   غير دمعٍ سخينْ
ومَضَتْ في السُّرى   لا تني لا تلين

ثم أرستْ هنا   عند أهل اللحونْ
شعراءُ مَشَوْا   في ظلال الغصون
علَّ في نايهم   بعضَ لحنٍ حنونْ
ليس فيه أسىً   ليس فيه مَنُونْ

حدّقي ها هنا ... يا فتاة القصيدْ

إنّ في كونهم ... زَجْعَ لحنٍ سعيد

انظري تلمسي ... في الظلام المديد

نشوةً غلّفت ... قلبَ هذا النشيدْ

في عالم الشعراء

إنّه شاطئ القصائد والألـ ... ـحان يمتدّ غامضَ الكثبانِ
في حناياه كلُّ ذرّةِ رملٍ ... رعشةٌ وانبثاقةٌ وأغاني

علّنا واجدون فيه الرحيقَ الـ ... ـمُشْتَهى علّ في ثناياهُ نجما
نحن سرنا مرنّحين من الجهـ ... ـدِ وكان المسيرُ صَلْداً أصمّا

في ضباب الآفاق نسأل ماذا؟ ... أسَرابٌ ما حولنا أم تلالُ
عبثاً نلمس المدى فالمدى مُسـ ... ـتغلقُ السرِّ مبهم لا يُنالُ

وتجلّى الدجى ولاح لنا فـجـ ... ـرٌ طريٌّ لَدُنْ النسيم بليلُ
مُرهَفُ الضوء لامَسَتْ شفتاه الـ ... ـمرجَ فاستيقظتْ قُرىً وسهولُ

إنها رعشةُ الحياة وميلا ... دُ الأغاني المُغَرْوِرقاتِ الشجيّه
إنها العالم الذي ظلّلَ الشا ... عرَ حتى الصخورُ فيه نديّه

عالم كله انفعالٌ وحسٌّ ... شاسع الغور لا يُمَسُّ مداهُ
واحتشادُ الشعورِ بحرٌ سحيقٌ ... غاصَ في لا نهايةٍ شاطئاه

عالم الشاعر الثريُّ الرؤى العذْ ب الأغاني المرقرَق الألوانِ
كل نبضٍ في قلبه لحنُ حبٍ للمدى للوجود للإنسانِ

عالمٌ صيغَ من شعور رهيف وأحاسيسَ طلقةٍ لا تنامُ
والأغاريدُ منبعُ لأساهُ فهي في صمتِ روحِهِ آلامُ

تلك مأساته يبيت الليالي ساهد اللحن راثياً للحيارَى
كلّما أنَّ في الدياجيرِ مظلو مٌ بكى الشاعر الرهيف وثارا

أبداً يرقب المدَى ويُناجي الـ ليلَ روحاً وجبهةً وشفاها
في حياةٍ يرى الخليُّ ضُحَاها ويعيشُ الفنّان تحتَ دجاها

يرقب الأشقياء أنّاتهم تجـ ـرح إحساسَهُ تعزُّ عليهِ
دمعةٌ في جفونِهِ وصلاةٌ من حنانٍ تذوبُ في شفتيهِ

يَسهرُ الليلَ يقبعُ الحارسَ المكـ ـدودَ في خطوه الرتيبِ الكليلِ
وَقْعُ أقدامِهِ على شاطئ الصمـ ـتِ أسى الشاعرِ الحنونِ النبيلِ

أطفئ الضوء أيها الشاعر المتـ ـعبُ وارحم فؤادك الموجوعا
كاد يخبو ضوءُ السراج وتأتي ظُلُماتُ الدُّجَى عليهِ جميعا

أنا قد جئتُ كونَكَ العابق الضو ... ئيَّ بحثاً عن حلميَ المفقودِ
علَّ في كأسِكَ الرحيقيةِ الولـ ... ـهى شُعَاعاً من الضياءِ البرودِ

قلتُ، دنياهُ فرحهُ وضياءُ ... وعطاءُ خِصبُ وروحُ ولونُ
وصلاةُ سحريّةُ الرجع يشا ... لُ عليها عطرُ وضوءُ لَدْنُ

إنه الشاعر الطليقُ الذي يَغْـ ... ـزلُ همسَ الرياحِ لحناً ثريّا
إنه دفقة القصائد والأنـ ... ـغامِ ما زال روحُهُ ضوئيا

فلماذا أراهُ كالطيف ذبلا ... نَ طوته انطفاءةٌ وسكونُ
مقلتاهُ مَأوَى الكآبة في أهـ ... ـدابها يكمنُ الضياءُ الحزينُ

إنّه كالضياء في طهره يُطـ ... ـفئه الشرُّ والمعاني الدنيئه
أولا تذبل الورودُ إذا ما ... لامستها يدُ الجفاف البطيئه

قلبُهُ للجمال كرّس نجوا ... هُ وللّون والشذى والنقاء
لا يطيق الأذى ويحلم بالكو ... نِ طهوراً مضوّاً الأنداءِ

هو والخير يبقيان صديقيـ ... ـن محبّينِ ليس يفترقانِ
وهو الحبُّ لحنُهُ الأبديُّ الطـ ... ـلقُ يَنْدَى من رقّةٍ وحنانِ

فإذا ما رأى الشرور وقد كبـ ـلت الأرض ذاب روحاً وقلباً
وذوى حلمُهُ الإلهيُّ وانثا لتْ على روحه الكآبةُ سُحبا

ويَرَى الزهرَ ذابلاً بعد أن كا نَ يُذيع الشذى ظلالاً نديّه
فيرى قصّةَ الذبولِ وتذوي في مناه أسطورةُ الأبديّه

(١٩٦٥)

عاشقة الليل

الطبعة الأولى ١٩٤٧

الناشيء

الناشيء

"أعبِّر عمّا تحس حياتى
وأرسم إحساس روحي الغريب
فأبكى إذا صدمتنى السنين
بخنجرها الأبدى الرهيب
وأضحك مما قضاه الزمان
على الهيكل الآدمي العجيب
وأغضب حين يداس الشعور
ويُسخر من فوران اللهيب

نازك

الناشيء

ذكريات ممحوّة

وجهُكَ أخفاهُ ضبابُ السنينْ
وضمّهُ الماضي إلى صدرهِ
ألقَى عليه من شبابي الحزينْ
أحزانَ قلبٍ تاه في ذُعْرِهِ

وصوتُكَ الخافي خبا لحنُهْ
وأوحشَتْ سمْعيَ أصداؤه
فلستُ أدري الآنَ ما لونُهُ،
ما رجعُهُ الصافي، وإيحاؤه

ولونُ عينيكَ، وأسرارُها،
وشَعْرُكَ الداجي، وأمواجُهُ
غابتْ جميعاً، أينَ تَذْكارُها
في ليلِ قلبٍ طال إدلاجُهُ؟

كم، في سكون الليلِ، تحتَ الظلامْ
رَجَعتُ للماضي وأيَّامه
أبحثُ عن حبِّيَ بين الرُّكامْ
فلم تَصِلني غيرُ آلامِه

لم يَبْقَ شيءٌ غيرُ حزني المريرْ
بقيَّةٌ من حبِّيَ الذاهب
وذكرياتٍ من صِباي الغريرْ
ساخرةٍ من وجهيَ الشاحب

وأصبحتْ ذكراكَ وهماً يلوح
يشتاقُهُ قلبي الكئيبُ الضريرْ
يا جسداً، كالقبر، ما فيه روحْ
سمَّيتُهُ قلباً، فيا لَلغُرورْ!

وأيُّ قلبٍ جامدٍ بارد
أيُّ حياةٍ تحتَ ظلِّ الجُمودْ
لولا صُراخُ الزَّمن الحاقد
لضِقتُ بالعيشِ وعِفتُ الوجودْ

لم يَعُدِ الحُبُّ أسىً مُحرقا
يُشعلُ أيامى بأحزانه
ولم يَعُدْ جَفْنِى مُغْرورقا
يحرقُه الدمعُ بنيرانِه

لم يبْقَ إلا ثورةٌ واحتقارْ
ملء حياتى المُرَّةِ الحالمه
النارُ ذابتْ وتبقَى الشرارْ
تشربُهُ أحلامىَ الواهمه

وطيفُكَ الخابى هوَى نجمُهُ
وغابَ فى الماضى الرّهيب الأبدْ
ووجهُكَ القاسى ذوَى رسمُهُ
فى مُقْلتى فهو خيالٌ بعيدْ

مَضَى زمانٌ كنتُ فيه الّتى
تفتنُها أنغامُكَ الصافيه
وروحُ أشعاركَ فى وحْدتى
وحبيى الإلهىُّ وأشعاريَه

مَضَى وأبقى لي فؤاداً يرى

فيكَ جماداً من ترابٍ وطينْ

أسكنتُهُ يوماً أعالي الثُّرَى

وأرجعَتْهُ للحضيضِ السنينْ

لم يَبْقَ منكَ الآنَ شيءٌ جميلْ

غير اسمكَ العذْبِ وأصدائه

ذكرىً لقلبٍ كان يوماً نبيلْ

فبات في حَسْمأةِ أهوائه

ملامحُ الهيكلِ عندي امحتْ

الوجهُ، والبَسْمةُ، والمُقْلتانْ

لم يَبْقَ إلا اسمٌ، وروحٌ خَوَتْ

وذكرياتٌ قد مَحَاها الزمانْ

مَددْتُ كفِّي إلى جوِّها

باحثةً عن سحْرها السابقِ

فلم أجدْ ثَمَّ سوى شلْوها

يَسْخَرُ من مدمعيَ الدافقِ

وعـــــاد قلبي للأسى والعــــذابْ

مستوحشاً حتّى من الذّكرياتْ

من يُرْجِعُ الماضي إذا ما الضَّبابْ

ألقى دُجاهُ فوقَ ليلِ الحياةْ؟

وما مَحَاهُ الزّمنُ القادرُ

أيُّ يدٍ تكتُبُهُ من جديدْ؟

فيمَ إذنْ يلتفتُ الشاعرُ

إلى دُجى الماضي الرهيبِ الأبدْ؟

١٩٤٦-٨-٢٠

ذكرى مولدي

مهداة إلى «كاملة» صديقة طفولتي التي
لم أعد أعرف عنها إلا اسمها.

جئتِ يا ذكرياتُ شاحبةَ الوجـ ـهِ حَيارى في موكب الأيامِ
جئتِني والشبابُ باكٍ بعينيّ وحولي جنازةُ الأحلامِ
رَغَباتي دفنتُها في ثرى الما ضي وقلبي ما عادَ غيرَ حُطَامِ
ودموعي رمزٌ لما لقيتْه الرو حُ في غيْهبِ الوجودِ الدامي

جئتِ يا ذكرياتُ ما أفظعَ الذكـ ـرى وما أروعَ الرجاءَ الفقيدا
ليتَ قلبي قد كان صخراً أصمّا كلَّ يوم يبني رجاءً جديدا
ليتَهُ كان جامدَ الحسِّ كالطيـ ـنِ يعيشُ الحياةَ جَذْلاً سعيدا
ليتَهُ لم يكنْ ويا ليتني أعـ ـتاضُ عنه حجارةً أو حديدا

والتقينا مع الصباحِ فيا خَيْـ ـبةَ نفسي أيُّ التقاء مريرِ
وجهُكِ الشاحبُ المروَّعُ يُبكيـ ـني ويُحْيي ذكرى صبايَ الغريرِ
وبعينيكِ قطرةٌ من دموعي وعلى فيكِ آهةٌ من زفيري
أسفاً قد حَفِظْتِ أحزانَ قلبي وتجاهلتِ نَشْوتي وحُبُوري

شَهِدَ الفجرُ كيف يا ذكرياتي ... كان هذا اللقاءُ أشجى لقاءِ
عانقتني أشباحُكِ الباكيات الـ ... ـخُرْسُ باليأسِ والشَّجا والبكاءِ
ووقفنا تحت الصباحِ غمائـ ... ـلَ حيارَى كأنفسِ الشُّعَراءِ
وانحنتْ فوقنا الشُّجَيراتُ حزناً ... تتباكى بأدمعٍ خَرْساءِ

أسفاً ضاعت الطفولةُ في الما ... ضي وغابتْ أفراحُها عن جفوني
وهي لو تعلمينَ أجملُ ما يمـ ... ـلكُ قلبي وما رأتْهُ عيوني
حينما كنتُ طفلةً أجهلُ السرَّ ... وأحيا في غفلةٍ من شجوني
كالعصافيرِ أملأُ الدارَ لهواً ... وغناءً وأستحبُّ جنوني

ماتَ أمسي الضحوكُ واعتَضْتُ عنه ... بشبابٍ مُرٍّ ودمعٍ ويأسِ
وَخَبَتْ ذكرياتُهُ البيضُ في بحـ ... ـرِ شعوري وليلِ قلبي ونفسي
أين تلك الوجوهُ؟ كيف نَسيتُ الآ ... نَ؟ من ذا يُعيدُ لي فجرَ أمسي؟
كلُّ وجهٍ عفّاهُ مَرُّ الليالي ... فهو طيفٌ وراءَ وعيي وحسّي

أعبُرُ العُمْرَ كلَّهُ نحو أمسي ... ويعودُ الشعورُ بي للتلالِ
مجلسي فوق تلّيَ الحُلْوِ وحدي ... أو شرودي بين الشَّذَى والظلالِ
ومعي الطفلةُ الصديقةُ نبني ... فوقَ وجهِ الرِّمالِ عرشَ الخيالِ
عُمْرُنا قصّةٌ ولحنٌ نغنّيـ ... ـهِ وقلبانِ في نَقَاءِ الرِّمالِ

أين أصبحتِ يا رفيقةَ أمسي؟ … ما الذي قد شهدتِ فوقَ الوجود؟

أترى تذكرينَ مثلي أيّا … مَ صبانا وحلْمَنا المفقودا؟

أم ترى قد نَسيتني ونَسيتِ الأ … مسَ في فَرْحة الشّباب الرَّغيدِ؟

أبداً لستُ لستُ أنسى وإن كنـ … ـتِ تهاويتِ في الزّمانِ البعيدِ

أترى أبصرتْ عيونُكِ في الأر … ضِ كما أبصرتْ عيونيَ شقاها؟

أرأيتِ الأحزان في كلِّ قلبٍ … ورأيتِ النفوسَ في بلواها؟

أسمعتِ الصُّراخَ يُرسلُهُ الأحـ … ـياءُ والأرضُ أغرقتْها دماها؟

حدثيني صديقةَ الأمسِ هاتي … عن لياليكِ بِشْرَها وأساها

ربّما كنتِ يا رفيقةُ مثلي … زورقاً في البحار عادَ حُطاما

الرّفيقاتُ غبْنَ عنكِ وآثـ … ـرنَ عليكِ الشرورَ والآثاما

فكتمتِ الشعورَ في قلبكِ الصّا … في وصُنْتِ الأحزانَ والآلاما

وقضّيتِ الحياةَ في الوحدةِ الخر … ساءِ تَستلهميها الأحلاما؟

أنصتي من مكانكِ الغامضِ المجـ … ـهولِ أصغي الى نشيدي الصافي

أوَ تدرين ما الذي صنعَتْهُ … سنواتُ العُمْرِ الرهيب الخافي؟

إنّه يومُ مولدي، يومُ أحزا … ني وذكرى الرسُوِّ عندَ الضفافِ

حينما أوقفتْ سفينتيَ الأقـ … ـدارُ بين الأمواجِ، تحت السّوافي

أنّه يومُ مولدي أين أفـرا حُ شبابي أعيدُها للسّنينا

كيف مرّ العامُ الحزينُ بقلبي الـ ـسجَنِ؟ أينَ الثلاثُ والعشرونا؟

كيفَ مرّتْ هذي السنينُ ولم أدْ رِ؟ ومالي ذوّبتُ عمري أنينا؟

لم أنلْ من ظلامه المرِّ إلاّ أملاً ذاهباً وروحاً حزيناً

إنّه يومُ مولدي ولقد مَرْ رَ بعُمْري الداجي كظلّ شقيّ

عشتُهُ في قصائدي ودموعي بين جُدْران معبدي الشاعريّ

لا فؤادٌ معي يُشاركُني حُزْ ني ويبكي على شبابي الدجيّ

لا رفيقٌ في غُرْبتي ووجومي غيرَ قلبي الشجيْ ودَمعي التقيّ

٢٣-٨-١٩٤٦

الحياة المحترقة

«كتبت الشاعرة هذه القصيدة عندما
ألقت بمذكراتها إلى النار».

هذه يا نارُ أفراحي وشوقي وشجوني
جئتُ ألقيها إلى فكّيكِ في فجري الحزينِ
كلُّ ما مرَّ بقلبي من شَقَاء وحنين
إلْقَفيه الآنَ لا تُبقي ولا تَسْتَمهليني

هذه الأسطُرُ قد ضمتْ بقايا سنواتي
منذُ أن ألقتْ بيَ الأقدارُ في تيهِ الحياةِ
طفلةٌ ترنو الى الشاطئ عَبْرَ النَظَراتِ
وتَرَى العالَم بحراً مُغْرَقاً في الظُلُماتِ

سنَواتي كلُّها يا نارُ في هذي السُّطورِ
أغاريدي، وأشواقُ حياتي، وحُبوري
وبقايا من حنيني، وشظايا من شُعوري
وأباديدُ من الأحلامِ والحُزْنِ المريرِ

إنّها أيّتها النارُ، أزاهيرُ شبابي
صُغْتُها ذكرىً لأحزاني، ورمزاً لعذابي
ومحا أسطُرَها دمعي وأبلاها اكتئابي
خُذيها، وأعيديها رُكاماً من تُرابِ

أحرقيها، لم أعُدْ أعبأ، لن أبكيْ شذاها
إنّها، يا نارُ، ذكرىً لليالٍ لن أراها
دفنَ الماضي خفاياها الحَوالي ومَحاها
وطوتها لُجّةُ النسيانِ في عُمْقِ دُجاها

ذهبتْ تلكَ الليالي وطوى الدّهرُ صبايا
أيُّ نفعٍ بعْدُ يا نارُ لدمعي وأسايا؟
أيُّ معنىً لادّكاراتي، وشوقي ومُنايا؟
لن يعودَ الأمسُ، لن تَلْقَى سَناهُ مُقلتايا

أيّها الحاضرُ لا تُسرِعْ إلى الماضي البعيدِ
ولتَقفْ مركَبَةُ الشمسِ على الأفقِ المديدِ
ليكُنْ بعدَ صبانا تحتَ أنقاءِ الخُلودِ
آهِ وليَمّحِ لفظُ الأمسِ، من سِفرِ الوجودِ

أو أبِدْ مــا ترَكَ الماضــي من الأحــزانِ فــينا
وامـسـحِ الذكـرى ولا تُبْقِ لنـا الشوقَ الدفـينا
حسـبُنا الحاضـرُ آلامـاً ودمـعـاً وشُـجُـونا
رحـمـةً فلْتَـمْـسَـحِ الماضي وآثارَ السـنينا

فيمَ تبـقى ذكـرياتي حـيَّـةً بعـدي وأنْسى؟
كلَّ يومٍ أسـرعُ الخَطْوَ عن العـالـم يأسـا
وهي مـازالتْ شبـاباً ناضراً، جِـسْـمـاً ونَفْسا
آه مـا أعنفَ أحـقـادي على الذكـرى، وأقسى!

أيُّها النـارُ الهَـبي في المَوقـد الذاوي الرهيبِ
وخـذي مـن فـتنةِ الذكـرى غـذاء للَّهـيبِ
إثأري منـهـا، أعـيـديهـا رَمـاداً، وأذيبي
ودعـيـنى مـرةً أضـحـكُ من قلبي الكئـيبِ

١٩٤٦-٦-٧

في وادي العبيد

ضاع عُمْري في دياجيرِ الحياة
وَخَبَتْ أحلامُ قلبي المُغْرَقِ
ها أنا وحدي على شطِّ المماتِ
والأعاصيرُ تُنادي زورقي
ليس في عينيَّ غيرُ العَبَراتِ
الظلالُ السودُ تحمي مفرقي
ليس في سَمْعيَ غيرُ الصَرَخاتِ
أسفاً للعُمْرِ، ماذا قد بقي؟

سنَواتُ العُمْرِ مرّت بي سِراعا
وتوارتْ في دُجَى الماضي البعيدْ
وتبقّيتُ على البحْرِ شِراعا
مُغْرَقاً في الدمْعِ والحزنِ المُبيدْ
وحدتي تقتلُني والعُمْرُ ضاعا
والأسى لم يبقِ لي حُلماً جديدْ
وظلامُ العيْشِ لم يبقِ شُعاعا
الشبابُ الغضُّ يذْوي ويبيدْ

أيُّ مأساةٍ حياتي وصبايا

أيَّ نارٍ خلفَ صَمْتي وشَكاتي

كتمتْ روحي وباحتْ مُقْلتايا

ليتها ضنَّتْ بأسرار حياتي

ولمن أشكو عذابي وأسايا؟

ولمن أرْسِلُ هذي الأغنياتِ؟

وحواليَّ عبيدٌ وضحايا

ووجودٌ مُغْرَقٌ في الظُلُماتِ

أيُّ معنىً لطُموحي ورجائي

شَهِدَ الموتُ بضَعْفي البَشريِّ

ليس في الأرض لحُزْني من عزاءٍ

فاحتدامُ الشرِّ طبْعُ الآدميِّ

مُثُلي العُليا وحلمي وسَمائي

كلُّها أوهامُ قلبٍ شاعريِّ

هكذا قالوا... فما مَعْنى بقائي؟

رحمةَ الأقدارِ بالقلبِ الشقيِّ

لا أريدُ العيشَ في وادي العبيدِ

بين أمواتٍ... وإن لم يُدْفَنوا...

جُثَثٌ ترسفُ في أسْرِ القُيود

وتماثيلُ اجتوتْها الأعْيُنُ

آدميّونَ ولكنْ كالقُرود

وضِباعٌ شَرِسَةٌ لا تُؤمَنُ

أبداً أسْمَعُهم عذْبَ نشيدي

وهُمُ نومٌ عميقٌ مُحْزِنْ

قلبيَ الحُرُّ الذي لم يَفْهموهُ

سوف يلْقَى في أغانيه العَزاءَ

لا يَظُنّوا أنَّهم قد سحقوهُ

فهو ما زالَ جَمالاً ونَقاءَ

سوف تمضي في التسابيح سِنوهُ

وهُم في الشرِّ فجراً ومساءَ

في حَضيضٍ من أذاهُمْ ألِفوهُ

مُظْلمٍ لا حُسْنَ فيه، لا ضِياءَ

إن أكنْ عـــاشـــقــةَ الـلـيـلِ فكـأسي
مُــشْــــرقٌ بالضـــــوء والحُـبِّ الـوَريقِ
وجــمَــالُ الليـلِ قــد طـهَّــرَ نفـسي
بالدُّجَى والهـمـس والصـمْـتِ العـمـيقِ
أبـداً يـمـلـؤ أوهــامي وحــــــسِّي
بمعــاني الـرّوحِ والشــعْــرِ الرقــيقِ
فــدعـــوا لي ليـلَ أحــلامي ويـأسي
ولكم أنتم تبــاشــيــرُ الشُــروقِ

١٩٤٦/٨/٨

ثورة على الشمس

هدية إلى المتمردين

وَقَفَتْ أمام الشمس صارخةً بها
يا شمسُ، مثلُكِ قلبيَ المتمرِّدُ
قلبي الذي جرفَ الحياةَ شبابُهُ
وَسقَى النجومَ ضياؤه المتجدِّدُ
مهلاً، ولا يخدعْكِ حزْنٌ حائرٌ
في مقلتيَّ، ودمعةٌ تتنهدُ
فالحزنُ صورةُ ثورتي وتمرُّدي
تحت الليالي؛ والألوهةُ تَشْهدُ

مَهْلاً ولا يخدعْكِ حزنُ ملامحي
وشُحوبُ لوني وارتعاشُ عواطفي
وإذا لمحت على جبيني حَيْرتي
وسُطُورَ حزني الشاعريِّ الجارفِ
فهو الشعورُ يُثيرُ في نفسي الأسى
والدمْعَ في هول الحياة العاصفِ
وهي النبوةُّ لم تطِرْ فتمرَّدَتْ
الحُزْنِ، في وجهِ الحياةِ الكاسفِ

شَفَتَايَ مُطْبَقتان فوق أساهما

عيناي ظامئتان للأنداء

تَرَكَ المساءُ على جبيني ظِلَّهُ

وقضى الصباحُ على جديد رجائي

فأتيتُ أسكُبُ في الطبيعة حَيْرتي

بين الشَّذَى والوردِ والأفياء

فسَخِرتْ من حُزني العميقِ وأدمُعي

وضَحِكتْ فوق مرارتي وشَقائي

يا شمسُ حتى أنتِ؟ يا لَكآبتي!

وأنت التي ترنو لها أحلامي

أنتِ التي غنّى شَبابي باسمها

وشَدَا بفيض ضيائها البسّام

أنتِ التي قدّستُها وتَخِذْتُها

صَنَماً ألوذُ به من الآلام

يا خيبةَ الأحلام، ما أبقيْتِ لي

إلا ظلالَ كآبتي وظلامي

سأحطّمُ الصنَمَ الذى شيَّدتُهُ
لكَ من هوَاىَ لكلِّ ضوءٍ ساطعٍ
وأديرُ عينى عن سناكِ مُشيحةً
ما أنتِ إلا طيفُ ضوءٍ خادعٍ
وأصوغُ من أحلامِ قلبى جنّةً
تُغنى حياتى عن سناكِ اللامعِ
نحنُ، الحبيبينَ، فى أرواحنا
سرُّ الألوهةِ والخلودِ الضائعِ

لا تنشُرى الأضواءَ فوق خميلتى
إن تشرقى، فلغيرِ قلبى الشاعرِ
ما عاد ضوؤك يستثيرُ خواطرى
حسْبى نجومُ الليلِ تُلهمُ خاطرى
هنّ الصديقاتُ السواهرُ فى الدُّجى
يفهمن روحى وانفجارَ مشاعرى
ويرقْن فى جفنى خيوطَ أشعّةٍ
فضيّةٍ، تحتَ المساءِ الساحرِ

اللـيلُ ألحـانُ الحـيـاة وشـعـرُها

وَمطَافُ آلهـةِ الجـمـالِ المُلْهِمِ

تهـفو عـليه النفسُ غـير حـبيسـة

وتحلّق الأرواحُ فـوقَ الأنجُمِ

كم سِـرْتُ تحتَ ظَلامـه ونجـومِـه

نسـيتُ أحـزانَ الوجـودِ المُظْلمِ

وعلى فـمى نَغَمٌ إلهىٌّ الصَّـدَى

تُلْقـيـهِ قـافلةُ النجـومِ على فـمى

كم رُحتُ أرقبُ كلَّ نجمٍ عـابرِ

وأصـوغُ فى غَسَقِ الظلامِ مـلاحنى

أو أرقبُ القَـمَـرَ المودِّعَ فى الدُّجى

وأهيمُ فى وادى الخـيـال الفـاتنِ

الصـمتُ يبـعَثُ فى فـؤادى رعـشةً

تحت المسـاء المُدْلهـم السـاكنِ

والضـوءُ يرقُصُ فى جفـونى راسـماً

فى عُـمْـقـهـا أحـلامَ قلبٍ آمنِ

يا شمسُ، أما أنت.. ماذا؟ ما الذي

تلقاهُ فيكِ عواطفي وخواطري؟

لا تَعْجَبي إن كنتُ عاشقةَ الدُجى

يا ربّةَ اللّهَبِ المذيب الصاهر

يا من تُمَزِّقُ كلَّ حُلْمٍ مُشْرِقٍ

للحالمينَ وكلَّ طيفٍ ساحرِ

يا من تُهدِّمُ ما يشيّدهُ الدُجى

والصمْتُ في أعماق قلب الشاعرِ

أضواؤكِ المتراقصاتُ جميعُها

يا شمسُ أضعفُ من لهيب تمردي

وجنونُ ناركِ لن يمزّقَ نغمتي

مادام قيثاري المغرِّدُ في يدي

فإذا غَمَرْتِ الأرضَ فلْتَتَذكَّري

أني سأخلي منَ ضيائك معْبدي

وسأدفنُ الماضيْ الذي جلّلته

ليخيِّمَ الليلُ الجميلُ على غدِي

١٩٤٦-٧-٨

بين فكّي الموت

«كانت الشاعرة مصابة بحمى شديدة فنظمت هذه القصيدة الحزينة تودع الحياة وتستقبل العالم المظلم».

يا مساءَ الصَّيفِ الحزينِ خبَا حبِّ ... ي لما فيكَ من أسىً وخُشُوعِ
وتبرَّمتُ بالسكونِ وبالأشـ ... ـباحِ واعتَضْتُ عنهما بدموعي
لم يَعُدْ في قلبي هوىً لديَاجيـ ... ـكَ فيا رحمةً بقلبي الوجيعِ
رحمةً يا ظلامُ يا صمتُ يا أسـ ... ـرارُ بالخافقِ الشقيِّ المرُوعِ

ها أنا تحتَ دُجيةِ الليلِ روحٌ ... مُستطارٌ في هيكلٍ موهونِ
صَرَخاتُ الحمَّى تحطِّمُ أحلا ... مي وأحلامَ قلبيَ المحزونِ
يا عيونَ النجومِ لا ترمُقيني ... لم يَعُدْ في سَنَاكِ أيُّ فتونِ
وامدُدي يا رياحُ كفَّيكِ لُطفاً ... وحناناً على فمي وجبيني

ها أنا بين فكّي الموتِ قلباً ... لم يزَلْ راعشاً بحبِّ الحياةِ
وعيوناً ظمأى إلى مُتَعِ الكو ... نِ تُناجي مفاتنَ الأمسياتِ
لم أزَلْ برْعماً على غُصُنِ الدهـ ... ـرِ جديدَ الأحلامِ والأمنياتِ
فحرامٌ أن تدفنَ الآنَ يا مو ... تُ شبابي في عالمِ الأمواتِ

ها أنا عندَ هُوَّة الزَّمن المُظْـ ـلم بين الأموات والأحياء
منْ ورائى صِباى بين الأناشيـ ـد ولهو الطُّفُولة الحسناء
وأمامى وادى المنايا قبورٌ في ظلال المَنِيَّة الخرساء
أُفُقٌ راعبٌ رهيبُ المعاني ضمَّ أرجاءَهُ الدُّجى اللانهائى

أيها الموتُ وقفةً قبلَ أن تُغْـ ـرى بجسمى سكونَكَ الأبدِيَّا
آه دَعْنى أملأ عيونى من الأنـ ـوار وارحمْ فؤاديَ الشاعريّا
آه دَعْنى أودِّع العودَ يا مو تُ فقد كانَ لى الصديقَ الوفيّا
وأرنِّمْ لحنَ الوَدَاعِ لدنيا يَ لأمضيْ للموتِ قلباً شقيّا

رحمةً بى، يا أيها الموتُ، وأرفق بفؤاد نالتْ هواهُ الحياةُ
أعْفِنى الآنَ من مفارقة الدنـ ـيا ودعني إلى غد يا مماتُ
لا أحبُّ الظلامَ فليكُ موتى ى غد حينَ تغربُ الظُّلُماتُ
حينما تضحكُ الطبيعةُ في الوا دى الأغنُّ الحالى وتشدو الرُّعاةُ

يا سكونَ الليلِ العميقِ وداعًا إنها يا سكونُ آخرُ ليله
لم يَعُدْ في الجسْمِ الوَهون سوى بُقْـ ـيا حياة ونَسْمة مُضْمحلّه
لم يَعُدْ في السِّراج إلا وميضٌ شاحبٌ مدَّ حولهُ الموتُ ظِلَّهْ
وانتهى يا ظلامُ تحتكَ تَجْوا لى وشعرى وأغنياتى المُملّه

وستمحو الأيامُ ذكرَ فتاةٍ شَغَفَتْها إلهةُ الشعرِ حُبّا
فقضَتْ أمسياتِها تتبعُ الأطـ ـيافَ والعاصفاتِ شَرْقاً وغربا
يا جَناحَ الخيالِ لم يبقَ ريشٌ يا ظلامَ الفَناءِ لم تُبْقِ قَلْبا
ليسَ إلاّ جسمٌ تُضَعْضِعُهُ الحمـ ـى وطرفٌ يَطوي الدَياجيرَ رُعْبا

أيها الليلُ، أيها العالمُ الغا مضُ قد أسْدلَ الستارُ المخيفُ
فارحمِ الآنَ تحتَ دُجيتك السو داءِ قلباً غامتْ عليه الحتُوفُ
لَهْفتا يا ظلامُ لن يَطلعَ الفجـ ـرُ ولن يبسِمَ الفؤادُ اللهيفُ
لهفتا يا ظلامُ لهفةَ روحٍ لم يُمَتَّعْ شبابُهُ المشغوفُ

يا فؤاديْ الشَريدَ ودِّعْ أمانيـ ـكَ فلن تلمحَ الصباحَ الجميلا
أنتَ يا من قضَيْتَ عُمْرَكَ مفتو ناً تُناجي الرُّبى وتشدو الحقولا
واسترحْ أيها الخفوقُ كَفَى حُزْ ناً كفانا تضرُّعاً وذُهولا
لا يَرُعْكَ الرَّدى وحَسْبُكَ أنْ تُدْ ركَ يا قلبُ سرَّهُ المجهولا

فيمَ تبكي على مُفارقةِ الدنـ ـيا وقد عشْتَ في حماها غريباً؟
إنّها أيها المعذَّبُ مأسا ةٌ تُثيرُ الأسى وتبكي القلوبا
تخدعُ الجاهلينَ أوهامُها السو دُ ولا تخدعُ الذكيَّ الأريبا
فاحتقرها وسِرْ إلى عالمِ الأمـ ـواتِ يا قلبيَ الرقيقَ طَرُوبا

يا عيونَ النجومِ يا وَرَقَ الصفْـ … ـصافِ يا فتنةَ السكون وَدَاعا!

لن أغنّيكِ بعد ليليَ هذا … آنَ أن ينشرَ الزمانُ الشِّراعا

عبثاً يا حياةُ دفعيَ للموْ … جِ فلن أستطيعَ بعدُ دفاعا

وغداً سوف يطمرُ اللُجُّ أشلا … ئى وتمضى بها الرِّياحُ سِراعا

يا بحارَ الفناءِ في العالمِ المجـ … ـهولِ رفقاً بزورقي المكدودِ

واحشدي حولَهُ عرائسَكِ الحو … رَ لعلّي أسلو جمالَ الوجودِ

فأنا يا بحارُ شاعرةُ الأحـ … ـلامِ ضمَّخْتُ بالفتونِ نشيدي

وتغنّيتُ بالحياةِ ولكنْ … لم تَبَرَّ الحياةُ ليْ بالوعودِ

أيُّها الليلُ آنَ أن يُطفِئَ الموْ … تُ شُعَاعَ الطُموحِ في مقلتيّا

لن تنالَ الآهاتُ من خافقِ الموْ … تِ ولن تُصغيَ الحياةُ إليّا

فوَدَاعاً من قلبِ عاشقةِ الليـ … ـلِ وَدَاعاً وأنتَ يا موتُ هيّا

هكذا تذبلُ الحياةُ ويخبو … لحنُ أحزانِها على شفتيّا

١٥-٦-١٩٤٥

السفر

أنا وحدي فوقَ صدْر البحر يا زورقُ فارجعْ

عبثاً أنتظرُ الآن فنجمي ليس يطلعْ

هبّتِ الريحُ على البحر الجُنونيِّ المُرَوّعْ

لتُعِدْ للشاطئ الساجي بقلبي المُتَضَرِّعْ

عُدْ إلى الشاطئ، عدْ ما عاد يحلو لي البقاء

ذهبَ البحرُ بأصحابي إلى حيثُ الضياء

أنا وحدي، أيها الملاّحُ، حُزْنٌ وبُكاءُ

يَرْجِعُ الزورقُ بي وحدي إذا جاءَ المَسَاءُ

ذهبوا للشاطئِ المسحورِ إذ عُدْتُ لوحدي

ذهبوا إلا أنا، عُدتُ بأحزاني وسُهْدي

لم أصِبْ في رحلتي إلاَّ صَبَاباتي وجُهْدي

فليكنْ، يا بحرُ، هذا، بالمُنى، آخرَ عهدي

كيف يا بحرُ توارى الركْبُ خلفَ الجزُرِ؟
كيف يذوي في فؤادي الصّبِّ حُلْمُ السَّفَرِ؟
عزَّ يا بحْرُ على موجكَ بُرْءُ الصَّدَرِ
فلأعدْ، لا رحمةَ الآنَ بقلب القَدَرِ

فلأعدْ للساحلِ المظلمِ قلباً مُسْتَطارا
أدفنُ الحلْمَ وأحيا زهرةً وسْطَ الصَّحَارى
أبداً أروى أناشيدى بأحزان الحَيارى
أبداً أحلُمُ بالفجْرِ فلا ألقى النّهارا

أيها الزّوْرَقُ عد بي، لم يَعُدْ ثَمَّةَ حُلْمُ
قد مَضى الركْبُ ولن يُشرقَ في أفقي نَجْمُ
ما الذي أرجو ومن حولي المَسَاءُ المُدلهِمُّ
والأعاصيرُ، وأشباحُ الدّيَاجي، والخِضَمُّ؟

أيُّها الشاطئُ، يا مَنْبَعَ أحلامي، وداعا
سئمَ المجدافُ في كفّيَّ دفْعاً وصراعا
كيف ألقاكَ وقد مزّقتِ الريحُ الشّراعا
ورجائي فيكَ بين الموْج يا شاطئُ ضاعا

فلأعدْ، لا سَفَرَ اليومَ إلى الأفق الجميلِ
لن أرى الشاطئَ، لن أحلُمَ في ظلِّ النخيلِ
وغداً رحلتيَ الكبرى إلى وادي الأفولِ
آهِ فلأرحلْ إليه، فلقد حان رحيلي

فوَدَاعاً أيها الركبُ وَدَاعاً يا حياة
آنَ أنْ يُطفئَ أفراحي وأحزاني المماتُ
آنَ أن تهجُرَ قيثاري وعودي النَغَماتُ
فسلامٌ أيها الموتُ، سلامٌ يا رُفاتُ

١٩٤٥-٧-٣٠

مرثية غريق

أيهـا النَهْـرُ لقـد جـاء المساءُ
ومشَى الصمتُ على الموجِ الوديعْ
وخبا فى الأفقِ الحالى الضياءُ
وتلاشى وقْعُ أقـدامِ القطيعْ

سكن الكونُ سوى الموجِ المُدوّى
أساطيرِ العُصورِ الخالياتْ
لم يَزَلْ يشكو المقاديرَ ويَروى
أبداً للكونِ أسرارَ الحياةْ

إيهِ يا ضفّةُ ما ذاكَ الخيالُ؟
فوق صدْرِ الموجِ، تحت الظُلماتِ
أ إلهٌ قد تصبّاه الجمالُ؟
أم غريقٌ عزّهُ حبلُ النجاةِ؟

حدّثيني، ما أرَى خلفَ السِّياجِ؟

فهو يا ضِفّةُ في الليلِ مريبُ

ما الذي ألمح في هذي الدياجي؟

ما تراهُ ذلكَ الشيءُ الغريبُ؟

هيكلٌ يغطُسُ حيناً ثمَّ يطفو

تائهاً تحتَ دُجى الليلِ الحزينْ

بَشَرٌ هذا ترى؟ أم هو طيفُ؟

ليتَ شِعْري، يا دياجي، ما يكونْ؟

آه يا شاعرتي، هذا غريقِ

فاحزني للجَسَدِ البالي المُمزَّقِ

راقداً، تحتَ الدياجي، لا يُفيقُ

والسَّنا من حَوْلِهِ جَفْنٌ مؤرَّقْ

يا لَميْتِ لم يودِّعْهُ قريبُ

فهوَ في النَهْرِ وحيدٌ مُتعَبُ

ما بَكَى مَصْرَعَهُ إلاّ غريبُ

هو قلبي، ذلكَ المكتئبُ

يا رياحَ الليل رِفْقاً بالرُفاتِ
واهدئي، لا تُقْلِقي جِسْمَ الغريقِ
حَسْبُهُ ما مزّقتْ أيدي الحياةْ
فليكُنْ منكِ له قلبُ صديقِ

ولتكنْ، يا نهرُ، أمواجُكَ حضنا
يتلقّاهُ وقلباً مُشْفِقا
ولْتكنْ، يا نجمُ، أضواءُكَ عَيْنا
تسكُبُ الدمعَ على من غَرِقا

آه يا قيثارتي، أيُّ المآسي!
قد كرِهتُ الليلَ أضواءً وظلاً
أيها الصيَّادُ، قِفْ! ألقِ المراسي
إنّ تحتَ الليلِ جسماً مُضْمَحِلاً

هوذا، يا أيها الصيّادُ، جسْما
خامدَ الأنفاسِ في حضْنِ المياهْ
وعُيوناً مُلِئتْ رُعْباً وهَمّا
لم يزَلْ يملؤها حُبُّ الحياهْ

أيّها الصيّادُ، قِفْ بالزورقِ
وانتشلْ هذا الغريقَ البائسا
خُذْهُ للشاطئ وادفنْ ما بَقِي
منه في القَرْيةِ وارجعْ يائسا

ما الذي تصطادُ في بحْرِ الزَمَنْ
وغداً يصطادُكَ الدهرُ العتي
نحن يا صيّادُ أبناءُ الشَجَنْ
حفَّ مَحْيانا الشَقَاءُ الأبدي

كلَّ يومٍ بينَ أيدينا غريقُ
وغداً نحنُ جميعاً مُغْرَقونا
عالَمُ حفَّ به الموتُ المُحيقُ
وتَباكَى في حِمَاهُ البائسونا

ضاقَ يا صيّادُ في عَيْني الوجودُ
يا لَكَوْنٍ سِرُّهُ لا يَنْجلي
كلُّ ما فيه الى القَبْرِ يقودُ
ما الذي يَبْقَى لنا من أملٍ؟

١٩٤٥-٧-١٠

على حافة الهوّة

جِئْتُكِ، يا هوّةُ، تحتَ الدُّجَى
لعلّني ألقى لَدَيْكِ الخَلاص
لم يبْقَ لى فى الأرضِ ما يُرتَجى
ولم يَعُدْ لى من رحيلى مَناص

جِئْتُكِ حَيرَى فى ظلام الدُّجَى
يدفعُ أقدامى جُنونُ الألَمْ
جِئْتُ وروحى فَزَعٌ صارخٌ
باسمِ إله الصمْتِ، باسم العَدَمْ

إليكِ جسْمى، كفّنى بالشَذَى
أشلاءَهُ الغضّةَ واسقيه
ألقى عليه باقةً حُلْوةً
من زَهَرِ أكتوبَر، ضُمّيهِ

وإن يكنْ تحتَ الدُجى بلبلٌ
فاستحلفيه أن يَصوغَ الرِّثاءْ
وإنْ تَسَاقَى الزَهرُ عِطرَ النَدَى
فقطرةٌ منه لجسمي ارتواء

البلبلُ يدري، ها أنا لم أزَلْ
بين جُنونينِ، ونفسي انفجارْ
أريد ان أحْيَا... ولكنّني
أحِسُّ بالثورة والإحتقارْ

هيّا إلى الموت، إلى صَمْته
فيمَ أخافُ الآنَ؟ فيمَ الألمْ!
عمّا قليلٍ تنتهي قَسْوتي
على حياتي، ويضجُّ النَدَمْ

عمّا قليلٍ يتصَبّى الدُجى
قلبي، بما في صَمْته من حياةْ
عمّا قليلٍ يخنُوني الأسى
على وَدَاعِ الحبِّ والذِكرياتْ

ها أنا في جُبْني، في موقفي
يخفقُ قلبي بالشّذَى باللّهبْ
تَرَدُّدي يصرُخُ بي ارجعي
للشِعْرِ، للأحلامِ، فيمَ الهرَبْ؟

وخَلْفَ نفسي همسةٌ كالصَدى
يكادُ يُفْنيها النِّداءُ الجديدْ
تهتِفُ بي: هيّا فكفُّ الرّدَى
أحنَى على جُرْحِ الحياةِ المُبيدْ

وبين صَوْتَيْ قلبيَ المُزْدَري
وروحيَ العاشقِ ضاعَ القَرارْ
ومرّتِ الساعاتُ ثم انطوتْ
ولم أزلْ في حَيْرةٍ وانتظارْ

وعُدْتُ للمَعْبدِ لا جُثَّةً
محمولةً بل جَسَداً ماشيا
أسخَرُ من نفسيَ مما جَرَى
وأزدري إحساسيَ الباقيا

١٩٤٥-٧-٣٠

سياط وأصداء

«كان على أرض الشارع المبللة جسد حصان، وكانت السياط ترتفع ثم تهوي فلا تسقط إلا على جرح».

ما زلتُ أذكُرُ كلَّ شيء من صباحي الضائعِ
الراقدُ الدامي المجرَّحُ فوق أرضِ الشارعِ
وَصدَى السياطِ المرهقاتِ على الجبين الضارعِ

يا ثورةَ الإحساس في نفسي علامَ تَمَزُّقي
ألمي على الجسد الممزَّق بعضُ ضَعْفي الأحمقِ
وغداً سأدفِنُ ما تبقَّى من حناني المرهقِ

يا ليتني عمياءُ لا أدري بما تَجْنِي الشُرورْ
صمَّاءُ لا أصغي إلى وقْعِ السياطِ على الظهورْ
يا ليتَ قلبي كانَ صخْراً لا يعذِّبُهُ الشعورْ

يا ليتني، ماذا تُفيدُك، يا حياتي، ليتني؟
أحلامُك النَضِراتُ باتت في قُنوط مُحْزنِ
لن يسمعَ القَدَرُ المدمِّرُ فاصرخي أوْ أذْعِني

يا نارَ عاطـفتي الرقيـقةِ، يا غـريبةٌ في البَـشَرْ
وَقْعُ السياطِ على الظهورِ أشدُّ من وقْعِ القَدَرْ
والحسُّ في هذا الوجـودِ جـريمـةٌ لا تُغْتَـفَـرْ

لن تقتلي الشيطانَ في الإنسان أو تُحيي الملاكْ
وغداً ستطويكِ الليـالي في دياجيـرِ الهلاكْ
وغدا سيأسُرُكِ التـرابُ فلا شعورَ ولا حَرَاكْ

ما كان أثقلَ عبء أحلامي وآلامي وأقسَى!
فـامشي بنا نحـو الفَنَاء لعلَّنا نَـنْسَى ونُنْسَى
وليُسْـدَلِ السترُ المقدَّسُ، حَسْبُنا غَمـاً ويأسا

١٩٤٦-١٠-٢٤

نغمات مرتعشة

عُــدْ، لـم يَزَلْ قلبى نشـيـداً حــالما
يشــدو بحــبِّكَ لحنُهُ المفـــتـــونُ
عُــدْ فـالكـآبةُ أغــرقَتْ بظلامــهـــا
روحـى، فليلى أدمُعٌ وشُــجــونُ
عُــدْ، لا تَدَعْ نفـسى يعــلِّبها الأسى
ويَعَضُّ فـيـهـا خـافقٌ مـحـزونٌ
عُــدْ فـالحـيـاةُ- إذا رجـعْتَ- أشـعَّـةٌ
ومـشـاعـرٌ سِـخْـرِيَّةٌ وفُـتُـونُ

خطـواتُكَ اللاتى تـبـاعَـدَ رَجْـعُـهـا
فى مـسـمـعى، تحتَ الظلام الـشـاحب
كلمـاتُك اللاتى تلاشى وَقْـعُـهـا
وخَـبَتْ بعـيـداً، فى السُّكون الراعب
بَسَمـاتُكَ الـلاتى خَـبَت ومَـضَـاتُها
فى مُـقْـلتىَّ، مع النهـار الذاهـب
ذابت جـمـيـعـاً، والسـتـائرُ أُسْـدِلَتْ
فى مَـسْـرَحِ الأملِ الجـمـيـلِ الغـارِبِ

ذهبَ النهارُ بشاعري، بنشيده
وبَقيتُ في غَسقِ الظلامِ القاتمِ
أرنو ولا شيءٌ يروقُ لناظري
وأصيخُ، أينَ مَلاحني ومَلاحمي؟
عُدْ، عدْ إلى روحي الغريبِ، فأدمعي
عصفت بأفراحي وقلبي الساهمِ
عُدْ يا نشيدي الشاعريَّ لمسمعي
ماذا يعوِّضُ عن صداكَ الحالمِ؟

حبّي الإلهيُّ النقيُّ ظلمتَه
ووفاءُ روحي الشاعريِّ العابدِ
قلبي الرقيقُ أسأتَ فهْمَ حنينه
ونشيدُ أحلامي وروحُ قصائدي
لم أدرِ ماذا كان، إلا رعْشَةُ
في روحيَ الولْهى وقلبي الشاردِ
وخلا المكانُ وعُدْتُ أسألُ وحشتي
عن طَيْفكَ الناسي وحُبّي الخالدِ

مـا زلتُ مـنذُ ذَهَبْتَ حَـيْـرَى فـي الدُجى

شـــهـــدَ الأسـى أنّي لزمتُ مكـانيـــا

مـا زالَ روحي راعـــشــاً متـمـمزقـاً

يسـتنطقُ الـســرَّ الغـــريبَ الخـافـيـا

وهمي يصـــوّرُ لي خُطَـاكِ ووقـــعَـــهـــا

فـإذا أصـَـخْتُ صَحَـوْتُ من أحـلامـيا

لا شيءَ غـيـرُ الرّيحِ تَعْـصِـفُ في الدُجى

لا شيءَ غـــيـــر تَنَهُّـــدي وبكائيـــا

١-١١-١٩٤٦

المقبرة الغريقة

«من ذكريات الفيضان المخيف الذى ألم ببغداد سنة ١٩٤٦، هذه القصيدة تسجل فيها الشاعرة أثر سماعها بقصة مقبرة غمرتها مياه النهر المتوحش فى ماء عاصف».

فى ظُلْمة الليلِ المُخيفِ الرهيبْ
وتحتَ هولِ العاصفِ الأهوجِ
قَبْرٌ على التلِّ وحيدٌ غريبْ
رانتْ عليه ظُلَّةُ العَوْسجِ

قبرٌ وحيدٌ لم تَنَلْهُ المياهْ
مُعْتصمٌ بالقمَّةِ الساخرهْ
كأنَّه يرمُقُ أُفْقَ الحياةْ
مُستهزئاً باللُجَّةِ الدائرةْ

بالأمسِ قد كان هُنا عالَمٌ
يغمرُهُ الموتُ بأستاره
يهفو عليه العَدمُ القاتمُ
فى وَجْمةِ الصَمْتِ وأسراره

مقبرةٌ أودعها البائسونْ
أشلاءَ أمواتِهمُ الفانيه
يا جُثثاً ما كفّنتها المَنُونْ
بغيرِ أطباقِ الثَرى العاريه

هذي الوجوهُ الشاحباتُ الجِباهْ
وهذه الأشلاءُ والأعينُ
طَفَتْ حَيارَى فوق وجهِ المياهْ
وعضَّ فيها العَدَمُ المُحْزِنُ

يا نهْرُ لا تَقسُ على الميّتينْ
حسبُكَ ما سبّبتَهُ من شقاءْ
حسبُكَ ما شرّدتَ من بائسينْ
وارفُقْ بسُكّانِ الثَرَى الأبرياءْ

روّعتَ صمتَ الأنفُسِ الراقدة
في وَجمةِ الموتِ وصَمتِ القبورْ
يا رحمةً بالجُثثِ الباردة
ولْيَكُ في موجكَ بعضُ الشعورْ

فى كلِّ رُكْنٍ من دُجَى المقْبره

تَسْبَحُ أجْسادٌ ونطفو عظامْ

والرِّيحُ فى صَيْحاتها المُنْكَره

والليلُ ما زالَ رهيبَ الظلامْ

يا لَلْمساكين، أحتَّى المماتْ

تَلحَقُهم لَعْنةُ أيّامِهمْ؟

ماذا جَنَوا من مُبْهِجاتِ الحياه

ترى وما ألوانُ أحلامِهمْ؟

حتّى الرُّقادُ الهادئُ الآمنُ

يأباهُمُ إيّاهُ قلبُ السنينْ

يشهدُ هذا المنظَرُ الساكنُ

أيُّ سُهادٍ، أيُّ ليلٍ حزينْ

يا ضَجَّةَ الإعصارِ لا تملئى

آفاقَ هذا العالمِ المُشْتكى

وأنت يا أمواجُ لا تهْزئى

بذلكَ الطافى على وَجْهِكِ

لم يُبقِ منه الدودُ شيئاً يُرى
ولم يَذَرْ منه الرَدَى باقيا
هذا الرُفَياتُ الكالحُ المُزْدَرى
قد كان بالأمس فتًى لاهيا

يَنْسجُ تحتَ الليلِ ثوبَ الضياءْ
ويَنْثُرُ الحبَّ على العالَمِ
جذلانَ لا يعرفُ معنى الفناءْ
مُسْتغرقاً فى نشوةِ الحالمِ

أهكذا تَغْنَى أغاريدُنا
ويهزأُ الموتُ بأزهارها
وتملأُ الدنيا أناشيدُنا
يوماً، ونَثْوى تحت أحجارها

ما أفظَعَ المبدأ والمُنْتَهَى
ما أعمقَ الحزنَ الذى نحملُ
ترفعُنا الأحلامُ فوقَ السُّهَا
وتهدمُ الأيَامُ ما نأملُ

وهذه المقبرةُ المُظلمة

نهايةُ المَسْعى، فيا لَلشقاءْ

أبعد هذي الجنّة المُلهِمة

نسقطُ، فوقَ الشوكِ، صَرْعى الفناءْ

بكيتُ للأمواتِ طولَ المساءْ

وصغتُ من دمعي النشيدَ الحزينْ

وفي غدٍ أرقُدُ تحتَ السَمَاءْ

قبراً سيبكي عندهُ العابرونْ

قبرٌ على التلِّ، وحيدٌ غريبْ

رانتْ عليه ظُلّةُ العَوْسج

في ظُلمةِ الليلِ العميقِ الرهيبْ

وتحت هولِ العاصفِ الأهوجِ

١٣-٥-١٩٤٦

عودة الغريب

قلبيَ الذابلُ الحزينُ الذي ما   تَ وذابتْ أفراحُهُ ومناهُ

قلبيَ الشاردُ المعذَّبُ بالأحـ   ـلامِ ما بين دمعه وأساهُ

مالَهُ الآنَ خافقاً بندى الحبِّ   يغنّي تحتَ النجوم هَوَاهُ

ويصوغُ المُنَى ويَرْجعُ للشا   طئِ جذلانَ مُرْسلاً نجواهُ

في غِمار الماضي دفنتُ دموعي   وتبسّمتُ للغَدِ المِمراحِ

ظَمَأي لم يَعُدْ يعذّبُ روحي   وشرودي تحت الدُّجَى والرِّياحِ

ذهبَ البحر لم يَعُدْ ماؤه المِلْـ   ـحُ يُدَوِّي على مَسيلِ جراحي

ها أنا عندَ منبعٍ شاعريِّ الـ   ـسماء صافٍ هامتْ به أقداحي

ها أنا الآنَ زورقٌ حالمُ المجـ   ـدافِ يَرْسو على رمال الضِفافِ

قلبيَ الشاعريُّ ملاّحُهُ البا   سمُ يشدو سرَّ الوجود الخافي

شَدَّ ما علّمتْ أغانيهُ الغُرْ   بةُ واشتاقَ فتنةَ الصَفْصافِ

أبداً في عُرْضِ المياهِ ينادي الـ   ـبحْرَ يا بحرُ طالَ فيكَ طوافي

أيُّهـا الطائفُ الغـريبُ لقـد عُـدْ ... تُ وهذي مـقـاتنُ الآجـامِ

هي ذي الضَّفّةُ الحبيبـةُ يا مـلاّ ... حُ هـذي شـواهقُ الآكـامِ

إنّهـا جنّةُ الحـيـاة تـلاقتْ ... عنـدَها الذكـرياتُ بـالأحـلامِ

فاهبطِ الآنَ وانْسَ أشباحَكَ السُّو ... دَ وذكـرى الماضي الحـزينِ الدامي

يا غريبَ الأحلام إمْسَح بقايا الأ ... مسِ والذكـريات والأحـزانِ

أصبح الأمسُ صرْخـةً في حِمَى الما ... ضي طوَتْـها ستائرُ النسيـانِ

كلُّ أحزانه العـميقات عادتْ ... لفظـةً ضـمّهـا سكونُ الزّمـانِ

أطفـأتْـهـا الأيّامُ فـهي ظلامٌ ... ولهيـبٌ خـابٍ وطيفٌ فـانِ

لا تُثـرْهُ دعْـهُ ينَمْ أبَدَ الدهـ ... ـرِ وعش أنتَ ضاحكَ الأهواءِ

أيّهـا الميّتُ الذي نـبضَت فـيـ ... ـه معـاني الحيـاة بعـد الفناءِ

أيُّهـا الظامئُ الذي أبصـرَ النبـ ... ـعَ قريباً بعدَ الصدَى والشقاءِ

املأ الكأسَ آنَ للظمـأ المُحْـ ... ـرِقِ أن يرتويْ بشهـدِ الرجاءِ

ذلك الماردُ الحـقـيـرُ ثَوَى في ... ظُلُمـات الأمسِ البعيـد وغارا

لن تَراهُ الأمواجُ في البحـر بعدَ الآ ... نَ لن يمـلأ النجومَ احتقـارا

لن يُحيلَ الأحلامَ فيكَ دموعاً ... ويعيـدَ الأنغامَ هولاً ونارا

إنّه الآنَ مُـغْـرَقٌ في حمى المو ... جِ فلا تَخْشَ حِقْدَهُ الجبّارا

والحـيـاةُ التي تلفّتتكَ بالزهـ ... ـرِ ترنّمْ بها تلالاً وعُشبا
هَبْ لها يا ملاّحُ قلباً من النو ... ـرِ وروحاً كالشعرِ والحبِّ عَذْبا
هَبْ لها ما ملكتَ شوقاً وأشعا ... راً وعشْ للجمالِ روحاً وقلبا
صُغْ لها البحرَ كلَّهُ في نشيدٍ ... أرضعتْهُ النجومُ ضوءاً وحبّا

عادَ ذاكَ الغريبُ يا معبدَ الحبِّ ... فمُدَّ الجناحَ فوقَ أساهُ
إن يكنْ ضلَّ قلبُهُ أمس في البحـ ... ـرِ فقد كفّرتْ دموعُ صِباهُ
علّمتْهُ عواصفُ الليلِ حبَّ الـ ... ـفجرِ فلتلمعِ السَّنا عيناهُ
ولتضعْ في الماضي البعيدِ المجاذيـ ... ـفُ وتلكَ الرياحُ والأمواهُ

أنسهِ حبَّهُ الذي ماتَ وامنحْ ... قلبهُ الشاعريَّ حُلماً جديدا
حسبُهُ ما أشقيتَهُ أمسِ بالذكـ ... ـرى فهبْهُ الحياةَ ظلاً رغيدا
بمعانيكَ قرّبِ النجمَ والسُّحْـ ... ـبَ لعَينيهِ والصِّبا والخلودا
يا شبابَ الحياةِ يا فرحةَ الدنـ ... ـيا ويا بابَ تُبْلِها المفقودا

١٤-١١-١٩٤٦

الغروب

هبطَ الليلُ وما زالَ مكاني
عند شطِّ النهْرِ، في الصمْتِ العميقِ
شردتْ روحي، وغابتْ عن عيَاني
صُوَرُ الحاضرِ والماضي السحيقِ
وامّحَى في خاطري ذكْرُ الزَمانِ
وتلاَشتْ ذكْرُ الدَهْرِ المُحيقِ
ليسَ إلا الحُزْنُ يمشي في كياني
وأنا في ظُلْمةِ الليلِ الصديقِ

غَرقَ الضوءُ وراء الأفقِ
وخلا العالَمُ من لون الضياءْ
ليس الاّ رمَقٌ في الشَفَقِ
حائلٌ قد كاد يمحوهُ الفَنَاءْ
وأنا تمثالُ حُزْنٍ مُحْرِقِ
وشَقَاءٌ مُطْبِقٌ فوقَ شَقَاءْ
أرمقُ الأفقَ بطَرْفٍ مُغْرَقِ
تائهٍ يَطْوي دياجيرَ الفَضاءْ

رفَّ حولي الليلُ والصمتُ الكئيبُ
وتمشّتْ في كياني الرعَشاتُ
أيُّ معنىً هاجَ في نفسي الغُروبُ؟
أجفلتْ في جَسَدي منه الحياةُ
وَسرَى في مسمعي هَمْسٌ غريبُ
كُلُّه هولٌ ورُعْبٌ وشَكَاة
واعتراني خاطرٌ مُشْجٍ رهيبُ
وتَجَلَّى لخيالاتي المماتُ

ها أنا وحدي تُناجيني هُمومي
وكآباتي وأشباحُ الفَناءِ
كلُّ ما حولي مُثيرٌ للوُجومِ
مَصْرَعُ الشمسِ وأحزانُ المساءِ
عبثاً أطردُ عن نفسي همومي
عبثاً أرجو شُعاعاً من رَجَاءِ
غَرِقَتْ أحلامُ قلبي في الغيومِ
وتلاشت مثل أحلامِ الضياءِ

أَقْفَرَ العالَمُ حولى لا نشيدُ
من صبىٍّ أو هُتَافُ أو حفيفْ
وخلا شاطئىَ الساجى المديدُ
ومَشَتْ فى الجوِّ أحزانُ الخريفْ
أنا والأمواجُ واليأسُ الشديدُ
وانحدارُ الشطِّ والظلُّ الوريفْ
وحواليَّ ظلامٌ وركودُ
ألقيا الحزنَ على حسِّى الرهيفْ

من بعيد أبصرُ الراعى الحزينْ
يُرْجِعِ الأغنامَ فى صمت الغروب
مُطرقاً أتعبهُ ركْبُ السنينْ
فقضاها فى نحولٍ وشُحوبِ
هو والأغنامُ حُزنٌ وسكونْ
وخُطىَ فى مسمعِ الليلِ الرهيبِ
وأنا أرمقُهمْ غَرْقَى الجفُونْ
تحتَ أحلامِ شبابى وكروبى

وبعيداً في الفضاء المدلهمِّ

خفقةٌ من جُنح طيرٍ عابرِ

فاجأته ظلمةُ الليلِ المُلمّ

وجبالٌ من سحاب ماطر

فسرى بين دجاجير وغيم

كخيال في فؤادِ الشاعر

لحظةً، ثم توارى في الخِضَمّ

بين أمواجِ الظلامِ الغامرِ

آه ما أرهبهُ الآنَ سكوتا

لا أعي فيه سوى دقّات قلبي

صَمَتَ الكونُ ونام المُتْعَبونا

وهْوَ ما زال صدى حُزنٍ وحُبِّ

نظراتي لم تزلْ حُلماً حزينا

وخيالاتُ أماني لم تَعُدْ بي

طفقت تصعدُ بي أفقَ السنينا

وترودُ الكونَ من شرقٍ لغربِ

ونُباحُ الكلبِ في الحقلِ البعيدْ
رفَّ في سمعي ضئيلاً مُجْهَدا
مُوحشاً في ظُلْمةِ الليلِ الوليدْ
غامضَ الوقْعِ، غريباً كالصدَى
كلُّ صوتٍ في الدُّجَى رُعْبٌ جديدْ
عندَ مَنْ قدْ كان مثلي مُفْرَدا
ذا فؤادٍ مُرْهَفِ الحسِّ شريدْ
دَفَنَ الأمسَ ولم يَرْجُ الغدا

ومياهُ النَهرِ تجري في شُحوبْ
تحتَ أكداسِ الغُيومِ الجاثماتْ
وصَدَى طاحونةِ القَمْحِ الغريبْ
يُكْئِبُ النفسَ بأشجَى النَغَماتْ
هكذا مرَّ على روحي الغُروبْ
غامضَ الظلِّ حزينَ الخطُواتْ
فوَداعاً أيُّها الجرفُ الكئيبُ
ووَداعاً يا غِمارَ الظُلُماتْ

١-١٢-١٩٤٦

عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ يا طاويَ أحزان القلوبِ
انظُرِ الآنَ فهذا شَبَحٌ بادي الشُحوبِ
جاء يَسْعَى، تحت أستارِكَ، كالطيف الغريبِ
حاملاً في كفِّه العودَ يُغنِّي للغُيوبِ
ليس يَعْنيهِ سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ

هو، يا ليلُ، فتاةٌ شَهِدَ الوادي سُرَاها
أقبلَ الليلُ عليها فأفاقتْ مُقْلتاها
ومَضَتْ تستقبل الواديْ بألحان أساها
ليتَ آفاقَكَ تدري ما تُغنِّي شَفَتاها
آهِ يا ليلُ ويا ليتَكَ تدري ما مُنَاها

جنَّها الليلُ فأغرتها الدَيَاجي والسكونُ
وتَصبَّاها جمالُ الصَمْتِ، والصمتُ فُتُونُ
فَنَضَتْ بُرْدَ نهارٍ لفَّ مَسْراهُ الحنينُ
وسَرَتْ طيفاً حزيناً فإذا الكونُ حزينُ
فمن العودِ نشيجٌ ومن الليلِ أنينُ

إيه يا عـــاشـــقـــةَ الـليلِ وواديـه الأغنّ
هوذا الـليلُ صَـدَى وحيٍ ورؤيا مُـتَـمنِّي
تَضْـحكُ الدنُيـا ومـا أنتِ سـوى آهة حُـزْنِ
فـخُذي العـودَ عن العُـشْبِ وضُـمّيـه وغنّي
وصِـفي ما فـي المساءِ الحلوِ مـن سِحْـرٍ وفنّ

مـا الذي، شاعـرةَ الحيْرةِ، يُـغْري بالمســاء؟
أهي أحـلامُ الصَـبـايا أم خـيـالُ الشـعـراء؟
أم هو الإغـرامُ بالمجهـولِ أم ليلُ الشـقـاء؟
أم ترى الآفاقُ تَـسْـتهويكِ أم سِحْرُ الـضياء؟
عـجـبـاً شـاعـرةَ الصـمْـتِ وقـيـثـارَ المسـاء

طيفُكِ الســاري شحوبٌ وجلالٌ وغـمـوضُ
لم يَزَلْ يَسْـري خـيـالاً لَفَّـه الليلُ العـريضُ
فـهـو يا عـــاشـقـةَ الظُّلمة أســرارٌ تَفـيضُ
آه يا شـــاعـــرتي لن يُرْحَـمَ الـقلـبُ المهـيضُ
فارجعي لا تَسْألي البَرْقَ فما يدري الوميضُ

عَجَباً، شاعرةَ الحيْرةِ، ما سرُّ الذُّهُولِ؟

ما الذي ساقكِ طيفاً حالماً تحتَ النخيلِ؟

مُسْنَدَ الرأسِ إلى الكفّينِ في الظلِّ الظليلِ

مُغْرَقاً في الفكرِ والأحزانِ والصمتِ الطويلِ

ذاهلاً عن فتنةِ الظُّلْمةِ في الحقلِ الجميلِ

أنصتي هذا صُراخُ الرعْدِ، هذي العاصفاتُ

فارجعي لن تُدْركي سراً طوتْهُ الكائناتُ

قد جَهِلْناهُ وضنّتْ بخفاياهُ الحياةُ

ليس يَدْري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةُ

فارحمي قلبَكِ، لن تنطقَ هذي الظُّلُماتُ

٤-٤-١٩٤٥

في وادي الحياة

عُدْ بي يا زورقي الكليلا
فلن نَرى الشاطئَ الجميلا

عُدْ بي إلى مَعْبدي فإنّي
سئمتُ يا زورقي الرحيلا

وضِقْتُ بالموج أيَّ ضيقٍ
وما شَفَى البحرُ لي غليلا

إلامَ يا زورقي المُعَنّى
نرجو إلى الشاطئ الوصولا؟

والموجُ من حَوْلنا جبالٌ
سدت على خطونا السبيلا

والأفق من حولنا غيوم
لا نجمَ فيه لنا دليلا

كم زورقٍ قبلَنا تولى
ولم يَزَلْ سادراً جَهُولا

فعد إلى معبدي بقلبي
وحسبُ أيامنا ذُهولا

حسبُكَ يا زورقي مَسيراً
لن يُخدَعَ القلبُ بالسَّرابِ

وارجعْ، كما جئتَ، غيرَ دارٍ
قد حَلَّكَ الجوُّ بالسَّحابِ

ومِلْ مجدافُكَ المُعَنَّى
تقلُّبَ الموجِ والعُبابِ

ولم يَزَلْ معبدي بعيداً
خلفَ الدياجيرِ والضَّبابِ

يَشُوقُني الصمتُ في حِماهُ
وفتنةُ الأيكِ والروابي

عُدْ بيَ يا زورقي إليهِ
قد حانَ، يا زورقي، إيابي

ما كفكفَ البحرُ من دموعي
ولا جَلاَ عنّيَ اكتئابي

ففيمَ في موجِهِ اضطرابي
وأينَ، يا زورقي، رِغابي؟

تائهةٌ، والحياةُ بحرٌ شاطئُهُ مُبْعدٌ سحيق
تائهةٌ والظلامُ داجٍ والصمتُ تحت الدُّجَى عميق
يا زورقي آهِ لو رَجَعْنا من قبلِ أن يخبوَ البريقُ
انظُرْ حواليْكَ، أيُّ تَنْوٍ تجمَّدُ من هولِه العروقُ
البحرُ، يا زورقي جُنونٌ وموجُهُ ثائرٌ دَفوقُ
وكلَّ يومٍ له صريعٌ في هَجْعةِ الموتِ لا يُفيقُ
وأنتَ في الموجِ والسدياجي يا زورقي في غدٍ غريقُ
فعُدْ إلى الأمسِ، عُدْ إليه قد شاقني أمسيَ الوريقُ

ماذا وراء الحياة؟ ماذا؟ أيُّ غُموضٍ؟ وأيُّ سِرٍّ؟
وفيمَ جئتنا؟ وكيف نمضي؟ يا زورقي، بل، لأيِّ بحرٍ؟
يدفعُكَ الموجُ كلَّ يومٍ أينَ نرى آخرُ المقَرِّ؟
يا زورقي طال بي ذهولي وأغرقَ الوهمُ جوَّ عُمْري
أسْرِي كما ترسمُ المقاديرُ لي إلى حيثُ لستُ أدري
شريدةٌ في دُجى حياتي سادرةٌ في غُموضِ دَهْري
فخافقٌ شاعرٌ، وروحٌ قال لها الدَّهْر لا تَقَرِّي
وناطَها بالثَّرَى تُغنِّي وتنظِمُ الكونَ بيتَ شِعْرِ

١٢-٦-١٩٤٥

أشواق وأحزان

أين منّي حرارةُ الأمسِ، والحا ... ضِرُ يمشي بين الأسَى والخمودِ؟
أسفاً للماضي الإلهيِّ هل ما ... تتْ أغانيهِ في فؤادي الوحيدِ؟
آهِ يا شاعري لماذا تهاويْـ ... ـتَ بعيداً وراءَ أمسي البعيدِ؟
وأنا لم أزلْ صلاةً لعينَيْـ ... ـكَ وإعصار لهفةٍ وشرودِ

آهِ هل غابَ عن ظلام حياتي ... كلُّ ما كان لهفةً وفتونا؟
كيف ضاع الحبُّ الإلهيُّ يا طا ... ئرِيَ الحرَّ فانفجرتَ ظُنونا؟
وأنا لم أزلْ فؤاداً على الشو ... قِ يداري غرامَهُ المدفونا
ليتني كنتُ بُحْتُ يا حُلُمَ الرو ... حِ وأعلنتُ حبّيَ المكنونا

كيف مرّت أيامُنا كيف مرّت ... بين فكٍّ الأشواقِ والأحزانِ؟
ملءُ قلبي وقلبكَ الحبُّ والشو ... قُ ولكن نلوذ بالكتمانِ
كلّما حدّثتكَ عيناي بالحبِّ ... أعاقبْ عينيَّ بالحرْمانِ
كيفَ يا شاعري كتمنا ولم يَعْـ ... ـصِ كيوبيدَ قبلَنا عاشقانِ؟

كيف ضاعتْ عواطفي؟ كيف أنسَوْ ... كَ غرامي وحَيْرتي ووفائي؟

ملئوا قلبَكَ النبيلَ أباطيـ ... ـلَ وصاغوا كواذبَ الأنباءِ

وقضَيْتُ الأيام أذرف إحسا ... سي دموعاً وأستلذُّ شقائي

لا لقاءُ غيرِ الظنونِ ولا فر ... حةَ غيرِ الخيالِ والأصداءِ

أنتَ أنت الذي احتفظتُ بذكرا ... هُ فلم ينسَها فؤادي الوفيُّ

كيف غابتْ عن ذكرياتكَ أحلا ... مي وشوقي وحُبّيَ الروحيُّ

شَهِدَ العودُ كيف علّمتُهُ حُبَّـ ... ـكَ مثلي فهو المحبُّ الشقيُّ

شَهِدَ المعبدُ الكئيبُ لحبّي ... أنَّ حُبّي مخلّدٌ أبديُّ

يا نشيدي متى ستأتيكَ ألحا ... ني فتُنصتي إلى هتافاتِ حبّي؟

فيمَ أقضي الأيامَ أكتُمُ أشوا ... قي وقد ضاقَ بالعواطفِ قلبي؟

أبداً نلتقي فأعرضُ حَيْرى ... ولقلبي الكئيبِ أشواقُ صبٍّ

إنّها الكبرياءُ تمتلكُ الرو ... حَ فيبدو المُحبُّ غيرَ محبٍّ

ضاعَ عُمْري الحزينُ في معبدِ الحُزْ ... نِ وأذوتْهُ لهفتي وشكاتي

لم يزلْ حبّيَ العميقُ عميقاً ... لم تَزِدْهُ السنينُ غيرَ ثَباتِ

لم أزلْ تضحكُ النجومُ وتبكي ... وتغنّي على صدَى آهاتي

لم أزلْ في الحياةِ ورقاءَكَ الحيْـ ... ـرى وما زلتَ أنتَ حُلْمَ حياتي

١٥-٣-١٩٤٥

مدينة الحب

فى عُمْقِ صحراء الحياة، هناك فوق لَظَى الرمالْ
حيثُ الرياحُ الداوياتُ، مدينةٌ بين التلالْ

فى قلبها نهرٌ تُحيط به المفاوزُ والصخورْ
وشواطئٌ لا ظلَّ فيها، لا خمائلَ، لا عطورْ

الماءُ يبدو وادعاً ووراءَ الألمُ العميقْ
أمواجُهُ السُمُّ الزُعافُ وإن بدا حُلوَ البريقْ

كم زورقٍ خدعته جنّياتُهُ ورسومُهُ
كم حالمٍ أودتْ به أمواجُهُ وسمومُهُ

والشاطئُ الشانى يلوّحُ بالجمال وبالفتون
حتى إذا قاربتَهُ أبصرتَ إعصارَ المنون

لا شيءَ غيرُ الشوك والأشلاء فوق صُخورِهِ
لا صوتَ يُسْمَعُ غيرُ ضجةِ دودِهِ ونسورِهِ

اللّيلُ فيه مخاوفٌ ووساسٌ لا تَخْمَدُ
أبداً يزلزلُهُ صُراخٌ غامضٌ وتنهُّدُ

يا طارقَ البابِ المروِّعِ عُدْ ولا تهبطْ هُنا
هذا الجمالُ سيستحيلُ دماً وماءً آسنا

هذي الشواطئُ، كلُّ ما فيها أسىً وتحسُّر
فحذارِ منها فالسُّمومُ مُعَدَّةٌ والخنجرُ

عيناكَ لا تسكُبْ بريقَهما على ظُلُماتها
وصِباكَ لا تدفِنْ مُناهُ في شقاءِ حياتها

وفؤادُكَ الخفّاقُ صُنْهُ من قَذَى آثامها
ماذا رأيتَ من الحياةِ لتحتمي بظلامها؟

عُدْ، عدْ إلى لَهَبِ الصحارى وانجُ من حَمَمِ المدينة
لا تُلْقِ قلبَكَ في اللظَى وأصغِ لشاعرةٍ حزينه

١٩-٧-١٩٤٦

إلى عينى الحزينتين

عينىَّ، أىُّ أسىً يرينُ عليكما
ويُثيرُ فى غَسَقِ الدُّجَى دمعيكما؟

إنى أرى خلفَ الجفُونِ ضراعةً
تستنطقُ الكونَ العريضَ المُبهما

أفقانِ تحت الليلِ ألمحُ فيهما
قَطَراتِ ضوءٍ يرتشفنَ الأنجما

الكونُ مبتسمُ فأيّةُ لوعةٍ
يا مقلتىَّ تلوحُ فى جَفْنيكما؟

مسكينتانِ، رأيتُما ما لا يُرَى
جيلٌ أقام على الضلال وحَوَّما

جَهِلَ الحقائقَ فى الحياة، فلم يُطِقْ
عن زيفها هَرَباً وعاش مهوَّما

مسكيتان كتمتما حُمَم الأسى
فأبى تأوّهُ خافقي أنْ تكتما

فإذا الدموعُ غشاوةٌ رفّتْ على
جَفنيكما، سيلاً سخيناً مُفعَما

ورأيتما، خَلَلَ الدُموعِ، مفاتنَ الـ
ـماضي وطاف الشوقُ في أفقيكما

عبثاً تصوغان التوسّلَ في الدُجَى،
قلبُ القضاء قَضَى بألا تَنعَما

عبثاً، فيا عينيَّ لا تتضرّعا،
لا شيء يَرْجِعُ بالجمالِ إليكما

حسبي وحسبُكما الرُضوخُ لما قَضَى
قلبُ الليالي فارضخا واستسلِما

كم حالم من قَبلنا فَقَدَ المنَى
فَقَضى الحياةَ لوحدِهِ متجهِّما

يرعى الليالي مانحاً ظُلُماتِها
روحاً مجنحةً وقلباً مُلْهَما

عينيَّ، يا سرَّ الطبيعة، حدِّثا
ماذا وراءَ الكائناتِ رأيتُما؟

رفعتْ دياجيرُ الحياة ستورَها
لكما وأبدتْ سرَّها المُسْتَبْهما

هاتا حديثَ الموت، هاتا سرَّهُ
قد آن، يا عينيَّ، أن تتكلما

ما شاطئُ الأعراف؟ ما ألوانُهُ؟
ما سرُّهُ الخافي؟ صِفاهُ وتَرْجِما

في صدريَ الخفّاقِ قلبٌ راعشٌ
ما زالَ صَبّاً بالمفاتن مُغْرَما

لولاهُ، يا عينيَّ، ما غنّيتُما
بهَوَى الحياةِ ولا أصابكما الظَّما

عُـذراً إذا حُـمّلتُـمـا حُـزنَ الدُنا
لولايَ، يا عـينيَّ، مـا حُـمّلتُـمـا

وكفى فـؤادي، في الحـيـاة، شَـقاوةً
أنّي جنيتُ، مع الحـيـاةِ، عليكمـا

١٩٤٥-٦-٢٥

خواطر مسائية

إذا زَحَفَ الليلُ فوق السُّهُوبْ
ومرَّتْ على الأفْق كفُّ الغيومْ
ولم يَبْقَ غيرُ السكون الرهيبْ
ونام الدُّجَى تحت جُنْح الوجومْ

ولم يبقَ إلا نُوَاحُ اليمامْ
وهمسُ السواقي وأنّاتُها
ووقْعُ خُطَى عابرٍ في الظلامْ
تمرُّ وتخفتُ أصواتُها

جلستُ أناجي سكونَ المَسَاءْ
وأرْمقُ لونَ الظلام الحزينْ
وأرسلُ أغنيتي في الفضاءْ
وأبكي على كلِّ قلبٍ غبينْ

أصِيخُ إلى هَمَسَاتِ اليمامْ
وأسمعُ في الليلِ وقْعَ المطَرْ
وآنَّاتِ قُمْرِيَّةٍ في الظلامْ
تُغنِّي على البُعْدِ بينَ الشَّجَرْ

وآهاتِ طاحونة، من بعيدْ
تنوحُ المساءَ وتشكو الكَلالْ
تمرُّ على مسمعي بالنشيدْ
وتفتأ تصدحُ خلفَ التلالْ

أصيخُ ولا صوتَ غيرُ الأنينْ
وأرنو ولا لونَ غيرُ الدُّجَى
غيومٌ وصمتٌ وليلٌ حزينْ
فلا عَجَبٌ أن أحِسَّ الشَّجَا

رأيتُ الحياةَ كهذا المساءْ
ظلامٌ ووحشةُ جوٍّ كئيبْ
ويحلُمُ أبناؤها بالضياءْ
وهمْ تحتَ ليلٍ عميقٍ رهيبْ

طبيعتُها أبداً باكية
فصمتُ الدُجى وأنينُ الرياحْ
وتنهيدةُ النَسَمِ السارية
ودمعُ النَدَى في عيونِ الصباحْ

وأبصرتُ عند ضفاف الشقاءْ
جموعَ الحزانى وركْبَ الجياعْ
تُشرّدُهم صَرَخَاتُ القضَاءْ
وما أرسلوا هَمَسَاتِ الوَدَاعْ

وأصغيتُ لكن سمعتُ النشيجُ
يُدوّي صَداهُ على مَسمعي
وراءَ القصورِ وفوقَ المروجْ
فمن يا ترى يتغنّى معي؟

سأحملُ قيثارتي في غدِ
وأبكي على شَجَنِ العالمِ
وأرثي لطالعهِ الأنكدِ
على مسمعِ الزمنِ الظالمِ

١٩٤٥-١١-٢٤

التماثيل

«هدية إلى قائمة الأسماء الغامضة المنطفئة التي جاءت في سفر التكوين من كتاب العهد القديم».

قد سئمتُ التفكير يا ليلي السا — جي وألقيتُ بالكتابِ الحبيبِ
لم تَعُدْ هذه الصحائفُ توحي — لي بغيرِ الحزنِ العميقِ المذيبِ
فهي صوتُ الآبادِ يحملُهُ الما — ضي الى قلبيَ الشَجِي المشبوبِ
فيُدوّي في عمقِ نفسيَ صوتُ الـ — ـعَدَمِ المرِّ والفَناءِ الكئيبِ

أسفاً يا حياةُ ما هذه الأسـ — ـماءُ؟ ماذا قد كانَ من أهليها؟
كيف مرّتْ أيامهم ليتَ شعري؟ — أترى أدركوا السَعادةَ فيها؟
أم ترى لم يكنْ لهم من جَناها — غيرَ كأسٍ من سُمِّها رَشَفوها؟
وطوَوْا لُجَّةَ الحياةِ سراعاً — ثمّ ألقَوا أعباءها ونَسُوها

أسلموا للترابِ والموتِ والظُلْـ — ـمةِ تلكَ القلوبَ دونَ رجاءِ
وطَوَتْهم يدُ الزمانِ ولم تَـ — ـبقِ منهم شيئاً سوى الأسماءِ
آه يا موتُ يا مقادرُ يا تا — ريخُ رفقاً بأنفسِ الأحياءِ
أكذا يُسْدَلُ السّتارُ على الأعـ — ـمارِ؟ يا للأحزانِ يا للشّقاءِ

لَيتَ كفَّ النسيانِ قد مَحَتِ الأسـ ـماءَ من قبلُ ليتَها لم تَصُنْها
ليتها لم تَدَعْ على صفَحاتِ الـ ـكُتْبِ ظلاًّ منها يحدِّثُ عنها
تركتْها سُخْريةً في فمِ الدهـ ـرِ وهُزْءاً من الحياةِ ومنها
يا حياةً هِمْنا بها وهْيَ ليلٌ يأمُرُ الموتُ في دُجاهُ ويَنْهى

أيُّهذي الأسماءُ يا من تبقَّيْـ ـتِ تماثيلَ ليسَ فيها حياةُ
أنتِ يا مَنْ بالأمسِ كنتِ شعوراً وقلوباً تَشُوقُها النَغَماتُ
كلُّ لفظٍ وراءَ أحرفِهِ مَعْـ ـنًى حياةٍ أتى عليها المماتُ
كلُّ لفظٍ قلبٌ مَشَى تحتَ ضوءِ الـ ـشمسِ يوماً وملؤهُ الرَغَباتُ

واستحالت تلك القلوبُ رَماداً واستحالتْ أعمارُها ألحانا
كلَّ حيٍّ مَشَى به الأهلُ والأصـ ـحابُ للقبرِ يائسينَ حَزانَى
وتصدَّى للذكرياتِ الحزيناتِ فتًى شاعرٌ يذوبُ حنانا
فشَداها أغنيّةً ظنّها تُبْـ ـقي حياةَ الموتى وتعدو الزمانا

آه يا للمخدوعِ قد بقيَ اللحـ ـنُ ولكنْ أينَ الذينَ شداهم؟
أينَ ألحانُهم؟ وأين أماني عمْرِهم؟ أو حقولُهم وقُراهم؟
أين ما حدَّثوا به الليلَ والفجـ ـرَ؟ وأينَ ابتهاجُهم وأساهم؟
أسفاً شاعري! لقد بادَ موْتا كَ وأبقَيْتَ في الوَرَى ذكراهم

مـا تُفيـدُ الذكـرى وقد خَبَت الأَلـ	ـحانُ واستسلمتْ لأيدي السكون؟
واستحال الأحياءُ في الكُتْب أسما	ءٌ تُثـيـرُ الأسَى لـقلبي الحـزين
لستُ أدري مـاذا حـوى كلُّ لفظ	من مـعـان غـابتْ وراءَ السنين
لسـت أدري إلا أسـايَ وحُـزني	لضحايا الماضـي وَصرْعَى المنونِ

وأنا يا حـيـاةُ مـاذا سـألقَى؟	هل سـأغدو لفظاً جَفَتْهُ المعاني؟
هل سـتطويـنيَ الليـالي وتُلقي	فـوق عُـمْري دياجـرَ النسيـانِ؟
وغـداً يـطفيءُ الزّمـانُ سـراجي	ويُضـيعُ الرّدى صَـدَى ألحـاني؟
ثم أغـدو بينَ التـمـاثيلِ تمثـا	لاً؟ وأمْـحَي من الوجـودِ الفاني؟

آه لا لا أُريـدُ فلتـرحم الأيّـا	مُ دمـعي وشَـقْـوتي واكـتـئابي
وليكنْ من لحني الحزينِ صدىً با	قٍ بسَـمْـعِ السنينِ والأحـقـابِ
رحـمـةً لا تكنْ دمـوعي الدفّوقـا	تُ رثاءً مـبـكّراً لـشـبـابي
وليُـسَـجّلْ على ضريحيَ مـا يَـ	ـبقَى شبـابي وإن أكن في الترابِ

هكذا ينـتـهي شـعـوري بحـرمـا	ني وأنسَى مـأسـاةَ عُمْري الخادعْ
وأعـزَّي بأنّ في الكون من قـلـ	ـبي بقـايا مـن الأسَى والمدامعْ
ويقـولونَ: ذلكَ اسمُ فـتـاة	طالما غـنّت النجـومَ الـلوامعْ
فـسلامٌ على أسـاها وذكـرا	ها سـلامٌ على صِبَاها الضائعْ

١٩٤٦-٦-٣

ذات مساء

ثورة من ألمٍ، من ذكرياتِ
خلفَ نفسي، ملء إحساسي العنيفِ
وجُموحٌ في دمي، في خَلَجَاتي
في ابتساماتيَ، في قلبي اللهيفِ

إن أكنْ أبسِمُ كالطفلِ السعيدِ
فابتساماتيَ وَهمٌ وخِداعْ
إن أكنْ هادئةً، بين الورودِ
ففؤادي في جُنونٍ وصِراعْ

أيُّ مأساةٍ تَراها مُقلتايا!
أيُّ حُزْنٍ عاصِرٍ في نَظَراتي!
جَمَدَتْ فوق شفائي شَفَتايا
وانحنتْ كفَّايَ تحت الرَعَشاتِ

لا تَسلْني عن خيالاتي وحزني

فالدجى الآنَ يفيضُ في عيوني

أينَ ألقى بَصَري الباكي وحُزْني

إن أنا حوّلتُ عن كفي عُيوني؟

أينَ أرنو؟ كلّما حوّلتُ عيني

طالعتْني صورةُ الوجه اللهيفِ

ذلكَ الوجهُ الذي ألهبَ فنّي

بمعاني الشِعْرِ والحبِّ العنيفِ

أيّها الغادرُ، لا تنظرْ إليّا

قد سئمتُ الأملَ المُرَّ الكَذُوبا

حسْبُ أقداريَ ما تَجْني عليّا

وكفَى عُمْريَ حُزْناً ولهيبا

فيم أبقى الآن حَيْرَى في مكاني؟

آه لو أرجِعُ، لو أنسَى شقائي

أدفنُ الأحزانَ في صَدْرِ الأغاني

وأناجي بالأسى صمْتَ المَسَاءِ

ليتنا لا نلتقي، ليتَ شقائي

ظلَّ ناراً، ظلَّ شوقاً وسُهادْ

يا دُموعي، أيُّ معنىً للّقاء

إن ذَوَى الحبُّ وأبلاهُ البعادْ

أيّها الأقدارُ، ما تبغينَ منّا؟

فيمَ قد جئتِ بنا هذا المكانا؟

آه لو لم تكُ يا أقدارُ جئتنا

ها هُنا، لو لم تَقُدْنا قَدَمانا

ما الذي أبقيت في قلبي الجريحِ

ليس إلا الألمَ المرَّ الشديدا

لم يَعُدْ في جسميَ الذاوي وروحي

موضعٌ يحتملُ الجرحَ الجديدا

أكذا تنطفئْ الذكرى؟ ويَفنى

حبّنا؟ والأمَلُ الشعريُّ يخبو

أكذا تذبلُ آماليَ حُزْنا

وهي أشعارٌ وأنغامٌ وحبُّ؟

خَــــدَّرَ الحــــزنُ حــــيــــاتى وطـواها
لــم تَعُــــدْ تَـعنيـنى الآنَ الحــــيــــاةُ
أبـداً ينـطـقُ بـاليـــــأسِ دُجَـــــاهـا
ونُغنّى فى فَــضَــاهـا العــاصــفــاتُ

لم يَعُــــدْ من حُلْمى غــيـــرُ ظِلالِ
من أسىً مــــرَّ على وجــــهى المريـرِ
آه لا كــــان بُكائى وخَــيــــالى
أيّهــا الليلُ، ولا كــانَ شــعــورى

والتــقــينا، لا فــؤادُ يتــغنّى
لا ابتــسامُ رســمــتْــهُ الشَّــفَــتان
لم يَعُــدْ إحـــساسُنا شـــعــراً وفنّاً
ليــتنا ضِــعْنا ومـــاتَ الخــافــقانِ

لم يـعـــدْ فى نفـــسىَ الولْهى مكانُ
لأسىً أو فـــرحــــة أو ذكـــريـات
أيّ مــــعنىً للمُنى؟ فـــاتَ الأوانُ
وذَوَتْ عـــينـاىَ، تحتَ العَـــبَــراتِ

والتقينا في الدُّجَى، كالغرباء

تحتَ جُنْح الصمتِ يطوينا الوجومْ

كلُّ شيءٍ ضاحكٌ تحتَ السماء

وأنا وحدِيَ تذويني الهمومْ

هكذا يا ليلُ صوّرتُ شقائي

في نشيدٍ من كآباتي وحزني

قصّةٌ قدْ وقعَتْ ذاتَ مساءِ

وَحَوَتْ روحي وأحزاني ولحني

١٩٤٦-٥-٢

جزيرة الوحي

خُذني إلى العالم البعيدِ
يا زورقَ السِّحْر والخلودِ

وسِرْ بقلبي إلى ضِفافٍ
توحي إلى القلبِ بالقصيدِ

جزيرةُ الوَحْي، من بعيد،
تلوحُ كالمأمِلِ البعيدِ

الرملُ في شطِّها نَديٌّ
يرشَفُ من دجلةَ البَرُودِ

والقَمَرُ الحُلوُ، في سَماها،
أمنيّةُ الشاعرِ الوحيدِ

فلتسرِ يا زورقي بروحي
قد آنَ آن يستفيقَ عودي

وآنَ للشعرِ أن يُغنّي
بالحُلمِ الضاحكِ الشَرُودِ

حُلْمي، وقد صغتُهُ نشيداً
يهشُّ، من سِحْرِه، وجودي

شاعرتي، حدِّقي، فهذي
جزيرةُ الشِعْرِ والنشيدِ

لاحتْ، على البعْد، ضَفَّتاها
أمنيَّةَ العالَمِ الجديدِ

إن لَهِثَت المقلتانِ عنها
صاحت بها الأمنياتُ: عودي

فَلْتَبسِمي، يا ابنةَ الأغاني
للشاطئِ الساحرِ المديدِ

ولْتُوقفي الزورقَ المُعَنَّى
تحت شُعاعِ السَنّا البديدِ

العودُ والشِعْرُ والأماني،

شاعرتي، فاضْحَكي وزيدي

قد ضَحِكَ العُمْرُ واستنامتْ

عواصِفُ اليأسِ والنكودِ

وانقلبَ اليأسُ بشْريات

وأمنياتٍ، فأيُّ عيدٍ!

١٩٤٤-٩-٥

على وقع المطر

أمطري، لا ترحمي طيفيَ في عُمْقِ الظلامْ
أمطري صُبّي على السيلَ، يا روحَ الغَمَامْ
لا تُبالي أن تُعيديني على الأرضِ حُطَامْ
وأحيليني، إذا شئتِ، جليداً أو رُخَامْ

اتركي ريحَ المساءِ المُمطرِ الداجي تُجَنّ
ودعي الأطيارَ، تحت المطر القاسي، تئنّ
أغرقي الأشجارَ بالماءِ ولا يُحْزِنْكِ غصْنُ
زَمْجري، دَوّي، فلن أشكوَ، لن يأتيكِ لحنُ

أمْطِري فوقي، كما شئتِ، على وجهي الحزينِ
لا تُبالي جَسَدي الراعشِ، في كفِّ الدُجونِ
أمطري، سيلي على وجهيَ، أو غَشّي عيوني
بلّلي ما شئتِ كَفّيَّ وشَعْري وجبيني

أغـرقي، في ظُلْمـة الليـلِ، القُبـورَ البـاليـه
والطمي، مـا شئتِ أبوابَ الـقُصـورِ العاليـه
أمْطري، في الجبلِ النائي، وفـوقَ الـهـاويه
أطْفــئي الـنيــرانَ، لا تُبْــقي لحيٍّ باقـيــه

آه مــا أرهَـبَكِ الآنَ، وقــد ســاد الـسكونْ
غيرَ صوتِ الريحِ، في الأعماقِ، تدوي في جُنون
لم تزَلْ تهْمي، من الأمطارِ، في الأرضِ، عُيونْ
لم يزَلْ قلبي حـزيناً، تحتَ أمواجِ الدُّجـون

أيُهــا الأمطارُ، قــد ناداكِ قلبي الـبَشَــريّ
ذلك المُغْـرَقُ في الأشـواقِ، ذاكَ الشـاعـريّ
اغْـسليـه، أم ترى الحــزْنُ حـمَــاهُ الأبديّ
إنّـه، مـــثلَـكِ يا أمـطـارُ، دفّــــاقٌ نقـيّ

أبداً يـســمـعُ، تحتَ الليـلِ، وقْعَ القَـطَراتِ
ســاهمـاً يـحلمُ بالماضي وألْـغـازِ المـمــاتِ
يسـألُ الأمطارَ: مـا أنتِ؟ ومـا سرُّ الحـيــاةِ؟
وأنا، فـيمَ وجـودي؟ فـيمَ دمـعي وشكَاتي؟

أيها الأمطارُ ما ماضيكِ؟ من أين نبعتِ؟
ابنةُ البحرِ أم السُّحْبِ أم الأجواءِ أنتِ؟
أم تُرَى من أدْمعِ الموتَى الحزانَى قد عصرْتِ؟
أم دموعي أنتِ يا أمطارُ في شَدْوِي وصَمْتي؟

ما أنا؟ ما أنتِ يا أمطارُ؟ ما ذاكَ الخِضَمُّ؟
أهُوَ الواقعُ ما أسمَعُ؟ أمْ صوتُكَ حُلْمُ؟
أيُّ شيءٍ حولنا؟ ليلٌ وإعصارٌ وغيمُ
ورعودٌ وبروقٌ وفضاءٌ مُدْلَهِمُّ

آسفاً لستُ سوى حُلْمٍ على الأرضِ قصيرِ
تَدْفِنُ الأحزانُ أيَّامي ويلهو بي شُعوري
لستُ إلا ذرةً في لُجَّةِ الدهرِ المُغيرِ
وغداً يجرفُني التيَّارُ، والصمتُ مصيري

وغداً تدفعُني الأرضُ سَحَاباً للفضاء
ويُذيبُ المَطَرُ الدفَّاقُ دمعي ودمائي
ما أنا إلا بقايا مطرٍ، ملءَ السماءِ
تَرجِعُ الريحُ إلى الأرضِ به، ذاتَ مساءِ

أمْطري، دوِّي، اغلِي ضجَّةَ أحزاني ويأسي

أغرقيني، فلقد أغرقتُ في الآلام نفسي

إملئي كأسيَ أمطاراً فقد أفرغتُ كأسي

واحْجُبي عني دُجَى أمسي فقد أبغضتُ أمسي

١٩٤٦-١٢-٩

شجرة الذكرى

مررتُ بها في المساء الدّجيّ
فألقيتُ رَحْلي في ظلِّها
وحدّقتُ في خُضْرِ أوراقِها،
وروحي الكئيبةُ في ليلها
فهاجتْ لقلبي دُجى الذكريات
وأترعتُ لحني من ويلها
وصيَّرتُ مُتّكأي ساقَها
وطافتْ شجوني من حولها

تذكّرتُ، والقلبُ في حُزْنِهِ
وقوفي، في ظلِّها الساحرِ
كأنْ لم تمرَّ الليالي الطوالُ
على أمسي المبعدِ الدابرِ
وقفتُ أكفكفُ دمعي السخين
وأصرُخُ من ألمي الآسرِ
أقصُّ على ظلِّها قِصّتي
وقِصّةَ شاعريَ الغادرِ

قصصتُ عليها الحديثَ الكئيب
وفي يدَي الشوكةُ القاطعه
أمُرُّ بها، والأسَى غالبي،
على ساقها البرَّةِ الوادعه
فيا ليَدي جَرحتْ ساقَها
وجذّتْ أزاهيرَها اللامعه
كأني بذاك جرحتُ الحياه
وعاقبتُ أقدارَها الخادعه

ومرَّتْ عليَّ السنينُ الطوال
وطالَعَني يوميَ الخالدُ
فأبصرتُ فيه أساي البعيد
يُحِسُّ به قلبيَ الواجدُ
فقلتُ لقلبيَ: هيا نَطقْ
بها، وليَنشُرْ حزنَكَ الهامدُ
سنسألُها اليومَ عن جرْحها
ألم يَشفِه الزَّمَنُ الآبدُ

وعُدْتُ إليها، كأنْ لم تمرَّ
عليَّ السنين وأقدارُها
فؤاديَ ما زال مستأسراً
وروحيَ ما أطفئت نارُها
يُفَيِّئُني ظلُّها من جديد
وتحنو على القلب أزهارُها
فيا نُبْلَها، صَفَحَتْ عن يدي
وما زال عند يدي ثارُها

ودُرْتُ أسائلُ عن جُرْحها
أما دملتْهُ أكفُّ القَدَرْ؟
فلم أرَ إلاّ اخضرارَ الحياة
فليس عليها لجُرْحٍ أثر
وأما جراحُ فؤادي الحزينْ
فما زلنَ يشكونَ طولَ السَّهَرْ
فيا عَجَباً للزمان المسيء
متى عن إساءته يعتذرْ؟

١٩٤٤-٦-١٤

الخيال والواقع

رحمةً، لا تُنزليني من سَمَائي

واتركيني في خَيالِ الشُعَراءِ

اتركيني، لا تُعبدي لي الظُنونا

ودعيني أملأ الدنيا لُحونا

وأصُغْ عُمْري جَمَالاً وفُتونا

أبداً أصْدَحُ حبّاً وحَنينا

لحبيبي وأنا تحتَ سَمَائي

وخَيالي، من خَيالِ الشُعَراء

اتركيني، أنا قد نُحّتُ طويلا

ودعيني أبصرِ الكونَ جميلا

شَبِعَ القلبُ دموعاً وذُهولا

فدعيه يقطعِ العُمْرَ جَهُولا

ويَعِشْ، مثليَ في ظلِّ السماء

ويُشاركني خيال الشعَراء

رحمةً بي، رحمةً، لا تُحزنيني

ودعيني في خيالاتي، دعيني

قصّةُ الإثمِ وأنباءُ المُجون

لا تَقُصّيها على قلبي الحزينِ

ودعيه، في تعاليلِ السّماء

ممعناً في نَشَواتِ الشُعَراءِ

إنْ يكن قلبيَ ظمآنَ وفيّا

لا يَرَى في شاعري إلا نبيّا

أو يكنْ يكتمُ حُبّاً شاعريّاً

فهو ما زال بأوهامي يحيا

أبداً يرسُمُ أحلامَ السّماءِ

ويغنّي أغنياتِ الشُعراء

قد سئمتُ الواقعَ المرَّ المملا

ولقد عُدْتُ خَيالاً مضمحلا

فاتركيني بخيالي أتسَلّى،

آه كاد اليأسُ يعروني، لولا

أنّني لُذتُ بأحلامِ السماءِ

وتخيّرتُ خيالَ الشُعَراءِ

صوّري ما شئت لي الأمسَ وسحرهْ
يومَ كان الحبُّ في كفّي زهره
ارسمي للقلب أحلامَ المَسَرّهْ
ودعيني أذقِ الأفراحَ مرّهْ
علّني أهبطُ من بُرج السماء
ويجافيني اكتئابُ الشُعَراءِ

لا تُثيري المي، حسبُكِ أنّي
لم أزلْ في معبَدِ الحبِّ أغنّي
لم يزلْ حُلمي رؤيا مُستَمَن
كلَّ يومٍ يَهْدمُ اليأسُ وأبني
ولقد شيّدتُ لي بُرجَ السماءِ
وخيالاتي ووهمَ الشعراءِ

لم يكنْ حبّي سوى حُلمٍ غريبِ
مدّهُ الوهمُ على قلبي الكئيبِ
أسفاً، لم يَبْقَ لي غيرُ شُحوبي
وأغاريدي آلتْ للغروبِ
لم يَعُدْ لي غيرُ أحلامِ السماءِ
وخيالاتي ووهْمِ الشُعراءِ

١٩٤٥-٨-٣١

السفينة التائهة

فى لُجَّةِ البحرِ الرهيبِ سفينةٌ تحت السماءْ
ألقتْ بها الأقدارُ فى لُجَجِ المنايا والشقاءْ
الريحُ تصرُخُ حولَها وتضجُّ فى ظُلَمِ الفضاءْ
والموجُ يضربُها ويُلقيها على شَفَةِ الفناءْ

سارتْ ولا ربّانَ يَهديها إلى الشطِّ السحيقْ
حيْرَى يُخادعها الظلامُ فلا شُعَاعَ ولا بريقْ
من فوقها هولُ الرعودِ وتحتها اللُّجُّ العميقْ
سارتْ وما تدرى إلى أينَ المصيرُ وما الطريقْ

الريحُ مزّقتِ الشراعَ فأينَ يضربُ زورقى؟
والموجُ أطفأ ضوءَ مصباحى فماذا قد بقى؟
وغداً سيسكبُ الدُجى فى جَفْنَى المغرورقِ
وتسيرُ أمواجُ البحورِ على شبابى المُغْرَقِ

لا شيءَ يمسحُ أدمعي، لا حلْمَ تَلمحهُ عيوني
لا شاطئٌ ترنو إليه سفينتي، تحتَ الدُّجونِ
كتبتْ لي الأقدارُ أن أمشي على شوكِ السنينِ
جسْماً تعذّبهُ كآبةُ خافقٍ جَمِّ الحنينِ

رحماكِ يا أيدي الكآبةِ ما الذي قد كان منّي؟
ماذا جنَيْتُ لتَعْصُري قلبي وأحلامي ولَحْني؟
أبداً تمُدّينَ الجناحَ على خيالاتي وفنّي
وتلوّنينَ مَشاعري بسَوادِ آهاتي وحُزني

ويروحُ يصرُخُ تحتَ عبئكِ قلبي المتمرّدُ
قلبي الذي ضاقَ الوجودُ به وعذّبهُ الغَدُ
قلبي الكئيبُ المُستطارُ الشاعرُ المتنهّدُ
يحيا على ظَمأ الحياةِ فأينَ أينَ الموردُ؟

كم شاعرٍ عَبَدَ الحياةَ وعاشَ يشدو بالجمالْ
أبداً يغرّدُ للطبيعةِ والكآبةِ والخيالْ
حتى إذا طَلَعَ الصباحُ على الصحاري والتلالْ
عثرَ الضياءُ على فتىً مُسْجىً على كُثُبِ الرمالْ

نمّتْ عليه كـآبةٌ، لم يَمْحُـهـا الموتُ الرهيبْ
ووشـت به عينانِ رانَ عـليهمـا اليأس المُذيبْ
وإلى يمـينِ رفُاتـه قيـثارةُ السـاجي الكئيبِ
حَفِظَ الوفاء لمن خَـبَـتْ ألحانُهُ وذَوَى اللهيبْ

يا ليلُ، ما نَفْعُ الأسى؟ يا بحرُ، ما معنى الدموعْ؟
النَوْءُ يصـخَبُ داوياً، والموجُ يهـزأ بالقُلوعْ
أنَّى تسيرُ سفينتي الحيْرَى إذَن؟ أنَّى الرُجوعْ؟
فلنمضِ للمجـهولِ، ذلك وحدَهُ مـا نستطيعْ

١٩٤٦-٧-٧

قلب ميت

نعم، مـــاتَ قلبي، أينَ أحـــزانُ حـــبِّـــه؟
وأين أمـــانيـــه؟ وأيـــنَ أغـــانيـــه؟
حـــرارتُهُ أضـــحـــتْ رَمـــاداً مـــهـــشَّـــمـــاً
وأحـــلامـــهُ ذابتْ على صـــدر مـــاضـــيـــه
هـــو الآن ثـــلجـــيُّ الـعـــــــواطـف، بـــاردٌ
يُقـــضّي مع الأشـــبـــاحِ غُـــرَّ لـيـــاليـــه
ويَرْعَـــبُـــهُ ذكـــرُ المـمـــاتِ ولـيـــلِهِ
فـيـــدفِنُ نـيـــرانَ الأسى في قـــوافـيـــهِ

وكـــانَ له من قـــبـــلُ هيكلُ مَـــعْـــبَـــدٍ
يُغـنّيـــه في أحـــلامـــه وصَـــلاته
مـن الحُـبِّ والأحـــلام صـــاغَ رُواءَهُ
وألقى عليـــه أمنيـــاتِ حـيـــاته
على صَـــدْره الشِّـــعْـــريّ تمثـــالُ شـــاعـــرٍ
تـــذوبُ مـــعـــــاني الروح في نظراتـه
يَرىَ فـيـه إحـســـاسي حـيـــاةً نقـيـــةً
أطلَّـــتْ خـــفـــايـاها على ظُـــلُـمـــاته

وكان صباحٌ... واستفقتُ فلم أجدْ
من المعبد الشعريِّ إلا رسومَهُ
تحطَّم تمثالي الجميلُ على الثرى
وألقى على قلبي النقيِّ همومَهُ
ورُحتُ إلى حبِّي أمزِّق زهرهُ
وأنثُرُ أحلامَ الصبا ونجومَهُ
وينضَبُ في قلبي جمالُ شبابه
وينفُثُ ليلُ الحزنِ فيه سُمومَهُ

وها أنا ذي عُمْري احتقارٌ وأدمعٌ
وفي نفسيَ الولهى لَظًى وتمرُّدُ
أحنُّ إلى حبِّي الجميلِ وإن يكنْ
أشاحَ عن التمثالِ جَفْني المسهَّدُ
وماذا تبقَّى الآنَ؟ شِلْوُ حجارة
تضيقُ بها نفسي، وصَخْرٌ مُمدَّدُ
تَعلَّقَ قلبي بالنجومِ وقلبُهُ
تمرَّغَ في الأوحالِ، والطينُ يشهدُ

هنالكَ، في الأمس البعيد، وليله
سأدفنُ تمثالي وحُبّي وأدمعي

أشيِّدُ قبراً من تمرُّدِ خافقي
وأسقيه من بُغضي له وترفُّعي

أغنّيه ألحانَ احتقاري وثورتي
وتهزأُ أضواءُ النجومِ به معي

وأزرعُ فيه الشوكَ والسمَّ والّلظى
وأتركُهُ شلْواً كقلبي المروَّعِ

١٩٤٦-٧-٢٨

بعد عام

مرَّ عـامٌ يا شـاعرى منذُ أبْصَرْ　　تُكَ فى ذلك الصـباحِ الكئيبِ
مرَّ عـامٌ لم تكتحلْ عينىَ الظمـ　　ـأى برؤياكَ لم يخفْ قُطُوبى
الليـالى تمرُّ تتبعُها الأيـ　　ـامُ فى بُطْئها المُملِّ الرتيب
وأنا لهفةٌ وشوقىَ يزدا　　دُ وروحى فى عاصفٍ من لهيبِ
ظَمَأٌ للحياة يملؤ إحْسَا　　سى ونارٌ فى دمعىَ المسكوبِ
وشظايا كآبةٍ رسمتْ فو　　قَ جبينى غُلالةً من شحوبِ

مرَّ عامٌ من قال؟ هل أنا فى حُلْـ　　ـمٍ بَنَاهُ تخيُّلى المصدومُ؟
أهْوَ وهمٌ ما خلتُهُ سنةً أطـ　　ـفأ أضواءها الزمانُ اللئيمُ؟
مـرَّ عامٌ ولم أقابلْكَ، ماذا؟　　كيفَ أبقتْ على حياتى الهمومُ؟
كيف طابتْ لى الحياةُ على بُعْـ　　ـدكَ عنّى؟ ولم يُمتنى الوجومُ؟
الشهيقُ الحزينُ فى هدأة الليـ　　ـل، ألم يُلْقه إليكَ النسيمُ؟
والشرودُ الذى أماتَ أحاسيـ　　ـسى، أما حدّثتْكَ عنه النجومُ؟

لم أزلْ أذكرُ الصَبَاحَ الذى مرَّ　　نَدَىً فوقَ قلبىَ المكسورِ
منذ عامٍ فى الشارعِ الصاخبِ الممـ　　ـتدِّ والشمسُ فى صفاءِ الأثيرِ
جمعتْنا هنالك الصُدْفةُ الحلـ　　ـوةُ فى غفلةٍ من المقدورِ

والتقينا لم نبتسمْ لم أحدثـ ـــ ـكَ بما في فؤادي المعصورِ

لحظةً ثم أجهز الزمنُ القا ـــ سي على قلبِ حلْمي المسحورِ

سرتُ يمنى وسرتَ يسرى ولم يبـ ـــ ـقَ سوى ثورتي ونارِ شعوري

ومضى العامُ كلُّه، كلَّ يومٍ ـــ أتلقّى الصباحَ بالأحلامِ

كلَّ يوم أقول: يا قلبي الظمـ ـــ ـآن للصحوِ لا تضقْ بالغمامِ

ربما أشفقتْ بنا الصُدَفُ العمـ ـــ ـياءُ هذا الصباحَ بعد الظلامِ

لن يضرَّ الأقدارُ في ليلها أن ـــ تتلقاكَ مرةً بابتسامِ

فتدبَّ الحياةُ ثانيةً في ـــ ـكَ وتصحو خوامدُ الأنغامِ

ويجنَّ الشعورُ في عُمقِ أعما ـــ قكَ حيّاً حسراً من الآلامِ

مرَّ عامٌ ودقّتْ الساعةُ الحمـ ـــ ـقاءُ عشراً واستيقظتْ أحزاني

الثلاثاءُ لم يُعدْكَ إلى أشـ ـــ ـواق روحي الممزّقِ اللهفانِ

مرَّ عامٌ كأنه حلْمٌ مرَّ ـــ على جفنِ شاعرٍ وسنانِ

مرَّ عامٌ لم يبقَ منهُ سوى لحـ ـــ ـنٍ حزينٍ مُغرورقِ الألحانِ

ليس إلاّ ابتساماتي المرةُ الظمـ ـــ ـأى ودقّاتُ قلبيَ الحيرانِ

ليس إلاّ ظلٌّ من الصمتِ واللهـ ـــ ـفةِ يبدو في جفنيَ الظمآنِ

٢٦-٦-١٩٤٥

العودة إلى المعبد

مَعبدي، عادت بي الأحزانُ فارأفْ بعذابي
عدتُ يا ليتكَ تَدْري بعضَ آلامي وما بي
عدتُ والقلبُ شريدٌ تائهٌ بين الضَّبابِ
يتلوّى في إسارٍ من حنيني واكتئابي

ذهبَ الأمسُ بأوهامِ فؤادي ومحاها
فإذا قلبيَ عبدٌ ولقد كان إلها
آهِ فارأفْ بفتاةٍ حطَّمَ الدهرُ مُناها
وأفاقتْ ليَهُدَّ الحزْنُ واليأسُ قُواها

مَعْبدي، افتحْ لقلبي البابَ، قد طالَ وقوفي
أنا من ماتَ ربيعي في أعاصيرِ الخريفِ
جئتُ ألقي بين كفَّيْكَ أسى قلبي اللهيفِ
علّني أحْظَى بِظلِّ في مجاليكَ وريفِ

عُدْتُ، يا معبدُ، للصَمْت، فلن أشدوْ بحبّى
لم يَعُدْ قلبىَ يهفو فلقد ودّعتُ قلبى
حسبىَ الآنَ وجومى وكآباتىَ حَسْبى
حسْبُ روحى نارُ إحساسى وآهاتى ورُعْبى

أسَفاً، كيف ذَوَى حُبّى ولحنى ورجائى؟
ليتنى كنتُ تناسيتُ، فلم أرْعَ وَفَائى
ليتَ حسبّى لم يُعلّمنى أغاريدَ السماء
ليتَهُ خلّقنى فى الأرضِ بينَ الأشقياء

رحمةً، ماذا ترانى أفعلُ الآنَ بفنّى؟
هى ذى آلهةُ الشعْر فهل تمسَحُ حُزْنى؟
هو ذا العودُ فهل يُسْعدُ روحى أن أغنّى؟
رحمةً بى، ما الذى قد أبقتِ الأحزانُ منّى؟

أين أمسى، وهو أحلامُ وألحانٌ ولَهْوُ؟
أينَ أيامىَ إذ قلبى من الأشواق خلْوُ؟
ما الذى أبقى لىَ الحبُّ؟ أجسمى، وهو نضْوُ؟
وفؤادى، وهو أوصالٌ؟ وروحى، وهو شلْوُ؟

ادفنِ الأحلامَ، يا قلبي الخيالىَّ المُحطَّمْ
واستفِقْ من قبلِ أن ينطفئَ الحُلْمُ فتندمْ
ما الذي أغراكَ بالحب؟ ومن أوحى وألهمْ؟
عَجَباً، كيف ترى الشرَّ بعينيك وتحلم؟

استفقْ من حُلْمكَ الشعريِّ وايأسْ يا كئيبُ
ذبلتْ أغنيةُ الحبِّ ووراها المغيبُ
وستبقى، أيها المحزونُ، في الشوقِ تذوبُ
أبداً ترجو رجوعاً لهوى ليس يؤوبُ

ثم ماذا؟ أيَّ حُلْمٍ ترتجي يا ابنَ السماء
أنتَ في الأرضِ، فلا تحلُمْ بلُقْيا الأوفياء
لا تَلُمْ شاعركَ الغادرَ وابسِمْ للشقاء
والتجئْ للعودِ تَسْعَدْ يا حزينَ الشُعَراء

معبدي، إفتح لقلبي البابَ، لا تَقْسُ عليه
ليجدْ عندكَ سلواهُ لينسى أمليه
يا لَمحزونٍ شقيٍّ مزّقَ الشوكُ يديه
ملءُ دنياهُ عُبُوسٌ، فابتسمْ أنتَ إليه

٩-٨-١٩٤٤

عيد الإنسانية

«٨/ ٥/ ١٩٤٥ يوم الهدنة»

فى دمي لحنٌ من الشوقِ جديدُ
والمجاليَّ حَواليَّ نشيدُ
ليلتى هذى ابتسامٌ وسُعودُ
طافَ بالأفْقِ فغنّاهُ الوجودُ
هى يا قيثارتى لحنٌ سعيدُ
هى شِعرٌ، هى وَحْيٌ، هى عودُ
هذه الليلةُ للعالَم عيدُ
وهى، يا قيثارتى، الحُلْمُ الوحيدُ

أين أوتارُكَ يا عودي الحبيبا
شُدَّها واصدَحْ ولا تَبْقَ كئيبا
لم تَعُدْ دُنياكَ جَمْراً ولهيبا
أنتَ يا مَنْ عِشْتَ في الكون غريبا
نَغَمُ السِلْمِ سَرَى فاحْيَ طَروبا
واملأَ الدنيا لُحوناً وطُيوبا
وانسَ أمساً ملأ الكونَ خُطوبا
آنَ للأفراحِ أن تمحو الكُروبا

فرحةُ الهدْنة، يا بُشرَى لقَلبي

ألَنا أحلُمُ؟ أم تكذبُ أذْني؟

أم هيَ الفرحةُ قد لاحتْ لعيني؟

حُلُمَ الصادي ورؤيا المُتمنِّي

يا إلهَ الشِعرِ نَحِّ الصَمْتَ عنِّي

آنَ أنْ أنسى ضراعاتي وحُزْني

آن أن أحيي الأمانيْ وأغنِّي

ومعي قلبي وأشعاري ولحني

أنا مَن غنَّتْ دموعَ الأشقياء

وبكتْ أشعارُها للأبرياء

كم صريعٍ قبرُهُ ثلجُ الشتاءِ

ويتيمٍ مهدُهُ شوكُ العَراءِ

وصبايا كرَعَتْ سُمَّ القَضاءِ

قبلَ أن تَرشُفَ كأساً من هناءِ

صُغتُ أحزاني وحُبي ووفائي

هو أحزاني وحُبِّي ووفائي

ولقد صوّرتُ أحلامي سنينا
وهي ما زالتْ سَراباً وظنونا
وإذا الرحمةُ تُنجي الحالمينا
بالسّلامِ الحلوِ، حُلمِ المتشدينا
وصَدَى الوحي ولحنِ الشاعرينا
لم يَعُدْ قلبُ المقاديرِ ضنينا
فابسِمي، شاعرتي، في الباسمينا
واملئي المعبدَ زَهْواً وفتونا

آهِ يا شاعرتي، غنّي الأماني
واسمعي، هذا هُتافُ المهْرجانِ
فالنواقيسُ، على البُعْدِ، أغانٍ
بَشَّرَتْ بالفجرِ أحزانَ الزمانِ
وصَدَى السلْمِ على كلِّ لسانِ
فأتِنَ النغمةَ عُلويَّ المعاني
إنها الفرحةُ، يدري المَشْرقانِ
أقبلتْ تأسو جِراحَ الحدَثانِ

١٩٤٥-٥-٨

ليلة ممطرة

ألآن يا نجمي تغيبُ ولم يَحِنْ وقتُ الأفولْ؟

ألآنَ والليلُ الجميلُ يُريقُ ضوءكَ في الحقولْ؟

والزَهْرُ، تحت الليلِ، نشوانٌ بمَشْرِقكَ الجميلْ؟

والنهرُ، والشطآنُ تضحكُ تحت أشجارِ النخيلْ

ألآنَ تغرُبُ؟ يا لَمأساةِ الجمالِ الذابلِ

يا نجميَ المأسورَ في كفِّ الضَبابِ الشاملِ

يا فيلسوفَ الليلِ، يا سرَّ الوجودِ الذاهلِ

عَبَثاً أناشيدي إلى أضواءِ نجمٍ آفلِ

عبثاً سَهِرتُ الليلَ أرنو والتفجّعُ غالبي

أتزوّدُ النَظَرَ الأخيرَ إلى ضيائكَ الشاحبِ

وأصوغُ ألحانَ الرثاءِ على ضيائكَ الذاهبِ

وأحوكُ من دمعي الضياءَ لكلِّ نجمٍ غاربِ

رحماكَ يا نجمي الجميلَ متى نهايةُ ليلتي؟
ومتى ستنقشعُ الغيومُ وتستريحُ كآبتي؟
قد شاقَ قلبي أن أحسَّ الصمتَ تحتَ خميلتي
وتجوبُ عيناي الفضاءَ وفي يدي قيثارتي

مازلتُ أنتظرُ السكونَ وليس غيرُ صدَى المطَرْ
والريحُ في سَمْعِ المساءِ تئنُّ ما بين الشَجَرْ
لا طيرَ يمرحُ في الحقولِ ولا أريجَ ولا زَهَرْ
لا شيء غير صراخِ رعدٍ هاتفٍ بأسى البَشَرْ

ومن الظلامِ تصاعدَتْ آهاتُ قُمْريٍّ الغصونْ
ذهبتْ بمسكنه الرِّياحُ وعزَّهُ المأوى الحَنُونْ
حيرانُ، مرتعشُ الجناحِ، مجرَّحٌ تحتَ الدُجونْ
رحماكَ يا ربَّ العواصفِ، حسبُنا المطَرُ الهتُونْ

أينَ الفضاءُ الحلوُ؟ أين الصَحْوُ؟ أينَ سنَا النجومْ؟
من جمع المطر الكئيب، وبث في الليل الغيوم؟
يا ريحُ رفقاً بي ورفقاً بالعرائش والكرومْ
رفقاً بقُمْريٍّ المروج فقد أمضَّهُ الهُمومْ

قد كان في قلبي أمان يا رياحُ فخنتِها
قد كان في هذا المساء مفاتنٌ فمحوتِها
قد كان في المرجِ الجميل عرائشٌ أذبلتِها
قد كان في ثَبَجِ السَمَاءِ كواكبٌ أطفأتِها

وبقيت، في الليلِ الكئيب، أصيخُ للمطر الكئيبْ
وعلى فمي اللحنُ الغريبُ، يصوغُهُ قلبي الغريبْ
وتلوحُ لي خَلَلَ النوافذ ظلمةُ الليلِ الرهيبْ
عبثاً أغذي موقدي فالآنَ ينطفئُ اللهيبْ

قد حطَّمَ الإعصارُ نافذتيَّ وانطفأ الضياءْ
والآنَ لا أضواءَ حولي غير إبراق السماءْ
يا صَيحَةَ الإعصار في الآفاق، يا مَطَرَ المساءْ
الآنَ ألتمسُ الرُقَادَ إلى غَدٍ فإلى اللقاءْ

١٩٤٦-١١-٦

أنشودة الأبديّة

«إلى القيثارة الإلهيّة التي منحتْ الإنسانية أروع الألحان، إلى تشايكوفسكي الموسيقيّ الروسي، ذكرى لمرور أربع وخمسين سنة على وفاته».

سأحبُّ الحياةَ من أجلِ ألحا ... نكَ يا بلبلي الحزينَ وأحيا
سأرى في النجومِ من نورِ أحلا ... مِكَ ظلاً مُخلَّداً أبديّا

سأناجي في الليلِ جُنْحاً من الأحـ ... ـزانِ يوماً ألقى عليكَ ظلالَهْ
سأحيّي في الكرمِ فيضاً من الأسـ ... ـرارِ أضفى يوماً عليكَ جمالَهْ

وإذا ثارتِ العواصفُ في الليـ ... ـلِ وراءَ الحقلِ الرهيبِ الدجي
لمستْ روحيَ المشوقةُ فيها ... ذكرياتٍ من روحِكَ الناريِّ

آه يا أيّها الملاكُ إلى رو ... حِكَ، في الموتِ، حنَّ روحي الحزينُ
أنا تلك التي حياتي على الأر ... ضِ اكتئابٌ ووحشةٌ وحنين

آه لو كنتُ عشتُ مثلكَ في الما ... ضي وأبصرتُ وجهَكَ العُلْويّا
لولا رأيتُ الإلهامَ يملأ عينيـ ... ـكَ ضياءً ووجهَكَ الشاعريّا

آه لو بعتُ كلَّ عمري بيومٍ   شاعريّ يراكَ فيه وجودي
من بعيدٍ أرنو إلى الهيكل السا   مي وأصغي إليكَ يا معبودي

وأرى كيف يُغرِقُ الحزنُ مرآ   كَ وتبدو أسراره في عيونكْ
وأحسُّ ارتعاشَ قلبك للحُسـ   ـنِ وظلَّ الشُّرودِ فوقَ جبينكْ

وأرى كيفَ تُرْجِفُ الوترَ المسـ   ـحورَ كفّاكَ يا ملاكي النبيلا
كيفَ ترنو إلى الحياة وما فيـ   ـها وتَستلهمُ الوجودَ الجميلا

وأرى كيفَ يغسلُ الدمعُ عينيـ   ـكَ وتبكي في وحشة الإنفرادِ
وأرى كيفَ يرقصُ الألمُ الطا   هرُ في مقلتيكَ قبلَ الرُّقادِ

كيف يأتي الدُّجى عليك فترنو   في ذهول إلى ظلالِ الماضي
بينَ فكْ الذكرى يعذّبكَ الشو   قُ وتبقى في رَعْشةٍ وانتفاضِ

كيفَ تحتَ الدُّجى تهيمُ على وجـ   ـهكَ بحثاً عن لحظة من هدوءِ
هارباً من صراخِ نفسك من دنـ   ـياكَ من عالم الورى الموبوءِ

هارباً هارباً تحدّقُ في النهـ ـر وما فوق مائه من جليدِ
تتمنّى أن يَدْفِنَ الثلجُ بلوا كَ بعيداً عن اضطراب الوجودِ

آه يا بلبلي وقد جاءكَ المو تُ أخيراً وغبتَ عن دنيانا
أخمدَ الصمتُ والفَنَاءُ أغانيـ ـكَ ولم يَبْقَ غيرُ رَجْعٍ أسانا

رَقَدَ الحالمُ الإلهيُّ تحتَ الـ ـفَجْرِ جسماً مَيْتاً وروحاً أصمّا
كلُّ أنغامِهِ السماويةِ الظَمْـ ـأى وأحلام روحه عدْنَ حُلْما

وعلا ذلكَ الجبينَ الأثيريَّ شحوبُ الموتِ المريرِ القاسي
وهوى ذلك الإلهُ السَماويُّ على الأرضِ خامدَ الأنفاسِ

عَبَثاً قبّلَتْهُ آلهةُ الفجـ ـرِ وغنّتْهُ أعذبَ الأنغامِ
عبثاً ذكّرتْهُ ربّةُ موسيـ ـقاهُ بالذكرياتِ والأحلامِ

أيّها الموتُ أيّها الماردُ الشرّ يرُ يا لعنةَ الزّمانِ العنيدِ
كيفَ ترضى يداكَ أن تقتلَ الإلـ ـهامَ؟ ماذا تركتَهُ للوجودِ؟

سوف تفنى يداكَ أنتَ ويبْقَى ظلُّ ذاكَ الطيرِ الجميلِ الوديعِ
سوف تبقى نجواه تخفقُ فوقَ الأ رضِ بالحبِّ والجمال الرفيعِ

أيُّها الحاقدُ الترابيُّ أمّا أنتَ فاحقدْ وعشْ على الأضغانِ
إنّهُ الآنَ فوقَ حقدكَ فوقَ الأ رضِ، فوقَ الفناءِ والنسيانِ

٣-٦-١٩٤٧

على الجسر

يا نَهْرُ لا تحفظْ دموعى أو أسى قلبى المرُوعِ
اكتمْ- حنانكَ- ما تساقطَ فى مياهكَ من دموعى

ذهبَ المساءُ بكلِّ ما أبصرتَ من حزْنى العميقْ
ومحا الدُّجَى من عُمرٍ يأسى ليلةً لن تستفيقْ

انْسَ الذى أبصرتهُ بالأمس من أحزانيه
واكتُمْ أسايَ وأدمعى تحتَ النُّجومِ الحانية

انسَ الخطَى المُتَعَثِّراتِ وصوتيَ المتهدِّجا
والدمعَ، يخنُقُ كلَّ ألفاظى بكفٍ من شجا

رحماكَ أنتَ الكاتمُ الحانى على المتأوِّهينْ
وحنان موجِكَ كم طوَى قلباً يعذّبُهُ الحنينْ

أنتَ الذى شَهِدَتْ مياهكَ أدمعى وتردّدى
أنتَ الذى سمعت ضفافُكَ آهتى وتنهّدى

وَمَشَيْتُ فوقَ الجسر أبكى أمنياتى في سكون
وأديرُ وجهى، نحو موجكَ، عن عُيونِ العابرينْ

أحزانُ حبيّ كلها، فى شاطئيكَ، نَفَضْتُها
أسرارُ روحى كلُّها، تحت الظلام، نَثَرْتُها

لم أستطعْ، يا نهرُ، كتْمانَ العواطف والشُعورْ
مَنْ يمنَعُ السيلَ القوىَّ من التَدَفقِ والمسيرْ؟

وإذا طَغَى الحزنُ العميقُ فمن يرد هديرَهُ؟
وإذا دَوى الأملُ الجميلُ فمن يُعيدُ عبيرَهُ؟

عَبَثاً أقاومُ نارَ أحزانى فلن يخبوَ اللهيبْ
أبداً تُذكِّرنى الحياةُ بروعةِ الماضى الحبيبْ

حلُمٌ إلهى الجمال رسمتُهُ تحت النُجومْ
وبنيتُهُ قصراً من الزَهْر المنضَّرِ فى الغيومْ

وصبَبْتُ فيه، من حَيَاتى، صفوَهَا ونَقَاءَهَا
ونثرت فيه، من زُهورى، عطرَها ورُواءَها

وهُرِعتُ، كالطفلِ النقيِّ، إلى رجائي الأوحدِ
فرأيتُ قصري الحلو أطلالاً تثير تنهّدي

لا شيء يمحو ذكرياتِ الأمسِ من قلبي الكئيبْ
لا نورَ ينفذُ في ظلامي، لا انطفاءُ للّهيبْ

في عُمْقِ أعماقي أعاصيرٌ يُجَنُّ جُنونُها
وعلى جفوني رَسْمُ أحلامٍ يَضِجُّ حنينُها

أيّانَ أنجو من ظلالِ الأمسِ، أينَ ترى المَفَرْ،
والليلُ يعكسُ ذكرياتي، والأغاني والشَجَرْ؟

يا نهرُ فلتَدفنْ شكاياتي ومُرَّ شُجونها
الآدميّةُ إن بكتْ فلضَعْفِها وجنونها

١٩٤٦-٩-٢٥

إلى الشاعر كيتس

الإشارات إلى قصيدته

"Ode to a Nightingale"

حسيباتي وآلامُ روحي الحزينْ
وأحلامي المُرَّةُ الذاوية
وموكبُ أيّامي الذاهبات
وأطيافُ أيّامي الآتيه
تَجَمَّعْنَ في باقةٍ من عبير
ثَوَتْ خلفها روحيَ الفانيه
وأهديتُها نَغَماً حالما
إلى روحكَ الحُرَّةِ الباقية

حسيباتيَ، يا شاعري، كلها
حسيباة فتاة من الحالمينْ
إلهيةُ الروح لكنَّها
على الأرضِ حفنةُ ماء وطينْ
تُعذِّبُها صَرَخاتُ الأسى
وتُرعشُها صَدَماتُ السنينْ
ولولاكَ ما وجدتْ في الثرى
عزاءً، ولم يَجْتذِبْها الحنينْ

أناشيدُكَ الخالداتُ العِذاب
نشيدي وأغنيتي الهاتفه
فكم ليلة من ليالي الشتاء
دفعتُ بها ضَجَّةَ العاصفه
وأسمعتُها النارَ في مَوْقدي
وغنّيتُها الظُلّةَ الوارفه
وأيقظتُ في ظلّها فِتنتي
ونارَ عواطفيَ الجارفه

وكم في ليالي الخريف الكئيب
وقفتُ أحدّقُ عند النَهَرْ
أصيخُ إلى صوت قُمْرِيَّةَ
سَجَتْ فوقَ بعضِ غُصونِ الشَجَرْ
أفتشُ في صَوتِها عن شَجَاكَ
وشكواكَ بين الأسى والفِكَرْ
وأسألها عن شباب ذَوَى
وظلٌّ صِبا راقدٍ في الحُفَرْ

أقــولُ لهــا: صَــورِّى من جــديد
ظلام المســاء الكئــيبِ البـعــيدْ
ومــا كــانَ من شــاعــرى فى دُجَــاه
وآهـاتِـه وأســـاهُ المُبــيــدْ
صِــفى حُـسـرتَـهُ عند رأسِ المريض
ووحــشــتَــهُ والـرجَــاءَ الـبَــديدْ
صِــفى ذلك الجســـدَ الآدمىِّ
ومـــا قـــالَ عند وَدَاعِ الوُجــودْ

صِـفى شـاعرى كيف أمضى المساء
علـى قَـــدَمـىْ ذلكَ المـيتِ
يُصـيخُ إلى النَغَــمــات الحنونَ
ويُطـرقُ إطراقـــةَ المُنْـصِتِ
صِـفـيه، كـمـا أرعـشـتْـهُ الحـيـاة
أسىً، تحتَ سـيف الردَى المُصْلَتِ
على كـفِّــه رأسُــهُ الشـاعــرىِّ
وحــيــداً، إلى جــانب الجــثـةِ

وكـيف تولّى المساءُ الحزين
على شُعْلة الشمعة الشاحبة؟
وهل صَرَخَتْ في الظلام الرياح
كما صَرَخَتْ نفسُهُ الصاخبة؟
«هنالكَ حيثُ يموتُ الشباب
وتَذْوى أشعتُهُ الغاربة»
هنالكَ حيثُ الذهولُ الغريب
يودِّعُ روحَ المُنى الذاهبة

وتَمْضي الليالي إلى قَبْرِها
وتَمْشي الحياةُ مع الموكبِ
أسيرُ أنا في شعاب الوجود
أفتِّشُ عن حُلُمي المُتْعَب
تُخَادعُني كلُّ قمْرِيَّة
وتعبَثُ كلُّ الأغاريدِ بي
وما زالَ طيفُكَ طيَّ الخفاء
تُحَجِّبُهُ ظُلْمةُ المغربِ

١٩٤٧-٢-٦

-١-

"صوت التشاؤم"

هيَ ذي يا ظلامُ عاشقةُ الليـ ـلِ تُطيلُ التحديقَ تحت الدَّياجي
وقفتْ عند شاطئ النَّهْرِ تُصْغي لأنينِ الرِّياحِ والأمواجِ
وتَرَى الليلَ غيهباً راعبَ الظلِّ على رائعٍ من الأثباجِ
وتُحسُّ الحُزْنَ العميقَ لحقلٍ أغرقَتْهُ المياهُ خلفَ السِّياجِ

وقفتْ في الدُّجى تُحسُّ الأسى المرَّ وتبكي في مَسْمعِ الظُلُماتِ
وتَرَى بالخيالِ ما حلَّ بالقَرْ يةِ والبائسين من وَيلاتِ
فَجَأتْهم، تحت الدجى، لجةُ المو جِ فباتوا صَرْعى القضاء العاتي
ومَضَوا يضربونَ في ظُلمةِ الليـ ـلِ وما من منجىً من المأساةِ

وتعالى تحت الظلام صُراخٌ ردَّدتْهُ الرِّياحُ للأشجارِ
هو صوتُ الأحياء، في لجّةِ المو تِ وَصرْعى الأمواجِ والأقدارِ
عبثاً تضرعينَ، عاشقةَ الليـ ـلِ لقلبِ الظَّلامِ والأسرارِ
عبثاً فالحياةُ سنّتُها الحز نُ وحكْمُ الآهاتِ والدمعِ جارِ

-٢-

«صوت الأمل»

سِرْ بنا سِرِ يا زورقَ الأملِ العذْبِ وإن أُسْدِلتْ ستورُ الظلامِ
وتَعَالي الدويُّ في النَّهَرِ الباكي على مَسْمعِ القلوبِ الدَّوامي
سِرْ بنا لن نخافَ من ضجَّةِ الموجِ ولن نرهبَ العُبَابَ الطامي
نحنُ في الموجِ دَفْقَةٌ طالما لاقتْ رياحَ الأقدارِ والأيَّامِ

سِرْ بنا حيثُما يُريدُ لنا المجهولُ سِرْ في هذا الوجودِ الحزينِ
لن تنالَ الحياةُ منَّا فقد ذُقْنا أساها في عُمْرنا المغبونِ
ورمتْنا أحزانُها فصَبَرنا وغداً مغربُ الأسى والشُّجونِ
وغداً تنضَبُ الدموعُ وتفنَى ضجَّةُ الموجِ في عميقِ السكونِ

سوف تصفو الأمواجُ في لجَّةِ النَّهْرِ ويخبو الإعصارُ خلفَ التلالِ
وتعود النخيلُ تضحكُ للشطِّ كما كنَّ في الليالي الخوالي
ويعودُ الملاَّحُ يخرُجُ بالزورقِ نشوانَ ضاحكَ الآمالِ
هكذا يرجِعُ الصفاءُ إلى الوادي ويغفو على جَمالِ الليالي

-٣-

"صوت الشاعر"

مُغرقٌ في خيالِه شاردُ العَيْـ ـنَيْنِ مُستسلمٌ إلى الأحلامِ

يذرعُ الضفّةَ الجميلةَ مفتو نأ بصوتِ الأمواجِ والأنسامِ

ويَرَى اللُّجّةَ الرهيبةَ سحْراً وينابيعَ فَضْنَ بالإلهامِ

وعلى البُعْدِ منظرُ النَّخْلِ في النهـ ـرِ ومَرْأَى التلالِ والآكامِ

هكذا الشاعرُ الخياليُّ يقضي يومَهُ في الأوهامِ والألحانِ

ويَرَى في طُغيانِ مائكَ يا نهـ ـرُ جَمَالَ الطبيعةِ الفتّانِ

فهو ذاكَ الطيرُ المغرِّدُ بالشعـ ـرِ نبيُّ الخيالِ والألوانِ

تتصبّاهُ موجةٌ تَغْسِلُ الشطَّ ونهرٌ داوٍ ولُجٌّ قانِ

كلُّ ما في الطبيعةِ الحلوةِ المفْـ ـتانِ يُوحي لقلبِه بالغناءِ

كيف لا وهوَ ذلكَ الشاعرُ المُرْ هفُ وابنُ الخيالِ والإيحاءِ

عاشقُ الصحْوِ والغيومِ الحزينا تِ وشادي الضياءِ والظلماءِ

ورسولُ السماءِ للعالمِ البا كي وصوتُ الأمواتِ والأحياءِ

(١٩٤٦)

الخطوة الأخيرة

اشهدي أيتُها الأشجارُ، أني
لن أرى ثانيةً تحتَ الظِلالِ
ها أنا أمضي فلا تبكي لحُزْني
لا يُعذّبْك اكتئابي وابتهالي

خُطُواتي، في الدُجَى لا تحسبيها
إنّها آخِرُ ما أخطو هنا
إنّها رجْعُ أغانٍ لن تَعِيها
سوف تَذْوي مثْلَما أذوي أنا

خُطُواتي، أيُّ رجْعٍ مُحْزِنِ
آهِ لو لم أسمعِ الصوتَ الكئيبا
ليتني أفقِدُ حسّي، ليتني
لم أشاهدْ ذلكَ الحُلْمَ الغريبا

أيُّ حُلمٍ ذابلٍ فـــوقَ الرمـــالِ
صُغتُ فيه كلَّ موسيقى حياتي
كلَّ أحـلام شـبابي وخـيالي
كلَّ مـا في خـافـقي من نَغَمـاتِ

هـا أنا أرحلُ، يا أشـجـارُ، عنكِ
تحتَ عبءٍ من شُرودي وخـشوعي
ليتني أجـرؤ أن ألقي عليكِ
نظرةً ثانيـةً، دون دمـوعِ

لن تُحسّي، في غـدٍ، وقعَ خُطايا
فـأنا، يا أخـواتي، لن أعـودا
كلُّ أحـلامي وأضـغـاثُ رؤايا
عُدنَ يأساً صـارخاً، عـدن شرودا

سـوف ألقي العـودَ في الظلِّ وأمـضي
أي مـعنى، بَعْـدُ، للعـودِ الرقـيقِ؟
سوف أحـيا، يا سـمائي، فـوقَ أرضي
سـوف أطوي النورَ في قلبي العـميقِ

وَوداعاً، أنتَ يا حُلمَ شبابي

أنتَ يا من صغتُهُ خمسَ سنينْ

ها أنا أدفن، في الأرض، رغابي

وأواري أملي المُرَّ الحزينْ

المرآتُ الجميلاتُ ستبكي

فوق ذكرايَ ولكن لن أعودا

حسبُ روحي، أيُّها الأشجار، منك

أنّ ذكرى رَغباتي، لن تَبيدا

وأنا؟ لا تجزعي، حسبك منّي

أنّ ذكراك بقلبي سوف تحيا

كلُّ جذرٍ منك في أعماق فنّي

سوف يبقى شاعرياً أبدياً

آه يا أشجارُ، لا، لا تذكريني

فأنا تمثالُ يأس بَشَريّ

ليس عندي غيرُ آثارِ حنيني

وبقايا من شقائي الأبديّ

كنت يوماً خافقاً، بينَ الغيومِ،
أسكُبُ الأحلامَ في عُمقِ حياتي
تصعَدُ الآمالُ بي فوقَ النجومِ
ويصوغُ الشعْرُ أحلى رَغَباتي

أيُّها العودُ، وَدَاعاً من حياتي
هبطَ الليلُ وقد حانَ رحيلي
امْحُ ما قد كان، إمسَحْ نَغَماتي
انْسَ أنغامَ شَقَائي وذُهولي

لن تعيْ، في الغد، أنغامَ أسايا
وترانيمَ سروري وشَقائي
فانسَني، ها قد نأى رجعُ خُطايا
ها أنا أغرقُ، في قلبِ المساءِ

١٩٤٦

البحر

للشاعر الإنكليزي جورج غوردن بايرون من قصيدته

الطويلة: Childe Harold pigrimage

أيها البحر أيُها الأزرقُ الدا ... كنْ إهدرْ ما شئتَ في الظلماء

ساخرَ الموج من قُوَى الآدميـ ... ـنَ عميقاً مُدَوِّيَ الأنواء

مَخَرتْ في العُبابِ منكَ الأساطيـ ... ـلُ وتاهتْ في موجكَ اللانهائي

وبَقِيتَ المجهول يرهُبكَ الإنـ ... ـسانُ وهو الطاغي على الأشياءِ

كل ما عنده من القوة الهَو ... جاء يا بحرُ عند شطّكَ يعيَا

فهو يَطغَى في الأرض بالشرِّ والتخـ ... ـريبِ لكن تَظَلُّ أنتَ عتيّا

وتَظَلُّ الأمواجُ منكَ كما كا ... نتْ حميٌّ زاخراً وسطحاً سويّا

ما عليها ظلٌّ لطُغيانِ مخلو ... قٍ سيبقى على الزمانِ صَبيّا

ذلك الحيُّ ليس يَتُركُ من ظلٍّ ... سوى ظلّه على الأمواجِ

عندما تحتويه أمواجُكَ الهُو ... جُ فيَهوى في لُجَّةِ الأثباجِ

صارخاً هابطاً إلى عُمْقِ أعما ... قكَ مَيْتاً تحتَ الفضاء الساجي

دونَ قبرٍ يضُمُّ أشلاءَهُ أو ... كَفَنٍ غيرَ رائعاتِ الدّياجي

كلُّ ما فوقَ موجك الخالد الجبّـ ... ـار ما إن يبقى بقايا خُطَاهُ
ومسافاتُكَ البعيداتُ ليستْ ... أيّها البحر ما تنالُ يَداهُ
أيُّها المزدري بطُغيانه المكـ ... ـذوب يا ساخراً بكُنْهِ قواهُ
إنّه ذلكَ الضعيفُ إذا جا ... ءَكَ يوماً وأبصرتْ عيناهُ

تلقّاهُ موجةٌ بعدَ أخرى ... منكَ يا بحرُ في ظلامِ المساءِ
ثم ترمي به الرياحُ المُخيفا ... تُ رُفاتاً مَيْتاً إلى الأجواءِ
فإذا ما خَبَا جُنونُ الأعاصيـ ... ـرِ وماتتْ أصداؤها في الفضاء
عادَ شِلْواً إلى حِمى الشاطئ السا ... جي وجسماً على حفَافِ الماءِ

أيّها البحرُ آه ما هذه الأسـ ... ـوارُ تحت الحديد والنيران؟
أيُّ شيء هذي القلاعُ الرهيبا ... تُ؟ وما سرُّ ذلكَ الطُغيان؟
لقّبوا سادةَ البحارِ وما هُمْ ... غيرُ طيفٍ من الغُرورِ الفاني
تتلقاهُم قوَى موجكَ الرا ... ئعِ بالموتِ والأذى والهوانِ

كلُّ شيء في السّاحل الشاسع النا ... ئي يُطيعُ الموتَ البطيءَ العتيّا
كلُّ شيءٍ يَبْلى وتلبث جبّا ... راً كما كنتَ ساخراً أبديّا
أين آشورُ؟ أينَ روما وقرطا ... جةُ ما عادَ ذكرُها قطُّ يحيا
ذهبتْ كلُّها وماتتْ وما زلـ ... ـتَ كما كنتَ أيها البحرُ حيا

كل تلك السواحلِ الحلوة الغنّـ ـاء عادت تحتَ الزّمان صَحَارى
يتمشّى فيها الغريبُ وكانت أمسِ دنيا نفيض نورا ونارا
وتبقّيتَ أنت مثلَكَ بالأمـ ـسِ عميقاً ملويّاً جبّارا
لم يغضّنْ جبينَكَ الزّمنُ الما ضي وما زلت جارياً قهّارا

منذ أن شبّت الخليقةُ أنتَ الـ ـبحرُ تحت الضياء والظُّلُماتِ
كلُّ شيء كما أرى البَشَرُ الفا نونَ باقٍ وأنتَ أنتَ العاتي
أبداً أنتَ ذلكَ اللانهائيُّ المُدَوّي في مَسْمع الداجيات
أبداً أنتَ سرمديٌّ خفيٌّ في السكونِ الساجي أو العاصفاتِ

وأنا أيّها المُحيطُ المدوّي عاشقُ الموجِ والحصَى والرمال
طالما سرتُ، في صباي، على الضفـ ـة مُسْتَغرقاً بوادي الخيالِ
طالما سرتُ شارداً مثلَ أموا جِكَ نشوانَ ضاحكاً للمجالي
كلّ حُلْمي أن يحتويْ زورقي مو جُك يوماً فتحتوي آمالي

كيفَ يا بحرُ كيفَ تنسى مَراحي عندَ أمواجكَ الجميلاتِ أمسِ؟
عندما في طفولتي كنتُ ألهو في شواطيكَ بين بشْرى وأنسي
طالما من أمواجك الباردات الـ ـبيضِ أترعتُ في الأمسِّ كأسي
ليتَ شعري فهل نَسيت أغاريـ ـدي وحبيَّ الطاغي وفورةَ نفسي؟

١٨-٦-١٩٤٦

مرثية في مقبرة ريفية

«ترجمة للقصيدة المشهورة: An Elegy Written in a Country Churchyard للشاعر الإنكليزي توماس غري»

في المساء الكئيب والجرسُ المحـ ـزونُ ينعَى النهارَ للأجواءِ
والقطيعُ المكدودُ ينسابُ في المر ج بطيءَ الخُطى كئيبَ الثُغاءِ
والفتى الحارسُ المؤودُ إلى المأ وى يجرُّ الخُطى من الإعياءِ
تاركاً هذه المجالي الحزينا تِ لقلبي أنا وللظلماءِ

سوفَ يخبو النورُ اللألئ في الأفـ ـقِ بعيداً على امتداد السهوبِ
والفضاءُ الممتدُّ يغمرُهُ الليـ ـلُ فلا شيءَ غير صمت رهيبِ
ليس إلا حفيفُ أجنحة الأطـ ـيارِ في جوِّها الدجيِّ الكئيبِ
ودويُّ الأجراسِ ينشرُ فوق الـ مَرْجِ وهمَ الكرى وصمتَ الغيوبِ

ليسَ إلا قمريّةٌ يُرسلُ الشكـ ـوى الى البدر قلبُها المغبونُ
عُشُّها قنّةٌ تسلّقها الزهـ ـرُ وأخفتهُ في الظلال الغصونُ
تتشكّى الذينَ مرّوا بدنيا ها فلم تدرِ ما عسى سيكونُ
عكّروا العُزلةَ القديمةَ والصمـ ـتَ فدوّى هُتافُها المحزونُ

ها هنا في الظلالِ من شَجَرِ السَّرْ ... و وبينَ الأغصانِ والأشجارِ
حيثُ تعلو الرمالُ والعُشْبُ ينمو ... بينَ هذي الكُثْبانِ والأغوارِ
رَقَدَ الراحلونَ من ساكني القَرْ ... يةِ بين الرمالِ والأحجارِ
أسلمتْهم أيدي المنونِ إلى ضِيـ ... ـقِ قبورٍ تحت الثَّرَى المُنْهارِ

رقدوا فابتسامةُ الفجرِ لا توُ ... قظُ دنياهمُ على الأنسامِ
ومراحُ الطيورِ في أسقُفِ الأكـ ... ـواخِ ما إن يُصْحيهُمُ من منامِ
رقدوا الرقدةَ الأخيرةَ في الوا ... دي الدجيِّ الحزينِ وادي الحِمامِ
ليسَ تُغْريهمُ هُتافاتُ بوقٍ ... كيف تُغْرَى هياكلٌ من عظامٍ؟

رقدوا في العَرَاءِ تحتَ الثلوجِ الـ ... ـبيضِ لا موقدٌ ولا نيرانُ
ومضَوْا فالبيوتُ خاويةٌ منـ ... ـهُمْ وفي قلب أهلها أحزانُ
لا صغارٌ تخفُّ جَذْلَى مَسَاءً ... تتلقّاهُمُ ولا أحضانُ
يا لتنهيدةِ اليتامَى فما يرْ ... جِعُ آباؤهم إلى ما كانوا

كم تعرّتْ سنابلُ القمحِ في أيـ ... ـديهمُ كم ترنّموا في السهولِ
ولكم شَقّتِ الحقولَ محاريـ ... ـثُهُمُ فازدهتْ زهورُ الحقولِ
وبأيِّ الأفراحِ ساقوا إلى المأ ... وَى قطيعَ الأغنامِ عند الأصيلِ
ولكم أخضعوا من الشَّجَرِ الصلـ ... ـدِ وألقَوْا بساقِهِ في الوحولِ

ليسَ للهازئينَ أن يَحْقروا جُهْـ ... ـدَهُم أو طُموحَهُمْ في الحياةْ
أو مَسرَّاتهم وذكرَهُم المغْـ ... ـمورَ بالفقرِ والشَّقاءِ العاتي
رحمةٌ لا تكنْ دموعُ الحزانى ... بَسَماتٍ في الأعينِ الساخراتِ
ليسَ للأغنياءِ أن يحقروا عُمْـ ... ـرَ فقيرٍ مَخيساهُ للآهاتِ

أوَ ليستْ هذي الحياةُ سَرابًا؟ ... أوَ ليسَ الفَنَاءُ عُقبَى سَناها؟
أو تُنجي الألقابُ أو مِنَحُ المجْـ ... ـدِ إذا ما الحِمامُ أحنى الجباها؟
يا لَوَهْمِ الأحياءِ كم من حضارا ... تٍ أطافَ البِلَى بها فمحاها
كلٌّ ما في الحياةِ يَنْتهي إلى القبـْ ... ـرِ فما مجدُها؟ وما جَدْواها؟

لا تَلُمْهم يا أيُّها الكائنُ المغْـ ... ـرورُ إن لم يَرُقْ هَواكَ الشَّقيُّ
لا تَلُمْهم إن لم يَشِدْ فوقَهُ المجْـ ... ـدُ التماثيلَ أيُّها البَشَريُّ
ها هُنا لا قِبابَ لا قوسَ نَصْرٍ ... ليسَ إلاَّ سِرُّ الرَّدى الأبديُّ
وهوَ المرقَدُ الأبيدُ لقومٍ ... لم يُرَنِّمْ مديحَهُمْ آدميُّ

ليتَ شِعري ماذا تقولُ التماثيـ ... ـلُ لِمَيْتٍ؟ وما غِنَى الأقواسِ؟
ألَها أن تَرُدَّ للكائنِ الحيِّ ... إذا ماتَ خامدَ الأنفاسِ؟
وهُتافُ المديحِ هل هوَ يومًا ... بالغٌ مَسْمَعَ الحِمامِ القاسي؟
ونفاقُ الأحياءِ هل يمنَحُ الأجـ ... ـداثَ والموتَ رعشةَ الإحساسِ؟

لستَ تدرى مَنْ حلَّ فى هذه البُقْـ ـعةِ تحتَ التــراب والأشــواكِ
علَّهُ كــان شــاعــراً طاهرَ الرو حِ حَبَتْهُ السماءُ قلبَ مَلاكِ
علَّهُ العبقرىُّ لو أمهلَ المو تُ لقاد الدنيا إلى الأفلاكِ
علَّهُ الملهَمُ الذى يوقظُ النا ىَ فيستفزُّ كلَّ قلبٍ باكِ

عبقرياتُهم زوتها المآسى مَحَتْ ضوءها يدُ الأقدارِ
فهُمُ الجاهلونَ ما رفرفَ العلـ ـمُ عليهم بجُنحهِ الطيّارِ
وهُم البائسونَ أطفأ بردُ الـ ـفَقْرِ فيهم نبعَ اللهيبِ الوارى
فإذا عبقريةُ الروحِ مَجْرىً جامدُ السَّيلِ راسبُ التيّارِ

يا لَظُلْمِ الأقدارِ كم ماسة حَسْـ ـناءَ ظلَّتْ فى ظُلمةِ الأعماقِ
أخفتِ اللُّجّةُ العميقةُ لألا ها فيا ضيعةَ السَّنا الألاّقِ
كم زهورٍ زَجّى بها القَدَرُ القا سى بعيداً عن أعيُنِ العُشّاقِ
تبعثُ العِطرَ والفُتونَ إلى جوِّ الصَّحارى ودُجيةِ الآفاقِ

ربّما كان تحتَ هذا الثّرَى العا رى قلوبٌ شواعرٌ وعُقولُ
ربّما كان تحتَها (هامدنٌ) ثا نٌ زَوَاهُ مقرُّهُ المجهولُ
أو فتىً مثلَ (ملتنٍ) الشاعر الملـ ـهَمِ أخفاهُ صمتُهُ والذُهولُ
ربّما كان تحتَها (كرومولُ) آ خَرُ لم يُصْبِهِ الدمُ المطلولُ

حَرَمَتْهم أيدي القَضَاء نعيمَ الـ ـعيشِ واستعبدَتْهُمُ الآلامُ
فهُمُ حيثُ لا مجالسَ لا تصـ ـفيقَ حيث المحيا هُدىً وسلامُ
وهُمُ حيثُ ليس يُهزَا بآلا مِ الحزَانَى ونُحْتَقَرُ الأيتامُ
وهمُ البائسونَ أرضُهُمُ قَفْـ ـرٌ وأيامُهُمْ طَوَىً وسَقَامُ

غيرَ أنَّ الشقاءَ أحمد في دنـ ـياهُمُ الإثمَ والأذَى والغرورا
فإذا هُمْ ولا جرائمَ تُدْمِي الأ رضَ من حولهم ولا تَدْميرا
لم يخوضوا الحروبَ سَعْياً إلى المجـ ـدِ ولم يَعْرفوا الدمَ المهدورا
والليالي مَدَّتْ لهم سُبُلَ الرحـ ـمةِ فاستعذبوا الشعورَ الطَهورا

وُهوَ الفَقْرُ ردَّ أنفُسَهم بيـ ـضاً من الشرِّ والأذَى والحقودِ
فإذا طافَ باطلٌ بحماهُمْ احمرارُ الحياءِ لونُ الخدودِ
ليسَ فيهم من سَخَّرَ الشعرَ والفنَّ عبيداً للمَطْمعِ المحدودِ
ليس فيهم من داسَ آلهةَ الفنِّ على مَذْبحِ الغِنَى المنشودِ

ولقد أمضَوا الحياةَ بعيديـ ـنَ عن الثأر واحتدامِ الصراعِ
ملأتهم ألوانُ أحلامهم نُبْـ ـلاً فلم تُغْرِهم رؤى الأطماعِ
عبروا واديَ الحياةِ سُكوتاً مُغْرَقي العُمْرِ في صفاءِ الطباعِ
لهوهم مُنْبَعٌ يفيضُ على الأر ضِ ونايٌ نشوانُ في فم راعِ

رقدوا والقبورُ عاريةٌ إلاّ   من الصمتِ والهدوءِ الحزينِ
وعلى البُعْدِ تلمحُ العينُ تمثا   لاً ضئيلاً يبكي لصَرْعَى المنونِ
كُتبتْ تحتهُ قوافٍ وأشعا   رٌ تغنّى لمن ثَوَوْا في الطينِ
يسألُ العابرينَ آهةَ حُزْنٍ   لقبورٍ تحتَ الدُّجَى والدُّجونِ

القبورُ التي حَنَتْ ريشةُ الشعـ   ـرِ عليها بلحنِ حُزْنٍ حائرْ
فإذا اللحنُ لحنُ شادٍ مقلٍّ   ليس فيه إلاّ تفجُّعُ شاعرْ
القبورُ التي على صَخْرِها لحـ   ـنُ رثاءٍ يُثيرُ دمعَ العابرْ
ويُنادي الأحياءَ أنّ حياةَ الـ   ـمرءِ حُلْمٌ عُقباهُ صمتُ المقابرْ

أيُّ نفسٍ تَرَى يهونُ عليها   أن تُوارَى في لجّةِ النسيانِ؟
ولتكن هذه الحياةُ شقاءً   من تَراهُ يرتاحُ للأكفانِ؟
أيُّ قلبٍ يَرْضَى مغادرةَ الأر   ضِ بلا حَسْرَةٍ ولا أحزانِ
وهْي أُفْقُ الأضواءِ والسحرِ والأشـ   ـعارِ والقبرُ عالمُ الديدانِ؟

وهي الروحُ حينَ ترحَلُ تهفو   لفؤادٍ حانٍ وصدرٍ خَفُوقِ
والعيونُ المودِّعاتُ يُعزِّيـ   ـها أسًى مُشْفِقٌ ودمعُ صديقِ
ومن القبرِ ذلك المظلمُ البا   ردُ يعلو صوتُ الزمانِ العميقِ
آهِ حتّى في شِلْوِ أجسادنا الميْـ   ـتةِ تبقى آثارُ ذاكَ البريقِ

آه يا شاعري وأنتَ؟ وقد خَلَّـ ـدتَ ذكرى الأموات والبائسينا
أنتَ يا من قَصصَتَ أنباءهم شِعْـ ـراً وذوّبتَ قلبَكَ المحزونا
علَّ روحاً تقودُه الوحدةُ الحر ساهُ يوماً إلى حِماكَ حنينا
علَّهُ سائلٌ غداً عن أغانيـ ـكَ وما قد جرَتْ عليك السنونا

أيها الشاعرُ الوفيُّ وقد يَهْـ ـتفُ قلبٌ ثانٍ يُجيبُ السؤالا:
طالما قبّلتْ خُطاهُ ثرَى الوا دي صباحاً وجابتِ الأدغالا
طالما سارَ مُسرِعاً تنفضُ الأنـ ـداءَ أقدامُهُ وتطوي التلالا
ليُلاقي إشراقةَ الشمس فوقَ الـ ـقممِ الخُضْرِ فتنةً وجمالا

ها هُنا في الظلالِ من شَجَرِ البلـ ـوط بين الأغصانِ والأفياءِ
طالما مدَّ جسمَهُ الخائرَ المكـ ـدودَ مُستسلماً لأيدي القضاءِ
سابحاً في الخيالِ مغرورقَ العيـ ـنينِ نَهْبَ اكتئابةٍ خَرساءِ
أبداً يرقُبُ السواقي حسيرا نَ ويُصغي إلى خريرِ الماءِ

كم رأيناهُ شارداً في المجالي وعلى ثغرِه ابتسامةُ ساخرِ
كم لمحناهُ حالمَ القلبِ يحثُّ خُطاهُ بينَ الروابي النواضرِ
تارةً ضاحكاً وآناً حزينا شاحبَ الوجهِ مُغرقاً في الخواطرْ
قوّستْ ظهرَهُ همومُ الليالي قضتْ بالأسى عليهِ المقادرْ

طالما سارَ شاردَ الخطوِ مكدو ... داً كسارٍ ضلّتْ به قَدَماهُ

أو كمن أخلصَ الغرامَ فلم يلـ ... ـقَ سوى البُغْضِ والجفاء هواهُ

أو كمن وشّحَ الشقاءُ لياليـ ... ـه وماتتْ أحلامُهُ ورؤاهُ

أو كمن عاشَ حالمَ الروحِ بالنو ... رِ فلم يرحمِ الظلامُ مُناهُ

وأتى الفجرُ ذاتَ يومٍ فلم أعـ ... ـثرْ على الشاعرِ الشريدِ النبيلِ

لم أجدْهُ على التلال الحبيبا ... تِ إلى قلبه ولا في السُّهولِ

ومَضى اليومُ ثمَّ أقبلَ ثانٍ ... والفتى في مَقَرِّه المجهولِ

لا إلى جانبِ الجداولِ ألفيـ ... ـه ولا في الرُّبى ولا في الحقولِ

وأتاني الصَّباحُ بالنبأ المجـ ... ـهولِ فالشاعرُ الحزينُ صريعُ

حملوهُ على الأكُفِّ وألحا ... نُ المراثي تفجُّعٌ وخُشوعُ

آهِ يا عابرَ السبيلِ اقتربْ واقـ ... ـرأ رثاهُ فذاكَ ما تستطيعُ

كتبوهُ على حجارةِ قبرٍ ... ما بكتْهُ غيرَ الدجونِ دُموعُ

"الكلمات المكتوبة على القبر"

ها هنا في التراب في ظُلَّة الشو | ك وسادٌ لشاعرٍ محزون
جهلتْهُ الحظوظُ والمجدُ والشهـ | ـرةُ في ظُلْمةِ الزمانِ الضنين
لم يَنَلْ من مناهلِ العلم والفنِّ | سوى كأسِ ظامئٍ مغبون
والليالي صاغتْ صِبَاهُ من الحزْ | نِ وهزَّتْ حياتَهُ بالشجون

وَمعَ الكونَ كلُّهُ قلبُهُ الخفـ | ـاقُ بالودِّ والحنانِ الدَّفُوقِ
ولقد كافأتْهُ آلهةُ الشِعـ | ـرِ على قلبه النبيلِ الرقيقِ
مَنَحَ البائسينَ أثمنَ ما يمـ | ـلكُهُ: عَبْرةَ انفعالٍ عميقِ
فَحَبَتْهُ السماءُ أنبلَ ما تمـ | ـنحُهُ للأحياءِ: قلبَ صديقِ

آه يا عابرَ السبيلِ دعِ الشا | عرَ في مَرْقَدِ الردَى مُطْمئنّا
لا تحاولْ كشفَ الستارِ عن الخيـ | ـرِ ودعْ مقلةَ المَسَاوئِ وَسْنَى
فوراءَ الترابِ قلبٌ له في | رحمةِ الله مأملٌ ليس يَفْنَى
مأمَلُ الخافقِ الذي ضمَّهُ اللـ | ـهُ إلى عدلِه فأغمض عَيْنا

أيار ١٩٤٥

الناشيء

شظايا ورماد

الطبعة الأولى ١٩٤٩

الناشيء

مقدمة

في الشعر، كمـا في الحياة، يصح تطبيق عبارة بـرنارد شو: «اللاقاعدة هي القاعدة الذهبـية»، لسبب هام، هو أن الشعر وليد أحـداث الحياة، وليس للحياة قـاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها، ولانمـاذج معينة للألوان التي تتلون بها أشياؤها وأحاسيسـها، ولاتناقض بين هذا الرأي وما يقسم إليه النقاد الشعـر من مدارس ومذاهب حين يقـولون «كلاسيكي، رومانسيكي، واقعي، رمزي، سريالي. . .» فهذه كلها ليـست قواعد، وإنما هي أحكام.

وقد يرى كثيرون معي أن الشعر العربي، لم يقف بعد على قدميه، بعد الرقدة الطويلة التي جثـمت على صدره طيلة القرون المنصرمـة الماضية، فنحن عموماً ما زلنا أسرى، تسيّرنا القواعـد التي وضعها أسلافنا في الجاهلية وصدر الإسلام، مـا زلنا نلهث في قصـائدنا ونجر عـواطفنا المقيـدة بسلاسل الأوزان القديمة، وقرقـعة الألفاظ الميتة، وسدى يحاول أفـراد منا أن يخالفوا فإذ ذاك يتصدى لهم ألف غيور على اللغة، وألف حـريص على التقاليد الشعرية التي ابتكرها واحد قـديم أدرك ما يناسب زمانه، فـجمّدنا نحن مـا ابتكر واتخذناه سنّة، كأن سلامـة اللغة لاتتم إلا إن هي جمدت على ما كـانت عليه منذ ألف عام، وكأن الشعـر لايستطيع أن يكون شعراً إن خرجت تفعـيلاته على طريقة الخليل.

ويقولون: ما لطريقة الخليل؟ وما للغة التي استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون؟ والجـواب أوسع من أن يمكن بسطه في مـقدمـة قصيـرة للديوان, ما لطريقة الخليل؟. ألم تصـدأ لطول ما لامسـتها الأقلام والشـفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، وترددها شفاهنا، وتعلـكها أقلامنا، حتى مجتها منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون

لقد سارت الحياة، وتقلبت عليها الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفا نبك، وبانت سعاد، الأوزان هي هي، والقوافي هي هي.. وتكاد المعاني تكون هي هي؟

ويقولون: ما للغة؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقاً جديدة؟ فينسون أن اللغة إن لم تركض مع الحياة ماتت، والواقع أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء، التي تستطيع بها مواجهة أعاصير القلق والتحرق التي تملأ أنفسنا اليوم. إنها قد كانت يوماً لغة موحية، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف، ثم ابتليت بأجيال من الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل، فصنعوا من ألفاظها «نسخاً» جاهزة، ووزعوها على كتابهم وشعرائهم، دون أن يدركوا أن شاعراً واحداً قد يصنع للغة ما لايصنعه ألف نحوى ولغوى مجتمعين. ذلك أن الشاعر بإحساسه المرهف وسمعه اللغوى الدقيق، يمد للألفاظ معاني جديدة لم تكن لها، وقد يخرق قاعدة مدفوعاً بحسه الفني، فلا يسئ إلى اللغة، وإنما يشدها إلى الأمام. الشاعر أو الأديب إذن هو الذى تتطور على يديه اللغة أما النحوى واللغوى فلا شأن لهما بها، النحوى واللغوى عليهما واجب واحد هام، واجب الملاحظة واستخلاص قواعد عامة من كلام «المرهفين» من الكتّاب والشعراء.

على أن الأديب الذى يستحق تسميته «مرهفاً»، لابد أن يملك ثقافة عميقة تمتد جذورها في صميم الأدب المحلي، قديمه وحديثه، مع اطلاع واسع على أدب أمة أجنبية واحدة على الأقل، بحيث يتهيأ له حس لغوى قوى، لايستطيع معه إن هو خلق، إلا أن يكون ما خلق جمالاً وسمواً، فإذا خرق قاعدة، أو أضاف لوناً إلى لفظة، أو صنع تعبيراً جديداً، أحسسنا أنه أحسن صنعاً، وأمكن لنا أن نعد ما أبدع وخرق قاعدةً ذهبية.

ولن تقف وظيفة الأديب المرهف، عند خرق قاعدة هنا، وإضافة معنى هناك، وإنما سيكون عليه واجب أدق من هذا تفرضه عليه طبيعة التطور في

اللغات الإنسانية الحية، سيكون عليه أن يُدخل تغييراً جوهرياً على القاموس اللفظي المستعمَل فى أدب عصره، فيترك استعمال طائفة كبيرة من الألفاظ التى كانت مستعملة فى القرن المنصرم ويُدخل مكانها ألفاظاً جديدة لم تكن مستعمَلة. ذلك لأن الألفاظ تخلق كما يخلق كل شيء يمر عليه إصبع الاستعمال فى هذه الحياة المتغيرة، وهى تكتسب بمرور السنين، جموداً يسبغه عليها التكرار، فتفقد معانيها الفرعية شيئاً فشيئاً، ويصبح لها معنى واحد محدود، يشلّ عاطفة الأديب، ويحول دون حرية التعبير.

ثم إن هنالك سبباً آخر هاماً يستدعى هذا الاستبعاد للألفاظ التى كثر استعمالها، هو أن الأذن البشرية تمل الصور المألوفة والأصوات التى تتكرر، وتستطيع أن تجردها من كثير من معانيها وحياتها، وخير مثال لهذا أننا ننفر الآن بطبيعتنا من استعمال ألفاظ كهذه: «عمبر، كافور، غصن بان، قد، هلال، صدغ، عود، نرجس، لؤلؤ» وهى ألفاظ كانت فى بعض العصور السالفة تبدو رقيقة شعرية، وربما كانت يوماً مما لايستعمله إلا المجددون من الشعراء.

وقد لاحظت خلال دراستى للآداب المعاصرة، هذه الملاحظة الطريفة: لاحظت أننا فى هذا العصر، قد أصبحنا ننسى المدلول الخاص لكلمة «البدر» فنهملها إهمالاً يكاد يكون كلياً، ونؤثر عليها لفظ «القمر» وقلَّ فى الشعراء المعاصرين مَن يرضى استعمال كلمة «بدر» إلا فى الحالات النادرة، وأنا أعترف، أننى أكلف نفسى أحياناً متاعب كثيرة، لكى لاأستعملها، والتعليل السايكولوجى لهذا يسير، فأنا وسواى نتذكر بلا شك تلك العشرات من الأبيات الصماء النافرة التى تركها شعراء العصر المنطفيء الماضى، واستعملوا فيها كلمة «بدر» حتى جردوها من جمال معناها، وأطفأوها، وأبقوا منها ظلالهم هم عليها.

وربما كان هذا كله من عمل ما يسميه علماء النفس الاقتران Association وربما كان له عندهم تعليل آخر، سوى أن هذا كله يتعلق بالسبب لا بواقع الأمر، فالمهم أن الألفاظ تصدأ وتحول، وتحتاج إلى استبدال بين حين وحين، وقد رأينا أن هذا الاستبدال وظيفة الأديب يقوم بها وهو «نصف واع» لأن الوعى التام قلما ينتج شيئاً ذا قيمة.

* * *

لنعد إلى حديث الأوزان.

فى هذا الديوان لون بسيط من «الخروج» على القواعد المألوفة، يلاحظ فى قصائد مثل «جامعة الظلال» و«لنكن أصدقاء» و«مرثية يوم تافه» و«أغنية الهاوية» وسواها، وقد يحسن بى أن أؤكد للقارئ أننى لا أعد نفسى واحدة من المرهفين الذين تحدثت عنهم فى الصفحات السابقة، سوى أننى أحسست أن هذا الأسلوب الجديد فى ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد، وسأحاول فيما يلى أن أبسط خاصية هذا الأسلوب، ووجه أفضليته على أسلوب الخليل، الأبيات التالية تنتمى إلى البحر الذى سماه الخليل «المتقارب» وهو يرتكز إلى تفعيلة واحدة هى «فعولن»:

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

يداك لجمع الظلال

وتشييد يوتوبيا فى الرمال

أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل، كنت استطيع التعبير عن المعنى بهذا الإيجاز وهذه السهولة؟ ألف لا، فأنا إذ ذاك مضطرة إلى أن أتم

بيتاً له شطران، فأتكلف معاني أخرى غير هذه، أملأ بها المكان، وربما جاء البيت الأول بعد ذلك كما يلي:

يداك للمس النجوم الوضاء　　　ونسج الغمائم ملء السماء

وهي صورة جنى عليها نظام الشطرين جناية كبيرة، ألم نلصق لفظ «الوضاء» بالنجوم دونما حاجة يقتضيها المعنى إتماماً للشطر بتفعيلاته الأربع؟ ألم تنقلب اللفظة الحساسة «الغيوم» إلى مرادفتها الثقيلة «الغمائم» وهي على كل حال لاتؤدى معناها بدقة؟ ثم هنالك هذه العبارة الطائشة «ملء السماء» التي رقعنا بها المعنى، وقد أردنا له الوقوف فخلقنا له عكازات؟

هذا كله إذا نحن اخترنا الوزن «المتقارب»و أما إذا اخترنا «الطويل» مثلاً، فالبلية أعمق وأمر، إذ ذاك تطول العكازات وتتسع الرقع، وينكمش المعنى انكماشاً مهيناً، فتقول مثلاً:

يداك للمس النجوم أو نسج غيمة　　　يسيرها الإعصار في كل مشرق

ليلاحظ القارئ بلادة التعبير، وتقلص المعنى، وأين هذا من تعبيرنا الأول:

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

وينبغي ألا ننسى أن هذا الأسلوب الجديد، ليس «خروجاً» على طريقة الخليل، وإنما هو تعديل لها، يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل، فالخليل قد جعل وزن البحر «الكامل» كما يلي:

متفاعلن متفاعلن　　متفاعلن

كفاى ترتعشان أين سكينتى؟

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

شفتاى تصطخبان أين هدوئي؟

مرتكزاً إلى «مستفاعلن» التى اعتاد العرب أن يضعوا ثلاثاً منها فى كل شطر؟ وكل ما ستصنع نحن الآن، أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها فتجئ القصيدة من هذا البحر أحياناً كقصيدة «جدران وظلال» وهذا مقطع منها:

وهناك في الأعماق شيء جامد

حجزت بلادته المساء عن النهار

شيء رهيب بارد

خلف الستار

يدعى جدار

أواه لو هدم الجدار

ولو قطعناه لجاءت تفعيلاته كما يلى:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

متفاعلن متفاعلن متفاعلان

متفاعلن متفاعلن

متفاعلان

متفاعلان

متفاعلن متفاعلان

ومزية هذه الطريقة أنها تحرر الشاعر من طغيان الشطرين، فالبيت ذو التفاعيل الست الثابتة، يضطر الشاعر إلى أن يختم الكلام عند التفعيلة السادسة، وإن كان المعنى الذى يريده قد انتهى عند التفعيلة الرابعة، بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يشاء.

* * *

ثم نتحدث عن القافية، ذلك الحجر الذى تلقمه الطريقة القديمة كل بيت، قالوا إن العربية لغة واسعة غنية، وأن ذلك يبرر كونها اللغة الوحيدة التى اتخذت القافية الموحدة سنة فى قصائدها، ونسوا أن أية لغة مهما اتسعت وغنيت، لاتستطيع أن تمد «ملحمة» بقافية موحدة، أياً كانت، ولم ينتهوا إلى أن ذلك كان واحداً من الأسباب التى حالت دون وجود الملحمة فى الأدب العربى، مع أنها وجدت فى آداب الأمم المجاورة، كالفرس واليونان.

وليس هذا مكان الحديث عن الخسائر الفادحة التى أنزلتها القافية الموحدة بالشعر العربى طيلة العصور الماضية، وإنما المهم أن نلاحظ أن هذه القافية تضفى على القصيدة لوناً رتيباً يمل السامع فضلاً عما يثير فى نفسه من شعور بتكلف الشاعر وتصيده للقافية، ومن المؤكد أن القافية الموحدة قد خنقت أحاسيس كثيرة، ووأدت معانى لاحصر لها فى صدور شعراء أخلصوا لها، ذلك لأن الشعر الكامل «الغنائى منه خاصة، والشعر العربى غنائى كله تقريباً» لايستطيع أن يكون إلا وليد الفورة الأولى من الإحساس فى صدر الشاعر، وهذه الفورة قابلة للخمود لدى أول عائق يعترض سبيل اندفاعها، فهى أشبه بحلم سرعان ما يفيق منه النائم، والقافية الموحدة قد كانت دائماً هى «العائق»، فما يكاد الشاعر ينفعل، وتعتريه الحالة الشعرية ويمسك بالقلم فيكتب بضعة أبيات، حتى يبدأ محصوله من القوافى يتقلص، فيروح يوزع ذهنه بين التعبير عن انفعاله، والتفكير فى القافية، وسرعان ما تغيض الحالة الشعرية وتهمد فورتها، ويمضى الشاعر يصف الكلمات ويرص القوافى دونما حس، ولذلك، قلما نجد فى أدبنا القديم قصائد موحدة الفكرة، يسيطر عليها جو تعبيرى واحد منذ مطلعها إلى ختامها، فالشاعر يضطر إلى مصانعة القافية، وأنا أعرف شعراء يختارون القافية، ثم يكتبون البيت وفقاً لها، وهذا أبرز دليل على مدى طغيان هذه الإلهة المغرورة.

إلا أن من حسن الحظ، أن شعراءنا المعاصرين قد استخفوا بسلطان القافية، وخرجوا عليه فاستعملوا نظام الرباعية وأشباهها، ويكاد هذا يصبح الآن أمراً مقبولاً، لايبقى على قوافى هذا الديوان اعتراضاً، إلا أننى اعترف مع ذلك بأننى أخضعت القافية أحياناً، لأكثر مما فعل سواى، فنظمتها فى قصيدة «مسامير» هكذا: «أ ب أ، ب ج ب، ج د ج، د هـ د، هـ و هـ . إلخ.»(١) وفى «رماد» التى استعملت فيها نظام الرباعية كما يلى: «أ ب ب أ» وفى «غرباء» التى استعملت فيها نظام «المقطوعة Stanza» وكانت القافية فى كل مقطوعة تجرى هكذا «آب ب أب»، أما قصيدة «الكوليرا» فقد كانت المقطوعة فيها أطول مما «ينبغى» قليلاً وقد جرت على هذا النسق «أب ب ج ج ب د د ب هـ هـ هـ هـ» على أننى حررت القافية تحريراً تاماً فى قصائد مثل «مر القطار» و«نهاية السلم» و«خرافات» و«جدران وظلال» وسواها، فتركتها تتكرر كما يشاء السياق دون تقيد بنظام معين، ولعل هذه هى الخطوة الوحيدة التى تسبق الشعر المرسل Blank Verse، وإن كان لابد من إشارة إلى قصيدة «الجرح الغاضب» فلأقرر أن الأسلوب الطريف فى تقفيتها مقتبس مباشرة عن الشاعر الأمريكى «أدجار آلان بو» فى قصيدته البديعة «Ulalume».

* * *

قلت إن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء؛ لأن كتابها وشعراءها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة وراء الألفاظ استغلالا تاماً، إلا حديثاً، فقد بقيت الألفاظ طيلة قرون الفترة الراكدة «المظلمة» تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها، وربما كان ذلك هو السبب فى جنوح الجمهور العربى جنوحاً شديداً إلى استنكار المدارس الشعرية التى تعتمد على القوة الإيحائية للألفاظ، كالرمزية، والسريالية، على اعتبار أن هذه المدارس تحمِّل اللغة أثقالاً من

الرموز والأحلام الباطنية والخلجات الغامضة، واتجاهات اللاشعور، ومثل ذلك مما لاتنهض به إلا لغة بلغت قمة نضجها.

والواقع أن القارئ العربي يتهرب من الشعر الرمزي، لأن اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه الأحاسيس المبهمة أول مرة، فليس غريباً أن تتلكأ قليلاً، وتتوتر، أما تعليل الأمر بأن ذاتية العربي تنفر بطبعها من الرموز ولاتجد جمالاً في الدهاليز التي تتلوى وراء الحس، والعوالم الخفية التي يعسر إدراكها، فأمر لا أعتقد به أنا على الأقل.

ذلك لأن النفس البشرية عموماً، ليست واضحة، وإنما هي مغلفة بألف ستر، وقد يحدث كثيراً أن تعبر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية، تثيرها آلاف الذكريات المنطمسة الراكدة في أعماق العقل الباطن منذ سنوات وسنوات، ومئات الصور العابرة التي تمر فيحدق فيها العقل الواعي ببرود وينساها نسياناً كلياً، فيتلقفها العقل الباطن ويكنزها مع ملايين الصور التافهة، ويغلق عليها الباب، حتى إذا آنس غفلة من العقل الواعي، أطلقها صوراً غامضة لا لون لها ولا شكل.

وليست مثل هذه الأحاسيس الغريبة وقفا على إنسان دون إنسان، سوى أن التعبير عنها يختلف، فالإنسان العادي يراها في أحلامه، أما الفنان فيعبر عنها بفنه وأحلامه معاً، وما دمنا لانستغرب حين نستيقظ أحياناً في أعماق الليل وقد حلمنا أننا نركض حفاة، في قبو قديم، كان جزءاً من دار خربة كنا نسكنها منذ ثماني عشرة سنة كاملة، لم نعد إليها خلالها مطلقاً، ومع ذلك لاحظنا في الحلم أدق الأشياء المنطمسة التافهة التي شاهدناها في السنين الغابرة، ذلك المسمار القديم المعوج على الجدار، وقد تدلى منه الحبل الباهت القديم نفسه، ثم هناك، على ارتفاع أمتار، أنبوب المياه الذي كنا في طفولتنا نتسلقه أحياناً، أقول: ما دمنا لانستغرب ذلك في حلم فلماذا لا نتقبله حين

يصفه شاعر في قصيدة؟ إن الشاعر الذاتي الذي يراقب نفسه، كما لو كان يراقب بحراً زخراً لا شطآن له ولا قرار، لايستطيع أن يتهرب من مثل هذه الصور الباهتة الممحوة، فهي تلاحقه أبداً، ولابد له من وصفها في شعره، والإبهام جزء أساسي من حياة النفس البشرية، لا مفر لنا من مواجهته إن نحن أردنا فناً يصف النفس، ويلمس حياتها لمساً دقيقا.

ومع ذلك فالإبهام ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو صورة من صور الحياة، ولذلك يندر أن نجد شاعراً، كل شعره معقد ملتو، أما الذين يتعمدون تعقيد شعرهم، فقد يكون (ألدس هكسلي) التمس لهم بعض العذر حين قال إن المعاصرين يهربون إلى الإبهام خوفاً من الوضوح الذي هو الصفة الأساسية في الأدب الشعبي.

وليس قصدي من هذا التعليل للتعبير الرمزي والسريالي، أن أقول إن طائفة من قصائد هذه المجموعة تنتمي إلى هذه المدرسة أو تلك، وإنما أود أن أمهد لطائفة من القصائد التي عالجت فيها حالات تتعلق بالذات الباطنية أحياناً، وباللاشعور أحياناً، وهي حالات لم يقف عندها الشعر العربي إلا نادراً، فهو قد وقف نفسه على معالجة السلوك الخارجي للإنسان.

ففي «الخيط المشدود في شجرة السرو» حاولت رسم صورة شعرية للانفعالات والخواطر التي اعترت شاباً فوجئ بنبأ موت حبيبته، وسيلاحظ أن القصة العاطفية في هذه القصيدة ثانوية الأهمية بالنسبة للخيط المشدود في الشجرة وما كان له من صلة وثيقة بشرود الشاب المصدوم، وفي حالة الهذيان الداخلي التي اعترته، فعقدة القصيدة تعتمد على الحالة التي تعتري إنساناً يتلقى نبأ مثيراً فاجعاً لايتوقعه؛ فهو إذ ذاك يصاب بشرود كبير عميق، ويبدو أنه لم يسمع النبأ، ويتلفت حوله فتعلق عيناه بأول شيء تافه تصادفانه، فيغرق في التفكير فيه، وقد كان الشيء التافه في هذه القصيدة هو الخيط، كان

مشدودا فى شجرة سرو تقوم عند الباب فـانشغل العقل المصدوم بالتفكير فيه، وبقى منشغلاً حتى عاد إليه وعيه وأدرك فداحة المأساة التى نزلت به.

ولن يعثر القارئ على شيء مثير فى قصيدة «مر القطار» إن هو توقع أن يجد فيهـا وصفاً للقطار أو لرحلة فى القطار، فقد كـان غرضى الأساسى من كتابتها أن أعبر عن الشعور الغامض الذى يحسه المسافر ليلاً بالدرجة الثالثة من القطار، فهناك حـالة التعب الكلى التى يجد فيـها المرء نفسه مـشوبة بلون من الكسل والارتخاء، وهناك صوت عجـلات القطار الرتيب الذى لايتغير، ولون الغبـار المتراكم على كل شىء، على الحـقائب، وعلى الوجوه والثـياب، ثم هناك منظر المسافرين الغرباء وقد جمعتـهم عربة القطار صفوفاً، والقطار يصفر بين حين وحـين فيثيـر إحساسـاً غريباً فى النفس، كل ذلك والسكوت يغـمر العربة، التى نام أغلبـية الموجودين فيـها وهم جالسـون على مقـاعدهم، وبين فترة وأخرى، يصـدف أن يتثاءب مسافر غريب لا نعـرفه، ويهتف بملل ويرود «كم السـاعـة الآن؟» أو «مـتـى نصل؟» أو «أين نحن؟» أو مـثـل ذلك من العبارات، فإذا أحس قارئ «مر القطار» ببعض هذا الجو كان ذلك حسبى.

أما قصيدة «الأفعوان» فقد عبرت فيها عن الإحـساس الخفى الذى يعترينا أحيانا بأن قوة مجـهولة جبارة، تطاردنا مطاردة نفسية ملحـة، وكثيراً ما تكون هذه القوة، مجموعة من الذكـريات المحزنة، أو هى الندم، أو عادة مقتها فى سلوكنا الخارجى، أو صورة سـخيفة قابلناها فلم نعد نستطـيع نسيانها، أو هى النفس بما لها من رغبـات وما فيها من ضـعف وشرود، أو أى شىء آخر. . . فالأمر متـوقف على ذاتية القارئ، وليس يعنيه أن أعين «افـعوانى» أنا، فذلك أمر ثانوى، وإنما المهم، أن هذا الأفعوان يطاردنا باستمرار وسدى نتهرب منه، حتى إذا لذنا باللابرنث Labyrinth «وهو تيه مـعقد المسـالك يدخله المرء فلا يملك مغادرته لالتـواء طرقه وكثرة أبوابه»، حتى إذا استعـملنا طريقة الإيحاء الذاتى كما صـنعت أنا فى القصيدة:

إنه لن يجيء

لن يجيء وإن عبر المستحيل

أبداً لن يجيء

فالنتيجة الحتميـة، أنه يجيء أخيراً، وسرعان ما نصرخ «إنه جاء!» وفي قصيدة «خرافات» يجد القارئ لوناً من الشعـور أحسه، ويحسه كثيرون، كلما ساد السكون مكانا، فإذ ذاك نسـمع بأذن الروح ألف قصـة تقصـها الأشـياء الراكدة حـولنا، فالسـياج يتكلم ويعيد مـا كانت عنده من ذكـريات انطمست وماتت، و«قـصائص الورق الممـزق في الخرائب» تحكي أقاصـيص مثيرة عن حوادث بعيدة منسـية، و«الغبار» يقص قصة النسـيان الذي تذره العصور على كل شيء، و«مقاعد الغرف القديمة» تتـحدث عن جيل من الناس مر بها يوماً ثم انتـقل إلى أفق بعيـد مجهـول، وهكذا. . . حتـى يكاد الإنسان الحـساس لايرى شيئاً إلا ويحسه يغمغم ويهمس ويطارده بالكلام.

* * *

والذي أعتـقده أن الشعر العـربي، يقف اليوم على حافـة تطور جارف عاصف لن يبقي من الأسـاليب القديمة شيئاً، فـالأوزان والقوافي والأساليب والمذاهب ستتزعزع قواعدها جميعاً، والألفاظ ستتسـع حتى تشمل آفاقاً جديدة واسعة من قوة التعبير، والتجارب الشعـرية «الموضوعات» ستتجه اتجاهاً سريعاً إلى داخل النفس، بعد أن بقيت تحوم حولها من بعيد، أقول هذا اعتماداً على دراسة بطيئة لشعرنا المعاصر واتجاهاته وأقـوله لأنه النتيجة المنطقية لإقبالنا على قـراءة الآداب الأوروبية ودراسـة أحـدث النظريات في الفلسـفـة والفن وعلم النفس، والواقع أن الذين يريدون الجـمع بين الثقافـة الحديثـة وتقاليد الشـعر القديمة، أشبه بمن يعيش اليوم بملابس القرن الأول للهجرة، ونحن بين اثنين: إما أن نتعلم النظريات ونتأثر بها ونطبقها، أو ألا نتعلمها إطلاقاً.

وقد يفيدنا أن نتذكر دائماً أن التطور الذي يحدث في الفنون والآداب في عصر ما، أكثر ما يكون ناشئاً عن التقاء أمتين أو أكثر، فقد يحدث أن أمة معينة، تخمد قابلياتها وتركد قروناً كاملة بتأثير عوامل خاصة، ثم يأتي عليها زمن متوثب يوقظها فتتململ وتتحرك، وترنو إلى ما حولها، وتبدأ باستيعاب ما فاتها من ثقافات، فتستفيد من تجارب أمة مجاورة بقيت نشيطة فأضافت إلى الفكر الإنساني فصولاً لامعة، فما يمضي نصف قرن حتى تنتهي الأمة التي كانت راكدة من مرحلة الاستيعاب، وتبدأ حيث وقفت الأمة المجاورة تبدأ بالإضافة، وهذا هو الأسلوب الذي يتبعه خط التطور في تاريخ الأمم، بحيث لانستطيع أن نعثر على مذهب، أو اختراع، أو نظرية، توصلت إليها أمة بعينها، دون أن تستفيد من تجارب الأمم الأخرى.

* * *

آخر ما أود أن أقوله في هذه المقدمة، إنني أؤمن بمستقبل الشعر العربي إيماناً حاراً عميقاً، أؤمن أنه مندفع بكل ما في صدور شعرائه من قوى ومواهب وإمكانيات، ليتبوأ مكاناً رفيعاً في أدب العالم.

وألف تحية لشعراء الغد.

١٩٤٩/٢/٣

نازك الملائكة

كبرياء

لا تَسَلْني عن سرّ أدمعيَ الحرّ   يَ فبعضُ الأسرار يأبى الوضوحا
بعضُها يؤثِرُ الحياةَ وراءَ الـ   ـحسّ لُغزًا وإن يكنْ مجروحا

بعضُها إن كشفتَهُ يَسْتَحِلْ حُبْـ   ـباً مُهاناً يموتُ موتاً حزينا
بعضُها بعضُها تكبّر أن يكـ   ـشفَ عما وراءَهُ أو يُبينا

ومئاتُ الأسرار تكمنُ في دمـ   ـعة حُزْنٍ تلوح في مقلتينِ
ومئاتٌ الألغاز في سكتة تهـ   ـتزّ خلفَ انطباقة الشفتينِ

وعيونٌ وراءَ أهدابها أشـ   ـباحُ يأسٍ في حَيرة وانكسارِ
تؤثِرُ الظلّ والظلامَ ارتياعاً   من ضياءٍ يبوحُ بالأسرارِ

وقلوبٌ تضُمُّ أشلاءها فو   قَ جراحٍ وأدمعٍ وذهولِ
تؤثِرُ الموتَ كبرياءً ولا تنطـ   ـقُ بالسرّ بالرجاءِ الخجولِ

وشفاهٌ تموتُ ظمأى ولا تسـ   ـأل أينَ الرحيقُ؟ أين الكأسُ؟
ونفوسٌ تحسُّ أعمقَ إحسا   سٍ وتبدو كأنّها لا تُحِسُّ

وأكفٌّ تودُّ لو مــــزّقتْ لو   قـتلتْ لو تمرّدتْ في جُنونِ
لو رأتها الحياةُ قالتْ: هدوءٌ   وادعٌ في براءةٍ وسكونِ

لو رأتْها ماذا تَرَى؟ كلُّ شيءٍ   مُغرَقٌ خلفَ داكناتِ السُّتورِ
ألفُ سترٍ وألفُ ظلٍّ من الكبـ   ـتِ عميقٍ وألفُ قيدٍ ونيرِ

لا تَسَلْني لا تجرحِ السرَّ في نفـ   ـسي ولا تَمْحُ كبرياءَ سكوتي
لو تكلمتُ كانَ في كل لفظٍ   قبرُ حُلْمٍ وفجرُ جُرْحٍ مُميت

لو تكلمتُ كيفَ ترتعشُ الأشـ   ـعارُ حُزناً وترتمي في عَيَاءِ
لو كشفتُ السرَّ العميقَ فماذا   يتبقّى مني سوى الأشلاءِ؟

لو تكلمتُ رعشةٌ في حياتي   وكياني تُلحُّ أن أتكلّمْ
وسكوتي العميقُ يكتمُ أنفا   سي وقلبي يكادُ أن يتحطّمْ

لو تكلمتُ لو سكتُّ نداءا   نِ عميقانِ كالحياةِ استعارا
تتلاقى عليهما كلُّ أسرا   رٍ فأبقى شِعراً وحبّاً وناراً

وتظلُّ الحياةُ تخلُقُ من وجـ   ـهي قناعاً صَلْداً يفيضُ رياءا
جامداً بارداً أصمّاً ويُخفي   بعضَ شيءٍ سمّيتُه كبرياءَ

(١٩٤٨)

يوتوبيا الضائعة

صدىً ضائعٌ كسراب بعيد ... يجاذب روحي صباحَ مساءْ
أنامُ على رَجْعِهِ الأبدىَ ... ويوقظني برفيقِ الغناءْ
صدىً لم يشابهه قطّ صَدَىً ... تغنّيه قيثارةٌ فى الخفاءْ
إذا سمعتْهُ حياتي ارتمت ... حنيناً ونادتهُ ألفَ نداءْ
يموت على رجعه كلُّ جُرْحٍ ... بقلبي ويُشرقُ كلُّ رجاءْ
ويمضي شعوري فى نشوةٍ ... يخدّرهُ حُلْم يوتوبيا

ويوتوبيا حُلُمٌ فى دمي ... أموت وأحيا على ذكرهِ
تخيَّلته بلداً من عبير ... على أفق حِيرتٍ فى سرِّهِ
هنالك عبر فضاء بعيد ... تذوب الكواكب فى سحرهِ
يموت الضياء ولايتحقق ... ما لونه ما شذى زهرهِ
هنالك حيث تذوب القيود ... وينطلق الفكر من أسرهِ
وحيث تنام عيون الحياة ... هنالك تمتدُّ يوتوبيا

ويوتوبيا حيث يبقى الضياء ... ولا تغرب الشمسُ أو تَغْلسُ
وحيث يظلُّ عبيرُ البنفسج ... حيّاً ولا يذبل النرجسُ
وحيث تفيضُ الحياةُ رحيقاً ... نميراً ولا تفرُغُ الأكؤسُ
وحيث تضيعُ حدودُ الزمان ... وحيثُ الكواكبُ لا تنعسُ
هناك الحياة امتداد الشباب ... تفور بنشوتِه الأنفسُ
هناك يظلُّ الربيعُ ربيعاً ... يظلّلُ سكان يوتوبيا

هنالكَ حيث وعتْ شهرزاد ... أقاصيصَ غنّتْ بها ألفَ ليلهْ
وحيثُ ديانا تسوقُ الضياء ... ونارسيسُ يعبُدُ في الشمسِ ظلّهْ
هنالك يوتوبيا في الضباب ... على شفقٍ لم ترَ العين مثلهْ
يحفُّ بها أبدٌ من عطور ... ويمنحُها ألفَ لحنٍ وقُبْلهْ
وترقصُ في سَكْرةٍ لا تُحَدُّ ... على رجع أغنيةٍ مضمحلّهْ
على شاطئٍ كضياء النجوم ... أسمّيه شاطئَ يوتوبيا

هنالك طوّفتُ ذات مساء ... وكان معي هيكلٌ كالسرابْ
أُحسُّ خطاهُ على الرمْلِ لكن ... أرى غيرَ شيء وبعض سحابْ
وكنتُ أُحسُّ بجسمي حياةً ... تطيرُ بروحيَ فوق الترابْ
وكان أمامي بحرٌ غريبٌ ... تغلّفُه دفقات الضبابْ
ويمتدُّ عن جانبيه خليجٌ ... وبعضُ جزائرَ بعضُ هضابْ
وفي حُلْمي صحتُ: أين أسير ... فردَّ صدىً: قربَ يوتوبيا!

أحسستُ في قعرِ روحي جنوناً ... وشوقاً عميقاً كبحرٍ عميقْ
أريدُ انتهاءَ الطريقِ الغريب ... إلى البلدِ المتمنَّى السحيقْ
لى ذلكَ الأفقِ الأزليّ ... وحيث يعيشُ أبولو الرقيقْ
أسيرُ أسيرُ ولا شيءَ يبدو ... أمامي غيرَ امتداد الطريقْ
على ظمأ لوجودٍ عجيب ... يذوبُ عليه النَدَى والبريقْ
على ظَمأ صارخٍ وأخيراً ... صحوتُ ولم أرَ يوتوبيا

وفي حُلُمٍ آخرٍ كنتُ أمشي ... على شاطئٍ من حصيً ورمالْ
غريبٍ غريبٍ بلونِ الأثير ... يحفُّ به أفُقٌ كالخيالْ
تناهى بأقدامي المُتعَبات ... إلى صخرةٍ رسَخَتْ كالمحالْ
تسلَّقْتُها أملٌ مضمحلٌ ... فقد تتزحلقُ حتى الظلالْ
وقفتُ على قمَّتَيْها أنوحُ ... على حُلُمٍ بائسٍ لن يُنالْ
وساءلتُ ماذا ترى خلفَها؟ ... فقال ليَ الرملُ: يوتوبيا!

وفي حُلمٍ ثالثٍ خلتُ نفسي ... على بابها المرمريِّ الكبيرْ
أحدّقُ في نشوةٍ لا تُحَدُّ ... أكادُ أُجَنُّ.. أكادُ أطيرْ
أحقاً أرى البابَ؟ ألواحُهُ ... تلوحُ مبطّنةً بالحريرْ
تقدمتُ واجفةً في خُشوعٍ ... وفي مقلتي ومْضُ حُلْمٍ قريرْ
أدقُّ على الباب في نَشْوةٍ ... ولا ردَّ غيرَ السكونِ المريرْ
فصحتُ بصوتٍ حبيسٍ: دعوني ... أموتُ على بابِ يوتوبيا

ومــرتْ حـيـاتـيَ مــرّت سـدىً ... ولا شـيءَ يـطـفـئُ نـار الحنينْ
سدىً قد عبرتُ صحاري الوجود ... سُدىً قـد جـررتُ قـيـود السنينْ
ومـا زلتُ أذرعُ صـمـتَ القـفـارِ ... وأســألُ عن ســرِّهـا العـابـرينْ
يـطـولُ عـلـى قـلـبـيَ الانـتـظـار ... وأغـــرقُ فـي بحـر يأسٍ حـزينْ
أحـــاولُ أن أتـعـــزى بشيء ... بـغـــاب، بـواد، بـظـلة تـبـنْ
دقــائـقَ... ثم أخـيـبُ وأهـتـفُ: ... لا شيءَ يُشـبـهُ يـوتـوبـيـا

سـأبقى تجـاذبني الأمـنـيـات ... إلى الأفق السـرمـديِّ البـعـيـدْ
وأحلُمُ أحلُمُ لا أسـتـفـيـ ... ـقُ إلا لأحـلُمَ حُلـمـاً جـديـدْ
أقـبّلُ جـدرانهـا في الخـيـال ... وأسـألُ عنهـا الـفـضـاءَ المديدْ
وأسـألُ عنـهـا انسكابَ الـعطور ... وقَطـرَ الندى ورُكـامَ الجليـدْ
وأسـألُ حـتى يمـوتَ السـؤال ... على شـفـتيَّ ويـخـبـو النشـيـدْ
وحـين أمـوتُ... أمـوتُ وقـلبي ... على مـوعـدٍ مع يوتـوبـيـا

١٩٤٨

تواريخ قديمة وجديدة

لَيْسَ كَانَ أمسُ ومَاتْ ... مُنذُ بضعِ مئاتِ السنين
مَسَحَتْ ذكرهُ السنوات ... وطوتهُ مع الميّتين

وسَحقْنا زماناً طويلْ ... عن كواكبه الآفلاتْ
واستعرنا يدَ المستحيلْ ... لنُعيدَ إليه الحياةْ

وأهبْنا بركبِ العُصورْ ... أن يعودَ على بَدْء
علّنا نستعيدُ الشعورْ ... فَرَجَعْنا بلا شيء

كم شققنا هناكَ الظلامْ ... وعبرنا سكونَ الركودْ
ونبشنا رُكَامَ العظامْ ... لم نجدْ شيئنا المفقودْ

ورأينا هناك جِباهْ ... لا ترى فهي عمياءُ
وعيوناً طوتها الحياهْ ... صمتتْ فهي خرساءُ

ورأينا رفاتَ قلوبْ ... حنّطتْها يدُ الذكرياتْ
وسُدىً حاولتْ أن تؤوبْ ... معنا فهي.. فهي رُفاتْ

ورأينا شفاهاً خوتْ
وأكفّاً ذوتْ وانطوتْ

لم تَعُد تشتكي أو تجوعْ
لم يعد لأساها دموعْ

وسألنا عن الأمسِ
وهناكَ على الرمْسِ

فعثرنا على تابوتْ
يجثمُ الزمنُ المبهوتْ

ورَجعنا إلى التقويمْ
فسمعنا صُراخَ الهشيمْ

علّمنا نخدعُ الأيامْ
خلفَ سخرية الأرقامْ

ورأينا الغدَ المنتظرْ
ساحباً نصفَهُ المُحتَقَرْ

ساحباً نصفَهُ المشلولْ
نصفَهُ الجامدَ المملولْ

وهناكَ انطوى سفَرُ
وغداً ينبُتُ العُمْرُ

واختتمْنا النشيدَ القديمْ
فوقَ جُرْحِ الزمانِ الأليم

ويتيهُ صدى الأمسِ
وتُحِسُّ على الكأسِ

في مدار الزمانِ العميقْ
فورةَ الحُلمُ المستفيقْ

١٩٤٨

صراع

أحبُّ.. أحبُّ.. فقلبي جُنون ... وسورةُ حبٍّ عميق المَدَى
أحبُّ فروحيَ حسٌّ غريبٌ ... يضيع لديه جمودي سُدَى
حياتيَ في العالم الشاعريّ ... لهيبٌ من الحبّ لن يَخْمَدا
وجسمي قَلْبٌ خَفُوقٌ خفوق ... سيلبثُ ملتهباً موقَدا

وأكرهُ أكرهُ قلبي لهيبٌ ... وسَورةُ مَقْت كبير كبيرْ
وروحيَ مستعرُ الاحتقار ... يرى الكونَ أفْقاً وضيعاً حقير
حياتي تحسّ وجيبَ الحُقُود ... على عالم مغرَق في الشُرُور
ونفسيَ في ثورة لا تَقَرُّ ... تحطِّمُ ما حولها من صخور

أحبُّ وأكرهُ.. حبّي شقاءْ
أحبّ وأكره.. كُرهي ألمْ
ففيمَ أعيشُ؟ سئمتُ البقاءْ
وشاقَ حياتيَ صمتُ العَدَمْ

وأبكي.. وأبكي.. فدمعي لهيب ... يحطّمُ روحي ويُذْوي المنى
تعذّبني حَيرتي في الوجود ... وأصرُخُ من ألمي: من أنا
مُنحتُ عيوناً تحبُّ الدموع ... وقلباً يحبِّذُ أن يُطعَنا
وروحاً تعثّر فيما يريد ... فسمجَ الظلامَ وعاف السَنا

وأضحكُ من كلّ ما في الوجود — وفي ضَحكي مَرَحٌ ساخِرُ
فقلبيَ سخريةٌ واحتقارٌ — يثيرهما العالمُ العاثِرُ
أحدّقُ من قِمّتي في الثّرَى — فيُضحكني دودُه الناخرُ
وأضحكُ ضحكةَ ربٍّ كئيب — تمرّدَ مخلوقُه الكافرُ

وأبكي واضحكُ.. دمعي دماءُ
وأبكي واضحكُ.. ضحكي نَدَمْ
فقيمَ أُمرّغُ تحت الضياءْ
فؤاداً سيرقُدُ تحت الظُّلَمْ

أريدُ وأجهلُ ماذا أريد — أريد وعاطفتي لا تُريدْ
أحبُّ السماءَ ولونَ النجوم — وامقتُها كلَّ فجرٍ جديدْ
أريدُ وأشعُرُ أني أحسّ — ويسخَرُ مما أحسُّ الوجودْ
وأرغبُ في حُلمٍ غامضٍ — فليس له هيكلٌ أو حدودْ

وأنفرُ من كلِّ ما في الوجود — وأهرُبُ من كلّ شيءٍ أراهْ
ففي عُمْق نفسيَ صوتٌ غريب — يعلّمُ قلبي ازدراءَ الحياهْ
ويصرُخُ بي: اهربي اهربي — ويُتعب احساسَ روحي صَداه
فاهتفُ يا عالمي: لا أريد! — وتصرخُ بي ذكرياتي: النجاه!

أريدُ وأنفرُ تحت السماءْ
فأرسمُ كلَّ صراعي نَغَمْ
ومن أجلِ لحني سأرضي البقاءْ
وعارَ الحياةِ وذُلَّ الألمْ

أحبُّ وأكره ماذا أحبُّ	وأكرهُ؟ أيُّ شعورٍ عجيبْ؟
وأبكي وأضحك ماذا ترى	يثيرُ بكائي وضحكي الغريبْ؟
أريدُ وأنفرُ، أيُّ جنون	حياتيَ؟ أيُّ صراعٍ رهيبْ؟
لماذا أغنّي؟ لماذا أعيشُ؟	ومنذا أصارعُهُ، من يجيبْ؟

١٩٤٧

عندما انبعث الماضي

أمسُ في الليل وكانت صور الأسرار شتّى
تتَصبّى حاضري الغافي وكان الأمسُ ميْتا
خلّتُني كفّنته ذات مساءِ
وتحصنتُ بدعوى كبريائي
سمعتْ روحيَ في إغفاءة الظلمة صوتا
لم يكن حلماً خُرَافيّ الستورِ
بعثهُ رغبةٌ خلف شعوري
كان شيئاً، كان في صمت الدُجَى صوتك أنتا
ذلك الصوتُ الذي يعرفهُ سمعي مليّا
صوت ماضيَّ الذي ماتَ وما خَلّفَ شيّا
غيرَ أشتات احتقارٍ باهتِ
رسبتْ في قعْرِ قلبي الصامتِ
غيرَ أشتاتِ ادّكاراتِ لحبٍّ كان حيّا
منذ أعوامٍ.. وقد فاتَ ومرّا
منذُ أعوامٍ.. وصار الآن ذكرا
لفّها الماضي وواراها الترابَ الأبديا

ذلك الصوتُ الذي مرّ على سمعيَ أمس
كان يوماً رغبة تجهش في أعماقِ نفسي
كان حُلماً ذائباً في عبراتي
كان حبّاً تائهاً في أمنياتي
ثم حطّمتُ على ذكراهُ قيثاري وكأسي
عندما ضيعتهُ تحت الضبابِ
وتعثرتُ بأشلاء شبابي
وتهاويتُ على جثّة أحلامي وأُنسي

ومضى عامان مطوطان مرّاً في شُحُوبِ
كان عمري خربةٌ يصبغها لون الغروبِ
تذرعُ الأشباحُ في الصمت دُجاها
ويعيش البوم في ظلّ أساها
كلما جالت بي الحيرة في القبو الغريبِ
مدتْ الذكرى ذراعيها إليّا
لونُها يخلقُ من رُعبيَ دنيا
ويثيرُ الوترَ الميّتَ في قلبي الكئيبِ

وانقضى عامانِ ملعونانِ من أعوامِ حبي

مزّقتْ روحيَ أظفارُهما، روحي وقلبي

لم تَدعْ حتى شراعاً من رجاءِ

أبداً لم تُبقِ إلا كبريائي

وأباديدَ ادّكارات لها قسوةُ ذئبِ

عرفتْ روحيَ فيها لونَ أمسي

أمسيَ الراسبُ في أعماقِ حسّي

عرفتْ فيها صدى الصوت الذي غمغم قربي

إنه الأمسُ إذنْ عاد ليحيا من جديدِ

إنه عاد إذن يطرقُ أبوابَ شرودي

أسفاً يا شبحي عُدْ للترابِ

لم تعُدْ تملك أن تطرقَ بابي

لم يعد يربطنا إلا ركامٌ من جلودِ

هُوةٌ أعمقُ من ذنبكَ! ماذا؟

قد تبقّي لك عندي غيرُ هذا؟

غير ذكرى عبرتْ يوماً ومرّتْ بوجودي؟

مر القطار

اللَّيلُ يمتدُّ السكونِ إلى المدَى
لاشيءَ يقطعُهُ سوى صوتٍ بليدْ
لحمامةٍ حَيْرى وكلبٍ ينبَحُ النجمَ البعيدْ،
والساعةِ البلهاءُ تلتهمِ الغدا
وهناكَ في بعضِ الجهاتْ
مر القطارْ
عجلاته غزلت رجاءً بِتُّ أنتظرُ النهارْ
من أجلِه.. مرَّ القطارْ
وخبا بعيداً في السكونْ
خلفَ التلالِ النائياتْ
لم يبقَ في نفسي سوى رجْعٍ وَهُونْ
وأنا أحدِّقُ في النجومِ الحالماتْ
أتخيلُ العرباتِ والصفَّ الطويلْ
من ساهرينَ ومتعبينْ
أتخيلُ الليلَ الثقيلْ
في أعينٍ سئمتْ وجوهَ الراكبينْ
في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ

سَئِمتُ مراقبةَ الظلامِ الصامتِ

أتصوّرُ الضجَرَ المريرْ

في أنفسٍ ملّت وأتعبها الصفيرْ

هي والحقائبُ في انتظارْ

هي والحقائبُ تحت أكداسِ الغبارْ

تغفو دقائقَ ثم يوقظُها القطارْ

ويُطِلُّ بعضُ الراكبينْ

متثائبًا، نعسانَ، في كسلٍ يحدّق في القِفارْ

ويعودُ ينظُرُ في وجوهِ الآخرينْ

في أوجهِ الغُرَباءِ يجمعُهم قطارْ

ويكادُ يغفو ثم يسمَعُ في شُرُودْ

صوتاً يغمغمُ في بُرُودْ

«هذي العقاربُ لاتسيرْ!

كم مرّ من هذا المساء؟ متى الوصولْ؟»

وتدقُّ ساعتُهُ ثلاثاً في ذُهُولْ

وهنا يقاطعهُ الصفيرْ

ويلوحُ مصباحُ الخفيرْ

ويلوحُ ضوءُ محطةٍ عبرَ المساءْ

إذ ذاك يتئدُ القطارُ المُجْهَدُ

... وفتىً هنالكَ في انطواءْ

يأبى الرقادَ ولم يزلْ يتنهدُ
سهرانَ يرتقبُ النجومْ
في مقلتيه برودةٌ خطٌّ الوجومْ
أطرافَهَا.. في وجهه لونٌ غريبْ
ألقتْ عليه حرارةُ الأحلام آثارَ احمرارْ
شَفَتاهُ في شبه افترارْ
عن شبْهِ حُلْمٍ يفرُشُ الليلَ الجديبْ
بحفيفِ أجنحة خفيّات اللُحونْ
عيناهُ في شبْه انطباقْ
وكأنّها تخشَى فرارَ أشعة خلف الجفونْ
أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يُطَاقْ
هذا الفتى الضَجِرُ الحزينْ
عبثاً يحاول أن يرى في الآخرينْ
شيئاً سوى اللُغْزِ القديمْ
والقصّة الكبرى التي سئمَ الوجودْ
أبطالها وفصولهَا ومضَى يراقبُ في برودْ
تَكْرارهَا البالي السقيمْ
هذا الفتى.....
وتمرُّ أقدامُ الخفيرْ
ويُطِلُّ وجهٌ عابسٌ خلفَ الزُجاجْ،

وجهُ الخفير!
ويهزُّ في يده السراجَ
فيرى الوجوهَ المتعَبه
والنائمينَ وهُمْ جلوسٌ في القطارْ
والأعينَ المترقبه
في كلِّ جفنٍ صرخةٌ باسمِ النهارْ،
وتضيعُ أقدامُ الخفيرِ الساهدِ
خلفَ الظلامِ الراكدِ

مرَّ القطارُ وضاع في قلبِ القفارْ
وبقيت وحدي أسألُ الليلَ الشرودْ
عن شاعري ومتى يعودْ؟
ومتى يجيءُ به القطارْ؟
أتراهُ مرَّ به الخفيرْ
ورآه لم يعبأ به.. كالآخرينْ
ومضى يسير
هو والسراجُ ويفحصان الراكبينْ
وأنا هنا ما زلتُ أرقُبُ في انتظارْ
وأوَدُّ لو جاءَ القطارْ....

١٩٤٨

عروق خامدة

يا حُبُّ لم تَبْقَ لنا ذكرى ... لم يطوها الموتُ
كان لنا ماضٍ وقد مرّاً ... ولفَّهُ الصمْتُ

نحن هنا وهمانِ، لا لونا ... لا صوتَ لا شكلا
سرابُ لاشيئينِ، لا معنى ... لا لفظَ لا ظلاً

تدفعنا الآهاتُ والأحزانْ ... وما لنا مأوى
يا ليتنا نظفرُ بالنسيانْ ... أو نُمنحُ السلوى

نبكي فلا تحنو علينا يدُ ... بريشةٍ من حنانْ
نحن هنا اللا أمسُ واللا غدُ ... نحن هنا اللاكيانْ

أعيننا أفقٌ بلا لونٍ ... لا يعكس الأشياءْ
شفاهنا لحمٌ بلا لحنٍ ... وروحنا أشلاءْ

ونلتقي فتسكتُ النجوى ... وتكتم الأنفاسْ
وضحكةٌ تبدو بلا جدوى ... ينقصُها الإحساسْ

وتلتقي الكفّان أينَ الرغابْ ورعْشة الأشواقْ؟
أصابعٌ ميّتةُ الأعصاب ليس لها أعماقْ

وأعينٌ فارغةُ الأحداقْ ليسَ لها قلبُ
الشرقُ فيها أسودُ الآفاق ويلهثُ الغربُ

وأذرعٌ صمّاءُ كالأحجارْ فارقها الشوقُ
جامدة لو لامسها النارْ لم يستفقْ عِرْقْ

ونلتقي ينقصنا شيءُ شيءٌ وراءَ الروحْ
شفاهنا يُنكرها الضوءُ وليلُنا مجروحْ

ونلتقي تفصلُنا آلامْ وأدمعٌ خُرسُ
يعزُّ أنْ تجمعَنا الأيامْ وبيننا الأمسُ

وبيننا هاوية الذكرى تقذفُ بالأشباحْ
سُدىً أريدُ الضفّةَ الأخرى قد غرقَ الملاّحْ

١٩٤٨

الجرح الغاضب

أغضبُ أغضبُ لن أحتمل الجُرْحَ الساخرْ
جُرْحٌ قد مرَّ مساء الأمس على قلبي
جُرْحٌ يجثم كالليل المُعْتِم في قلبي

يجثم أسود كالنقمة في فكرٍ ثائرْ
جرحٌ لم يعرف إنسانٌ من قبلي مثلَهُ
لن يشكو قلبٌ بشريٌّ بعدي مثلَهْ

الظلمة في أمسي المطويِّ أحسَّتْهُ
ومضت تهمس في صمت الليل: من الجاني
حتى الأبديةُ والآفاق أحسَّتْهُ
وتناسي، لم يعبأ، لم ينتبه الجاني.

أغضبُ، تغضبُ لي هَمَساتُ الليلِ الصامتْ
وتُحيلُ الجوَّ الواجمَ صرخةَ جبّارِ
وتقولُ الأنجمُ: هذي نقمةُ جبّارِ

ويثورُ بقلبِ الأبديَّةِ جُرْحٌ ساكتْ
أغضبُ، يرتعشُ الموجُ معي تحت القَمَرِ
ويضجُ وتبلُغُ ثورتُهُ سمعَ القَمَرِ

ويُجَنُّ الغيمُ الأسودُ في عَرْضِ الأُفُقِ
ويلُفُّ الشاطئَ ثوبُ حدادٍ كجنازه
يتحوَّلُ صمتي ناراً تصرُخُ في الأُفُقِ
وأغني رقّةَ إحساسي لحنَ جنازه

أمسي، في أمسي قد دُفِنتْ أشلاءُ غدي
كانتْ، لم يَدْرِ بها أحدٌ، شبهُ جريمه
الجُرْحُ النديانُ سيشهد، أيُّ جريمه

كيفَ على الأرضِ تساقطَ حُلمي بين يدي
كيفَ المقدورُ مضى تَرَفاً يقتُل قلبا؟
وتبقَّتْ بضعةُ أشلاءٍ كانتْ قلبا

وتبقَّتْ ذكرىً مُطفَأةٌ كانتْ أمسا
وتبقَّت أنّاتٌ حَيْرَى كانتْ لحنا
جُدرانٌ عاريةٌ كانتْ يوماً أمسا
أصداءٌ في غارٍ خاوٍ كانتْ لحنا

ومن الأعماقِ تصاعَدَ صوتٌ مختنقُ
يهتفُ في حُزْنٍ، في جزَعٍ: كيفَ أبوحُ؟
ليتَ الجُرْحَ المظلومَ إلى الليلِ يبوحُ
قد يثأرُ لي مطرٌ ورعودٌ وبروقُ
ورأيتُ على الأفْقِ المخضوبِ بفيضِ دمي
شَبَحاً تفترُّ على فمِهِ قَطَراتُ دمي

عيناهُ الزرقاوانِ مساءا أهوالِ
ويداهُ السوداوانِ ذراعا عفريتِ
شَبَحٌ مجنونٌ أيقظَ عاصفَ أهوالِ
وأحالَ دياجيري أُحجيةَ عفريتِ

أغضبُ للجُرحِ المختلجِ الشاكي أغضبْ
سيُجَنُّ معي الصبرِ المذبوحُ المرتعشُ
ستُجنُّ معي اللعنةُ والحقدُ المرتعشُ

ستثورُ معي الذكرى ستثورُ ولا مَهْربْ
لا مهربَ من جُرحٍ قد مرَّ على قلبي
جرحٌ يصرُخُ كالجوعِ البائسِ في قلبي

الظلمةُ في صمْتِ الآفاقِ أحسّتْهُ
ومضتْ تسألُ في قلبِ الليلِ: من الجاني؟
حتى القُمريّةُ والأشجارُ أحسّته
وتضاحكَ، لم يشعرْ، لم ينتبهِ الجاني

١٩٤٨

الباحثة عن الغد

غداً «نلتقي» نَبَأٌ في الزمانْ ... رَوَتْهُ الحباهْ

تلاشى ولم تَروِهِ شَفَتانْ ... تلاشى وتاهْ

وجاءَ غدٌ ثم ولّى وماتْ ... وعادَ ضَبابا

فأينَ «غداً نلتقي» يا حياةْ ... أعادتْ ترابا؟

«غداً نلتقي» ثم ماتَ الزمانْ ... وضاعَ المكانْ

وهل يلتقي أبداً عاشقانْ ... على لا كيانْ؟

وكان لنا موعدٌ فانطوى ... صداهُ وماتْ

وكم كوكبٍ في الليالي هوى ... عادَ رُفاتْ

وكانت لنا قصّةٌ كالبَشَرْ ... نسيجُ السنينْ

فأسفَرَ آخِرُها عن قَدَرْ ... وذابَ الرنينْ

وكنّا نمرُّ فترنو الحياةْ ... وتومي إلينا

وها نحنُ تختصم الذكرياتْ ... على شَفَتَيْنا

ويطردُنا الأمسُ من كلّ مسا — ملكناه يوما
سوى حاضرٍ مُغرَقٍ في الدما — ويقطُرُ سُمّا

ونسمعُ بعضاً وراءَ المساءْ — من المَشرِق
صدى لفظتينِ يجوسُ الفضاءْ — «غداً نلتقي»

ويأتي غدٌ في أسىً وشُرودْ — بصمتٍ طويلْ
بألفِ صدىً ساخرٍ في برودْ — وراءَ النخيلْ

«غداً نلتقي» ويسود السكون — سكون الخريفْ
وأسمع تحت السماء الحنون — صراخاً عنيفْ

وقهقهةً، فظةً، بارده — كجوّ القبور
ترددها شفةٌ حاقده — وراء العصور

«غداً نلتقي» وتمطّ النغم — وتسخر مني
ويبقى غدي تائهاً في الظلم — يفتّش عني

١٩٤٨

الأفعوان

أين أمشي؟ مللتُ الدروبْ
وسئمت المروجْ
والعدوّ الخفي اللجوج
لم يزل يقتفي خطواتي، فأين الهروب؟
الممرات والطرق الذاهباتْ
بالأغاني إلى كل أفق غريبْ
ودروب الحياة
والدهاليز في ظلمات الدجى الحالكات
وزوايا النهار الجديب
جبتها كلها، وعدوّي الخفيّ العنيدْ
صامدٌ كجبال الجليد
في الشمال البعيد
صامدٌ كصُمُودِ النُجُومْ
في عيُونٍ جفَاهَا الرُقادْ
ورمتْها أكُفُّ الهمُومْ
بجراحِ السُهادْ
صامدٌ كصُمودِ الزَمنْ

ساعةَ الانتظارْ

كلّما أمعنتْ في الفرارْ

خُطُواتي تَخطّى القِنَنْ

وأتاني بما حطّمتْهُ جُهودُ النهارْ

من قيودِ التذكّرِ... لن أنشُدَ الانفلاتْ

من قيودي، وأيُّ انفلاتْ

وعدوِّي المخيفْ

مقلتاهُ تمجُّ الخريفْ

فوقَ روحٍ تُريدُ الربيعْ

ووراءَ الضَّبابِ الشفيفْ

ذلك الأفعوانُ الفظيعْ

ذلك الغولُ أي انعتاقْ

من ظلالِ يَدَيْه على جَبْهتي الباردهْ

أين أنجو وأهدابُه الحاقدهْ

في طريقي تَصُبُّ غداً مَيتاً لا يُطاقْ؟

أين أمشي؟ وأيُّ انحناءْ

يُغْلقُ البابَ دونَ عدوِّي المُريبْ

إنه يتحدَّى الرجاءْ

ويقهقهُ سخريةً من وجومي الرهيبْ

إنه لا يُحسّ البكاءْ

أينَ.. أينَ أغيبْ

هَرَبي المستمرُّ الرتيبْ

لم يَعُدْ يستجيبْ

لنداءِ ارتياعي وفيم صراخُ النداءْ؟

هل هناك ملاذٌ قريبْ

أو بعيدٌ.. سأمضي وإن كانَ خلفَ السماءْ

أو وراءَ حُدود الرجاءْ

ثم ذاتَ مساءْ

أسمع الصَوْتَ:

«سيري فهذا طريقٌ عميقْ

يتخطّى حدودَ المكانْ

لن تعي فيه صوتاً لغمغمةِ الأفعوانْ

إنه «لا برنْتٌ» سحيقْ

ربما شيّدتْهُ يدٌ في قديم الزمانْ

لأميرِ غريبِ الطباعْ

ثم ماتَ الأميرُ.. وأبقى الطريقْ

لأكفِّ الضياعْ»

أسمعُ الصوتَ ملءَ البقاعْ

فأسيرُ لعلّى أفيقْ

من دياجير كابوسىَ الأبدىِّ الصفيقْ

ربما سيَضلُّ عدوّى الطريقْ

ما أحبَّ المسيَر وليس ورائى خطىً مائته

تتمطّى بأصدائها الباهته

فى محانى طريقى الطويلْ

إنه لن يجىءْ

لن يجىءَ وإن عبَرَ المستحيلْ

أبداً لن يجىءْ

لن يراهُ فؤادى البرىءْ

من جديد يثيرُ الرياحْ

لتسُدَّ علىَّ السبيلْ

فى هدوءِ الصباحْ

أبداً لن يجىءْ

لن يجىءَ!

وأسمعُ قهقهةً حاقده

إنه جاء، يا لضياعِ رجائى الكسيرْ

فى دُجَى اللابرنْث الضريرْ

وأُحسُّ اليدَ البارده

تضغَطُ البردَ والرُعْبَ فوق هدوئى الغريرْ

بأصابعها الجامده
إنه جاءَ.. فيم المسيرْ؟
سأودّعُ حُلْمي القصيرْ
وأعودُ بجثّتهِ البارده

وتمرُّ تمرُّ الحياة
وعدوّي الخفيُّ العنيدْ
خلف كلِّ طريقٍ جديدْ
في ليالي الأسى الحالكات
خلفَ كلِّ سحَرْ
وأراهُ يُطلُّ عليَّ مع المنتظَرْ
مع أمسي البعيدْ
مع ضوءِ القمرْ
في الفضاء المديدْ
أينَ أينَ المفَرّْ
من عدوّي العنيدْ
وهو مثلُ القَدَرْ
سرمديٌّ، خفيٌّ، أبدْ.
سرمديٌّ، أبدْ.

١٩٤٨

خرافات

«مهداة إلى صديقتي ديزي الأمير تحية لذكرى مساء
فلسفنا فيه كل شيء حتى الكراسي والمناضد والستائر».

قالوا الحياة

هي لونُ عينَي ميّتِ
هي وقعُ خَطو القاتلِ المتلفّتِ
أيامُها المتجعداتْ
كالمعطف المسموم ينضَحُ بالمماتْ
أحلامُها بَسَماتُ سعْلاة مخدِّرة العيونْ
ووراءَ بسمتِها المَنُونْ

قالوا الأملْ

هو حَسرةُ الظمآنِ حينَ يرى الكؤوسْ
في صورةٍ فوقَ الجدارْ
هو ذلكَ اللونُ العبُوس
في وجهِ عُصفورٍ تَحَطّمَ عُشُّهُ فبكى وطارْ
وأقام ينتظرُ الصباحَ لعلَّ معجزةً تُعيدْ
أنقاضَ مأواهُ المخرَّبِ من جديدْ.

قالوا النعيمْ

وبحثتُ عنه في العيون الغائراتْ

في قصّة البؤس التي كُتبتْ على بعض الوجوهْ

في الدهرِ تأكلُه سنوه

في الزهرِ يرصدُ عطرَهُ شبحُ الذبولْ

في نجمةٍ حسناءَ يرصدُها الأفولْ

قالوا النعيم ولم أجدْهُ فهل طوى غدَهُ وماتْ؟

قالوا السكونْ

أسطورةٌ حمقاءُ جاء بها جمَادْ

يُصغى بأذنيه ويتركُ روحَه تحت الرمَادْ

لم يسمعِ الصرَخاتِ يُرْسلُها السياجْ،

وقصائصُ الورقِ الممزَّقِ في الخرائب، والغبارْ،

ومقاعدُ الغُرَفِ القديمة، والزُجَاجْ،

غطّاهُ نَسْجُ العنكبوت، ومعطفٌ فوق الجدارْ.

قالوا الشبابْ

وسألتُ عنه فحدثوني عن سنينْ

تأتي فينقشعُ الضَّبابْ

وتحدثوا عن جنّة خلف السَرَابْ

وتحدثوا عن واحَة للمتعَبينْ

وبلغتُها فوجدتُ أحلامَ الغَد

مصلوبةً عند الرتاجِ الموصَدِ

قالوا الخلودْ

ووجدتُهُ ظلاً تمطَّى في بُرُودْ

فوق المدافنِ حيثُ تنكمشُ الحياهْ

ووجدتُهُ لفظاً على بعض الشفاهْ

غنّته وهي تنوحُ ماضيها وتُنزلُهُ اللحودْ

غنّتهُ وهي تموتُ.. يا لَلإزدراء!

قالوا الخلودُ، ولم أجدْ إلا الفناءْ.

قالوا القلوبْ

ووجدتُ أبواباً تؤدي في اختناقْ

لمقابرٍ دُفن الشعورُ بها ومات َغدُ الخيالْ

جُدرانُها اللزجاتُ تبتلعُ الجَمَالْ

وتعجُّ قبحاً لا يُطاقْ

وهربتُ شاحبةً أتلك إذنْ قلوبْ؟

يا خيبةَ الأحلامِ، إني لن أؤوبْ.

قالوا العيونْ

وَوجدتُ أجفاناً وليس لها بَصَرْ

وعَرَفْتُ أهداباً شُددْنَ إلى حَجَرْ

وخبرتُ أقباءً ملفَّعةً بأستار الظنونْ

عمياءَ عن غير الشرُور وإن تكن تُدعى عيونْ

وعرفتُ آلافاً وأعينُهم صفائحُ من زجاجْ

زرقاءُ في لون السماء، وخلف زرقتها دياجْ

قالوا وقالوا

ألفاظُهم لاكت تَرَدُّدَها الرياحْ

في عالمٍ أصواتُهُ الجوفاءُ يرصُدُها الفَناءْ

المتعبونَ بلا ارتياحْ

الضائعونَ بلا انتهاءْ

قالوا وقلتُ وليس يبقى ما يُقالْ

يا لَلخرافةِ! يا لَسُخريةِ الخيالْ!

١٩٤٨

جحود

في سُكونِ المساءْ في ظلامِ الوجودْ
حينَ نامَ الضياءْ واعتراني جُمودْ

خِلْتُ نفسي أسيرْ في مكانٍ بعيدْ
فوقَ قلبي أثيرْ تحتَ رِجلِيَ قُيودْ

في كياني فُتورْ في دمي نَوْءُ
لقَّبوهُ الشعورْ وهو لا شيءُ

في إسارِ الألمْ روحيَ المبهمْ
يا معاني العَدَمْ آهِ لو أفهمْ

في ضَبابِ الوجودْ أنا كالسرّْ
وغداً سأعودْ دون أن أدري

جَسَدي في الألمْ خاطري في القيودْ
بينَ هَمْسِ العَدَمْ وصُراخِ الوجودْ

وسكوني حياة   وظلامي بريقْ
النجاةُ النجاةْ   من شعوري العميقْ

أأنا حُلُمٌ   وشعورٌ طَهورْ
أم أنا جسمٌ   مُغرَقٌ في الشرورْ

بل أنا آفاقْ   من شعورٍ عنيفْ
وأنا أعماقْ   من خِضَمٍّ مخيفْ

المقاييسُ   ليس تَغْنيني
الأحاسيسُ   هي قانوني

أنا لا أهوىَ   ما يُحبُّ الناسْ
فإذا دوّى   في دمي إحساسْ

سرتُ لا أُلوي   سرتُ خلف الصوت
فغداً يَطوي   فجرَ عُمْري الموتْ

في دمي إعصارْ   عاصفٌ بالجمودْ
وشظايا نارْ   تتحدّى الركودْ

كلُّ قلبي شكٌّ في معاني الخير
فكرةٌ تُضحك أنا أهوى الشر

إن يكُ الجسمُ من تراب حقير
فأنا إثمٌ... أنا لستُ أثير

إن يكُ العقلُ يمقتُ الانفجار
فأنا حِلٌّ منه.. يا للعار!

إنْ يكُ الإيمانْ هو هذا الجُمُودْ
فأنا نُكرانْ أنا كلّي جُحُودْ

١٩٤٧

مرثية يوم تافه

لاحتِ الظلمةُ في الأُفْقِ السحيقِ

وانتهى اليومُ الغريبُ

ومضت أصداؤه نحو كهوفِ الذكرياتِ

وغداً تمضي كما كانت حياتي

شفةٌ ظمأى وكوبُ

عكست أعماقُهُ لونَ الرحيقِ

وإذا ما لمستْهُ شفتايا

لم تجدْ من لذّةِ الذكرى بقايا

لم تجد حتى بقايا

انتهى اليومُ الغريبُ

انتهى وانتحبتْ حتى الذنوبُ

وبكتْ حتى حماقاتي التي سمّيتُها

ذكرياتي

انتهى لم يبقَ في كفّيَّ منه

غيرُ ذكرى نَغَمٍ يصرخُ في أعماقِ ذاتي

راثياً كفّي التي أفرغتُها

من حياتي، وادّكاراتي، ويومٍ من شبابي
ضاعَ في وادي السرابِ
في الضبابِ.

كان يوماً من حياتي
ضائعاً ألقيتُهُ دون اضطرابِ
فوق أشلاء شبابي
عند تلِّ الذكرياتِ
فوق آلافٍ من الساعاتِ تاهت في الضَّبابِ
في متاهاتِ الليالي الغابراتِ.

كان يوماً تافهاً، كان غريبا
أن تَدُقَّ الساعةُ الكَسْلى وتُحصي لَحظاتي
إنه لم يكُ يوماً من حياتي
إنه قد كان تحقيقاً رهيبا
لبقايا لعنة الذكرى التي مزقتُها
هي والكأسُ التي حطّمتها
عند قبرِ الأملِ الميِّتِ، خلفَ السنواتِ،
خلف ذاتي

كان يوماً تافهاً.. حتى المساء

مرت الساعاتُ في شِبْهِ بكاءِ

كلُّها حتى المساء

عندما أيقظَ سمعى صوتُهُ

صوتُهُ الحُلوُ الذى ضيّعتُه

عندما أحدقتِ الظلمةُ بالأفقِ الرهيبِ

وامّحتْ حتى بقايا ألمى، حتى ذنوبى

وامّحى صوتُ حبيبى

حملت أصداءه كفُّ الغروبِ

لمكانٍ غابَ عن أعينِ قلبى

غابَ لم تبقَ سوى الذكرى وحبّى

وصدى يومٍ غريبِ

كشحوبى

عبثاً أضرعُ أن يُرجعْ لى صوتَ حبيبى.

١٩٤٨

ألغاز

دَعْني في صمتي في إحساسي المكبوتِ
لا تسألْ عن ألغازِ غُمُوضي وسكوتي

دعني في لُغزي لا تبحث عن أغواري
اقنع من فَهْمِ أحاسيسي بالأسرارِ

لا تسألْ إني أحياناً لُغزٌ مُبْهمْ
أبقَى في الغيْبِ مع الأسرارِ ولا أُفهمْ

روحي لاتَعْشَقُ أن تحيا مثلَ الناسِ
أنا أحياناً أنسى بَشريّة إحساسي

حتى حبُكَ.. حتى آفاقُكَ تؤذيني
فأنا روحٌ أسبحُ كالطيفِ المفتونِ

قلبي المجهولُ يُحسُّ شعوراً عُلْويّا
لا حساً يُشْبِهه لا وعياً بَشَريّا

إذ ذاكَ أحسُّكَ شيئاً بَشَرياً قلقا
قِمةُ أحلامي تَرْفضهُ مهما ائتلقا

إذذاكَ يحسُّكَ روحي بعضَ الأمواتِ
ما سُمِّيَ «أنتَ» هَوىً، لم تبقَ سوى ذاتي

في وجهكَ أنظُرُ لكنّي لا أبصرهُ
في روحي أبحثُ عن شيءٍ أتذكرهُ

أتذكَّرُ، لا أدري ماذا، ماذا كانا؟
شيءٌ لا شَكْلَ يحدّدُه.. لا ألوانا

المبهَمُ في روحي يبقَى في إبهامهْ
دعهُ لا تسألني عنه، عن أنغامهْ

دعني في ألغازي العُليا، في أسراري
في صمتي، في روحي، في مهمهِ أفكاري

في نفسي جزْءٌ أبديٌّ لا تفهمهُ
في قلبي حُلمٌ عُلويٌّ لاتعلمهُ

دعهُ، ماذا يَعنيك لتسألَ في إصرارْ؟
الحبُّ يموتُ إذا لم تحجبْه أسرارْ

إني كالليلِ: سكونٌ، عمقٌ، آفاقُ
إني كالنجمِ: غموضٌ، بُعدٌ، إبراقُ

فافهمني إن فُهم الليلُ، افهم حِسِّي
والمسني إن لُمِسَ النجمُ، المس نفسي

١٩٤٧

جامعة الظلال

أخيراً لمستُ الحياةْ
وأدركتُ ما هي أيُّ فراغٍ ثقيلْ
أخيراً تبيّنتُ سرَّ الفقاقيعِ واخيبتاهْ
وأدركتُ أني أضعتُ زماناً طويلْ
ألمُّ الظلالَ وأخبطُ في عتْمة المستحيلْ
ألمُّ الظلالَ ولا شيءَ غير الظلالْ
ومرّتْ عليَّ الليالْ
وها أنا أُدْركُ أني لمستُ الحياةْ
وإن كنت أصرخُ واخيبتاهْ!

ومرَّ عليَّ زمانٌ بطيءُ العُبورْ
دقائقُهُ تتمطّى مَلالاً كأنَّ العُصورْ
هنالكَ تغفو وتنسى مواكبُها أن تدورْ
زمانٌ شديدُ السواد، ولونُ النجومْ
يذكّرني بعيونِ الذئابْ
وضوءٌ صغيرٌ يلوحُ وراءَ الغُيومْ
عرفتُ به في النهايةِ لونَ السَرابْ

ووهمَ الحياهْ

فواخيبتاهْ

أهذا إذن هو ما لقّبوهُ الحياهْ؟

خُطوطٌ نظَلُّ نخطّطُها فوقَ وجه المياهْ

وأصداءُ أغنية فظّة لا تَمَسُّ الشفاهْ

وهذا إذنْ هو سرُّ الوجودْ؟

ليالٍ ممزّقةٌ لا تعودْ

وآثارُ أقدامنا في طريقِ الزمان الأصَمّْ

تمرُّ عليها يدُ العاصفه

نتمسحُها دونما عاطفه

وتُسْلمُها للعَدَمْ

ونحنُ ضحايا هنا

نجوعُ وتعطشُ أرواحُنا الحائره

ونحسَبُ أن المنى

ستملأ يوماً مشاعرنَا العاصره

ونجهلُ أنَّا ندورْ

مع الوَهمْ في حلَقاتْ

نجزّيْ أيامَنا الآفلاتْ

إلى ذكرياتْ
ونَنتظرُ الغَدَ خلفَ العُصورْ
ونجهلُ أن القبورْ
تمدُّ إلينا بأذرعها البارده
ونجهلُ أنَّ السَتائرَ تُخفي يداً مارده

عرفتُ الحياةَ، وضِقتُ بجمعِ الظلالْ
وأضجرَني أن نجوبَ التلالْ
نحدّقُ في حَسرةٍ خلفَ ركبِ الليالْ
تسيرُ بنا القافله
نجوسُ الشوارعَ في وَحْدةٍ قاتله
إلامَ يُخادعُنا المبهَمُ؟
وكيفَ النهايةُ؟ لا أحدٌ يعلم

سنبقى نسيرْ
وأبقى أنا في ذهُولي الغريرْ
ألمُّ الظلالَ كما كنتُ دونَ اهتمامْ
عيونٌ ولا لونَ، لا شيءَ إلا الظلامْ
شفاهٌ تريدُ ولا شيءَ يَقربُ مما تريدْ

وأيدٍ تُريدُ احتضانَ الفضاءِ المديدْ

وقلبٌ يريدُ النجومْ

فيصفعهُ في الدياجيرِ صوتُ القَدُومْ

يُهيلُ الترابَ على آخرِ الميّتينْ

وأقصوصةٌ من يَرَاعِ السنينْ

تضجُّ بسمعي فأصرخُ: آه!

أخيراً عرفتُ الحياه

فواخيبتاه!

١٩٤٨

أجراس سوداء

لنَمُتْ فالحياة جفَّت وهذي الأ كؤسُ الفارغاتُ تَسخَرُ منا
وغيومُ الذهول في أعين الأيـ ـامِ عادت أجلى وأعمقَ لونا
وسكونُ الحياة في جَسَد الأحـ ـلام لم يُبقِ قطُّ للعيشِ معنى
وفراغُ الآهات أثبتَ أنّا قد فرغنا من دورنا وانتهينا

وعميقاً في الليل نسمعُ أقدا مَ الليالي في رهبةٍ ووجومِ
ودويُّ الأجراس يُنذرنا أنـ ـا انتهينا من دورنا المحمومِ
أن ما في الكؤوس يُوشكُ أن ينـ ـضبَ إلا من حفنة من همومِ
أنَّ ما في العيونِ من عَطشِ الأحـ ـلامِ أمسى رمادَ حبٍّ قديم

وبعيداً في الجوّ تُنذرنا الأصـ ـواتُ أنَّ الحياةَ عادتْ جُنونا
أنَّ لونَ الخيالِ قد حالَ وارتدَّ شُحوباً وواقعاً محزونا
أن «قَبْلَ» الرجاء أصبح لا «بَعـ ـدَ» له فهو فكرةٌ لن تكونا
أن شيئاً في عُمقِ أنفسنا يجـ ـذُبنا للممات، شيئاً مكينا

ولماذا نبقى هنا؟ أولم نشـ ـبعْ وتضجرْ ونروَ دونَ انتهاء؟
أولم نُدركِ النعيمَ وخمر النـ ـصر والحبُّ نابضاً بالرجاء؟
أولم نعرفِ الأسى العاصرَ والنومَ بعد طول البكاء؟
أولم نُشبعِ الوجودَ ومن فيـ ـهِ احتقاراً وغمضِ باستهزاء؟

ولماذا نبقى هنا؟ أسمعُ المو تَ ينادي بنا فلمَ لا نُجيبُ؟
لنَمُتْ فالرياحُ تجرح وجهيـ ـنا ولونُ الدُّجى عميقٌ رهيبُ
وهنا نحنُ مُتعبانِ غريبا نِ تعايى بنا الشبابُ الكئيبُ
وهنا نحن ميّتان وإن كا نَ لعِرقِ الحياة فينا وجيبُ

«الغريبان» هكذا يهمسُ الليـ ـلُ وأجراسهُ تلفُّ الوجودا
أيها الليلُ لن يعيشَ الغريبا نِ ولن يلمُسا مساءً جديدا
خُذهما ارخِ جنحكَ الأسودَ الها ديَ حوليهما وحلّقْ بعيدا
خُذهما عزَّ أن يقولوا «غريبا نِ» وكانت أقصوصةٌ لن تعودا

١٩٤٨

نهاية السلم

مرّتْ أيامٌ منطفئاتْ

لم نلتقِ لم يجمعْنا حتى طيفُ سَرَابْ

وأنا وحدي، أقتاتُ بوقْع خُطى الظُّلماتْ

خلفَ زُجاجِ النافذةِ القَطِّة، خلفَ البابْ

وأنا وحدي...

مرتْ أيامْ

باردةٌ تزحفُ ساحبةٌ ضَجَرى المرتابْ

وأنا أُصغي وأعدُّ دقائقَها القلقاتْ

هل مرَّ بنا زمنٌ؟ أم خُضنا اللازمنا؟

مرَّتْ أيامْ

أيامٌ تُثقلُها أشواقي، أينَ أنا؟

ما زلتُ أحدِّقُ في السُّلَّمْ

والسلَّمُ يبدأُ لكنْ أينَ نهايتهُ؟

يبدأُ في قلبي حيثُ التيهُ وظلمتهُ

يبدأُ، أين البابُ المبهَمْ؟

بابُ السُّلَّمْ؟

مرّتْ أيامْ

لم نلتقِ، أنتَ هناك وراءَ مَدَى الأحلامْ

في أفقٍ حفَّ به المجهولْ

وأنا أمشي، وأرى، وأنامْ

أستنفدُ أيامي وأجرُّ غدي المعسولْ

فيفرُّ إلى الماضي المفقودْ

أيامي تأكلُها الآهات متى ستعودْ؟

مرّتْ أيامٌ لم تتذكرْ أنَّ هناكْ

في زاويةٍ من قلبكَ حبّاً مهجورا

عضّتْ في قدَميه الأشواكْ

حباً يتضرّعُ مذعورا

هَبه النورا

عُدْ، بعض لقاءْ

يمنحُنا أجنحةً نجتازُ الليلَ بها

فهناكَ فضاءٌ

خلفَ الغابات الملتفّات، هناك بحورْ

لاحدَّ لها تُرْغي وتَمورْ

أمواجٌ من زبَدِ الأحلامِ تقلّبُها

أيدٍ من نورْ

عدْ، أم سيموتْ،
صوتي في سمعكَ خلفَ المُنعَرجِ الممقوتْ
وأظلُّ أنا شاردةً في قلب النسيانْ
لاشيءَ سوى الصمتِ الممدودْ
فوقَ الأحزانْ
لاشيءَ سوى رجْعٍ نعسانْ
يهمسُ في سمعي ليس يعودْ
لا ليس يعودْ

١٩٤٨

أنـــا

اللَّيلُ يسألُ من أنا

أنا سِرُّهُ القلقُ العميقُ الأسودُ

أنا صمتُهُ المتمرِّدُ

قنَّعتُ كنهي بالسكونْ

ولففتُ قلبي بالظنونْ

وبقيتُ ساهمةً هنا

أرنو وتسألني القرونْ

أنا من أكون؟

والريحُ تسأل من أنا

أنا روحُها الحيرانُ أنكرني الزمانْ

أنا مثلها في لا مكان

نبقى نسيرُ ولا انتهاءْ

نبقى نمرُّ ولا بقاءْ

فإذا بلغنا المُنْحَنَى

خلْناهُ خاتمةَ الشقاءْ

فإذا فضاءْ!

والدهر يسأل من أنا

أنا مثلهُ جبّارةٌ أطوي عُصورْ

وأعودُ أمنحها النشورْ

أنا أخلقُ الماضي البعيدْ

من فتنة الأمل الرغيدْ

وأعودُ أَدفنُهُ أنا

لأصوغَ لي أمساً جديدْ

غَدُهُ جليد

والذاتُ تسألُ من أنا

أنا مثلها حيرَى أحدّقُ في ظلام

لاشيءَ يمنحُني السلامْ

أبقى أسائلُ والجوابْ

سيظَل يحجبُهُ سراب

وأظلّ أحسبُهُ دنا

فإذا وصلتُ إليه ذابْ

وخبا وغابْ

١٩٤٨

غــرباء

أطفئ الشمعةَ واتركنا غريبين هنا
نحن جُزءانِ من الليلِ فما معنى السنا؟
يسقطُ الضوءُ على وهمينِ في جَفْنِ المساءْ
يسقطُ الضوءُ على بعضِ شظايا من رجاءْ
سُمِّيتْ نحنُ وأدعوها أنا:
مللاً، نحن هنا مثلُ الضياءْ
غُرَباءْ

اللقاء الباهتُ الباردُ كاليومِ المطيرِ
كان قتلاً لأناشيدي وقبراً لشعوري
دقّتِ الساعةُ في الظلمة تسعاً ثم عشرا
وأنا من ألمي أُصغي وأُحصي، كنتَ حَيرى
أسألُ الساعةَ ما جَدْوى حبوري
إن نكن نقضي الأماسي، أنتَ أَدْرى
غرباءْ

مرّتِ الساعاتُ كالماضي يُغشّيها الذبُولُ
كالغَدِ المجهول لا أدري أفجرٌ أم أصيلُ
مرّتِ الساعاتُ والصمتُ كأجواءِ الشتاءِ

خلتهُ يخفق أنفاسي ويطغى في دمائي
خلتهُ يَنبسُ في نفسي يقولُ
أنتما تحت أعاصيرِ المساءِ

غرباءْ

أطفئ الشمعةَ فالروحانِ في ليلٍ كثيفِ
يسقطُ النورُ على وجهينِ في لونِ الخريفِ
أولا تُبصرُ؟ عينانا ذبولٌ وبرودٌ
أوَلا تسمعُ؟ قلبانا انطفاءٌ وخمودُ
صمتنا أصداءُ إنذارٍ مخيفِ
ساخرٌ من أننا سوفَ نعودُ

غرباءْ

نحن من جاء بنا اليومَ؟ ومن أين بدأنا؟
لم يكنْ يَعرفُنا الأمسُ رفيقين.. فدَعنا
نطفرُ الذكرى كأنْ لم تكُ يوماً من صبانا
بعضُ حبٍّ نزقٍ طافَ بنا ثم سلانا
آه لو نحنُ رَجَعنا حيثُ كنا
قبلَ أن نَفنَى وما زلنا كلانا

غُرباءْ

١٩٤٨

أغنية الهاوية

مججتُ الزوايا التى تلتوى
وراءَ النفوسْ
وراءَ بريقِ العيُونْ
وأبغضتُ حتى السُّكونْ
وتلكَ المعاني التى تنطوى
عليها الكؤوسْ
معانى الصَدَى والجُنونْ
معانى الخطايا التى تُبرقُ
بريقَ النجومْ
وفى لمسها اللهبُ المُحرقُ
ولونُ الهمومْ
كرهتُ الجفونَ التى تأسرُ
وخلفَ سماء ابتساماتها
لهيب الحقود
كرهتُ الأكفَّ التى تعصرُ
وخلفَ حرارة رَعْشاتها
جمودٌ كذُلِّ الحياه

علی جُثة تحت بعض اللحودْ
تعيثُ بهاَ دودةٌ في برودْ
كرهتُ ارتعاشَ الشفاهْ
برجعِ الصلاه
ففي كلِّ لفظ خطيئه
تجيشُ بها رَغَباتٌ دنيئه
وعفتُ طُموحي وبحثي الطويلْ
عن الخيرِ، والحبِّ، والمُثُلِ العاليه
وحقّرتُ سعيي إلى عالمٍ مستحيلْ
فخلفَ انخداعيَ تنتظرُ الهاويه
وعفتُ جنوني القديمَ وعفتُ الجديدْ
وأودعتهُ في مكانٍ بعيدْ
دفنتُ به رَغَباتِ البشرْ
وسمّيتهُ جنة الواهمين
ستمضي السنينْ
لماذا أُحسُّ الأسى والضَّجَرْ،
وكفُّ المطرْ
تلفُّ على عنقي المختنقْ
حبالَ الفكرْ؟

وأينَ أسيرُ وقلبي النزقْ
هنالكَ ما زالَ، لا يبردُ
ولايحترقْ
كقلب أبي الهول، أين الغدُ؟
أحسُّ حياتي تذوبْ
قفي لحظةً واحده
ولاتَسحبي يَدكِ البارده
فأغنيةُ الهاويه
تُهيبُ بأقدامي الشارده
وتلوي الدروبْ
قفي لحظةً يا حبالَ الحياه
ولا تتركيني هنا
معلقةً بالفراغِ الرهيبْ
فأمسي القريبْ
تلاشى على آخرِ المنحنى
وظلُّ غدي
تَلَثَّمَ أوّاهُ لو أهتدي
قفي لحظةً واحده
ولا تَسحبي يَدَكِ البارده

فأغنيةُ الهاوية

تردِّدها الأنفسُ الجانيه

تكرّرُها في جُنونْ

على سمعيَ المُجهَدِ

تكرّرُها لم يَعُدْ لي سَكونْ

أكادُ أسيرُ إلى الهاويه

مع السائرينْ

وأدفنُ آخرَ أحلاميه

وأنسى غدي

١٩٤٨

في جبال الشمال

عُدْ بنا يا قطارْ

فالظلام رهيبٌ هنا والسكونُ ثقيلْ

عُدْ بنا فالمدَى شاسعٌ والطريقُ طويل

والليالي قِصارْ

عدْ بنا فالرياحَ تنوحُ وراء الظلالْ

وعُواءُ الذئابِ وراءَ الجبال

كصراخِ الأسى في قلوبِ البشرْ

عُدْ بنا فعلى المنحدَرْ

شَبحٌ مكفهرٌّ حزِينْ

تركتْ قَدَماهُ على كلِّ فجرٍ أثرْ

كلَّ فجرٍ تقضّى هنا بالأسى والحنين

شَبحُ الغربةِ القاتله

في جبال الشمال الحزينْ

شبحُ الوَحدةِ القاتله

في الشمالِ الحزينْ

عد بنا قد سئمنا الطَّوَافْ

في سُفوُحِ الجبال وعُدْنا نخافْ

أن تطولَ ليالي الغيابْ

ويغطي عُوَاءُ الذئابِ

صوتنا ويعزُّ علينا الإيابْ

عُدْ بنا للجنوبِ

فهناكَ وراءَ الجبالِ قلوبْ

عدْ بنا للذينَ تركناهمُ في الضبابِ

كلُّ كفٌّ تلوِّحُ في لهفةٍ واكتئابْ

كل كفٍّ فؤاد

عدْ بنا يا قطارُ، سئمنا الطَّوَافَ وطالَ البعادْ

وهنالكَ همسٌ عميقْ

لاثغٌ خلفَ كلِّ طريق

في شعابِ الجبالِ الضخامْ

ووراءَ الغمامْ

في ارتعاشِ الصنُوبرِ، في القريةِ الشاحبه،

في عُوَاءِ ابن آوى، وفي الأنجمِ الغاربه،

في المراعي هنالكَ صوتٌ شَرُودْ

هامسٌ أن نعودْ

فهناكَ بيوتٌ أُخَر

ومراعٍ أُخرْ

وقلوبٌ أخرْ

وهناكَ عيونٌ أبت أن تنامْ

وأكفٌّ تضمُّ الدُّجَى في اضطرام

وشفاهٌ تردّدُ أسماءنا في الظلامْ

وقلوبٌ تُصيخُ لأقدامنا في وُجومْ

وتنادي النجومْ

في أسىً وسكونْ:

«ومتى يا نجومُ سيذكرنا الهاربونْ؟»

«ومتى يَرْجِعونْ؟»

لحظةٌ، سنعودْ

لن يرانا الدُّجَى هاهنا، سنعودْ

سنعودُ، سنطوي الجبالْ

ورُكامَ التلالْ

لن ترانا ليالي الشمالْ

ها هنا من جديدْ

لن يحسَّ الفضاءُ المديد

نارَ آهاتنا في المساءِ الرهيبْ

في سكونِ المساءِ الرهيبْ

عُدْ بنا يا قطارَ الشمالْ

فهناكَ وراءَ الجبالْ

الوجوهُ الرقاقُ التي حجّبَتها الليالْ

عُدْ بنا، عُد إلى الأذرُعِ الحانيه

في ظلال النخيلْ

حيثُ أيامُنا الماضيه

في انتظارٍ طويلْ

وقفتْ في انتظار

تتحرى رجوعَ القطارْ

لتسير مع السائرينْ

حيثُ أيامُنا تسألُ العابرينْ

واحداً، واحداً، في حنينْ

«ومتى عودةُ الهاربينْ؟»

لنعُدْ فهناكَ نشيدٌ قديمْ

حولَنا هامسٌ بالرُجوعْ

ما أحبَّ الرجوعْ

بعد هذا الطوافِ الأليمْ

في جديبِ الشعابْ

حيث تَعْوي الذئابْ

لنعدْ، فالدُّجى باردٌ كالجليدْ

وهنالكَ خلفَ الفضاءِ البعيدْ

أذرعٌ دافئه

لنعدْ فالجبالُ تكشِّرُ عن ليلها المظلمِ

وهنالكَ خلفَ الدُّجى المبهَمِ

صوتُ أحبابنا، في الظلامِ السحيقْ

نابضاً بالحنينِ العميقْ

صوتُهم مُثقلاً بالعتابْ

صوتُهم ردّدته الشعابْ

صوتُهُم في سكونِ المكانْ

دائرٌ كالزمانْ

لنعُدْ قبلَ أن يقضيَ الأفعوانْ

بفراقٍ طويلٍ، طويلْ

عن ظلالِ النخيلْ

عن أعزّائنا خلفَ صمتِ القفارْ

عدْ بنا يا قطارْ

فالليالي قصار

وهنالكَ أحبابُنا في أسىً وانتظارْ

سرسنك ١٩٤٨

إلى عمتي الراحلة

أنا لم أزل في الفجر رايةً
للأفق في صمت وإعياء
تتدافعُ الذكرى على شفتي
بعضَ ارتعاشاتٍ وأصداء
الجُرحُ تديانٌ تعيشُ به
أصداءُ ماضٍ ميّتٍ ناءِ
أيامهُ عادتْ صَدَى حلمٍ
لم تَبْقَ منه غيرُ أشلاءِ
غيرُ ابتساماتٍ ممزّقةٍ
أودتْ بهنّ مرارةُ الداءِ

تتدافعُ الذكرى وتملأني
أشباحها قلقاً وأشجانا
ألأمسُ ما زالتْ كآبته
حسرَى تذكرني بما كانا
بالليلِ كيفَ سهرته ألماً
بالفجر كيفَ أطلّ ظمآنا
بدموعيَ العطشى وحرقتها
بتدفق الإحساس أحزانا
باليأسِ كيف طغت مرارته
وتمرّدت حُمرقَاً ونيرانا

الأمس هل في الأمس من حُلمٍ
هل فيه ما ينجي من الحرقِ؟
هل فيه بعضُ صدىً يناغمني
ذكرى؟ رجاءٌ غيرُ محترقِ
لفظٌ يمرُّ؟ وبسمةٌ؟ ويدٌ
مرّت برقتها على قَلقي؟
أوّاهُ، بعض خطى ألوذ بها
من حزنيَ القاسي ومن أرقي
بعض ابتسامتك التي غربت
في الصمت واحترقت على الأفق

الدمع أذرفه ويذرفني
قلباً يجنّ أسىً ويحتضرُ
قطراته نارٌ تمزّقني
ما زال منهما في دمي أثر
عيناي تحترقان من ألمٍ
تدمى وتقطرُ فيهما الصور
جرحان لاجفنان أين غدي؟
أين الطبيعة والهوى النضرُ؟
ما للحياة هوت أشعّتها
ليلاً وعكّر جوَّها القدر؟

أين التفتُّ تصلُّني صورٌ
وحشيةٌ، وشتيتُ آلام
ذكرىً من الماضي تحطمني
وتظل تصهرُ جفنيَ الدامي
أوّاه، كيفَ سقطت ميتةٌ
وأنا أعيشُ وتلك أوهامي
وأنا أعيشُ رؤىً ممزّقةً
وأحوكُ أهوائي وأحلامي
تتلفتُ الذكرى إليكِ وبي
ظمأٌ يعتّمُ جوَّ أيامي

وأريدُ أن أنسى فتخنقني
رعشاتُ حزنٍ ساهدٍ مُرِّ
أبقيتِ جرحاً حافراً قلقاً
في قلبِ أحلامي وفي شعري
كفُّ الحنانِ نسيتُ ملمسها
وفقدت معبرهَا على شَعري
لم يبقَ منها غيرُ أغنيةٍ
جفّت مرارتُها على ثغري
وسهرتُ أنشدها وأنشدها
في ليلة مأسورةِ الفجرِ

أواهُ من حُـزني ومن ظمَـأي هل عُـدتِ طيفاً مطفأ المُقَلِ
القبرُ ضمَّكِ في برودته بعد ارتعاشة قلبي الخَضِلِ
لا طيرَ يوقظُ فيكِ عرقَ هوىً لاشيءَ يبعثُ خامدَ الأملِ
الظلُّ مرَّ وأنتِ ساهيةٌ عن رقصِه وشُعاعه الثملِ
والنجمُ لاحَ وأنتِ هامدةٌ لا تعبأين بضوئه الخجِلِ

وتمرُّ أصداءُ الحياة ضُحىً
بوسادك المحزونِ وا أسفا

صوتُ المؤذّنِ كم سهرتِ له
ما بالُهُ في مسمعيكِ غفا؟

ما بالُ رعشته تمرُّ على
قلبٍ تناسى كيف أمس هفا

ما بالُها لاذتْ بغربتها
ومضتْ تُباكي حولك (النجفا)

تبكي وترسمُ في انتفاضتها
صوتاً يبيتُ الليلَ مُرتجفا

أوحيدةٌ في القبرِ هامدةٌ
وأنا أمسُّ سريرَكِ الخاوي؟

خُصُلاتُ شعركِ فوقهُ حرَقٌ في عُمقِ يأسي الصارخِ الداوي

ومكانُ رأسكِ في الوسادة في
قلبي بقايا كوكبٍ هاوٍ

وقميصُكِ الباكي أما بقيتْ
فيه حرارةُ جسمكِ الذاوي؟

كيف انطويتِ وأنتِ خالدةٌ في أدمعي؟ شُلَّتْ يدُ الطاوي

أصغي وهل تُصغين؟ هل بلَغتْ مثواكِ أصداءُ ارتعاشاتي
كيف انتفضتُ وأنتِ هامدةٌ في مخلَبَيْ ألمي وآهاتي؟

تتعثَّرُ النغَماتُ في شفتي بصُراخِ أحزاني وأنّاتي
مزّقتُ أيامي التي سلفَتْ ودفنتُ فيكِ بشاشةَ الآتي
وأضعتُ أفراحي ومن عَبَثٍ شِبهُ ابتساماتي وضُحكاتي

١٩٤٨

الكوليرا

سكَنَ الليلُ

اصغِ إلى وَقْعِ صَدَى الأنَّاتْ

في عُمْقِ الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ

صَرَخاتٌ تعلو، تضطربُ

حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ

يتعثَّرُ فيه صَدَى الآهاتْ

في كلِ فؤادٍ غليانُ

في الكوخِ الساكنِ أحزانُ

في كلِ مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ

في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ

هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ

الموتُ، الموتُ، الموتْ

يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ

طَلَعَ الفجرُ

اصغِ إلى وَقْعِ خُطَى الماشينْ

في صمتِ الفجْرِ، اصِخْ، انظُرْ ركبَ الباكين

عشرةُ أموات، عشرونا
لا تُحْصِ اصْغِ للباكينا
اسمعْ صوتَ الطفلِ المسكين
مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ
مَوْتَى، موتَى، لم يَبْقَ غَدُ
فى كلِّ مكان جَسَدٌ يندُبُهُ محزونْ
لا لحظَةَ إخلاد لا صَمْتْ
هذا ما فعلتْ كَفُّ الموتْ
الموتْ، الموتُ، الموتْ
تشكو البشريَّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ

الكوليرا

فى كَهْفِ الرُعْب مع الأشلاءْ
فى صمْتِ الأبدِ القاسى حيثُ الموتُ دواءْ
استيقظَ داءُ الكوليرا
حقْداً يتدفّقُ موتورا
هبطَ الوادىَ المرِحَ الوُضّاء
يصرخُ مضطرباً مجنونا
لا يسمَعَ صوتَ الباكينا
فى كلِّ مكانٍ خلَّفَ مخلبُهُ أصداءْ

فى كوخ الفلاّحة فى البيتْ
لا شيءَ سوى صرخَات الموتْ
الموتْ، الموتُ، الموتْ
فى شخص الكوليرا القاسى ينتقمُ الموتْ

الصمتُ مريرْ
لا شيءَ سوى رجْعِ التكبيرْ
حتّى حَفّارُ القبر ثَوَى لم يبقَ نَصيرْ
الجامعُ ماتَ مؤذّنُهُ
الميتُ من سيؤبّنُهُ
لم يبقَ سوى نوْحٍ وزفيرْ
الطفلُ بلا أمٍّ وأبِ
يبكى من قلب ملتهبْ
وغداً لاشكَّ سيلقفُهُ الداءُ الشرّيرْ

يا شبَحَ الهيْضة ما أبقيتْ
لا شيءَ سوى أحزانِ الموتْ
الموتُ، الموتُ، الموتَ
يا مصرُ شعورى مزّقَهُ ما فعلَ الموتْ

١٩٤٧

لنكن أصدقاء

لنكنْ أصدقاءْ
في متَاهات هذا الوجود الكئيبْ
حيثُ يمشي الدَمارُ ويَحْيا الفَناءْ
في زوايا الليالي البِطاءْ
حيثُ صوتُ الضَحايا الرهيبْ
هازئاً بالرجاءْ
لنكنْ أصدقاءْ
فعيونُ القَضَاءْ
جامداتُ الحَدَقْ
ترمقُ البَشَرَ المُتعَبينْ
في دروبِ الأسى والأنينْ
تحتَ سوطِ الزمان النَزِقْ
لنكنْ أصدقاءْ،
الأكفُّ التي عرَفَتْ كيف تَجْبِى الدماءْ
وتحُزُّ رقابَ الخليّين والأبرياءْ
ستحسُّ اختلاجَ الشعورْ
كلَّما لامستْ إصبعًا أو يدا

والعيونُ التي طالما حدّقتْ في غرورْ

ترمقُ الموكبَ الأسودا

موكبَ الرازحينَ العبيدْ

هذه الأعينُ الفارغاتْ

ستُحِسُّ الحياةْ

ويعودُ الجُمُودُ البليدْ

خلفَها ألفَ عِرْقٍ جديدْ

والقلوبُ التي سَمِعَتْ في انتعاشْ

صَرَخاتِ الجياعِ العطاشْ

ستذوبُ بكاءً على الجائعينْ

ستذوبُ لتسقي صدَى الظامئين

كأسةً ولتكنْ ملئتْ بالأنينْ

لنكنْ أصدقاءْ

نحنُ والحائرون

نحنُ والعزَّلُ المتعبونْ

والذينَ يُقالُ لهم «مجرمونْ»

نحنُ والأشقياءْ

نحنُ والثملونَ بخمرِ الرجاءْ

والذينَ ينامونَ في القفرِ تحت السماءْ

نحن والتائهون بلا مأوى

نحن والصارخونَ بلا جدوى

نحن والأسرى

نحن والأممُ الأخرى

في بحارِ الثلوجْ

في بلادِ الزنوجْ

في الصحارى وفي كلِّ أرضٍ تضمُّ البشر

كلُّ أرضٍ أصاختْ لآلامنا

كلُّ أرضٍ تلقتْ توابيتَ أحلامنا

ووعتْ صرخاتِ الضجرْ

من ضحايا القدرْ

لنكنْ أصدقاءْ

إنّ صوتاً وراءَ الدماءْ

في عروقِ الذين تساقَوْا كؤوسَ العداءْ

في عروقِ الذينَ يظلّون كالثملين

يطعنونَ الإخاءْ

يطعنونَ أعزّاءَهم باسمين

فى عُروقِ المحبّينَ... والهاربينْ
من أحبّائهم، من نداء الحنينْ
فى جميعِ العُرُوقْ
إنّ صوتاً وراءَ جميعِ العُرُوقْ
هامساً فى قرارةِ كلِّ فؤادٍ خَفُوقْ
يجمعُ الأخوةَ النافرينْ
ويشُدُّ قلوبَ الشقيّينَ والضاحكينْ
ذلكَ الصوتُ، صوتُ الإخاءْ
فلنكنْ أصدقاءْ

فى بعيدِ الديارْ
ووراءَ البحارْ
فى الصحارى، وفى القُطْب، فى المدُنِ الآمنه
فى القُرَى الساكنه
أصدقاءٌ بَشَرْ
أصدقاءٌ ينادونَ أينَ المَفَرْ؟
ويصيحونَ فى نبّرة ذابله
ويموتونَ فى وَحْلة قاتله
أصدقاءٌ جياعٌ، حُفَاةٌ، عُراه

لقفلتهم شفاهُ الحياةْ
إنهم أشقياءْ
فلنكنْ أصدقاءْ

من بعيدْ
صوتُ عَصْفِ الرياحِ الشديدْ
ناقلاً ألفَ صوتٍ مديدْ
من صُرَاخِ الضَحَّايا وراءَ الحُدُود
في بقاعِ الوجودْ
الضحايا، ضحايا العراكْ
وضحايا القيُودْ
وصدَى «هيَاواثا» هناك
مُثقلا بأنينِ الجياعْ
بأسَى المصطلينَ لَظى الحُمَّى
بالذينَ يموتون دونَ وَدَاعْ
دون أن يَعرفوا أُمَّا
دونما آباءْ
دونما أصدقاءْ

١٩٤٨

جنازة المرح

سأغلق نافذتي فالضياء ... يعكّر ظلمتيَ البارده
سأسدل هذا الستار السميك ... على صفحة القصة البائده
وأطردُ صوتَ الرياح البليد ... وإشعاعةَ الأنجمِ الحاقده
وأسندُ رأسي إلى الذكريات ... وأغمض عينيَّ في دمعتين
وأرسلُ حبي يلفُّ القتيل ... ويُدفئُ جبهتهُ الهامده
لعلي أردُّ إليه الحياة ... وأمسحُ من زُرقه الشفتين

سأغلقُ نافذتي فالقتيل ... يحبُّ الظلامَ العميقَ العميق
وأكرهُ أن يتمطى الضياء ... على جسمه الشاعريِّ الرفيق
على جبهة زرعتها النجوم ... ولونّها ضوؤها بالبريق
وكانت تشعُّ الحياةَ فعادت ... تمجُّ الأسى والرَّدى والعذاب
تخطُّ عليها ذراعُ الممات ... أساطيرَ عهدٍ سحيقٍ سحيق
أمرُّ عليها بكفي فأصر ... خُ رعباً وأسقط فوق التراب

سأغلقُ نافذتي فالظهيرةُ لا ينتهي حقدُها الراعبُ
تصبُّ سكينتَها في برودٍ ويسخرُ بي وجهُها الغاضبُ
يطاردُني صمتُها السرمديُّ ويكشفني لونها الراسبُ
وأينَ المفرُّ؟ تكاد الستائر تدخلها غرفتي المظلمه
وأين المفرُّ؟ وهذا القتيلُ يروِّعني وجهه الشاحبُ
أمامي القتيل وخلفي الظهيرةُ يا للمطاردةِ المؤلمه

سأصبرُ حتى يجيءَ الدُّجى ويغرب خلف الوجود الضياءْ
فأحملُ هذا القتيلَ البريء إلى هوَّةٍ من كهوف المساءْ
أسيرُ بأشلائه موكبـاً بطيءَ الخطى كليالي الشتاءْ
وتتبعني شَهقَاتُ التذكـرِ مهمومةً في أسىً وشرود
وفي آخـر الموكب المترنحِ وجـهٌ يشيِّعُـهُ في ازدراءْ
وفي آخِـرِ الموكبِ المترنح وجـهٌ يشيـعهُ في بُرُودْ

عَرفتُ الجبينَ عرفت الشفاه وهذي العيون الغلاظ الأديمْ
عرفتُ بها وجه حزني الدفين وقد عاد يَحملُ جرحي القديم
وفي يَده مُديةٌ لم يَزَلْ على حدّها دمُ أمسي الأليم
عرفتُ العدوّ اللجوج هَناك يسيرُ على أثر الموكبِ
يُحلّقُ مستهزئاً بالقتيل ويضحك ضحكةَ فظٍّ أثيم
نعم هوَ.. أعرفهُ جيداً فكم مرةٍ قبلُ قد مرَّ بي

وأبصرتُ في أثري ألف طيفٍ حزينٍ تلفّعَ بالعبراتْ
عرفتُ بها البسماتِ التي لقيتُ بها لَطَماتِ الحياةْ
عرفت بها الضحكاتِ التي سكبتُ نداها على الذكرياتْ
أهذي إذنْ بسماتي؟ حناناً أعدنْ عبوساً ورجع أنين؟
أهذي إذن ضحكاتي أهذي نهايةُ ما صُغتُ من بسمات؟
وهذا القتيلُ أحقاً فقدتُ به مرحي المضمحلّ الدفين؟

١٩٤٨

يوتوبيا في الجبال

«مهداة إلى أختي إحسان التي شهدت معي مولدها عند عين الماء الثلجية المنحدرة بين صخور مرسنك الملونة».

تفجّري يا عيُونْ
بالماء، بالأشعّة الذائبه
تفجّري بالضوء، بالألوان، فوقَ القرْية الشاحبه
في ذلكَ الوادي المُغَشّى بالدُجَى والسكونْ
تفجّري باللحونْ
فوقَ انبساط السفْحِ بين التلالْ
في المُنحنَى حيثُ تموجُ الظلالْ
تحتَ امتداد الغُصُونْ
تفجّري بالجمالْ
وشيِّدي يوتوبيا في الجبالْ
يوتوبيا من شَجَراتِ القمَمْ
ومن حريرِ المياهْ
يوتوبيا من نَغَمْ
نابضةً بالحياه

تفجَّرى، سيلى على مُنْحَدَراتِ الصُخُور

حيث يطيرُ الفَرَاشْ

فى نشوةٍ وارتعاشْ

تفجَّرى حيثُ تنامُ الطيورْ

فى جنَّةٍ من عُطورْ

حيثُ يغطِّى السَفْحَ غابٌ كثيفْ

صنوبرىُّ الحفيفْ

تفجَّرى نقيَّةً فوق حَصَى المُنْحدَرْ

فى عطفةِ الوادى العميقِ المخيفْ

فى ظُلَلِ الجوزْ الرقيقِ الوريفْ

تحتَ انبساطِ الشجرْ

تفجَّرى فى الصباحْ

تفجَّرى جارفةً كالرياحْ

تفجَّرى فى الغروب

وشيدى يوتوبيا من قلوب

من كل قلب لم تَطأْهُ الحقودْ

ولم تدنسهُ أكفُّ الركودْ

من كلِّ قلبٍ شاعرىٍّ عميقْ

لم يتمرَّغْ بخطايا الوجودْ

مِن كلِّ قلبٍ رقيقْ

مستغرقٍ في حُلمه لا يُفيقْ

إلا على حُلمٍ بعيدِ المدى

ليسَ له من حدودْ

حُلمٌ تَحدى الغدا

مِن كلِّ قلبٍ لا يُطيقُ الجُمودْ

ولا صريرَ القيودْ

تفجّري بيضاءَ فوقَ الصَخَرْ

لوناً وضوءاً يتحدى كل رجس البشرْ

تفجّري لن يسأم المنحدر

سيلي على النائمينْ

وأغرقي تهويمةَ الظالمين

فيضي على الميّتينْ

على قلوبٍ لا تحسُّ الحنينْ

على عيونٍ لم تُطهرْها أكفُّ البكاءْ

على نفوسٍ لاتحسُّ السماءْ

على أكفٍ تجهل الكبرياءْ

سيلي بعيدا في القرى الجائعه

حيثُ الحُفاةُ العُراه

وحيث لايبلُغُ سمعَ الحياه

إلا صُراخُ الأنفس الضارعه

إلا عُواءُ الذئابْ

في عَطفةِ الوادي الشقيِّ الحزينْ

في شاهقاتِ الهضابْ

وحيثُ لاتُبصرُ عينُ السنينْ

إلا أسى المتعَبينْ

قوافلٌ يحدو بها أشقياءْ

في جنَّةٍ من رخَاءْ

قوافلُ الجائعينْ

في ذلك الوادي الخصيبِ التُرابْ

قوافلُ الظامئينْ

يلتمسونَ السَرابْ

والماءُ يجتاحُ انزلاقَ السنينْ

قوافلٌ للملالْ

يحرِمُها الكدُّ نقاءَ الجبالْ

قوافلٌ مَجَّتْ رنينَ الفؤوس

وغيرُها للكؤوسْ

للنومِ والأحلامِ تحتَ الظلالْ

أنصافُ موتى لاتُحسّ الجمالْ

تفجَّري يا مياهْ
تفجَّري فوقَ قُبور البَشَرْ
تفجَّري في الصَخَرْ
وسجِّلي مأساةَ هذي الحياهْ
فوقَ جبينِ القَدَرْ
ما زالت القَريةُ منذُ القِدَمْ
أُقصوصةً ممزوجةً بالألَمْ
قصّت أساها الرياحْ
على شُحوبِ الصباح
تفجري، سيلي وغطّي القمم
ألقِي على القِصةِ سترَ العَدَمْ
لا تذكري هذا النشيدَ الحزينْ
ما كانَ إلا رجعَ صَوتٍ وهونْ
أصغتْ إليه السنينْ
في لحظةٍ، ثم مَضتْ في سُكون

سرسنك ١٩٤٨

وجوه ومرايا

يا كؤوسَ الأحلامِ يا من تخيّلـ ـتُك أفقاً تضمُّهُ الأضواءُ
آهِ لو تُدركين كيف أحسُّ الـ ـكونَ صحراءَ خلفَها صحراءُ
والرحيقُ الذي حلُمتُ به كيـ ـفَ طوتهُ المرارةُ الخرساءُ
كيفَ حينَ استلمتُ كأسيَ أرسلـ ـتُ دموعي ولم يُفدني ارتواءُ

ارتوائي؟ أوّاهُ من حُرَقِ الرو حِ لماذا تظلُّ روحيَ ظمأى؟
ارتوائي؟ هذا السرابُ الذي ير كضُ قلبي وراءَهُ وهوَ ينأى
ارتوائي حسِبتُهُ شفقاً حلْـ ـواً فلمّا دنوتُ لم أرَ شيئا
ليس إلا اللاشيءُ يصدِمُ شوقي ويُذيبُ الأحلامَ جُزءاً فجزءا

الفراغُ الفراغُ يقتلُني أوّ اهُ لو كان للوجود وجودُ
آهِ لو لم تَحُلْ مواقعُ أقدا مي امتداداً حدودُهُ اللاحدودُ
السكوتُ السكوتُ يَفغَرُ فاهُ وغداً يغربُ الهوى والنشيدُ
والظلامُ الظلامُ يُطفئُ عيني فماذا أحسُّ؟ ماذا أريدُ؟

أيهـا الليلُ ليلَ روحيَ أمـا مِن   ملجـأ من برودة الظلماء؟
ظمأ صارخٌ بأعماقِ نفسي   لشُعاعٍ مُسلسلٍ من ضياءَ
آه لو لم يَحُلْ رجائي الإلهيُّ   سَراباً ضَحلاً وبعضَ عزاءِ
آه لو كانتِ السعادةُ شيئاً   غيرَ هذي الفُقاعةِ السوداءِ

لقّبوها الحياةُ وهي اضطرابٌ   أبديٌّ ولهفةٌ لاتَقَرُّ
وامتدادٌ للّانهايةِ لا يبـ   ـدأ لا ينتهي فأين المفرُّ؟
لقّبوني «أنا» ولم يفْهموني   ما أنا ما وجوديَ المكفهِرُّ
أنا ماذا؟ تحرُّقٌ ليس يرتا   حُ وظلٌّ سُرعانَ ما سيمرُّ...

في صفاء المرآة حدّقْتُ في طيـ   ـفي طويلاً والشكُّ في مقلتيّا
كائنٌ شاحبٌ يحدّقُ في وجـ   ـهيَ مثلي محيَّراً مطويّا
هذه هذه أنا ليس من شكٍّ   فلم لا أمَسُّها بيديّا؟
لمَ لا أستطيعُ أن ألمُسَ الذا   تَ؟ وأمحو تحرُّقي الأبديّا؟

ثم ماذا! أمُدُّ كفّيَ في شو   قٍ عميقٍ فلا أعانقُ ذاتي
صدمةٌ صدمةٌ تمزّقُ روحي   ليس إلّا بُرودةُ المرآةِ
الزجاجُ الجبّارُ شفَّ ولكن   عن مثالٍ مشوّهٍ للحياةِ
عن كيانٍ رسمتُهُ أنا وحدي   فإذا غبتُ غابَ في الظلُماتِ

الكيانُ الممسوخُ ها أنا أمحو ه كَفاهُ هُزْءاً بنار أسايا

ضربةٌ من يدي تحطّمت المر آةُ فوق الثَرى وعادت شظايا

ليتَني كنتُ صنتُها عادَ وجهي ألفَ وجهٍ تُطلُّ منها الضَحايا

ليتني كنتُ صنتُها ليتني أعلمُ كيفَ المرآةُ عادتْ مَرايا

١٩٤٧

قبر ينفجر

ناديتُ أكداسَ الرمالِ: تفجَّري ... لن تَدْفني جَسدي النقيَّ الثائرا

وهتفتُ يا روحَ المماتِ: تمزَّقي ... لن تحبِسي قلبي الجريءَ الساخرا

وصرختُ بالأرضِ الدنيئة: ارفعي ... من قلبِ هذا الطين روحي الشاعرا

هذا فـؤادي نابضاً، هذا دمي ... متفجّراً تحتَ الترابِ مشاعرا

بالأمسِ في هذا الظلامِ دفنتني ... تحتَ الثرى ولففتِني بصخُورِه

لم تَسمعي دقّاتِ قلبي في الدُجى ... وأشحتِ عن إحساسه وشعُورِه

لم تَفهمي روحي وخلتِ سكونَهُ ... موتاً ولم يبلُغكِ رَجْعُ هديرِه

ووهمتِ أيتُها الحياةُ فلم تَرَي ... في أدمعي غيرَ الردَى وفتورِه

ما نَفعُ أكداسِ التراب جميعها؟ ... الآنَ ينفجر التُرابُ الغاصبُ

الجُثة الظَمأى التي أودعتها ... بالأمسِ والوجهُ الكئيبُ الشاحبُ

الآنَ يَنفجرانِ ناراً حيَّةً ... ويسابقُ الإعصارَ روحي الصاخبُ

والآن ينبثقانِ من قلبِ الثرى ... ويعودُ لي الأملُ الجميلُ الذاهبُ

ما خلته صَخْراً إليك وجيبهُ ... ما خلته صَمْتاً إليك نشيدهُ
القبرُ ضَجَّ وضاق تحتَ عواطفي ... والطينُ حولي لن أُطيقَ رُكودَهُ
هذا الرَمادُ حذارِ من أعماقه ... فوراءهُ جمرٌ نسيتِ رعودَهُ
يا من حَسِبْتِ النارَ طيناً خامداً ... ونسيتِ إعصارَ الصبا وخُلودَهُ

هذي العيونُ حذار منها، إنها ... خلفَ الجفون عميقةٌ أغوارُها
هذي العروقُ حَذار من فَوَرانها ... فغداً سيصرُخُ في المدى إعصارُها
هذي الشفاهُ حذارِ من سَكَناتها ... فغداً ستجتاحُ المدى أشعارُها
هذا الفؤادُ حَذارِ من غَفَواته ... فوراءَ رقدته الحياةُ ونارُها

ناديتُ أكداسَ الرمال: تفجَّري ... وهتفتُ يا روحَ المماتِ، تمزَّقي
وصرختُ بالأرض الدنيئة ارفعي ... أسْرَ التراب عن الشباب المرهَقِ
فإذا الحياةُ مُشيحةٌ عن صرختي ... لم يأتِها نَغَمُ اللهيبِ المُحرِقِ
وأنا على صَدْرِ التُرابِ تمرّدٌ ... خُمْرٌ ونارُ توثّبٍ وتحرّقِ

لم يبقَ إلا أن يحطِّمَ ساعدي ... هذي القيودَ وها أنا، هذي يدي!
سأفجّرُ القبرَ الصغيرَ حجارةً ... وأطيرُ من أمسي القريبِ إلى غدي
وسأصرعُ الموتَ الضعيفَ وأنثني ... بمخاوفي وسعادتي وتنهّدي
وسأنثرُ الألحانَ في صمتِ الدجى ... يا أنجمَ الليلِ المضيئةَ فاشهدي

ناديتُ أكداسَ الرمالِ تفجَّري فتفجَّرتْ تحتَ السماءِ المُظلِمِ

وجمعتُ أحلامي ومزَّقتُ الثرى بصفائها ووقفتُ تحتَ الأنجمِ

وفتحتُ صدري للضياءِ وسحره وصرختُ بالكونِ الجميلِ الملهمِ

أنا حيَّةٌ يا أرضُ، هذي نغمتي هذا نشيدُ فؤاديَ المتكلِّمِ

١٩٤٧

ذكريات

كانَ ليلٌ، كانتِ الأنجمُ لغزاً لا يُحَلُّ
كان في روحيَ شيءٌ صاغَهُ الصمتُ المُمِلُّ
كان في حسّيَ تخديرٌ ووعيٌ مضمحلُّ
كان في الليلِ جُمودٌ لا يُطاقُ
كانتِ الظُّلمةُ أسراراً تُراقُ
كنتُ وحدي لم يكن يتبَعُ خَطوي غيرُ ظلي
أنا وحدي، أنا والليلُ الشتائيُّ... وظلي

لم أكنْ أحلُمُ لكن كانَ في عينيَّ شيءُ
لم أكنْ أبسمُ لكن كان في روحيَ ضوءُ
لم أكنْ أبكي ولكنْ كان في نفسي نَوْءُ
مرَّ بي تذكارُ شيءٍ لا يُحَدُّ
بعضُ شيءٍ ما لَهُ قبلُ وبَعْدُ
ربّما كانَ خيالاً صاغَهُ فكريْ وليلي
وتلفتُّ ولكنْ لم أقابلْ غيرَ ظلي

كان صمتٌ راكدٌ حولي كصمت الأبديّه
ماتت الأطيارُ أو نامتْ بأعشاشٍ خفيّه
لم يكنْ ينطقُ حتى الرَغباتُ الآدميّه
غيرَ صوتٍ رنَّ في سمعي وذابا
لحظةً لم أدرِ حتى أينَ غابا
آه لو أدركتُ من ألقاهُ في الصمتِ المُملِّ
أتراني لم أكنْ أمشي أنا وحدي وظلي؟

كانت الظُلْمةُ تمتدُّ إلى الأفقِ الغريبِ
كلُّ شيء مغرقٌ فيها كلقبي، كشحوبي
ظلمةٌ ممتدةٌ كالوهمِ كالموتِ الرهيبِ
غيرَ ضوءٍ خاطفٍ مرَّ بجفني
لحظةً لم تدرِ ماذا كانَ، عيني
كانَ ضوءاً لونُهُ لونُ خيالٍ مضمحلّ
مرَّ بي لمحاً وأبقاني أنا وحدي وظلّي

كان في الجوِّ الشتائيّ ارتعاشٌ وجُمودُ
جَمَدَ الظلُّ من البَرْدِ وغشّاهُ الركودُ
ليلةٌ يرجفُ في أجوائها حتى الجليدُ
غيرَ دفءٍ طافَ في قلبي الوجيعِ

فزتُ فيه من شتائي بربيعٍ
وإذا في عُمْقِ قلبي فرحةُ الفَجْرِ المطلِّ
غيرَ أني كنتُ في الليلِ أنا وحدي وظلي

كانَ في روحي فَراغٌ جائعٌ كاللانهايه
كانَ ظلي صامتاً لا لحنَ لا رجْع حكايه
باهتاً يتبَعُ مَسْرَى خُطُواتي دونَ غايه
غيرَ كأسٍ عَبَرَت حين صرخْتُ
قطرةٌ واحدةٌ ثم ارتويتُ
أتراهُ كانَ أكذوبةَ إحساسي المُضلِّ
أوَما كنتُ أنا وحدي مع الليلِ وظلِّي؟

كان قلبي مُتعَباً يسكنُهُ حُزْنٌ فظيعُ
رقصتْ فيه وشدَّتْه إلى الجُرحِ دُموعُ
صورٌ في قَعْرِه يصبُغُ مرآها التجيعُ
كانَ، لكنَّ يداً مرَّتْ عليه
حملتْ بعضَ تحاياها إليه
باركتْ آلامهُ السوداءَ كانت يدَ طفلِ
أيُّ طفلٍ؟ لم يكنْ في الليل غيري غير ظلي

١٩٤٨

تهم

أعبّرُ عمّا تُحسُّ حياتي وارسمُ إحساسَ روحي الغريبْ

فأبكي إذا صدمتْني السنين | بخَنْجرها الأبديّ الرهيبْ

وأضحكُ مما قضاهُ الزمان | على الهيكلِ الآدميّ العجيبْ

وأغضبُ حين يُدَاسُ الشعور ويُسْخَرُ من فَوَرانِ اللهيبْ

أعبِّرُ عن كلِّ حسٍّ أعيهْ
وأبكي الحياةَ ولا أُنكرُ
وأضحكُ من كلِّ ما نحتويهْ
وأغضبُ لكنَّني أشعُرُ

يقولونَ شاعرةٌ في السَحاب | تحلِّقُ خلف سَراب النجومْ

أنانيّةٌ لا تُحسُّ الوجود | وإن صرعتْهُ جبالُ الغمومْ

خياليّةٌ تمقُتُ الكائنات | وتخلُقُ عالَمها في الغيومْ

خريفيّةٌ تكرهُ الضاحكين | لتدفنَ جبهتَها في الهُمومْ

أنانيّةٌ وأحبُّ البَشَرْ
خياليّةٌ وحياتي تسيرْ
خريفيّةٌ وأناجي الزَهَرْ
وعاطفتي لهبٌ من شُعورْ

يقولونَ: عاشقةٌ للظلامْ تُحبُّ الدياجي وتَهْوَى السُّكونْ

وتنشدُ أشعارَها للجبال وتَرسمُ أحلاَمها للعيونْ

تحبُّ الحياةَ ولكنَّها نعكّرُها بخيال المُنونْ

ترَى جوَّها غيهباً حالكاً يضيقُ بآثامهِ المُلْهَمونْ

أحبُّ الظلامَ ولكنني

أثورُ على كلِّ أحلامكم

أحبُّ الحياةَ على أنني

أحقّرُ موكبَ أيامكم

يقولونَ: جامدةُ الحِسِّ تَحيَا مع الأمس في حُلُمٍ جامد

يقولون: صوفيَّةٌ فالحياةُ تنوحُ على حِسِّها الخامد

عواطفُها جَمَدَتْ كالنجوم كتهويمةِ القَمَرِ البارد

وتحليقُها كانَ ثم أمَّحى على صَدرِ إحساسها الراكد

يقولونَ لكنَّني تائهه

ألوذُ بصَمتي الخفيِّ الغريبْ

أعيشُ حياتيَ كالآلهه

وقلبي شعورٌ وروحي لهيبْ

يقولون دَعهم غداً يعلمون ودعني أنا للشَّذى والجمالْ

أحبُّ الحياةَ بقلبي العميق وأمزُجُ واقعَها بالخيالْ

أحبُّ الطبيعةَ حبَّ جنون أحبُّ النخيلَ أحبُّ الجبالْ

وأعشَقَ ذاتي ففي عمقها خيالٌ وجمودِ عميقِ الظلالْ

وأهتُفُ يا نارَ قلبي الغريبْ

وموجَ أحاسيسي الثائره

إذا اتهموا فلماذا أُجيبْ

بغيرِ ابتسامتيَ الساخرَه؟

١٩٤٧

رماد

أهكذا داستْ علينا الحياه   لم تُبْقِ منا صَدَى
لم تُبْقِ إلا النَّدَمَ الأسودا   وصوْتَ وا خيبتاهْ

أهكذا لم يَبْقَ إلا الرَّمَاد   في الموْقدِ الذابلِ؟
أليسَ من كوكبنا الآفلِ   إيماضةٌ تُستعادْ؟

أليس عنَّا نبأ أو نشيدْ   أو هَمْسَةٌ واحده؟
ألم تَعُدْ قصَّتُنا البائده   توقظُ عِرقاً جديدْ؟

ألم يَعُدْ قطٌّ لنا من مكانْ   في القصَّة الجاريه؟
أليسَ في كاساتنا الخاليه   شيءٌ يهمُّ الزمانْ؟

وذلك الموكبُ والسائرونْ   فوقَ ثَرَى المُنحدرْ
لم يُدركوا أنَّ هوانا اندثر   في عُمْقِ قبرِ السكونْ

ووقع أقدام الهَوَى الراحله   إلى مكانٍ بعيد
تنقُلُها الريحُ فلا تستعيدْ   ألحانَها القافله

ونحن ما زلنا نجُرُّ الحنينْ   والأمسَ والذكرياتْ
أقيادُنا مثقَلَةٌ بالحياة   ونحنُ في الميِّتينْ

ونحن ما زلنا نسوق الرَّمادْ   لنُطعِمَ الموقِدا
وأذرعُ الأحلام ترجو سُدَى   خَلْقَ غَدٍ من جمادْ

وبعثَ ماضٍ لونُ أركانه   مِن مِزَقِ الأحلامْ
أمسَى رهيباً تُنكرُ الأيامْ   عاريَ جُدرانِه

أمسَى بعيداً تحجُبُ الوديانْ   أسوارَهُ القائمه
تعيشُ فيه الهدأةُ الساهمه   ويحكُمُ النسيانْ

والريحُ لم تُبْقِ على بابِه   حُروفَ أسمائنا
لم تُبْقِ حتى وقْعَ أقدامِنا   في جَوِّ محرابِه

وربَّما طافتْ به في ذُهُولْ   أشباحُنا الباكيه
تطوفُ حولَ الغُرَفِ الخاليه   سُدىً تُريدُ الدُخُولْ

أشباحُنا يُضلُّها الإعصارْ   تحتَ غلافِ الضبابْ
تَظَلُّ ولهى تلطُمُ الأبوابْ   والحائطَ المُنهارْ

أشبـاحُنا حـافـرةٌ فى ارتعـاد مـبعـثـرةَ الذكـريات

لا صـورةٌ تنبُض فـيهـا حيـاة لا شىءَ غـيـر الرَّمَـادْ

تُنصِتُ في رُعْبٍ وفى إعـيـاءْ عند السـيـاجِ الحـزينْ

فـلا تعى إلا بقـايـا أنينْ تُرسِلهُ الأقـبـاء

أشباحُنا تستفهمُ النسيانْ عن أمـسِهـا الضـائعْ

فـلا تَرى إلا الردَى الجـائعْ يقـوِّضُ البُنيـان

وأذرعُ السَرْو تَمُـدُّ الذُهُولْ فـوقَ شُحـوبِ الخـرابْ

كـأنهـا تَقْـذِفُ فوقَ القِبـاب مَـعنى الرَدَى والذُبـولْ

ولـفظةٌ واحـدةٌ واحـده تكـرَّرتْ فـى المَـكـانْ

سـمـعتُـهـا تفحُّ كالأفـعوان فـى الشُـرف البـارده

أبصـرتُـهـا مكتـوبةً باللهيبْ فـى الغُـرَفِ البـاليـه

وفـوقَ سـاقِ السرْوَة العـاريه وفـى الفِنـاءِ الجـديبْ

أحسستُـها تَهمس معنىً «مَضَى» مـلءَ المسـاء الكئيبْ

أبصـرتُهـا فى كلِّ ركنٍ رهيبْ أبصـرت لفظَ «انقضى»

وتلتقي أشباحُنا في المَساءْ   باردةً واجمهْ
تنظُرُ في تقطيبةٍ ساهمهْ   في سَوْرةٍ من غباءْ

أشباحُنا تطلُبُ ماضينا   لا تُدرِكُ الأسرارْ
كيف انقضى؟ ألم يعدْ في الدارِ   صوْتٌ ينادينا؟

أهكذا داستْ علينا الحياه   لم تُبقِ منا صَدَى؟
لم تُبقِ إلا النَدَمَ   وصوْتَ واخيبتاه؟

١٩٤٨

الخيط المشدود في شجرة السرو

-١-

في سَوادِ الشارعِ المُظلم والصمتِ الأصمِّ
حيثُ لا لونَ سوى لونِ الدياجي المدلهمِّ
حيثُ يُرخي شجرُ الدُفلَى أساهُ
فوقَ وجه الأرضِ ظِلاّ،
قصةٌ حدّثني صوتٌ بها ثم اضمحلا
وتلاشتْ في الدّياجي شَفَتاهُ

-٢-

قصةُ الحبِّ الذي يحسبه قلبكَ ماتا
وهو ما زالَ انفجاراً وحياةَ
وغداً يَعصرُكَ الشوقُ إليَّ
وتناديني فتَعيى،
تَضغَطُ الذكرى على صدركَ عبئا
من جنونٍ، ثم لا تَلمُسُ شيئا
أيُّ شيءٍ حُلمٌ لفظٌ رقيقُ
أيُّ شيءٍ، ويناديكَ الطريقُ
فتُفيقْ.

ويراكَ الليلُ في الدَرْب وحيدا
تسألُ الأمسَ البعيدا
أن يعودا
ويراكَ الشارعُ الحالمُ والدُفْلى، تسيرُ
لونُ عينيك انفعالٌ وحبورُ
وعلى وجهك حبٌّ وشعورُ
كلّ ما في عمقِ أعماقِكَ مرسومٌ هناكْ
وأنا نفسي أراكْ
من مكاني الداكن الساجي البعيدْ
وأرى الحُلْمَ السعيدْ
خلفَ عينيكَ يُناديني كبيرا
.... وترى البيتَ أخيرا
بيتنا، حيثُ التقينا
عندما كان هَوانا ذلك الطفلَ الغريرا
لونُهُ في شفتَينا
وارتعاشاتُ صباهُ في يَدَيْنا

-٣-

وترى البيتَ فتبقى لحظةً دونَ حراكْ:
«ها هو البيتُ كما كان، هناك

لم يزلْ تحجبهُ الدُفلَى ويحنو
فوقَهُ النارنجُ والسروُ الأغنُّ
وهنا مجلسنا...

ماذا أُحسُّ؟

حَيرةٌ في عُمق أعماقي، وهمسُ
ونذيرٌ يتحدَّى حُلمَ قلبي
ربما كانت... ولكن فيمَ رُعبي؟
هي ما زالتْ على عَهد هوَانا
هي ما زالت حَنانا
وستلقاني تحاياها كما كنا قديما
وستلقاني....!.

وتمشي مطمئناً هادئا

في الممرِّ المظلم الساكن، تمشي هازئا
بهتافِ الهاجسِ المنذر بالوَهم الكذوب:
«ها أنا عدتُ وقد فارقتُ أكداسَ ذنوبي
ها أنا ألمحُ عينيكِ تُطلُّ
ربما كنتِ وراءَ الباب، أو يُخفيكِ ظلُّ
ها أنا عُدتُ، وهذا السلَّمُ
هو ذا البابُ العميقُ اللونِ، مالي أحجمُ؟
لحظةً ثم أراها

لحظةً ثم أعي وَقْعَ خُطاها
ليكن.. فلأطرقِ البابَ...»

وتمضي لَحظاتْ

ويَصرُّ البابُ في صوتِ كئيبِ النَّبَراتْ
وتَرى في ظُلْمةِ الدهليزِ وجهاً شاحبا
جامداً يعكسُ ظلاً غاربا:
«هلْ...؟» ويخبو صوتُكَ المبحوحُ في نَبرٍ حزينْ
لا تقولي إنها...»

«يا لَلجنونْ!
أيها الحالمُ، عَمَّن تسألُ؟
إنها ماتتْ»

وتمضي لحظتانْ

أنت ما زلتَ كأنْ لم تسمعِ الصوتَ المُثيرْ
جامداً، تَرْمُقُ أطرافَ المكانْ
شارداً، طرفُكَ مشدودٌ إلى خيطٍ صغيرْ
شُدَّ في السرْوة لا تدري متى؟
ولماذا؟ فهو ما كانَ هناكْ
منذُ شهرين، وكادتْ شفتاكْ
تسألُ الأختَ عن الخيطِ الصغيرْ
ولماذا علَّقوهُ؟ ومتى؟

ويرنُّ الصوتُ في سمعكَ: «ماتتْ..»

«إنها ماتتْ..» وترنو في برودِ

فترَى الخيطَ حبالاً من جليدِ

عقدتها أذرعٌ غابت ووارتها المَنُونْ

منذ آلاف القُرونْ

وترى الوجهَ الحزينْ

ضخَّمتْهُ سحُبُ الرُّعب على عينيكَ، «ماتتْ..»

-٤-

هي «ماتتْ..» لفظةٌ من دونِ معنى

وصَدى مطرقة جوفاءَ يعلو ثم يفنى

ليسَ يعنيكَ تَوَاليه الرتيبُ

كل ما تُبصرهُ الآن هو الخيطُ العجيبُ

أتراها هي شَدَّتهُ؟ ويعلو

ذلك الصوتُ المُملُّ

صوتُ «ماتت» داوياً، لا يضمحلُّ

يملأُ الليلَ صُراخاً ودويا

«إنها ماتت» صَدىً يهمسهُ الصوتُ مليا

وهُتافٌ رددته الظلماتُ

ورَوَتهُ شجراتُ السرو في صَوتٍ عميقِ

«إنها ماتت» وهذا ما تقولُ العاصفاتُ

«إنها ماتت» صَدىً يصرخُ في النجم السحيقِ

وتكادُ الآن أن تسمعهُ خلفَ العروقِ

-٥-

صوتُ ماتتْ رنَّ في كلِّ مكانِ

هذه المطرقةُ الجوفاءُ في سَمعِ الزمانِ

صوتُ «ماتت» خانقٌ كالأفعوانِ

كلُّ حرفٍ عصبٌ يلهثُ في صدركَ رُعبا

ورؤى مشنقة حمراءَ لا تملكُ قلبا

وتجنٍّ مخلبٌ مُختلجٍ ينهشُ نهشا

وصدَى صوتٍ جحيميٌّ أجَشا

هذه المطرقةُ الجوفاءُ: «ماتت»

هي ماتت، وخلا العالمُ منها

وسدىً ما تسألُ الظلمةَ عنها

وسدىً تُصغي إلى وقعِ خُطاها

وسُدَىً تبحثُ عنها في القمر

وسدىً تحلُمُ يوماً أن تراها

في مكانٍ غير أقباءِ الذكَرْ

إنها غابتْ وراءَ الأنجُم

واستحالتْ ومضةً من حُلمِ

-٦-

ثم ها أنتَ هُنا، دونَ حَراكْ
مُتعَباً، توشكُ أن تنهارَ في أرضِ الممرّ
طرفُكَ الحائرُ مشدودٌ هناكْ
عند خيطٍ شُدَّ في السروةِ، يطوِي ألفَ سرّ
ذلكَ الخيطُ الغريبْ
ذلك اللُغزُ المُريبْ
إنه كلُّ بقايا حبِّكَ الذاوي الكئيبْ.

-٧-

ويراكَ الليلُ تَمشي عائدا
في يديكَ الخيطُ، والرعشةُ، والعرقِ المُدَوِّي.
«إنها ماتتْ..» وتَمضي شاردا
عابثاً بالخيطِ تطويه وتَلوي
حولَ إبهامكَ أُخْراهُ، فلا شيءَ سواهُ،
كلُّ ما أبقى لكَ الحبُّ العميقُ
هو هذا الخيطُ واللفظُ الصفيقُ
لفظُ «ماتتْ» وانطوى كلُّ هُتافٍ ما عداهُ

١٩٤٨

للقارئ

وردت في سياق القصائد بضع كلمات أوربية، قد يهم القارئ أن يقرأ لكل منها شرحاً موجزاً:

يوتوبيا Utopia

كلمة إغريقية معناها «لا مكان» استعملتها للدلالة على مدينة شعرية خيالية لا وجود لها إلا في أحلامي، ولا علاقة لهذه المدينة بيوتوبيا التي تخيلها الكاتب الانكليزي توماس مورفي في كتاب ألفه باللغة اللاتينية سنة ١٥١٦ ورسم فيه صورة سياسية ادارية للجزيرة المثلى كما يريدها هو، قياساً على جمهورية أفلاطون.

ديانا Diana

عند اليونان القدماء، إلهة القمر، وحامية الصيد، كانوا يتخيلون أنها تسوق عُربة القمر البيضاء كل مساء عبر السماء.

نارسيس Narcisse

زهرة النرجس في الأساطير اليونانية القديمة، إن نارسيس كان شابا فاتنا شديد الغرور بجماله، فعاقبته الآلهة على كبريائه بأن جعلته يعشق صورته، بعد أن رآها متعكسة في ماء بحيرة صافية ذات يوم، ثم رقت له فحولته إلى الزهرة التي مازالت تحمل اسمه.

ابولو Apollo

إله الوحي والفن، وقائد عربة الشمس في الفضاء عند قدماء الإغريق، وهو شقيق ديانا التي مر ذكرها.

لابرنث Labyrinth

كلمة إغريقية الأصل، معناها بناء ذو مسالك معقدة وأبواب لا حصر لها، متصلة بعدد كبير من الممرات والدهاليز والأقباء، بحيث إذا دخله إنسان لم يملك الخروج منه.

وقد استعملت هذه اللفظة في قصيدة «الأفعوان» اسما لطريق شيده «أمير غريب الطباع، ثم مات الأمير. وأبقى الطريق..» وربما كان باعث كلمة أمير في ذهني، اقتران كلمة- لابرنثوس- بشبه حكاية أسطورية تتعلق بتاريخ مصر القديم، فقد حكى عن هيرودوتس أنه حين مرّ بمصر رأى بناء غريباً هائل الضخامة أشبه بلغز كبير محيّر، من دخله لم يجد مخرجاً منه، شيده أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ومن يدرى؟ لعل الملك الذى شيد هذا البناء أراد أن يتخذ منه مخبأ لا يدركه فيه «أفعوانه» الخاص.

هياواثا Hiawatha

بطل أسطورة من أساطير هنود الشمال في أمريكا أختارها الشاعر الأمريكي لونكفلو موضوعاً لملحمة شعرية كتبها سنة ١٨٥٥، والجزء الذى تهمنا الإشارة إليه من هذه الملحمة، أن زوجة هياواثا الشابة قد ماتت على أثر شتاء قاس انشب ثلوجه وأعاصيره في القرية، منزلا بسكانها الجوع والحمى والموت؛ ولذلك استعملت كلمة «هياواثا» في قصيدة «النكن اصدقاء» رمزاً لصرخات الاستغاثة والشكوى في أرض يموت سكانها مدفونين في الثلج جائعين محمومين.

فهرست

مأساة الحياة

عاشقة الليل

شظايا ورماد

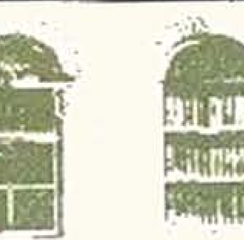
الناشيء

فى عام ١٩٤٧ صدرت لى أول مجموعة شعرية. وقد سمّيتها «عاشقة الليل» لأن الليل كان يرمز عندى إلى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء. وكنت فى الليل أعزف على عودى فى الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغنى ساعات كل مساء. وقد كان الغناء سعادتى الكبرى منذ طفولتى، وكنت أحبس أنفاسى إذا ما سمعت صوت عبد الوهاب، أو أم كلثوم يحمله إلىّ جهاز حاك (غرامافون) يدور فى بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ لأى أغنية أسمعها، وكانت أمى لا تفتأ تندهش دهشة كبيرة عندما تسمعنى أغنى، وما زلت أذكر صوتها فى صغرى وهى تتلفت، وتقول: يا إلهى ! من أين حفظت ابنتى كل هذه الأغانى؟ ومتى سمعتها؟ وكيف؟ ولم تدر أننى كنت حين أسمع حاكيًا يدور بأغنية أقف مسمَّرة فى مكانى حتى لو كنت فى الشارع.

وفى تلك الأيام البعيدة لم يكن المذياع قد دخل الحياة فى العراق طبعًا، فكان الاستماع إلى الأغانى لا يتم إلا عن طريق الإسطوانات، ولم تبدأ إذاعة بغداد البث إلا فى سنة ١٩٣٥، كما أتذكر، يوم أن بلغت الثانية عشرة من العمر.

نازك الملائكة

نازك الملائكة

المجلس الأعلى للثقافة

الأعمال الشعرية الكاملة . الجزء الثانى

- قرارة الموجة
- شجرة القمر
- للصلاة والثورة
- يغير ألوانه البحر
- الوردة الحمراء

الناشيء

نازك الملائكة

الأعمال الشعرية الكاملة

(الجزء الثاني)

- قرارة الموجة
- شجرة القمر
- للصلاة والثورة
- يغير ألوانه البحر
- الوردة الحمراء



٢٠٠٢

قَرَارَةُ المَوْجَة

الطبعة الأولى ١٩٥٧

الناشيء

إلى أمي . .

أول شاعرية خصبة تتلمذتُ عليها

«نازك»

الناشيء

تقدمة للطبعة الثالثة

- ١ -

كنت قد كتبت هـذا الحوار التحليليّ عام ١٩٥٧ لأجعله مقـدّمة للطبعة الأولى من (قرارة الموجة)، وقـد حاولت فيه أن أشـخص تطوري النفسي بين الفترة التي نظمت فيها هذا الشـعر (١٩٤٧-١٩٥٣) والفترة التي كنت أمرّ بها عام ١٩٥٧ حينما كنت أنظم قصائد ديواني الرابع (شجرة القمر)، ومن عادتي ألاّ أنشـر إنتاجي الشـعري إلا بعـد مرور الزمن عـليه، ليكون حكمي عليـه أصوب، وذلك سرّ الفروق الزمنية التي تقوم بين شخصيتي الفكرية في (قرارة الموجة) وشـخصيـتي الجديدة عام ١٩٥٧، ولذلك سـميت بطلة قـرارة الموجة بـ(الأولى) وبطلة عام ١٩٥٧ بـ(الثانية) فشخصت بذلك الفروق بين ذهنيهما، وقد عـدلت يومها عن نشـر هذه المقدمـة لأترك للقراء فرصـة يدرسون فيـها القصائد بمعزل عن تحليلاتي، اما الآن وأنا أقدّم للطبـعة الثالثة، فلا أرى مانعًا من نشر الحوار لما يلقيه من أضواء كاشفـة على هذا الشعر قد تـساعد الناقد في فهم وجهة نظري الفلـسفية وتطوري الذهني بين الفترتين.

"ن.م."

البصرة

في ١٩٦٧/١٢/٢٣

-٢-

الثانية: إنهم يسألونني عنك، أيتها الصديقة القديمة، ويريدون أن يعرفوا لماذا سمّيته «قرارة الموجة».

الأولى: (في لهفة) أو ليس في وسعك أن تردي عليهم؟

الثانية: (دون مبالاة): بلى، لست أنكر أن عندي معلومات كثيرة عن هذه القصائد، وفي وسعي أن أتحدث طويلاً عن كل واحدة منها، ولكني- والحقّ يقال لا أحسّ برابطة تربطني بها أو بك، هذه القصائد قد نظمت منذ سنين ولم تعد تعنيني، أتريدين أن أقف منها موقف الناقد؟

الأولى: أنت؟ بعقايك التي لا أقرها؟

الثانية: ماذا في وسعي إذن؟ لقد سألتك أن تتحدثي أنتِ إليهم عن نفسك فأبيتِ.

الأولى: إنك ترفضين أن أقول ما أريد، وتصرين على أن أقول ما تريدين أنت، مع أني أنا التي نظمتُ هذا الشعر لا أنت.

الثانية: فلنفرض أنني أذنت لك بالكلام.

الأولى: (ساخرة) كرمٌ عظيم منك، إني أحبّ أن أحدثهم عن «الموجة»، عن النقطة العليا التي أسمّيها القمة، والنقطة السفلى أو «القرارة»، القمة التي تصلها الموجة وماؤها مندفع إلى أعلى، والقرارة التي تصل إليها حين تستجمّ حركة الاندفاع المتوتر.

الثانيـة: يا أختي! أما كان الأفضل أن تنشرى لهم الشعر الذى نظمته وأنت فى قمة الموجة؟ أنت تدرين أنهم يتهمونك بالتشاؤم.

الأولى: (فى ازدراء) القمـة؟ لا شىء على القمـة إطلاقا، إنى أكتب قـصائد باردة حين أبلغـها، وما القمـة بعد؟ إنها بداية الانحدار، أمـا القرارة فليست إلا الاستجمام الذى ينطـوى على بذرة التحفز إلى الانبثاق الحار والصعود إلى القمة التالية.

الثانيـة: سـيقولون حين يسمعـونك: ما قيمة الصـعود إن كانت القمة نفسُها باردة؟

الأولى: مهما يكن فإن عنوانى «قرارة الموجة» متفائل.

الثانيـة: هكذا كنتِ تقولين عن (شظايا ورماد) إن لم أخطئْ.

الأولى: كلا، إن الشظايا قمة عالية حقاً، ولكنّ الرماد هو النهاية التى لا حياة بعدها، أما الموجة فهى لا تركد أبداً، والنـقطة السفلى فيها ليست إلا القفزة الجديدة نحو القمـة، وهكذا ترين أن (قرارة الموجة) يرى الحياة على صورة تعاقب قمم وانحدارات لا نهاية لها، وإذا كان هذا الشعر قد نظم فى منحدر الموجة فإنها محض صدفة لا أكثر.

الثانيـة: آمنًا، ولكنى أحبّ أن أعترض على شىء إن سمحتِ.

الأولى: (فى ضيق) كما تشائين.

الثانية: إنى أحب أن أغير عنوان الديوان من (قرارة الموجة) إلى (طريق العودة) فما رأيك؟

الأولى: فكرة ذات إمكانيات، أتـعلمين أن هذا قد خطر لى أنا نفسى مراراً؟

إن قصيدة (طريق العودة) كبيرة الدلالة وأنا أعدّها مفتاح الفلسفة التى قامت عليها حياتى.

الثانية: اتفقنا إذن، فلنسمّه (طريق العودة).

الأولى: كلا، ليس فى وسعى أن أوافق، إنّ القـرّاء سيظنون العنوان غواية لا أكثر، سيحسبون أنـنى لم أجد عنواناً يلخص عقدة الديوان ويدلّ عليها فلجأت إلى تسميتـه باسم إحدى القصائد، الواحدة الأثيرة إلى قلبى.

الثانية: وماذا لو ظنّوا هذا؟ إن ديوان شعرٍ ما ليس عملاً موحداً بحيث يجب أن يلخصه العنوان.

الأولى: هذا ما لا أوافق عليه، إن العنوان ليس إلا مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر، ولابدّ لكل فترة فى حياة الشاعر الحق من إتجاه مميز، إنه شىء قائم، وهو يحتم العنوان.

الثانية. رأى متعنّت، أنتِ جدية أكثر مما ينبغى، وبعد فإن عنوانك العتيد (قرارة الموجة) لايمثل القصائد كلها، إنّ فى هذه المجموعة قصائد لاتقع تحت هذه الفلسفة.

الأولى: هذا حقّ، وأنتِ المسئولة، لقد حذفتِ نصف قصائد هذا الديوان، انكرى هذا.

الثانية: إنى لا أنكر، هذه القصائد لم تعد تروقنى وقد حذفتها.

الأولى: ولكنها مقاييسُك أنت، أنت التى لم تنظم هذه القصائد، وليس من حقك أن تتحكمى فى شعرى أنا، أمامكِ ديوانك أنتِ فاحذفى منه ما تشائين.

الثانيـة ألا يبدو أن فتاةً أخرى هي التـي ستتحكم في شـعري أنا؟ واحدة لا أعرفـها الآن، ستنبع من المسـتقبل وتواجـهني ولن يروقها شـعري، أغنيتي هذه الأخيرة التـي تنتفض فيها الوردة الحمراء وتتـفجر الدموع المختبئة فيها.   هذه الأغنية التي أراها أنا أجمل ما يمكن أن أنظم، يجوز أنها لن تسمح لي بنشرها كما أصنع أنا بقصائدك.

الأولى: (كأنها لاتصغي) حقاً ماذا أبقيتِ من (قرارة الموجة)؟

الثانيـــة: يكفي ما أبقـيت منه، إن القارئ سيـألف الغلـسفـة، ألا يكفي أنكِ ملأت بها (لعنة الزمن) و(الشخص الثاني) و(سخرية الرماد) و(يحكى أنَّ حفّارين) و(صلاة الأشباح)؟ بل ألا تكفيك قصيدة (طريق العودة) هذه القصيدة التي تولعين بها؟

الأولى: إنّها تلخصني.

الثانيـة: طبعاً تلخصُكِ، ولهذا أراني لا أنسجم معك، إني أحبّ طريق العودة ولا أستـسيغ كرهك له وثورتك عليه، اسمعي ما تقولين:

لماذا نعودْ

أليس هناك مكان وراء الوجودْ

نظلّ إليه نسير

ولا نستطيع الوصولْ

الأولى: (في لهـجة حالمة) حـقاً، لماذا نعـود؟ إن طريق الرواح مملوء بالحـياة والجمال دائماً، وما نكاد نقـرّر الرجوع حتى يركد كل شيء، وتلوح الأشيـاء جامـدة مملّة، طريق الرواح يعرض عـلينا الأشيـاء أول مرة

فتراها بلهفة تخفى ما فيها من معايب، بينما يقدمها لنا طريق العودة وقد فقدت جدتها.

الثانية: وا أسفاه، أنت إذن تؤمنين أنّ آمالنا هي دائماً أجمل من تحققها، أترى الكأس أعذب حين لاتملكها؟ أتصبح بلا طعم إذا نحن بلغناها وتناولناها؟

الأولى: (ما زالت تحلم) تماماً، أنتِ تلخصين فكرتي التي جاءت في قصيدة (وجوه ومرايا) في «شظايا ورماد» حيث قلت:

كيف حين استلمت كأسي أرسلـ ـت دموعي ولم يُفلني ارتواءُ

الثانية: وهذه عين صرختك في قصيدة (الزائر الذى لم يجئ) في هذا الديوان:

ولو كنتَ جئتَ..

أما كنتَ تصبح كالحاضرينَ وكان المساءُ

يمرّ ونحن نقلّب أعيننا حائرين

الأولى: صرختي طبعاً، وأنا أحبها، إن مجئ زائري المنتظر ليس إلا قمة الموجة، وتحققه ينذر بالمنحدر.

الثانية: إنك يا صديقتي لاتقوين على التحديق في الأشياء خوفاً من أن يكشف طريق العودة ما تخفيه النظرة العجلى، أليس هذا هو السرّ في قصيدتك (لنفترق) فلماذا أردتِ هذا الفراق والححتِ عليه؟ اسمعي أبياتك:

وما زال وجهكَ مثل الظلام، له ألف معنى

وقد يعتريه جمود الصنَمْ

إذا رفع الليل كفّيه عنّا

هكذا تحاولين أن تهربي من التحديق في الأشياء، وتؤثرين أن تستبقي على عينيكِ غشاوة تحجب عنكِ كل شيء، إنك تكرهين أن تبلغي القمة لئلا يلوح لكِ المنحدر، وتمقتين أن تصلي إلى نهاية الطريق لئلا تضطرى إلى الرجوع، وتحبين.. ماذا تحبّين أنتِ؟ إنك بكلمة واحدة لا تحبين الوصول إلى أيّ مكان.

الأولى: وما قيمة الوصول إلى مكان؟ انظرى إلى الوصول الذى حققته فى قصيدتى (وجوه ومرايا).

الثانية: (ساخرةً) أوه. قصيدتك تلك... حيث تحطمين المرآة؟ اتذكرين لماذا حطمت المرآة؟

الأولى طبعاً، لقد كان ذاك شيئاً لا أنساه، كان ينبغى أن أنظم قصيدة سعيدة، وقد توقعوا جميعاً أن أفعل.

الثانية: وقد خرجت عليهم بهذه (الفقاعة السوداء)، لماذا؟ لقد أدركتِ أنك وصلتِ، وبدلاً من أن تَسعدي بالقمة ذهبت إلى المرآة تبحثين فيها عما سميته «ذاتك التى لا تُلمس»، قولى لى حقاً لماذا حطمتِ المرآة؟ إنك لم تقولى هذا لأحدٍ قط؟

الأولى: لم أقلْه لأحد، ولن أقوله الآن.

الثانية: لا داعى لأن تقولى بعد، أولا أعرف كل شيء عنكِ؟ أنت لا تحبين الوصول والتحقق، وقد أخافك وجهُكِ فى المرآة لأنَ ظل القمة كان منعكساً عليه.

الأولى: وما ظل القمة في اعتباراتك؟

الثانيـة: السعادة يا فتاة.

الأولى: أنت لاتفهمينني على كل حال.

الثانيـة: مهما يكن، لقد ألقيتِ بالمرآة على الأرض وحطمتها لتهربي من القمة التي تخيفُكِ.. الوصول.

الأولى: وهنا كانت السخرية، لقد بات وجهي منعكساً على كل شظية من شظايا المرآة، لقد تعددتُ وتجزأتْ نفسي، إن هذا هو ما أكرهه.

الثانية: لأنكِ تكرهين الوصول وحسب، إنك لم تطيقي أن تصلي مرة، وعندما تحطمت المرآة تعدّد وصولُكِ فلم تطيقي الموقف.

الأولى: ماذا كان سيقع لي بعد ذلك؟ بعد الوصول؟ الانحدار إلى القرارة.

الثانيـة: وكيف تستطيعين الاستمتاع بالقمة إن لم تقرري النزول إلى القرارة؟ كيف تنعمين بطريق الرواح إن كنتِ لاتطيقين طريق العودة؟ قفي إذن حيث أنتِ يا صغيرتي واغمضي عينيكِ، أغمضيها بسرعة لئلا يشرق الضوء، أو يلوح لك القمر وهو يسخر منك كما تصفينه في (سخرية الرماد).

الأولى: أنتِ تحبين الجَدَل.

الثانيـة: ربما، ولكني أجادل ظلاً هذه المرة وبعد فمن أنتِ؟ طيف من الماضي، شيء كان ولم يعد له وجود.

الأولى: إني أقوى منك مع ذلك انظري كيف تتحدين لي وتدعينني أعيش على الورق، بينما تلوذين أنت بالصمت التام.

الثانية: أنت تَغلبين؟ سرعان ما ستتعبين من المقاومة وتهربين، إنك تنسين الأشياء بسرعة، ولا تحبين الثبات على أى شيء، إنك تبتدعين الأساليب لكى تغيرى أى طريق تسيرين فيه، إن الزمن يدحرك فى كل مناسبة.

الأولى: (تنتفض فى شبه خوف) الزمن؟

الثانية: انظرى كيف أفزعتك الكلمة؟

الأولى: إنى لا أخاف الزمن، إنى أسأمه وحسب، ولعلى أتعب من مصاحبة أفكارى.

الثانية: إن «قرارة الموجة» أفصح منك فى الحديث وأكثر صراحة، انظرى إلى قصيدة (لعنة الزمن) إنك ترمزين للزمن بالسمكة الميتة التى كانت طافية على سطح النهر ذات غروب، خلال نصف ساعة متأملة قضاها الصديقان اللذان تتناول القصيدة قصتهما.

الأولى: طبعاً يكون للزمن تأثيره، انظرى للظروف التى كانا فيها.

الثانية: ما لهما؟ لقد أعطيتهما فى أول القصيدة خير ظروف ممكنة، طبيعة ملاطفة، وغروب وديع يفرش ألوانه فى خدمة المحبين اللذين يحاولان إحياء ماضٍ قد انطوى، ويبذل كل منهما جهداً مخلصاً فى هذا الاتجاه، وقد نجح الغروب فعلاً وحقق المعجزة وسعد الصديقان ولكنك وأنت ما أنت تدخلت فوضعت السمكةالميتة فى الطريق.

الأولى: (تبتسم) أنا وضعتها، إنها كانت طافية على الماء ولم أضعها أنا هناك؟

الثانية: إنها مجرد سمكة ميتة، وكان فى وسعها أن تظل كذلك لو لم تصرى أنت على أن تكبر وتكبر.

الأولى: «في احتجاج» أنت تتكلمين وحسب، إن السمكة قد بدأت تكبر فجأة.

الثانية: لأنهما ألقيا بالهما إليها يا ساذجة.

الأولى: «في جهل مخلص» لقد قابلاها بالشفقة أولاً ثم أحسا بالضيق بسبب التعارض بين مشهد الموت وحرارة الحياة التي نجحا في تحقيقها أتريدين أن تقولي إنهما كانا يستطيعان أن يقاوما الشعور بالانزعاج من أن تطفو سمكة ميتة في تلك اللحظة؟

الثانية: إن الصديق قد رفض أن يلقي باله إلى السمكة ألا تذكرين احتجاجه القويّ على الفتاة في بعض مقاطع القصيدة؟

الاولى: إنه لم يكن خائفاً.

الثانية: طبعاً، هكذا بدا، ولكنه سرعان ما خاف بتأثير الفتاة التي نسيت كل شيء وعلق بصرها بالسمكة في رعب، اسمعي صرخاتها

- أي طـــريـــقْ

يحـــمـــينا مـن هذا المخلوق

لنعـد، فالدرب يـضيق يضيق

والظلمـة مـحكمـة الإغـلاق

لقد راحت تثير وساوسه ومخاوفه حتى نجحت في زعزعة ثقته، ومهدت السبيل لانتصار السمكة التي مضت في التضخم حتى فصلتْ بينهما وسدّت في وجهيهما الأرجاء، قولي لي، ألستِ أنت التي وضعت بينهما هذه «الجثة»؟

الأولى: لقد كانت الجثة موجودة، ولا شأن لى أنا بها، كيف كان يمكن الا آخاف؟

الثانيـة: إن السمكة فى قصيـدتك رمز للزمن أى الفراق بين الصـديقين أليس كذلك؟

الأولى: تماماً، إنــى أعتقـد أن فراق عشـرة أشهـر بين الأصدقاء يـجعل من المستحيل أن يعودوا أصدقاء.

الثانيـة: أغرب عقيدة، ولماذا إذا سمحتِ بالسؤال؟

الأولى: لأنهم لابدّ أن يكونـوا قد تغـيـروا خـلال ذلك ونمت فى أنفسـهم ترسبّات زمنية كثيرة تجعلهم غرباء الواحد عن الثانى.

الثانيـة: ما هذا الزمن لتخافيه إلى هذا الحدّ؟ إن التغير مهما كان عميقاً لايبعد الإنسان عن إنسانيته التى تبقى تجمعـه بالآخرين مهما كانت صفتهم، لكأنك تفترضين أن الناس أصلا منفصلون ولايجمعهم إلا الاتصال، أمـا أنا فأؤمن بأن قـيـام الصلات الودية بين أى إنسـانين فى الدنيـا محتمل فى كل لحظة بحيث يصعب تحاشيه.

الأولى: رأيك هو الغـريب، إنى أقضى أشـهراً طويلة أحـياناً قـبل أن أحس بشىء من الانسجام مع إنسان أراه كل يوم.

الثانـيـة: يسرنى يا أختـاه أنك محـض ظل الآن، وخير لك أن تـعودى إلى قوقعة التاريخ التى استدعيتك منها وأنا أهيئ (قرارة الموجة) للمطبعة.

الأولى: إنى لا أطيقكِ، أنتِ الشخص الثانى الذى أسخر منه فى قصيدتى.

الثانيـة: ها، قصيـدتك (الشخص الثانى)، كنت عـلى وشك أن أنساها وهى دليل حى على رعبك من الزمن الذى يلوح فيها شيطاناً خبيثاً.

الأولى: أنت الشخص الثاني.

الثانيـة: رائع، إن هذا يناسبني وأنا راضيـة، أتحسبين أن الناس يخلون من أن يكون فيهم شخص ثانٍ؟

الأولى: ماذا ينفعك هذا؟

الثانيـة: إن في وسعي أن أصافح هذا الشـخص الثاني يا صديقتي، إنه أقرب إليَّ منك.

الأولى: إن الشخص الثاني: بارد، هازئ، بلا مشاعر.

الثانيـة: هكذا ترينه لأنك الشـخص الأول دائماً، لقد أردتِ ألا تتـغيري قط، وكأنك صغتِ نفسك وفق قالب نموذجي، وعندما عدت من الولايات المتحـدة عام ١٩٥١ تخـيلت أن إنساناً جـديداً قد ولد وتـرعرع، في داخل كل إنسـان عرفته في أرض الوطن، قولي لي هذا وحسب، لماذا لم تفترضي أن إنساناً جديداً قـد ولد فيكِ أنت كذلك خلال أسفارك في أقطار الدنيا؟ لماذا لم يخطر لك أنك أنت الشخص الثاني؟

الأولى: معاذ الله، إني لست الشخص الثاني وكفى.

الثـانيـة: ألم أقـل لك أنك تلقـين بالك إلى الزمن أكـثـر ممـا ينبـغي؟ أليس الشخص الثاني هو عين السمكة الميتة؟

الأولى: هو نفسه.

الثانيـة: هل تصافحينني؟

الأولى: إني لا أحبك.

الثانيـة: شأنك إذن.

الأولى: لقد آن لي أن أعود إلى قوقعتي كما تسمينها ولا أظننا سنلتقي ثانية.

الثانية: أما أنا فإن نفسي الجديدة تنتظرني في مكان ما من المستقبل القريب، وسأذهب للقائها.

الأولى: أرجو ألا يطول بحثك عنها.

الثانية: مهما طال، فلا بد لي من الوصول، وسأجدها في النهاية وأصافحها، وداعاً يا رفيقة.

الأولى: (لا ترد، تختفي وراء الضباب).

٥٧/٢/٢١

نازك الملائكة

أول الطريق

لنلتقِ، فالرِّيح تعصف والمُنحنى لا يعي
وغمغمةُ الهاجسِ المتهدِّد في مسمعي
وهذا الطريق الذي سلبته خطاي السكون
غريبٌ سخيف المعابرِ يُشبه لون المَنونْ
أحسّ السراب
وراء الهضابْ
وألمس في لونه مصرعي
وأنت بعيدٌ وراء الظنون

لنلتقِ... إني أخاف المساء الغريقَ الضياءْ
أرى مارداً من أساىَ الممزَّق يطوى الفضاء
يُنقِّل أقدامه السُودَ بين عُيون السنا
ويُطفئها، عدْت أخشى أذاه على نجمنا
فعين الإله
غفتْ عن أذاهْ
وقد يستعير لهيبَ البكاءْ
ويُغمله في ابتساماتنا

لنلتقِ.. ما أطول الانتظارَ على الخائفينْ
لنلتقِ، تحجبُنا فكرةٌ عن عيون السنينْ
هنالكَ ترصدنا نجمةٌ من هوانا الرقيقْ
تمدّ يديها لترشدنا لمكانٍ سحيقْ
وراء الجراحْ
ولسعْ الرياحْ
بعيداً وراء كهوف الأنين
هنالكَ يبدأ كلّ طريقْ

هنالكَ تبتدئ الذكريات سجلاً جديدْ
وتبدو حدود طريقٍ يشقّ الفضاء المديدْ
إلى موضعٍ في المدى المرتمي حجبته الظلالْ
وما كشفت عن خفاياه حتى عيون الخيالْ
ستعبر فيهْ
إلى ألف تيهْ
سُدىً يتحرّى الزمان البليد
خطانا فنحن وراء المحال

سنحبو معاً في عوالمَ حافلة بالوعودْ
ونملك ليلاً بِسِميع النعاس وعطرَ الورود
سينبجس الماءُ حيث لمسنا أديم الثرى
ويرقص حول خطانا بأجنحةٍ من شذى
سنمحو الزّمان
وننسى المكانَ
هناك ونُقْسِمُ ألاّ نعودْ
إلى أمسنا المنطوي..
سِرْ بنا!

٨/٤/١٩٤٨

أغنية

اسكُني يا أغاني الأملْ

فالهوى قد رحلْ

وانطوى سره في مقلْ

رُصِفتْ بالمَلَلْ

أينَ أينَ ترى تذهبين

في سكون السنينْ

والطريق الذي تسلكينْ

صامتٌ لا يُبينْ

ولمن تخلقينَ العُطورْ

والليالي تدورْ؟

ولمن دفؤكِ المسحورْ؟

للدجى؟ للقبور؟

ولمن أنت والمنشدون

رحلوا في سكونْ؟

والأسى، يا أغاني، ديونْ

دفعتها عيونْ

كم ملأنا بكِ الأقداحْ

وسقينا الرياحْ

كم منحناكِ للأشباحْ

في رضاً وسماحْ

فابحثي في شعاب الوجودْ

عن هوانا الشرودْ

كفّنا مديَتْ بالوعودْ

وهو ليس يعودْ.

دعوة إلى الأحلام

تعـــالَ لنحلُمَ، إن المســاءَ الجـمـيـل دنا
ولينُ الـدُّجى وخـدودُ النـجُـوم تُنادي بنا
تعـالَ نصـيـدُ الرؤى ونعُـدّ خـيـوطَ السّنا
ونُشْـهِـدُ منحَـدَرات الرمـال على حـبنا

سنمشي مـعاً فوق صدْر جزيرتنا الساهده
ونُبـقي على الـرملِ آثارَ أقـدامنا الشـارده
ويأتي الـصـبـاح فـيُلقي بأنـدائه البـارده
ويُنبتُ حـيـثُ حَلُمْـنا ولو وردةً واحــده

سنحلـم أنّا صـعَـدنا نـرود جـبـالَ القـمـرْ
ونمرحُ فـي عُـزلـة اللانهـايـة واللابَشَـرْ
بعيـداً، بعيـداً، إلى حيث لا تستطيعُ الذكَرْ
إلينا الـوصـولَ فنحـن وراء امـتـدادِ الفكرْ

سنحلُمُ أنّا استَحلْنا صبيَّينِ فوقَ التلالْ
بريئينِ نركضُ فوق الصُخورِ ونرْعى الجمالْ
شريدَينِ ليس لنا منزلٌ غيرَ كوخِ الخيالْ
وحينَ ننام نمرِّغ أجسامنا في الرمالْ

سنحلُم أنّا نسير إلى الأمسِ لا للغدِ
وأنّا وصَلْنا إلى بابلٍ ذاتَ فجرٍ ندِ
حبيبَينِ نحْمل عهدَ هوانا إلى المَعْبدِ
يُباركُنا كاهنٌ بابليٌّ نقيُّ اليدِ

١٩٤٨/٩/٢٨

الشهيد

فى دجى الليلِ العميقْ
رأسهُ النشوان ألقَوْه هشيما
وأراقوا دَمه الصافى الكريما
فوقَ أحجارِ الطريقْ

وعقابيلُ الجريمه
حمّلوا أعباءها ظَهْرَ العمودِ
ثم ألقوه طعاماً للحوّدِ
ومَتاعاً وغنيمه

وصباحاً دفنوهُ
وأهالوا حقدهم فوقَ ثَرَاهُ
عارهُمُ ظنّوه لن يبْقى شذاهُ
ثم ساروا ونَسُوهُ

والليالي في سُرَاها

شَهِدَتْ ما كان من جُهْدٍ ثقيلِ

كلّما غطّوا على ذكرى القتيل

يتحدّاهم شذَاها

حَسبوا الإعصارَ يُلوى

إن تحامَوْه بسترٍ أو جدارِ

ورأوا أن يطفئوا ضوء النهارِ

غير أنّ المجد أقوى

ومن القبرِ المعطّر

لم يزَل منبعثاً صوتُ الشهيد

طيفه أثبت من جيشٍ عنيد

جاثمٍ لا يتقهقر

وسيبقى في ارتعاشِ

في أغانينا وفي صبرِ النخيلِ

في خُطى أغنامنا في كلّ ميلِ

من أراضينا العطاشِ

فليُجنّوا إن أرادوا

دونهم.. وليقتلوه ألف قتله

فغداً تبعثه أمواج دجْله

وقرانا والحصاد

يا لَحَمْقى أغبياءْ

مَنحوه حين أردوه شهيداً

ألفَ عُمْرٍ، وشباباً، وخلوداً،

وجمالاً، ونَقَاءْ

إنّه عادَ نبيا

وهو قد أصبح ناراً تتحرّقْ

في أمانينا وثأراً يتشوّقْ

وغداً يُبعث حيا

١٩٥٣/٥/٢٢

لعنة الزمن

كـــان المغــرب لونَ ذبيحِ
والأفق كـــآبة مـــجـــروحِ
والأشـــبـــاحُ الغـــامـــضـــة اللون تجـــوسُ الظلمـــةَ فى الآفـــاق
والنـهـــر ظنونٌ ســـوداءُ
والـريحُ مـــمـــراوحُ نكـراءُ
والضـــفّـــة أرضٌ جـــرداءُ
تمضغـها الظلمـة فى استـغراقْ
كـــانت خـطوات الظـلمـــة ترطـم جـــوّ الشـــاطئ فـى اســتـسـغـــراق
والصـمت يفكر فى الأحـداق

كنّا نتـــبع نـعش الضـــوء
ونـراقـبُ خـطْوَ الـلاشىء
إثنـينِ يلـوحُ على اســـتـــغـــراقـــهـــمـــا المُبـهم لونُ العُـــشّـــاق
كنّا نـرقُب كـــأسَ الأفـق
ترضع مـن أوشـال الشَّـفَقِ
وتصـبُّ الحُـــمـــرةَ فى قـلق
فى سـيـقـانِ صُـفْرِ الأوراقْ
فى ســـيـــســـقـــان عـــرّتـهـــا الـريح من الألوان، مـن الأوراق
ومـضت تبكيـهـا فى إشـفـاق

كنا كالأمواج الخرسِ

في عينينا لون الشمسِ

في وجهينا الوقرين خشوعُ المغرب والأبد الخلاق

كنا نهمس كالأنداءِ

كصدى مجداف في الماءِ

لم نقطعْ صمت الظلماءِ

بمدامع ذكرى أو أشواق

كنّا قد كفّنّا الماضي ودفنّا اللهفة والأشواق

في الظلمة في صمت الأعماق

وأراقَ المغربُ ألوانه

فوق الأشياء الوسنانه

لم يَبق بناءٌ لم تحمّر آعاليه، لم يبقَ زقاق

حتى في صُفرة خدينا

حتى في وجمة قلبينا

أحسسنا اليقظةَ والنوما

حتى في دمنا، في الأعراق

أحسسنا شيئاً كالثورة في الدم، في الأعين، في الأعراق

شيئاً كاللهفة، كالأشواق

حتى طرق الماضى الخربة
تلك الآفاق المكتئبه
لاحت واضحةَ الصمت يغازلها ضوءُ القمر المشتاق
لا فيها أشباحٌ حيرى
تتبعنا غاضبةٌ غيرى
ذات عيون تقطر غدرا
فى الليل، ولا فيها أنفاق
لا فيها هاوية تسكن فيها الأغوال، ولا أنفاق
لا شيء سوى القَمَر البراق

وهَجسنا شيئاً منفعلا
فى قلبينا، شيئاً ثملا
يلهثُ عاطفة بعد جمود سنينٍ مرت فى استغراق
وانبجست أشواقٍ وسنى
من أعيننا لونا.. لونا..
وتحرّكَ فى دمنا معنى
نارىّ الشوق صدٍ توّاقْ
وصدىً حاولنا أن نسكتَه فهو صدٍ مسرحٌ، تواق
وصدىً نطمرهُ فى الأعماق

ووقفنا في الظلمة نحلم

بالموج وبالليل المبهم

ونحوك من الأنجم والرؤيا والأمواج لنا أطواق

ونجوب العالَم في عربات

صنعتها أذرُعُ جنيّات

من عطر الأزهار الخجلات

من أسلاك الضوءِ الألاقْ

في قعْر النهر على أرضٍ لم يلمسها القمر الألاق

وتناست مولدها الآفاقْ

لكنَّا إذ كنّا نحلُمْ

أحسسنا شبه صدىً مُبهم

في الأمواج الداكنة الصمت، سمعنا شبه صدىً خفاق

«الجنيّاتُ المنتقماتْ

يصعدن إلينا في عربَات»

وأجاب رفيقي: لا، هيهات

ذلك صوت الموج الرقراق

الريح الحالمة البيضاء تمرُّ على الموج الرقراق

وتخادع أسماع العشاق

لأياً وتبعتنا الحركه

ثمّة وإذا جثّة سمكه

طافية فوق الموجة ميتّة والشاطئ فى إشفاقْ

وصرختُ: رفيقى! أين نسير؟

لنَعد، فالجثة همس نذير

أرسلها عملاقٌ شرير

إنذارَ أسىً ودليل فراق

فأجاب رفيقى: «نحن هنا يحرسنا الحبُّ فأى فراق؟»

وغرقنا فى صمتٍ براق

ومشينا لكنّ الحركه

ظلت تتبعنا، والسمكه

تكبُرُ تكبرُ حتى عادت فى حضن الموجة كالعملاقْ

وصرخت «رفيقى أى طريقْ

يحمينا من هذا المخلوقْ؟

لنعد، فالدرب يضيق يضيق

والظلمة مُحكمة الإغلاق»

فأجاب رفيقى مرتعشاً، والظلمة محكمة الإغلاق:

«نهرب، لن تسلمنا الآفاق»

وبقينا نهرب والسمكه

تتبع أرجلنا المرتبكه

تلك الأحداقُ وأين المهرب من لعنة تلك الأحداقْ؟

وزعانفها السود الشوهاء

سدت في وجهينا الأرجاءْ

وأراقت في الجوّ الوضّاءْ

سحبًا سوداء ولون محاقْ

حتى وجه القمر السحرى غشاه أسىٌ وظلام مَحاقْ

وتلاشى مَبسَمُه البرّاقْ

ورجعنا نسحب قلبينا

ونجرُّ كآبةَ ظلينا

تتبعنا الأحداق المنهمسات بنظرةِ هزءٍ ليس تُطاق

حتى الأغصان المشتبكه

عادت تشبه عينَ السمكه

وتروع خطانا المرتبكه

والأنجم عادتْ كالأحداقْ

والغدُ والماضى والدنيا وهوانا فى تلك الأحداق

رسبت وتوارت فى الأعماق

١٩٥٠/٨/١٢

إلى العام الجديد

يا عامُ لا تقرب مساكنتا فنحن هنا طيوف
من عالم الأشباح، يُنكرنُا البشر
ويفر منّا الليل والماضي ويجهلنا القدر
ونعيش أشباحاً تطوفْ
نحن الذين نسير لا ذكرى لنا
لا حلم، لا أشواق تشرق، لا مُنى
آفاقُ أعيننا رمادْ
تلك البحيرات الرواكدُ في الوجوه الصامته
ولنا الجباه الساكته
لا نبضَ فيها لا اتّقادْ
نحن العراةُ من الشعور، ذوو الشفاه الباهته
الهاربون من الزمان إلى العدمْ
الجاهلون أسى الندمْ
نحن الذين نعيش في ترف القصورْ
ونَظَلُّ يتقصنا الشعور.
لا ذكرياتْ،
نحيا ولا ندري الحياة،
نحيا ولا نشكو، ونجهل ما البكاءْ
ما الموت، ما الميلاد، ما معنى السماء

يا عامُ سِرْ، هو ذا الطريقْ
يلوي خطاكَ، سدىً نؤمِّل أن تُفيقْ
نحن الذين لهم عروق من قصبْ
بيضاءُ أو خضراء نحن بلا شعور.
الحزن نجهله ونجهلُ ما الغضب
ما قولُهم إن الضمائر قد تثور
ونود لو متنا فترفضنا القبور
ونود لو عرف الزمانْ
يوماً إلينا دربه كالآخرين
لو أننا كنا نؤرخ بالسنين،
لو أننا كنا نقيَّد بالمكان
لو أن أبوابَ القصورِ الشاهقات
كانت تجيءُ قلوبَنا بسوى الهواء،
لو أننا كنا نسير مع الحياه
نمشي، نحسُّ، نرى، ننامْ
وينالنا ثلجُ الشتاءْ
ويلفُّ جبهتَنا الظلام
أواه لو كنا نحسّ كما يحس الآخرونْ
وتنالنا الأسقام أحياناً وينهشنا الألم

لو أنَّ ذكرى أو رجاء أو ندم
يوماً تمدُّ على بلادننا السبيلْ
لو أننا نخشى الجنونْ
ويثيرُ وحشتَنا السكون
لو أن راحتنا يعكّرها رحيل
أو صدمةٌ أو حزنُ حبٍ مستحيل.
أواه لو كنا نموت كما يموت الآخرونْ

١٩٥٠/١/١

طريق العودة

نعودُ إذن في الطريق الطويلْ
تُواجهُنا الأوجه الجامده
يواجهنا كل شيء رأيناه منذ قليلْ
كما كانَ في ركلةٍ بارده
نعود إذن، لا ضياء ينير
لأعيننا الخامده
نسير ونسحب أشلاءَ حُلْمٍ صغير
دفنّاه بعد شبابٍ قصيرْ

نعودُ وهذا طريق الإيابْ
يُمدّ مرارتَه ورتابة أسراره
نسير ويبرزُ بابْ
هنا، وجدار هناك يسدّ الطريق
بأحجاره
وثم سياجٌ عتيق،
تهدّم عند النَهَرْ
وعابرةٌ، دون معنى تُمدّ البصر

إلى حيث لا نعلمُ،
تمرّ بنا، لا تُفكر فينا
وننسى ونجهل أنّا نسينا
ولا نفهمُ.

نعود إذن في طريق الإياب المرير
وكنّا قطعناهُ منذ زمانٍ قصير
وكنا نسميه، دون ارتيابٍ، طريق الرواحْ
ونعبره في ارتياح
يمد لنا كل شيء نراه يدا
يكادُ يعانقُنا ويصبّ علينا غدا
دقائقه نسجتها المنى
وكنا نسميه، دون ارتيابٍ، طريق الأملْ
فما لشذاه أفلْ
وفي لحظةٍ عاد يُدعى طريق الملل؟
وعدنا نسير ويسلِمنا المنحنى
إلى آخرٍ ضيقٍ
ويدفعنا كلُّ شيء نراه
إلى يأسنا المطبقِ

ونشعرُ أنّا ضجرنا ضجرنا وعفنا الحياه

وعدنا نمج الحياه.

لماذا نعودْ؟

أليس هناك مكان وراء الوجودْ

نظل إليه نسير

ولا نستطيع الوصول؟

مكانٌ بعيدٌ يقودُ إليه طريقٌ طويل

يظلّ يسير يسيرْ

ولا ينتهي، ليس منه قفولْ

هنالكَ لا يتكرر مشهد هذا الجدار

ولا شكل هذا الرواقْ

ولا يرسل النهر في مللٍ نغمةً لا تطاق

نُصيخُ لها في احتقارْ

لأن الطريق طريق الرجوعْ

لأنّا بلغنا نهاية درب الرّواحْ

وأصبح لابدّ من أن نذوقَ الجراح

ونحنُ نسير ونقطع دربَ الرجوعْ

ونذرعه بالدموع.

ألابد من أن نؤوبْ
وتدفعنا خلجاتُ المرارة دون حُلُم؟
ألم ينطفئْ كلّ حلمٍ كَذوب
وها نحن نعلم أنّا بلغنا القممْ؟
وسرنًا على أوْجها مرةً، ثم حان الإيابْ
وعُدنا نجرّ قيودَ الألمْ
وندرك كيف تغيّر حتى التراب
تغيّر حتّى الطريقُ
وأصبح يرفُضُنا في ملال وضيق
وعاد يصُبُّ علينا جُموداً عميق.

وعُدْنا نسير
نجُرّ أحاسيسنا الراكده،
وتصدمنا الأوجه الجامده
نسير، نسيرْ
نحدّق في أي شيء نراه
بهذا السياج المهدَّم أو بسواه
نحدّق، لا رغبةً في النظرْ
ولكن.. لأن لنا أعينا

نعلَق، لا شوقَ يُغري بنا
ولكن لأنّا سئمنا السكونَ المخيفْ
ووقع خطانا الرتيبات فوقَ الرصيفْ
سئمنا فأينَ المفرّ؟
ولابدّ من أن نعودْ
فليس هناك مكانٌ وراء الوجودْ
نظلّ إليه نسيرْ
ولا نستطيع الوصولْ.

١٩٤٩/٣/١٥

الأعداء

نحن إذنْ أعداءْ

من عالمٍ لا يفهم الأشواقْ
ولا يعي أغنية الأحداقْ
أعينُنا لا تفهم النجوى
الحبّ فيها سيرةٌ تُروى
كان لها أمْسُ
وضمّهُ رمسُ

من تربة البغضاءْ

نحن إذنْ أعداءْ

تفصلنا عوالمٌ شاسعه
حدودها المجهولةُ الضائعه
تبثُّ في دروبنا المستحيل
فتذرع العُمْرَ الجديب الطويل
يحثنا عن الباب
وحبنّا الخابي

يغري بنا الصحراءْ

نحنُ إذنْ أعداءْ

ترقد في أعماقنا الذكرى

مشلولةً، ضائعةً، حيرى

المقت يُلقي فوقها ظلاًّ

والحِقد لم يُبقِ لها شكلا

ولعنةُ الأيّامْ

خلّفتِ الأحلام

فوقَ الثرى أشلاءْ

نحن إذنْ أعداءْ

وإن تكن تجمعُنا أحلام

من أمسنا أودت بها الأيام

وإن تكن قد خلّفت أشياءْ

في المُقَلِ الفارغة الجدْباء

في الأوجهُ الذاويه

كنجمةِ خابيه

تغربُ في الظلماء

نحنُ إذنْ أعداءْ

وإن طغت في دمنا الأشــــــواقْ

ودبّت اليــــقْظَةُ في الأرمـــاقْ

وبيننا عــــــوالمٌ شــــتى

نُدْركُــهمـا كــمـا يعي الموتى

تحت التـراب المَهِـينْ

وقْعَ خطى العـابرينْ

وضــجّــة الأحـيــاءْ

٢٦/ ١١/ ١٩٤٩

حصاد المصادفات

حينما يرقُد الهوى ميّتاً فو ... ق تراب الأيامِ والأعوامِ

وتعود الذكرى صدىً جامدَ الوقـ ... ـعِ لعهدٍ مغلَّفٍ بالظلامِ

وتموتُ الألوانُ في المُقَلِ الجد ... باءِ في حسرةٍ وفي استسلامِ

ويُذيع الفراغُ أغنيةَ الجد ... بِ وتطغى الفوضى على الأنغامِ

حينما يُصبح الهوى قصةً كا ... نت ومرّتْ بالكونِ منذُ عصورِ

عشّشَ الصمتُ في خرائبها النكـ ... ـراءِ خلفَ الخيالِ والتفكيرِ

وطوى نبضها انصبابُ البرود الـ ... ـمُرِّ في كلِّ شهقةٍ وشعورِ

وخمود الفراغ لفَّ صداها ... بجمود الموتى وصمتِ القبورِ

وتُحس العيونُ أنّ عيوناً ... ماتَ فيها المعنى وعادتْ رمادا

لم تعُدْ في أهدابها خلجةٌ تسْـ ... ـتصرخ الشوقَ والصدى والسُّهادا

ضاعَ في جوّها النداءُ وردّتْ ... آهةٌ في السكون تنعَى المُنادَى

وارتمت في أنحائها رغباتُ الـ ... أمسِ والذكرياتُ عادتْ جمادا

عندمـــا ينطوي النداءُ وتُمْـــحي ... كلمـاتُ النجـوى وتُطوى الأمـاني
وتُـحـسُّ القـلـوبُ أنَّ قـلـوبـاً ... بَرَدَت فـي أصـــابعِ النســيـــانِ
عنكبوت الجمـود شبّك فـيـهـا ... عُـشَّـهُ والسكونُ لفَّ الأغـــاني
وغُـبـــارُ السنيـن جرَّ عـلى الأشـ ... ـواقِ سِـتْرَ الألـوانِ والأكـيـانِ

ربّمــا يلتـــقي هنالك طيـفـــا ... نِ منَ الأمسِ فـي شـعـابِ طَريقِ
يعبُـرانِ الحياةَ قد ضيَّـعا مَـ ... ـلكةَ الحبِّ في الزمانِ السحيقِ
فـي برودٍ يـمـــــرُّ كـلٌّ على الآ ... خـرِ خـابي العيونِ ميْتَ العُروقِ
لا شُعــورٌ يلوح في أعـينٍ صَـمْـ ... ـاءَ غرقى في لُجِّ صمتٍ عميقِ

من حـصَـاد المُصادفاتِ يمرّا ... نِ كنجمينِ في امتداد الفضاءِ
ربَّمــا لخّصا غرامـهمــا الما ... ضي بشِبْـهِ ابتسامةٍ جدْباءِ
ربَّمـا ألقيا التحيّـةَ لا عُـمْـ ... ـقَ لهمــا، في بُرودةِ الغُـرَباءِ
ثمّ سـارا كـأنّمـا لم تكنْ يو ... مـاً حـيـاةٌ عطشى وراءَ الدماءِ

١٣/١٠/١٩٤٩

النائمة في الشارع

فى الكرَّادة، فى ليلة أمطار ورياحْ
والظلمةُ سقفٌ مُدّ وسترٌ ليس يُزَاح

انتصفَ الليل وملء الظلمةِ أمطارُ
وسكونٌ رطبٌ يصرخُ فيه الإعصارُ

الشارعُ مهجورٌ تُعولُ فيه الريحُ
تتوجّع أعمدةٌ وتنوحُ مصابيحُ

والحارس يَعبرُ جَهْماً مرتعدَ الخطُواتْ
يكشِفُهُ البرق وتحجُبُ هيكلَهُ الظُلُماتْ

ليلٌ يجرِفُهُ السيل وينهَشُهُ البَرْدُ
تنتفِض الظُلْمةُ فيه ويرتعشُ الرعدُ

في مُنعطَفِ الشارعِ، في ركنٍ مقرورِ
حَرَسَتْ ظُلْمتَه شرفةُ بيتٍ مهجورِ

كـان البـرقُ يمـرُّ ويكـشفُ جـسمَ صـبيـه
رقـدتْ يلسَـعُـهـا سـوطُ الريحِ الـشـتـويه

الإحــدَى عــشْــرةَ ناطقــةٌ فى خَــدّيهــا
في رقّــةِ هيـكلهــا وبراءةِ عــيـنيــهــا

رَقَـدَتْ فـوقَ رخـامِ الأرصفـةِ الثلجيّـه
تُعــولُ حــول كَــرَاها ريحٌ تشــرينيّــه

ضَــمّتْ كـفّـيْهــا في جَـزَعٍ في إعيـاءِ
وتوسّـــدتِ الأرضَ الرطبــةَ دون غـطاءِ

لا تغـفــو، لا تَغْـفُلُ عن إعـوال الرّعــد
والحـمى تُلْهِبُ هيـكلَهــا ويدُ الـسّـهْـدِ

ظمــأى، ظمــأى للنومِ ولكن لا نومــا
مــاذا تنسى؟ البــردُ؟ الجوعُ؟ أمِ الحـمّى؟

ألمٌ يـبـقَى ينهشُ، لا يرحَمُ مـخْلبُــهُ
السّـهْـدُ يضـاعـفُـه والحـمّى تُلْهِـبُـهُ

نارُ الحُمى تُلهِمُها صوراً وحشيّة
أشباحٌ تركُضُ، صيحاتٌ شيطانيّه

عبثاً تُخفي عينَيها وسُدًى لا تَنْظُرْ
الظلمة لا تدري، والحُمى لا تشعُرْ

وتَظَل الطفلةُ راعشةً حتى الفجْرِ
حتى يخبو الإعصارُ ولا أحدٌ يدري

أيامُ طفولتها مرتْ في الأحزان
تشريدٌ، جوعٌ، أعوامٌ من حِرمانِ

إحدَى عشرةَ كانتْ حزْناً لا ينطفئُ
والطفلةُ جوعٌ أزليٌّ، تَعَبٌ، ظَمَأُ

ولمن تشكو؟ لا أحدٌ يُنصتُ أو يُعْنى
البشريّة لفظٌ لا يسكُنُه معنى

والناس قناعٌ مصطنعُ اللونِ كَذُوبُ
خلفَ وداعتهِ اختبأ الحقد المشبوبُ

والمجتمع البَشَرى صريعُ رؤىً وكؤوسْ
والرحمة تبقى لفظاً يُقرأ في القاموسْ

ونيامٌ في الشارع يبقَونَ بلا مأوَى
لا حُمّى تشفَعُ عند الناسِ ولا شكوى

هذا الظُلْمُ المتوحّشُ باسمِ المدنيّه،
باسم الإحساسِ، فواَخجَلَ الإنسانيّه

مرثية امرأة لا قيمة لها

«صور من زقاق بغدادي»

ذهبتْ ولمَ يشحَبْ لها خدٌّ ولم ترجفْ شفاهُ
لم تَسْمع الأبوابُ قصةَ موتها تُرْوَى وتُرْوَى
لم ترتفعْ أستار نافذة تسيلُ أسىً وشجوا
لتتابعَ التابوت بالتحديق حتى لا تراه
إلا بقيّةَ هيكلٍ في الدربِ تُرْعِشُهُ الذِّكَرْ
نبأٌ تعثّر في الدروب فلم يجدْ مأوىً صداهُ
فأوَى إلى النسيان في بعضِ الحُفَرْ
يرثي كآبتَهُ القَمَرْ.

والليلُ أسلم نفسَهُ دون اهتمامٍ، للصَّباحْ
وأتى الضياءُ بصوت بائعة الحليبِ وبالصيامْ،
بمُوَاءِ قطٍّ جائعٍ لم تَبْقَ منه سوى عظامْ،
بمُشاجرات البائعين، وبالمرارة والكفاحْ،
بتراشُقِ الصبيانِ بالأحجار في عُرْضِ الطريقْ،
بمساربِ الماء الملوّث في الأزقّة، بالرياحْ،
تلهو بأبوابِ السطوح بلا رفيقْ
في شبهِ نسيانٍ عميقْ.

٩/ ٧/ ١٩٥٢

الأرض المحجبة

صَــوّروها جنّةً ســحــريّةً
من رحــيق وورود شــفــقــيّــه
وأراقــــوا فى رباها صُـــوَراً
من حنان، وتسـابيحَ نقيّــه
ثم قـالوا إن فـيـهـا بلْسَـمـاً
هيّــأته لجـراحِ البــشــريّه
وأردناهـا فلـم نَظْـفَــــرْ بـهــا
ورَجَـعْنا لأمـانينا الشـقــيّــه

الملايينُ عُـيـــونٌ ظمـئتْ
عــز أنْ تملكَ سلوىً واحـــده
والملايين شــفـــــاهٌ عَطشَت
ليس تُرْويها الوعـودُ البـارده
ذلك المشْـعَلُ هاتوهُ فـقــد
أكلَ الليلُ العـيونَ السـاهده
وأمــرّوه على أشــبــاحنا
لتَــروْا لونَ دمــانا الجـامــده

عُمْرُنا كان طريقاً مُعْتِماً

فأنبروه إلى القبرِ أخيرا

وصبانا كان جُرْحاً ساهداً

يشربُ الملح ويقتات السعيرا

وأغانينا رَصَفناها أسىً

وسقفْناها غيوماً وهجيرا

وهَوَانا والمُنَى بعناهما

واشترَيْنا بهما حُزناً كثيرا

أين ذاكَ النبعُ؟ في أيِّ ضحى

سنُلاقيهِ؟ وفي أية ليله؟

لم نزلْ نَحْفرُ في أعمارنا

ظُلماتٍ ليس فيها طيفُ شُعْله

وزحفْنا وجرَرْنا معنا

ألفَ قيدٍ في الأكفِّ المضمحلّه

ووجدْنا دربَنا مقبرةً

ما لنا فيها سوى الموتَى أدلّه

حدثونا عن رخاء ناعمٍ

فوجدنا دربنا جُوعاً وعُرْيا

وسَمعْنا عن نقاء وشذىً

فرأينا حولنا قيحاً وخزْيا

ورتَعْنا في شقاء قاتلٍ

وكَفاتا بؤسُنا شبْعاً وريّاً

وعرينا وكسوْنا غيرنا

وكسبْنا القيدَ والدمعَ السخيّا

أينَ تلكَ الأرضُ؟ من حجّبها؟

نحن شدْناها برنّات الفؤوسِ

وأجَعْنا في الدجى أطفالنا

لنغذيها وجُدْنا بالنفوسِ

وزرعْنا وحصَدْنا عُمْرَنا

وجنينا ظلمةَ الدهرِ العبوسِ

وسقَيْنا أرضَها من دمنا

ومنحناها لأربابِ الكؤوسِ

أين تلكَ الأرضُ؟ هل حــان لنا
أن نراها أم ستبقى مُغلَقه؟
لم تَزَلْ فينا حنيناً صامتاً
وابتهالاً في شفاه مُطبَقه
والملايينُ حنينٌ جــارفٌ
يتلظّى ورؤىً محترقه
افتحوا البابَ فقد صاح بنا
صوتُ آلافِ الضحايا المُرهَقه

صوتُهُم خشّنَهُ البؤسُ فما
فيه دفءٌ أو بريقٌ أو لُيونه
وحشاهُ الدمعُ مِلْحاً قاسياً
وشكايات وجوعاً وخُشونه
صوتُهُم خالطَهُ الصبرُ وكم
قد صَبرنْا في شحوب وسكينه
لعنةُ الحسِّ علينا إن يكنْ
غَدُنا كالأمسِ أقياداً مهينة!

١٩٥٣/٥/١١

لنفترق

لنفــتــرقِ الآنَ مـا دامَ فـي مُـقلـتَـينـا بريقْ
وما دام في قعْر كأسي وكأسكَ بعضُ الرحيقْ
فـعـمّا قـليلٍ يُطلُّ الصـبـاح ويخبـو القمـرْ
ونلمح في الضوء مـا رسمتْهُ أكُفُّ الضـجَرَ
على جبهتَينا
وفي شفتَينا
ونُدركُ أن الشـعـورَ الرقـيقْ
مـضى سـاخـراً وطواهُ القـدَرْ

لنفــترقِ الآنَ، مـا زالَ في شــفـتـينا نَغَمْ
تكبّرَ أن يكشفَ السـر فاختار صمتَ العدَمْ
ومـا زال فـي قطرات الندى شـفـةٌ تتـغنّى
ومـا زال وجهُكَ مـثلَ الظلامِ له ألف مـعنى
كستْه الظلالْ
جمالَ المُحالْ
وقـد يعـتـريه جُـمُـود الصنَمْ
إذا رفع الليلُ كـفَّـيــه عـنّا

لنفترقِ الآنَ، أسمعُ صوتاً وراء النخيلْ
رهيباً أجشَّ الرنينِ يذكّرني بالرحيلْ
واشعر كفَّيكَ ترتعشانِ كأنّكَ تُخفي
شعورَكَ مثلي وتحبسُ صرخةَ حزنٍ وخوفِ
لم الارتجافْ؟
وفيمَ نخافْ؟
ألسْنا سنُدْركُ عمّا قليل
بأن الغرامَ غمامةُ صيفِ

لنفترقِ الآنَ، كالغُرباء، وننسى الشُّعورْ
وفي الغد يُشْرقُ دهرٌ جديدٌ وتمضي عصور
وفيم التذكّر؟ هل كانَ غيرُ رؤىً عابره
أطافتْ هنا برفيقَيْنِ في ساعةٍ غابره؟
وغيرُ مساءْ
طواه الفَناءْ
وأبقى صداهُ وبعضَ سطورْ
من الشعرِ في شفَتيْ شاعره؟

لنفترقِ الآنَ، أشعر بالبردِ والخوف، دعْنا
نغادرُ هذا المكانَ ونرجع من حيثُ جئنا
غريبيْنِ نسْحبُ عبءَ ادّكاراتنا الباهته
وحيدينِ نحملُ أصداءَ قصتنا المائته
لبعض القبورْ
وراء العصورْ
هنالكَ لا يعرفُ الدهرُ عنّا
سوى لونِ أعيننا الصامته

١٩٤٨/٣/٢٠

سخرية الرماد

لو رجعْنا غداً وأراد الزمانْ
أن يرانا كما كنّا
والتقَينا فهل ينبضُ المَبتانْ
خلفَ ألواح صَدْرَيْنا

لو رَجَعْنا غداً ورآنا القَمرْ
بعد غيبتنا الكبرى
ورأى كيف نمنح ما قد عَبَرْ
ومضى فُرْصةً أخرى

لو رَجعْنا غداً ورأتْنا النجومْ
نجمَع الذكَرَ الذابله
نستعيد الهَوَى ونظَلّ نحومْ
حولَ أحلامنا الراحله

لو رآنا الطريقُ تشُقّ السكونْ

بتعابيرنا الجامده

ويُخادعُنا ما طوتْه المُنونْ

من رغائبنا الخامده

ونُزيل رَمَادَ شُهورٍ طوالْ

عن هوىً لفَّهُ المستحيلْ

فوقَ أشلائه ذكرياتٌ ثقالْ

من دموعي وحزني الطويلْ

سترانا النجوم نسير معاً

يخدع الليل مرآنا

خلف أهدابنا شغفٌ مُدَّعَى

ساترٌ سرّ ما كانا

وسيسخر من شبحَيْنا القَمَرْ

وهو يرقب كيف نسيرْ

كيف ننشر ما قد طواه القَدَرْ

واحتواه سكون المصيرْ

وهناك نرى جثث الأشواقْ

في خمودٍ طويلٍ عميقْ

ويُخادعنا لونهما البرّاقْ

فنؤمّل أن نستفيقْ

ونَرَى ركبَ أيّامنا الماضيه

لم يزلْ لاهث الأنفاسْ

فنمدُّ له الأذرعَ الذاويه

علّه يوقظ الإحساس

ويرانا الدُّجَى راكعينَ على

تُربةِ المرْقَد الجافيه

نلمسُ الجثثَ المُرسلاتِ إلى

الأفقِ أعينَها الخابيه

ويرانا الدجَى فجأة في عيَاءْ

في أسىً غامقٍ شاردِ

واقفينَ نُحسّ اصطدام الرجاء

بثَرَى الواقع الباردِ

وَيَمُرّ على جبهتَيْنا المَساءْ

بارداً مثلَ لوْحِ جليدْ

وتعود كواكبُه البيضاء

أعيناً طفحتْ بالوعيدْ

ويشيّعُنا القَمَرُ الهادىءُ

ببرود مُثير غريبْ

ويُلاحقُنا وجهه الهازىءُ

حيث سرْنا بصمتٍ مُريبْ

ونُحس أخيراً بأنّ الفضاءْ

قد طَوَى حبّنا الآفلا

وبَقينا حَيارَى هنا غُرَباءْ

نذرع العُمُرَ القاحلا

وهنالكَ سوفَ يُغنّى الرّمادْ

وسيَسْخَر حتى القَمَرْ

من أسانا ومن أملٍ لا يُعادْ

كانَ يوماً لنا واندثرْ

١٩٤٩/٩/١١

صائدة الماضي

انتظرني، غدا سيقذف بي المو ... ج إلى شطّك الغريب البعيدِ
ثم تمشي بيَ السنينُ إلى با ... بكَ بعد البحثِ الطويلِ المديدِ
وتراني خلفَ الزجاجِ أجُمرَ الـ ... أمسَ في لهفةِ المشُوقِ العنيدِ
أتحدّى الصخور في الشاطئِ العا ... ري وألوي شموخها بنشيدي

انتظرني، وإن تمزّقَ في صَدْ ... ركَ ما كان ذاتَ يومٍ رجاءَ
أو سمعتَ الرّياحَ تصرخ عاد الـ ... حب ذكرىً ورغبةٌ عمياءَ
أو رأيتَ النجومَ تُنكر في أهْـ ... دابكَ الشوقَ والصّدى والنداءَ
أو أبت مقلتاكَ أن ترسُما حُلْـ ... ـماً جديداً وثارتا كبرياءَ

وإذا وسوستْ بصدرك أشلا ... ء الأماني وزمجرت في جنونِ
ومَضَتْ توقظ الشكوكَ وتُغري ... بلياليكَ عاصفاتِ الظنونِ
وتخيّلت أنني بعت ذكرا ... كَ وأمعنتُ في الجمودِ المُهينِ
فانتظرني، لابد أنْ نلتقي يو ... ماً وألوي بشكّكَ المجنونِ

سأصيد الأحلام من أمسنا الهـا ربِ حُلماً، وراء الزمانِ
وألُمُّ الأفراحَ من كل ركنٍ ضائعٍ في مقابرِ الأحزانِ
ألقُطُ الذكرياتِ دون كلالٍ من غُبار السكونِ والنسيانِ
وأناشيدنا ألمُّ صداها وأعيد الحياةَ للأوزانِ

ثم أمضي، يُنير لي وجهكَ التا ريخَ بحثاً عن حبّنا المغدورِ
ذلك الأمسُ، لو عثرتُ عليه في زوايا التاريخ بين العصورِ
لأبثَّ انتفاضةَ الحيِّ فيه وارتعاش الصدَى ونبضَ الشعورِ
ثم نمشي معاً إليكَ، إلى شطْ طِكَ فوق الأمواجِ بين الصخورِ

وترَانا فُجاءةً نصعد السُّلْ لَمَ في لهفة وشوق كلانا
أنا والأمسُ كلُّه، نطرق البا بَ غريبين لامَسَا الأوطانا
وتُحسُّ النجوم أنا رَجَعْنا تعصر الدهرَ لحظةً من هوانا
ويقول الزمان: عادا إلى الحب وعاد الفراق وهْماً كما كانا

٢٤/١٠/١٩٤٩

إلى أختي سها

هيّا معي فـالليل مختلج الدُّجَى حُبـاً وشعْرا
وعـرائس الأحلام تفـرشْ دربَنا لوناً وعطْرا

وهناك فـي أعـمـاقنا نَـبَراتُ آلـهـةٍ تـغنِّي
ونُحـسـّـهـا تُـلقي إلينـا ألفَ أغنيـةٍ ولحنِ

هيّـا مـعي تتبسمُ الدنيـا إذا أنتِ ابتـسمْتِ
مـاذا يثير أسـاكِ مـا دمنـا نَظَلُّ أنا وأنتِ؟

الليـل يعْـرِفُنا، خُطانـا طالما زرعتْ دجَــاهُ
والنجم يذكـرنا فكم سـهرتْ عليْنا مقلتـاهُ

أختـاه هاتي كفّكِ اليـمْنى فقـد حان المسيرُ
المجد يصرخ يستحث خطاكِ والحُلُم الكبيرُ

لا، لا تخافي أنْ تُخادعَكِ الرؤَى إنْ أنتِ جئتِ
فـالليل يَـعْـرِفُنا ونحن مـعـاً نَظَلّ أنا وأنتِ

سيرى معى فتحرقُ المجهولِ يَصْخَب فى دمانا
والأمس، تلكَ الغُرْفة الصمّاء غابتْ عن رؤانا

ماذا يشدّ هنا ليالينا الحزينات الشقيّه؟
وهُناك فى الأفُقِ البعيدِ ضَبابُ شُطآنٍ خفيّه

ستُريق أنجمَها على أقدامنا إن أنتِ جئتِ
وصَحبتنى لتجوبَ آفاقَ الوجودِ، أنا وأنتِ

وصحبتنى ونسيتِ دربَ الذكرياتِ الكاسفه
حيث الصخور السود والحيّات تلهث زاحفه

حيث انجرحْنا ثم لملمْنا الجراحَ على عَجَلْ
ونهضْتُ تتبعُنى خطاكِ الحائراتُ بلا أملْ

أختاه لاتبكى على الماضى سدىً ما قد بكيتِ
لن يرجعَ الماضى وإن نُحنْا عليه، أنا وأنتِ

الهاربون

إلامَ نجوب سحيقَ البلادْ؟
يعيث السراب بنا
تُناولُنا وَهْدةٌ لوهادْ
ويَخْدَعُنا المُنْحنى

وفيمَ أتينا؟ يسائلُنا البحرْ: ماذا نُريد؟
وتلحقُنا عَربَات الرياحِ وتبقى تُعيدْ
تُعيد السؤالْ
ولا ردّ إلا خطوطُ الملالْ
على صمت أوجُهنا في الليالي الطوالْ
نَفرّ وتُدْركُنا من جديدْ

ويسألُنا الأفقِ أينَ نسافر؟ أينَ نسيرْ؟
ومن أي شيء هَرَبْنا؟ وفيم؟ لأي مصيرْ؟
وفي صمتنا
قلوبٌ تدقّ، ووقع المُنى
على يأسنا فَرَحٌ لا يُطاق فهيّا بنا
لنبحثَ عن جُرحِ حُزْنٍ صغيرْ

وفى سيرنا نسمع الليلَ يسخَر من سرنا
يلاحقُنا بالظلام ويُغْرى الرياحَ بنا
يقول الطريقْ
لماذا نجوب الوجودَ السحيقْ
يُلاحقنا أمسُنا ورؤانا ووجهٌ صديقْ
وحتام نهرُبُ من ظلّنا؟

وفى سيرنا فى الدياجير نُبْصر هُزْءَ القَمَرْ
ويُغْضِبُنا فى سناه البرود، وبعض الشَجَرْ
يسُدّ السبيلْ
علينا، ويسخَرُ منّا الأصيلْ
ويُنْبئنا أنّنا الباحثونَ عنِ المُسْتحيلْ
وأنّا، برغمِ مُنانا، بَشَرْ

ونسمَع من جَنَبات المسالك ذات مساءْ
صدىً هامساً فى الدجَى أننا... أنّنا جُبَناءْ
نخاف الأصيلْ
ونرحل لا رغبةً فى الرحيلْ
ولكنّ لنهرب من ذاتنا، من صرِاعٍ طويلْ
ومن أنّنا لم نزَلْ غُرَباءْ

وها نحن، حيث بدأنا، غيوب الظلامَ الفظيعْ

شتاءٌ بموت، وأسئلةٌ لم يُجبْها ربيعْ

حيَارَى العيُونْ

يُسائلُنا غدنا مَنْ تكونْ؟

ويتركُنا أمسنا المُنْطوى في ضَبابِ القُرونْ

فيا ليلُ، يا بحر، أينَ نضيعْ؟

٢٩/ ١/ ١٩٥١

الولايات المتحدة

ماذا يقول النهر؟

«إلى الصديقة التي سألتني ذات مساء: ماذا يقول النهر؟».

ماذا يقولُ النهْرُ؟

أقصوصةٌ

يَنسجُها من رَقْصِ ضوءِ القَمرْ

يَنسجُها من غَزَلٍ ناعمٍ

يُداعبُ النخْلُ به المنحَدَرْ

من نورِ مصباحٍ يُغذّي الدجى

حرارةً ويستثيرُ الشَجَرْ

من وقْعِ مجدافٍ خفيفِ الخُطى

يشُقُّ في الظلمةِ صَدْرَ النَهَرْ

ماذا يقولُ النهْرُ؟

أغنيَةٌ

قديمةٌ، بنتُ ليالٍ طِوَالْ

غنّى أساها مرةً عاشقٌ

والليلُ سكرانُ بكأسِ الجَمالْ

مُثْقَلَةٌ بالدفءِ، ما زالَ في

ألحانها بعض حنينِ الجمالْ
وخشمة الهودج تحت الدجى
ووقعِ أقدام الحُداةِ الثقالْ

ماذا يقول النهرُ؟

تسبيحةٌ
منْ بابلِ النشوى بعطر البخورْ
وموكبُ الكُهّانِ في معبد
دجلةُ يطوي سرَّهُ والصخورْ
وذكرياتُ الليلِ والشمس عن
(مدينة الشمس) وراءَ العُصورْ
وعن (حَمُورابي) وعن حُبّه
وما طوى سِفْرُ الزمان الغدورْ

ماذا يقول النهرُ؟

لا تسألي
دعي غلافَ السرّ كنّاً عميقْ
لو كشفَ الزنبقُ ألغازَهُ
لم يبقَ معنىً لشذاهُ الرقيقْ
١٩٥٠/٧/٢٧

ثلاث مراتٍ لأمي

قد يكون الشعر بالنسبة للإنسان السعيد ترفاً ذهنياً محضاً، غير أنه بالنسبة للمحزون وسيلة حياة، وقد كانت القصائد الثلاث التالية محاولة للتعزى لجأتُ إليها على أثر وفاة أمى فى ظروف محزنة عانيت منها معاناة خاصة، ولم أجد لألمى منفذاً آخر غير أن أحبه وأغنى له.

«ن. م.»

١- أغنية للحزن

افسحوا الدربَ له، للقادم الصافى الشعورِ،
للغلام المُرْهَفِ السابحِ فى بحرِ أريجِ،
ذى الجبين الأبيض السارق أسرارَ الثلوجِ
إنّه جاء إلينا عابراً خِصْبَ المُرورِ
إنّه أهدأ من ماءِ الغديرِ
فاحذَروا أن تجرحوه بالضجيجِ

إنّه ذاكَ الغلامُ الدائم الحُزْنِ الخجولُ
ساكنُ الأمْسيةِ الغَرْقى بأحزانٍ خفيّه
والزوايا الغيهبيّاتِ السكونِ الشَفَقيّه
أبداً يجرحُه النَوْحُ ويُضنيه العويلُ
فليكن من صمتنا ظلٌّ ظليلُ
يتلقّاه وأحضانٌ خفيّه

وهو يحيا فى الدموع الخُرْسِ فى بعضِ العيونِ
ولهُ كوخٌ خفيٌّ شيدَ فى عُمْقٍ سحيقِ
ضائعٌ يعرفُهُ الباكون فى صمتٍ عميقِ

وصَدًى يبحثُ عنه الألمُ الخشنُ الرنينِ
إنّه يقظاتُ أسرارِ السكونِ
وأسىً مختبئاً خلفَ العروقِ

نحن هيّأنا له حبّاً وتقديساً ونجوى
ونهيّئنا لِلُقْياه عيوناً وشفاها
وسنلْقاه مُصَلّينَ كما نلقى إلها
وسنُهْديه انفجارَ الأدمعِ العذْبة سلوى
وسنحبوه أسىً أقوى وأقوى
وسنُعْطيه عُيوناً وجِباها

إنّه أجمل من أفراحنا، من كلّ حُبّ
إنّه زنبقةٌ ألقى بها الموت علَينا
لم تزَل دافئةً ترعش في شوقِ يدَيْنا
وسنُعطيها مكاناً عَطراً في كلّ قلب
وشذًى حُزْنٍ عميقِ القَعْرِ
خِصْبِ
إنّه منا... وقد عاد إلينا..

١٩٥٣/٨/١٥

٢- مقدم الحزن

افسحوا الدربَ، إنّه جاء خجلا ... نَ رقيقَ الخُطَى كئيبَ الجبينِ

الغلامُ الحسّاس ذو الأعين الغَر ... قَى بتاريخ ألفِ سرٍّ حزينِ

إنه مُطعم العيونِ العميقا ... تِ وينبوعُ كلّ دمعٍ سخينِ

ولقد جاءنا تُبلّلُ عينَيْـ ... ـهِ الدموعُ الخرساءُ عبر السنينِ

إنّه حُزننا الصبيّ لَقِينا ... ه على غيرِ موعدٍ وانتظارِ

لم يَزَلْ هادئاً خجولاً كما كا ... نَ وما زال غامقَ الأسرارِ

جاءنا دافئاً أرقَّ من الدمـ ... ـعِ وأحلى من رعشةِ الأوتارِ

ففرشنا له طريقاً من اللهْـ ... ـفةِ والحبّ والدموعِ الغِزارِ

وأخذناه في خشوعٍ إلى أعـ ... ـماقِ أفراحنا وقَعْرِ رؤانا

ومنحناه كلّ ما جمع الحب ... من اللونِ والشَذَى لصبانا

ورصفنا له هوانا وما أبـ ... ـقَى لنا الموتُ والأسى من مُنانا

وغسلنا جبينَه بدموعٍ ... صامتاتٍ عَطْشَى تذوبُ حنانا

إنّه خيطنا الأخيرُ إلى السَرْ وة فيه من أمسنا ألفُ شيء
لم يَزَلْ هامساً لنا: «إنها ما تتْ» على مسمع الشذَى والضوء
إنّ فيه من وجهها وأمانيـ ـها وأشواقها بقيّة دفْء
وهو إحساسُها يعود إلينا مُرْعِشاً منّ كياننا كلَّ جزء

إنّه كلُّ ما تبقّى لنا من وجه ضحكاتنا ورجْع الأغاني
إنَّ فيه نهايةَ الطَرَف الثا نى لما هدّم الردَى من أمانِ
فوهبنا له صلاةً من الأد مع خَجْلى مهموسةَ الألحانِ
ومنحناه مسكناً فى مآقيـ ـنا وحُبّاً أقوى من النسيانِ

١٩٥٣/٨/١٧

٣-الزهرة السوداء

كنزنا الغالي تركناه هُنا
لحظاتٍ ثم أسرعنا إليه
والتمسناه وراء المُنحَنى
وعلى التلّ فلم نعثر عليهِ

وسألنا عنه في الغابة ربوه
فأجابتْ أنها قد نَسِيَتْه
وهمسْنا باسمه في سَمع سَرْوه
فتناست في الدجى ما سمعتْه

غير أنّ الفجر حيّى في ابتسام
وأرانا في مكان الكنزِ زهره
نبتت سوداءَ في لون الظلامْ
وسقاها دمعُنا ليناً ونَضْره

كلّما مرّتْ بها ريح الصّباحْ
بعثتْ في الجوّ موسيقى خفيّه
وأتيناً خافتاً ملءَ الرياحْ
كمنَتْ فيه دموع البشريّه

إنها زهرتُنا الوحشي الحزينه
أمسُنا في لونها ما زال لَدْنا
فمنحناها مآقينا السخيته
وحملناها مع الذكرى وعُدْنا

١٩٥٣/٨/٢١

يحكي أن حفارين

الزمان يسيرْ

بدقائقه المبطئات الثقالْ

ساحباً خلفَه عرَباتِ الليالْ

مُثقَلاتٍ بأسرارها الداكناتْ

الزمانُ يسير، يجُرّ الحياةْ

وهنالكَ، فوقَ بساطِ الرِّمالْ

حيث خلّفتِ العرَباتْ

أثراً من خُطَى العجلاتْ

لم نَزَلْ نحن، في كلّ كفٍّ قَدُومْ،

لم نَزَلْ نحفرُ الأرضَ في وحشةٍ ووجومْ

نحن نبكي هنا

والزمانُ يسير

نحفِرُ الأرض، نبحث عما أضعنا هنا

والزمان يسير

وحدَنا، وحدَنا، في سكوتْ

صامتَينِ نُراقب كيفَ تموتْ

في يدَينا وفي مقلتَينا العروقْ

وهنالك ينتظر الحيّ خلف الترابْ

في أسىً وعذابْ

أن يُطلَّ شُروقْ

أن يرانا أخيراً بأعيننا الكابيه

نعبُر الهاويه

لنعيدَ إليه الشَبابْ

ذلك الحيّ في الظُلُماتْ

آه لو لم تَمُتْ في يَدَينا العُروقْ

لنُعيد إليه الحياةْ

«احفر الآنَ وحدكَ.. ما عُدْتُ أقوَى أنا

«احفر الأرضَ وحدكَ.. إني أحسّ الفَناءْ

«ملءَ كفّي وملءَ ذراعي، أحسّ الرجاءْ

«يتلاشى بعيداً وراء مَدَى المُنْحَنى

«حيث مرّ الزمان بنا

«منذ بضعِ مئاتِ السنينْ

«وغدا سيمرّ بنا من جديدْ
«فيراكَ لوحدك تحفر في حَسرة وحنينْ
«سيمرّ وتحفرُ أنتَ ركامَ الجليدْ
«في الثرى، في عُروقي أنا

ثم يأتي زمانْ
وتدبّ الحرارة في الجَسد الجامد
جَسد الرجل الحيّ في قبره البارد
وهنالك تحتَ الدجى ميّتانْ
جامدانِ كلوح جليدْ،
ويمرّ الزمان العنيدْ
بهما من جديدْ
فيرى فيهما صاحبَينْ
طالما حَفَرا في الترابْ
حَفَرا في الضَبابْ
ربما حَفَرا في شُحُوب الخريفْ
أو عُبوس الشتاء المخيفْ
طالما شوهدا يحفرانْ
يحفران، يَظَلاّن في لهفة يحفرانْ
وهما الآنَ، فوقَ الثرَى، ميّتانْ

والزمان يسيرْ

ويجُرُّ رفاتَهما في الرمالْ

ويرى الرجل الميّتَ الحيّ يطوي الليالْ

شارداً مُفْرداً

لم يَعُدْ يحتويه مكانْ

أو زمانْ

إنّه قد أضاع الغدا

وتبقّى له الأمس والميّانْ

... واستمرّ يسير الزمان...

١٩٤٩/١/١٤

الزائر الذي لم يجئ

.. ومرّ المساء، وكادَ يغيبُ جبينُ القَمَرْ
وكدْنا نُشيّع ساعاتِ أمسيةٍ ثانيه
ونَشْهد كيفَ تسير السعادةُ للهاويه
ولم تأتِ أنتَ.. وضعْتَ مع الأمنياتِ الأُخَرْ
وأبقيتَ كرسيّك الخاليا
يُشاغلُ مجلسَنا النَّاويا
ويبقى يَضجّ ويسأل عن زائرٍ لم يجئْ

وما كنت أعلم أنّكَ إن غبتَ خلفَ السنينْ
تخلّف ظلّكَ في كل لفظٍ وفي كلّ معنى
وفي كلّ زاويةٍ من رؤايَ وفي كلّ مَحْنى
وما كنتُ أعلمُ أنّكَ أقوى من الحاضرينْ
وأنَّ مئاتٍ من الزائرينْ
يضيعون في لحظةٍ من حنينْ
يَمُدُّ ويَجْزُرُ شوقاً إلى زائرٍ لم يجئْ

ولو كنتَ جئتَ... وكنا جلسنا مع الآخَرينْ
ودارَ الحديث دوائرَ وانشعبَ الأصدقاءْ
أما كنتَ تُصبحُ كالحاضرين وكان المساءْ
يمرُّ ونحن نقلّب أعيننَا حائرينْ
ونسأل حتى فَراغَ الكراسي
عن الغائبينَ وراء الأماسي
ونصرخُ أنّ لنا بينَهُم زائراً لم يجئْ؟

ولو جئت يوماً -وما زلت أوثرُ ألاّ تجيءَ-
لَجفّ عبيرُ الفَراغ الملوَّن في ذكرياتي
وقُصَّ جناحُ التخيُّل واكتأبتْ أغنياتي
وأمسكتُ في راحتيَّ حُطامَ رجائي البريءْ
وأدركت أنّي أحبّك حُلْما
وما دمتَ قد جئت لحماً وعظما
سأحلُم بالزائر المستحيلِ الذي لم يجئْ

١٩٥٢/٨/١٨

الراقصة المذبوحة

ارقُصي مذبوحةَ القلب وغنّي
واضحكي فالجُرْح رَقْصٌ وابتسامْ
اسألي الموتَى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغنّي واطمئنّي

أدموعٌ؟ أسكتي الدمعَ السخينا
واعصُري من صرخة الجُرحْ ابتساما
أانفجارٌ؟ هدأ الجُرْح وناما
فاتركيه واعبُدي القيدَ المُهينا

ثورةٌ؟ لا تُبغضي السوطَ المُلحّا
أيّ معنىً لاختلاجاتِ الضحايا؟
بعض أحزانٍ ستُنسى، ورزايا
وقتيلٌ أو قتيلان، وجَرحَى

اقْبسى من جُرحِكِ المُحرقِ لحنا

رتّميه بالشّفاه الظامئات

لم تزلْ فيها بقايا من حياةْ

لنشيدٍ لم يَفِضْ بؤساً وحُزنا

صرخةٌ؟ أيّ جحودٍ وجُنونِ!

اتركى قتلاكِ صرعَى دون دفنِ

واحدٌ مات... فلا صرخةَ حزنِ!

أيّ معنىً لانتفاضات السجين؟

انتفاضاتٌ؟ وفى الشعب بقايا

من عروقٍ لم تسلْ نبعَ دماءْ؟

انفجاراتٌ؟ وبعض الأبرياءْ

بعضُهم لم يسقُطوا بعدُ ضحايا؟

لم يكن جرحكِ بدعاً فى الجُروحِ

فارقُصى فى سكرةِ الحزنْ المميتِ

الأرقاء الحيارى للسكوتِ

احتجاجاتٌ؟ لماذا؟ استريحى!

اضحكي للمُدْيةِ الحمراءِ حُبّا
واسقُطي فوقَ الثرى دون اختلاجِ
مِنّةٌ أن تُذبحي ذبحَ النعاجِ
مِنّةٌ أن تُطعني روحاً وقلبا

وجنونٌ يا ضحايا أن تثوري
وجنونٌ غضبةُ الأسرى العبيدِ
ارقصي رقصةَ مُمْتَنٍّ سعيدِ
وابسمي في غبطةِ العبدِ الأجيرِ

اسكتي الجُرْحَ حرامٌ أن يئنّا
وابسمي للقاتلِ الجاني افتتانا
امنحيه قلبكِ الحرَّ المُهانا
ودعيه يتشفّى حَزّاً وطَعْنا

وارقصي مذبوحةَ القلبِ وغنّي
واضحكي فالجُرْحُ رقصٌ وابتسامُ
اسألي الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغنّي واطمئنّي

١٩٤٨

الشخص الثاني

لو جئتَ غداً وعبرتَ حُدودَ الأمسِ إلى غدِيَ الموعودْ
وشدا فرحاً بمجيئكَ حتى المَعبرُ والباب المسدودْ
ولقيتكَ أبحث فيك عن المتبقّي من أمسي المفقودْ
لو جئتَ ولم أجدِ الماثلَ في الحاني
وأطلَّ على روحي منك الشخص الثاني

الشخص الثاني، من أعماق شهورِ التيهِ المطموره
حاكته دقائق تلك الأيّامِ الجانيةِ المغروره
وترسَّبَ في عينيهِ تثاقُلها ورؤاها المذعوره
وسأبحث فيكَ عن الماضي في اطمئنان
فيفاجئُ لهفتيَ الحرَّى الشخصُ الثاني

وهناكَ على الوجه الحسّاسِ الحيِّ الصمت أرى ظلَّينْ
ومكانَ الواحدِ في عينيكَ المرهقتينِ أحس اثنَينْ
ويقابلني الشخصان معاً وسدىً أرجو فصل الضدَّينْ
وسأسألُ عما خلّفَه لي عامانِ
من وجهكَ، والردّ جبينُ الشخصِ الثاني

وسيسكن هذا الشخصُ الثاني الأحمقُ حتى في البسَماتْ
سيمُدّ برودتَه في رقّةِ صوتكَ، في لينِ النَبَراتْ
وسيرمُقُني في خبْث، مختبئاً حتى خلفَ الكلماتْ
ولمن أشكو هذا المخلوقَ الشيطاني
والأول فيكَ محتْه يدُ الشخصِ الثاني؟

٩/١٠/١٩٥١

عندما قتلت حبي

وأبغضتُك لم يبقَ سوى مَقْتي اناجيهِ

وأسقيه دماءَ غدي واغرق حاضري فيهِ

وأطعمهُ لظى اللَعَناتِ والثورةِ والنقمهْ

وأسْمعهُ صراخَ الحقد في أغنيةٍ جَهْمهْ

ومن إغفاءة الموتى أغذّيه

وأنثر حولَه الأشباح والظلمه

وأبغضتُ اسمَكَ الملعونَ والأصداءَ والظلا

كرهت اللونَ والنغمةَ والإيقاعَ والشكلا

وتلكَ الذكرياتُ الخشْنة الممقوتة الفظّه

هَوَتْ وتآكّلتْ وثوتْ مع الآبادِ في لحظه

وعدتُ قصيدةً فجريةً جَذْلى

وقلتُ الأمسُ ما عاد سوى لفظه

وتمَّ النصر لي وهَوَيتَ ممثالاً إلى الهوّه
وجئتُ لأدفنَ الأشلاءَ تحت كآبة السروه
وراحَ الرَفش في كفي يشُقّ الأرض في نَهَمِ
فلامسَ في الثرى جسداً رهيباً بارد القدَمِ
ورحت أجرّه للضوءِ مَزْهوّه
فمن كانَ؟
بقايا جثة النَدَمِ

وكان الليل مرآةً فأبصرت بها كُرْهي
وأمسى الميْتَ لكنيَ لم أعثر على كُنْهي
وكنت قتلتُكَ الساعة في ليلي وفي كأسي
وكنت أشيّع المقتولَ في بُطْءٍ إلى الرمسِ
فأدركت ولون اليأس في وجهي
بأني قطّ لم أقتلْ سوى نفسي

١٢/٥/١٩٥٢

لحن للنسيان

لَم يا حياهْ

تذوى عذوبتكِ الطريّة في الشفاهْ؟

لِمَ، وارتطام الكأسِ بالفم لم يَزَلْ

في السمع همسٌ من صداهْ؟

ولِمَ المللْ

يبقى بعشش في الكؤوس مع الأملْ

ويعيش حتى في مرور يَدَىْ حُلُمْ

فوقَ المباسمِ والمُقَلْ؟

ولِمَ الألمْ

يبقى رحيقىَّ المذاق، أعز حتى من نَغَمْ؟

ولمَ الكواكب حين تغرب في الأُفُقْ

تفترُّ جذلَى للعَدَمْ؟

ولِمَ الفَرَقْ
يحيَا على بعضِ الجباهِ مع الأرَقْ
وتنام آلاف العيونِ إلى الصبَاحْ
دون انفعالٍ أو قَلَقْ؟

ولِمَ الرياحْ
لمْ تدرِ حتى الآنَ أن لنا جراحْ؟
لمْ تدرِ كم حملتْهُ من ملْحِ البحارْ
لجراحنا هي والنُواحْ؟

ولِمَ النهارْ
ينسى بأن مدامعاً حرَّى غزارْ
تأبى التألقَ في الجفونِ المثْخَنَة
وتَودَّ لو هبطَ الستارْ؟

والأزمنه
كم ذكرياتٍ كم فواجعَ مُحزِنه
ضمّتْ صحائفُها وكم رقَدَ الترُابْ
فوقَ الخدودِ اللينه

ولمَ الغيابْ

يفتنُ في وشْ الجمالِ على هضابْ

بعُدتْ، على كل الوجوهِ الغامضاتْ

خلف المرامي والشعابْ؟

والأغنياتْ

أوّاه لو كانتْ تعيشُ مع الحياة

وتظلُّ نابضةً وإن نُسي الغرامْ

ولحونُه المتنهداتْ

١٧/١/١٩٥١

الولايات المتحدة

كلمات

شكوتُ إلى الريح وحدةَ قلبي وطولَ انفرادي
فجاءت معطّرةً بأريجِ ليالي الحصادِ
وألقتْ عبيرَ البنفسَجِ والورد فوق سُهادي
ومدّتْ شَذاها لخدّي الكليلِ مكانَ الوسادِ
وروّت حنيني بنجوى غديرٍ يغنّي لوادِ
وقالتْ: لأجلِك كانَ العبيرُ ولونُ الوهادِ
ومن أجلِ قلبكِ وحدكِ جئتُ الوجودَ الجميلْ
فقيمَ العويل؟

وصدَّقتُها ثم جاءَ المساءُ الطويلْ
وساد السكونُ ضبابَ الظلام الثقيل
فسائلت ليلى: أحمقٌ حديث الرياحْ؟
فرد الدُّجى ساخرَ القسماتْ
«أصدقتها؟ إنها كلماتْ»

وأصغيتُ في فجر عمري إلى أغنيات البشرْ

وشاركتهم رقصهم في شحوب ليالي القمرْ

وغنيتُ مثلهم بالسعادة، بالمُنْتَظَرْ

بشيء سيأتي، بيوتوبيا في سنينٍ آخرْ

آمنتُ أن حياةً بلونِ الندَى والزهرْ

ستمسح أيامنا المُثْقَلات بعبء الضجر

وقالوا لنا في أغاريدهم إننا خالدونْ

خلود القرونْ

وصدقتهم ثم جاء المساء الصديقْ

يجرُّ سلاسله في جمودٍ وضيقْ

فساءلتُهُ: أهو حقٌّ هتاف البَشَرْ؟

فحدق بي صائحاً: «يا فتاة!

أصدّقتهمْ؟ إنها كلماتْ»

وكم مرةٍ جدل العاشقون الأماني الوضاءْ
وكم عصروا في كؤوس التخيّل شهدَ الوفاءْ
وراحوا على حُبّهم يُشهدون نجومَ السماءْ
ووقعَ الندى فوق خدّ الصباحِ، وصمْت المساءْ
وكم أقسموا بالهوى أنهم أبداً أوفياءْ
وأنّ الوجودَ يموتُ وحبُّهمُ للبقاءْ
وقالوا: هوًى واحدٌ خالدٌ يتحدّى العَدَمَ
ويَرضى الألمْ
وصدّقتُهُم ثم جاء المساء اللطيفْ
هنالك ذات دجىً من أماسي الخريفْ
وساءلتُهُ أهي حقٌ رؤى العاشقين؟
فتمتمَ مستهزىءَ النبراتْ
«أصدّقتِهم؟ إنّها كلماتْ»

١٩٥٢/٥/٢٨

السُّلَّم المنهار

استـرَحْنا، كُشف اللُّغزُ ومـاتَ المُبْهَمُ
وتلاشت حـرقـةُ الأحـلامِ في لونِ العيـونْ
استـرحنا، هدأ الشـوقُ ووراهُ الـسكونَ
استـرحنا نحـنُ، وارتاحَ الزمـانُ الـنّهِمُ
وغـداً ينهـزم الماضي بعـيـدا
وترى أعـيننا شـيـئاً جـديدا

الشفاه الزرْق في أوجهنا الآنَ ستصفو
من جديد، فلقد ذابَ الهوى عندَ الشروقِ
والعيون المُثْقلات الصمْتِ بالسُّهْدِ العميق
ستنام الآنَ لا يوقظهـا حبٌّ وعُنْفُ
وغـداً يـعـرِف قـلبـانا بـأنَّا
قـد دفنّا الحب حـيّـاً وانتـهـينا

والعُروقُ المُلْهَبـات الدمِ قـد حـانَ كَـرَاها
حسْبُها ما جلجل الإعصار في أعماقـها،
وزهورُ الحُلْـم لا تسكب عـلى أوراقـهـا

أيّ لون، إنهــا مــاتت ولن يــحيَــا شـــذاها

هدأ القــلبــان، لا تخشَ ارتــعـــاشـــا

مـــات عِــرْقُ الحب فــينا وتلاشى

وأفَــقْــنا وانتــهى الشــيءُ الذي خلْناهُ حــبّــا

وتبــقّتْ حــولنا الذكــرى التي تَسْخَرُ منّا،

من خــيــالاتِ صــغــيــرَيْنِ بدا نجمٌ فــظنّاً

أنَ في وســعــهــمــا أنْ يُمْسكاهُ فــاشرأبّا

لحظةً، ثم تــهـــــــــاوى السُّلَّمُ،

فـــي بُـــرودٍ، وتـــلاشَـــى الحـــلـــمُ

سرْ يميناً أنت واتركني أسر وحدي شمالاً

فمن المُضْحك أن نبــقى هنا كــالــغُــرَباء،

تصــرخُ الوَحْدةُ فــي أعــيــنــنا دون انتــهـــاء

ويَرشُّ الصــــمتُ لُقــيـــانا بروداً ومَـــلالا

حـــسِبْنا أنّا أضـــعنا مـــا أضـــعنا

من زمـــانٍ، فلنَعُدْ مـن حيث جِــئنا

١٩٤٨/٨/٨

غسلاً للعار

«أمّاهُ!» وحَشْرجةٌ ودموعٌ وسَوادْ،
وانبجسَ الدمُ واختلج الجسمُ المطعونُ
والشَّعْرُ المتموج عشَّش فيه الطينُ
«أمّاه!» ولم يسمعْها إلا الجلاّدُ
وغداً سيجيء الفجر وتصحو الأورادُ
والعشرون تُنادي والأملُ المفتونُ
فتُجيب المرْجةُ والأزهارْ
رحلتْ عنا... غسلاً للعارْ

ويعود الجلاّدُ الوحشيُّ ويَلقى الناسْ
«العارُ؟» -ويمسَحُ مُدْيته- «مزّقْنا العارْ»
«ورَجعنا فضلاءً، بيض السُّمعة أحرارْ»
«يارَبَّ الحانة، أين الخمرُ؟ وأينَ الكاسْ؟»
«ناد الغانيةَ الكسْلى العاطرةَ الأنفاسْ»
«أفدي عينَيها بالقُرآن وبالأقدارْ»
املأ كاساتكَ يا جزّارْ
وعلى المقتولةِ غسْلُ العارْ

وسيأتي الفجر وتسألُ عنها الفتياتُ،

«أينَ تراها؟» فيردّ الوحش «قتلناها»

«وصمةُ عار في جبهتنا وغسلناها»

وستحكي قصّتها السوداءَ الجاراتُ،

وستَرْويها في الحارة حتى النّخَلاتُ،

حتى الأبوابُ الخشَبَيةُ لن تَنْساها

وستهمسُها حتى الأحجارْ

غسلاً للعارْ..

غسلاً للعارْ..

يا جارات الحارة، يا فَتَيات القرية

الخبزُ سنعجنُه بلموع مآقينا

سنقُصّ جدائلَنا وسنسْلَخُ أيدينا

لتظلّ ثيابهمُ بيضَ اللونِ نقيّه

لا بسمَةَ، لا فرحةَ، لا لفتةَ فالمدْيه

تَرْقُبُنا في قبضة والدنا وأخينا

وغداً من يدري أيُّ قفارْ

ستُوارينا غسلاً للعارْ؟

١٩٤٩/١١/١٦

الرحيل

سنرحل لاح صباحٌ عميقٌ وراء السَواد
ولم يبقَ إلاّ ضبابٌ خفيفٌ يلُفّ الوهادْ
ويحلُم مكتئباً في عيونٍ طواها السُهادْ
وصاغتْ مع الليل أغنيةَ الرحلةِ القادمهْ
إلى أُفقٍ كوكبيّ السُتورْ
يَمُدّ جذور

وراء مسالكنا القاتمه

سنرحَل فالأنجُمُ الوامقاتُ تُشير لنا
أصابعهُا اللدْنة المخمليّة في دربنا
تُطرّزُ كلّ غدٍ قادمٍ بخيوط المُنى
تقودُ خطانا خلالَ الشعابِ الطوال المضنيَه
سنَرحلُ بعد زمانٍ قصيرْ
وعَصرٍ صغيرْ
فلم يَبقَ من ليلنا غيرُ ومضه

ومن سَنواتِ الإسارِ الممزّقِ، من ألفِ ظُلمه
تُلفُّ مدًى أسوداً لا تَمَسّ دياجيه نجمه
ستُبدِلُنا حافةُ الكأسِ قطرةَ حُبٍّ وبَسْمه
وتحملُنا عربات الكواكبِ عبرَ الحزونْ
وراء بحار الندى والظلالْ
وحيث الجمالْ
يُمَسّ ويشربُهُ المتعبون

وداعاً صَحارَى العويلِ فقد حانَ فجرُ السنينْ
وآنَ لنا أن نجوبَ البحارَ مع الراحلينْ
عَطِشْنا طويلاً وكانت كؤوسك ملأى أنينْ
ينوحُ الفراغُ عليها وموكبُنا الباحثُ
تجرّع حتى كؤوسَ الدموعْ
ونارَ الضلوعْ
وجُنّ به شوقُهُ اللاهثُ

وفي الغـد من بَعدنا، إن أطلَّ جـبينُ القَـمَرْ

ولامسَ ضوءُ النجـومِ النشاوى حـريرَ النّهَرْ

ورنّ مع الليلِ صوتٌ بعيدُ الصَّدَى واندَثَرْ

كـمـا رنّ، يـسـأل عنّا وأينَ رمـتْنا البـحـورْ

فقولي له إنّنا لن نعودْ

لأرضِ القيودْ

فقد أشرق الفجر منذ عصورْ

٥/ ٨/ ١٩٥٠

الخيبة

عُدنا إلى الأرضِ وكانَ الطريقْ
طريقَنا الأوّلا
والجُهد لم يبقِ لنا من بريقْ
خلَّفَهُ الأمسِ النضيرُ الوريقْ
عبرَ الرؤى مُشْعَلا

عُدنا وألفينا الرُّبى والحقولْ
كما تركناها
الشمس ما زالتْ تُغذّي السهولْ
يتبعُها الليلُ البطيءُ الكسولْ
يمحو بقاياها

والناس ما زالوا هنا يزرعونْ
ويَحْصُدونَ الهمومْ
الشمسُ تدري أنهم يَغمسونْ
ذنوبهمْ في ظُلُمات القرونْ
ويرْمقونَ النجومْ

ونحن مـــا زلنا كـــمـــا كنّا

أولئكَ الحـــمقَى

الليـل يمـضى ســاخـــراً منّا

والفـــجـــرُ يَرْوى للـدجى أنّا

نشرَبُ مـا نُسْقَى

وأمس فـى القـــافـلة الراحـله

سرنا مع السائرينْ

نـقطـع آلافَ الـربّـى الماحـلـه

وعندمـــا أرستْ بنا القـــافله

بعد انصرام السنينْ

جنّتْ بـنا خــبيــتُنا وانطوَى

مـا كـان مـأمـولا

وهدّنا عــبء الأسى والجــوى

فـهـــذه خلفَ الربي والـهـوَى

بُقْــعـتُنا الأولى

١٩٥٢/١/٥

أسطورة عينين

عـــينانِ طلَسْمٌ ولُغْــــزٌ أصمّ
يَحَارُ فى تفسيره التائهون
غيبان من عهْدٍ سحيقِ القِدَمْ
وضَــفّــتـا شطٍّ طوته القُــرونْ

عـــينـانِ لونٌ نابضٌ ســاخنُ
شيءٌ من الشروقِ لذيذ الفُتورْ
وفيهمــا العرّاف والكاهن
ومــعبَدٌ مــخدّرٌ بالبخُــور

عـــينانِ أمْ مــزارعٌ فى الظلالْ
تُرَقرقُ العبير فى الأوديه؟
وهُدْبها أم رعشة البرتقالْ؟
أم نجمــةٌ تخــفق؟ أم أغنيــة؟

عـينان أم عـوالمٌ شـاسعـه؟
وبؤبـؤٌ أم دعـوةٌ لـلرّحـيلْ؟
بابٌ إلى يـوتوبيـا الضـائعـه
ومَـعْـبـرٌ يَنْتهِى إلى المستـحـيلْ

وفي مَـطاويهـا وِسَـاد الحُـلُمْ
ومن حـواشـيـهـا ارتواءُ الوَتَرْ
عـينانِ مـا كـاد يعـيـهـا النغَمْ
حـتـى دعـا أشـواقَـه وانفـجَرْ

وذلك الـعـمْـق الذي لا يُحـدْ
يحـمل للرّائـينَ سـرّ الظمـأْ
أحسّ فـيـه لا انتـهـاء الأبَدْ
ومـوكبَ الـتـاريخ منذ ابتـدأ

يَرْوونَ عـنْهـا أنّ أغـوارَها
ذوبُ نجـوم أطفـأتهـا السنينَ
وأنّ مـن أدركَ أسـرارهـا
فكّ الرّدَى عـنْه الإسـارَ المُهِـينَ

وأنهَــا، كـمــا رَوَى آخــرونْ،
بقــيّــــة من أعــصـينِ آفـله
عينا (مـدوزا) أفرغَ الســاحـرونْ
مــا فيـهـمـا من قــوّةٍ قــاتله

ستـلبث العيـنانِ سـراً عـمـيقْ
ويـذرع الراوونَ أرضَ الخـــيـالْ
أسطـورةٌ تظلّ سـكرَى البـــريقْ
مـا بقي الشـعـرُ وعاش الجـمـالْ

الوصول

سأحبّ نفسي في ارتعاش ظلالها تحيا عصورْ
ملأى بألوانِ الخيالْ
وهناك في أنحائها ألقى الجَمَالْ
وعوالماً نجميّة الإشراقِ مُسكرة العطورْ
وهناك كم لونٍ ترسّب في كؤوس الذكريات
كم قصّة نامتْ وغطّتْ سرّها خلفَ الشُعُورْ
كم خطفةٍ من طيفِ حُبٍّ عاش حيناً ثم ماتْ
كم نغمةٍ في ذاتِ صيفٍ، عندما كان المساءْ
متثاقلاً نعسانَ، في بعضِ القُرَى
وأنا أغنّيها وأرقُب في ارتخاءْ
ظلَّ النخيلِ على الثرَى

سأحبّ نفسي، في صفاء ظلالها أجدُ الصفاءْ
طال التغرّبُ والتلالُ تلوّنتْ بدمِ الغروبْ
حتى النهارُ أوى إلى سُرُرِ المساءْ
لم يبْقَ إلاّ أنا وآهات المداخنِ من بعيدْ
وكآبةُ الليلِ الجديدْ

ولقد وصلنا، ها هنا يحيا الجَمالْ،

والدفءُ، والشمسُ الأنيقةُ، والسكونْ

والامتدادُ وعالمٌ يَسَعُ القُرُونْ

بحرٌ من الألوانِ يخلقُهُ الخيالْ

ويموج فوق مداه آلافُ الظِلالْ

يا صمتَ نفسي عدتُ عدتُ إليكَ بعد سُرَى سنينْ

ضاقت بتَطْوافي البحارْ

وشكا النّهارْ

ما حَملتْه رؤاىَ من عبءِ الحنينْ

لم ألقَ غيركَ لي نصيرا

في ظلمة الليل المُضِلُّ

فافتح لي البابَ الأخيرا

دعني أمرُّ

...أنا وظلّي...

٦/ ٣/ ١٩٥١

الولايات المتحدة

أغنيةٌ لشمس الشتاء

أشيعي الحرارةَ والرقّةَ في لَمَسَاتِ الرياحْ
ولفّي جدائلكِ الشُقْرَ حولَ الفجاجِ الفساحْ
وهذا التحرّقَ في شفتيكِ أريقي لظاهْ
على طَبَقاتِ الثلوجِ الكثيفةِ فوقَ المياهْ
أذيبي بها قَطَراتِ الجليدْ
عن العُشْبِ، عن زهرةٍ لا تُريدْ
فراقَ الحياهْ
فما زالَ فيها رحيقٌ تخبّئُهُ للصباحْ

ومن دفءِ عينيكِ من ضوءِ هذا الجبينِ السعيدْ
أريقي عصيرَ البنفسجِ فوقَ الفضاءِ المديدْ
ومن لونِ هذي الجدائلِ رشّي ازرقاقَ الأثيرْ
وصبّي البريقَ الملوّنَ فوقَ مرايا الغديرْ
ومن عطرِ هذا الضياءِ المذابْ
أريقي على صَفَحاتِ الضبابْ
وبيماً نضيرْ
يحيلُ البرودةَ فيهِ إلى دفءِ حبٍّ جديدْ

أصابعُكِ الدافئاتُ المرور اضغَطي شعْرَها
وأحلامَهـا فوقَ زهرةِ فُلٍّ طوت سرَّها
ونامتْ مُلفّعةً بجليدِ المساء القريبْ
تذوب اشتياقاً لصوتكِ، للحبِّ، للعندليبْ
أطلّي بوجهكِ في سجنها
فقد جَمَدَ الشعر في لونها
وعادَ شحوبْ
تسائلُهُ همَسَاتُ العصافيرِ عن سحرها

وروحي الذي رَسَبَتْ في مُنَاه ثُلوجُ الملالْ
ولاذ بزاوية جَهْمةٍ من زوايا الجبالْ
دعيه يُعانقك سكرانَ من وهجِ هذا البريقْ
ويشرب يشربُ هذا الضياءَ ولا يستفيقْ
يفيض عليه سناك الحنونْ
ويُرْسلُهُ شُعلَةً من جنونْ
ولحناً رقيقْ
تذرتْ مقاطعَهُ لعذوبةِ هذا الجمالْ

دعيني! هنا لا أحسّ سوى روحك الشارده
تُقَبّل شَعْري، وتُدفئ أحلامي البارده
هنا أنتِ، بنت حقول الجنوب وألوانها
قَبَسْتِ العذوبةَ والدفءَ من سحْرِ غُدْرانها
وهذا الصفاء صفاء الحياه
هناك، وهمسُك شدو الرعاه
لقُطْعانها
دعيني! فأنتِ الإله هنا وأنا العابده

ومن أجلِ عينيكِ هاتين حيث يعيشُ الأبَدْ
أعيشُ أؤرّخُ كالآخرينَ بأمسٍ وغدْ
وكالآخرين أعيش أجُرّ قُيودَ المكان
وأحملُ فوقَ جبيني عبءَ الدجى والدخان
لعينيك أرشفُ كأسَ الغيومْ
وأعبر ليلاً جفته النجومْ
وأطوي الزمانْ
مكبّلةً بالأسى الآدميّ وقيدِ الجَسَدْ

ولولاكِ يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيدُ المروجْ
وجفَ رحيقُ الشذى تحتَ برد الشتاء اللَّجُوجْ
ولولاكِ ما كان أخشن مسَّ الفضاء الرهيبْ!
وهذي النعومةُ، هذا الضياءُ الرقيقُ الغريبْ
ألولاهُ كان يعيشُ الخيالْ؟
ومن ذا يوسِّدُ خدَّ الجمالْ؟

ومن ذا يُذيب
بريقَ الحرارةِ في سَرْوةٍ جمَّدتها الثلوجْ؟

ولولاكِ أينَ إذنْ يستحمّ جبينُ السلامْ؟
وهذي المشاعرُ أينَ تصُبّ، وأين تنامْ؟
وبعضُ العُيون التي جمعتْ ألفَ حُلْمٍ مُحالْ
وقد نَصجتْ خلف أهدابها نَغَماتُ الجمالْ
دعيها تُرِقْ عَسَلَ الأغنياتْ
فلولاكِ سدّتْ عليها الحياة
رحابَ الخيالْ
ولولاكِ ما وجدَتْ سامعاً غيرَ بَرْد الظلامْ

١٩٥٢/١/٢٨

بقايا

مُرَّ بي إن شئتَ مَسروقَ الرؤى ميْتَ النشيدِ

مُرَّ، في نفسكَ أعماقٌ من الصمْتِ البليدِ

حاملاً وجهَ أبي هولٍ جديدِ

ساحباً أعباء قلبٍ من جليدِ

كُنْ، إذا شئتَ، بلا طَعْمٍ، خريفيّاً، مملا

آه لكنْ... الْقِ ظلا

ولتكن عيناكَ أفْقاً فارغاً دون ضياءْ

تملآن الكونَ ضحكاً فارغاً، كالأغبياءْ

أبداً لم تُدْركا معنى البكاءْ

وانطباقَ الجفْنِ فوق الكبرياءْ

لتكنْ عيناكَ خلْواً أفْقُها من كلّ معنى

آه لكن.. الْقِ لونا

وليكن ماضيكَ قد ماتَ وواريته السنينْ
ليكن أصبح في حُضْنِ الثرَى أكداسَ طينْ
ليس في قلبك عِرْقٌ من حنينْ
ليس إلا بعضُ إحساسٍ مُهينْ
ليكن حبّكَ قد فاتَ مع الأمسِ ومرّا
آه لكن... ابقِ ذكرى

وليكنْ ظلّ الغَدِ القادم موتا وظلاما
لنكن نحن سنُمْسي فيه جُرْحاً وحُطاما
وفمُ الأحداث يمتصُّ العظاما
ثمّ يُلقيها على الأرض رُكاما
ليكنْ لونُ الغد الآتي ضَباباً مُدلهمّا
آه لكن.. ابْقِ حُلْماً

إن يكن قد كُشفَ اللغزُ عن الأمس المُهَانِ
وبَدَتْ فيه الأساطير ولاحت للعيانِ
انجلى ما سترتْ كفّ الزّمانِ
عن كيانٍ خَرِبٍ دونَ كيانِ
ليكن عاد وضوحاً دون ظلٍّ وتَعَرّى
آه لكن.. ابقِ سرا

لتكن روحاً يطوف العمرَ في صمتٍ أليم
مزّقت حُلْمَ صباهُ نقمةُ الجُرحِ القديم
فمضى يلعنُ آفاقَ النجومِ
ويذيبُ الليلَ أقداحَ سُمُومِ
لتكن هدَّمتَ، لم تستبقِ في صدرِكَ حبّاً
آه لكن... ابقِ قلبا

نحن ضيّعْنا طريقَ الغَدِ في الليلِ الرهيبِ
ونسينا راحةَ القلبيْنِ في الأمسِ القريبِ
اصْغِ لم يبقَ سوى همْسِ الذنوب
في سكونِ الكونِ، في الليلِ الرهيب
فخذ الكأسَ إذا شئت ومزِّقْ ما تبقّى
آه لكن.. ابقِ عرْقا
ابقِ عرْقا

١٩٤٩/٤/١٥

ساعة الذكرى

هذه ساعة التذكّر، كاد الـ ... ـليل يبكي معي ويُصغي مليّا
إنها ساعةُ التذكّر، والأجـ ... ـراسُ تطوي كآبةَ الصمت طيّا
وأحسُّ الخُطَى تمرّ حياري ... خلفَ بابي كما مررنَ مرارا
وأحسُّ الوجوه هبّتْ من الما ... ضي وعادتْ مملوءةً أسرارا
الخُطَى والوجوهُ أسمعها، ألـ ... ـمحُها في الدجَى تحدّقُ فيّا
الخُطَى والوجوه يا ساعة الذكـ ... ـرى وقلبٌ طَغَى أساه وثارا
خلفَ بابي يمُرّ بي موكب الأشـ ... ـباحِ يستصرخ الدموعَ الغزارا
الخُطَى والوجوه من عمْق ماضٍ ... خلتُه عاد غابراً مَطويّا

وحنين الأصداء يشهق خلف الـ ... ـباب في موكب عميق السكون
ضحكاتٌ مبتورةٌ تذرع الظُلْـ ... ـمةَ والصمتَ في جمود حزين
ودموعٌ في أعيُنٍ أقفلَ التا ... ريخ أهدابها على ألف سرٍّ
وعروقٌ تضِجُّ خلفَ ليالٍ ... شردتْ في الزمانِ دون مقرٍّ
وشفاهٌ أماتَ ألفاظَها الصمْـ ... ـتُ سوى رعشة وبعض أنينِ
وجدارٌ عطشانُ تعصره الشمـ ... ـسُ وذكرى الظلّين أعنف عصرِ
وزمانٌ أفنتْ مواعيده القو ... ضى وأبقته في شرودٍ وذُعرِ
ودروبٌ يكاد يصرخ فيها الظـ ... ـلّ شوقاً لعابرٍ مفتونِ

ومرور الأشباحِ يشهق خلف الـ ـــ ـيابِ في همسة ترنُّ طويلا

موكبٌ شاحبٌ شحوبَ غد ما ـــ زال لغزاً وعالماً مجهولا

موكبٌ كل خُطوة من خُطَى أشـ ـــ ـباحه رعشةٌ على شفتيّا

كلّ وجه يعود في عمق نفسي ـــ زمناً كاملاً عميقاً خفيّاً

في ظلامِ الذكرى أمدّ ذراعيّ ـــ لعلّ الأشباحَ تدنو قليلا

في ظلام الذكرى، وافتح بابي ـــ لأرى الموكبَ الحزينَ مليّا

في ظلام الذكرى، وأدفع كفّي ـــ في جنون عساي ألمسُ شيّا

فأحسُّ الفراغَ في جسد الأشـ ـــ ـباحِ أنّي أصافحُ المستحيلا؟

١٢/٤/١٩٤٩

هل ترجعين؟!

«قصيدة نظمتها لعمّتي التي توفيت سنة ١٩٤٨»

ما زالت الذكرى تَضِجّ وراء إحساسي الدفينْ
إن غمت ألمحها تسير معي يُجَسّدُها الحنينْ
تأويهةٌ ألقى بها الماضي إلى شطّي الحزينْ
معصوبةٌ بعُروقِ أحلامي الحبيسات الرنينْ
إن غمت ألمحها فتصرخ لهفتي: هل ترجعين؟
هل ترجعينَ إذا حَلُمْت بما مضى؟ هل ترجعين؟

مازالت الذكرى تضجّ، ولم أزلْ في أسرها
مازالت، تنطفئ ابتساماتي لَمَعْبَرِ ذكرها
يتقاسم الليل الصديق معي حرارة جمرها
وتظلّ تحفر في عروقي الوالهاتِ بظُفْرها
عطشى، أراكِ ولا أمسّكِ، أين أنتِ؟ أتسمعينْ؟
وإذا دعوتكِ من خلال مدامعي، هل ترجعينْ؟

الشّوق يعصرُني إليكِ ويطفئ المرحَ الكذوبْ
يغتال أفراحي ويُسْلِم كلّ ضوء للغروبْ
إني أموتُ تحرّقاً وتعطشاً، إني أذوبْ

لم يبْقَ إلا رَجع أصداء يكفِّنها الشحوبْ

عَرَفتْ بها روحي المشوقةُ بعض تذكار السنينْ

فصرختُ في ألمٍ خريفي الصدى: هل ترجعينْ؟

والشوق للموتى سُهادٌ ليسَ يشفيه الضياءْ

الشوق للموتى جراحٌ ليس يقربها شفاءْ

أبكي؟ أذوب؟ سدى؟ فبعض النار يأبى الانطفاءْ

بعضُ التعطشِ مستحيلٌ أن يطوف به ارتواءْ

يبقى يمزقني وأنتِ بعيدةٌ لا تُذكرينْ

وأنا انتفاضٌ صارخٌ في حسْرةٍ: هل ترجعينْ؟

وأنا أُعدّ الذكريات وأرقُبُ الزمنَ الكسُولْ

يمشي على عُكازتَيْن من الكآبة والذهولْ

يمشي ويحصي ما على وجهي المقنّع بالذبولْ

والصمتِ من صُوَرٍ تموت وأنجمٍ بيدِ الأفولْ

وأنا؛ وأحلامي، وقلبي، قصةٌ لو تعلمينْ

ما زلت أحكيها وأصرخ في الدجى: هل ترجعينْ؟

١٩٤٨/٣/٩

صلاة الأشباح

تململت الساعةُ البارده

على البرج، في الظلمة الخامده

ومدّتْ يداً من نُحاسْ

يداً كالأساطير بوذا يحرّكُها في احتراسْ

يد الرّجل المتصبّْ

على ساعة البرج، في صمته السرمديّ

يحدّقُ في وجمة المكتئبْ

وتقذفُ عيناهُ سيلَ الظلام الدّجيّ

على القلعة الراقده

على الميّتين الذينَ عيونُهُم لا تموت

تظَلّ تحدّقُ، ينطق فيها السكوتْ

وقالتْ يد الرّجُلِ المتصبِ:

«صلاةٌ، صلاه!»

ودبّتْ حياه

هناكَ على البُرْجِ، في الحَرَسَ المُتْعَبينْ

فساروا يجرّونَ فوقَ الثّرَى في أناه

ظلالُهم الحانيات التى عقّقتْها السنينْ
ظلالُهم فى الظلام العميقِ الحزينْ
وعادتْ يد الرجل المنتصبْ
تُشير: «صلاةٌ، صلاه!»
فيمتزجُ الصوتُ بالضجة الداويه،
صدَى موكبِ الحَرَسِ المقتربْ
يدُقّ على كلِّ بابٍ ويصرخُ بالنائمينْ
فيبرزُ من كل بابٍ شَبَحْ
هزيلٌ شَحبْ،
يَجُرّ رَمادَ السنينْ،
يكاد الدُجى ينتحبْ
على وَجهه الجُمجُميّ الحزينْ

وسار هنالكَ موكبُهُمْ فى سُكونْ
يدِبّونَ فى الطُرقاتِ الغريبةِ، لا يُدركونْ
لماذا يسيرونَ؟ ماذا عسى أن يكونْ؟
تلوّتْ حوالَيْهم ظُلُمات الدروبْ
أفاعيَ زاحفةً ونُيوبْ
وساروا يجرّون أسرارَهْم فى شُحُوبْ
وتهمسُ أصواتهم بنشيدٍ رهيبْ،

نشيد الذينَ عيونُهُم لا تموتْ،

نشيد لذاك الإله العجيبْ

وأغنيةٌ ليد الرَجُلِ المتصب

على البرج كالعنكبوتْ

يدٌ من نحاسْ

يحرّكها في احتراسْ

فترسل صيحتها في الدياجي

«صلاةٌ، صلاةْ»

وفي آخر الموكب الشّبحيّ المُخيفْ

رأى حارسٌ شبَحَين

يسيرانِ لا يُدركان متى كان ذاك وأينَ؟

تُحزّ الرياح ذراعيهما في الظلام الكثيفْ

وما زال في الشّبحينِ بقايا حياه

ولكنّ عينيهما في انطفاءْ

ولفظُ «صلاة صلاه»

يضجّ بسمعَيهما في ظلام المساءْ

«ألستَ ترى؟»

«خُذْهما!»

ثم ساد السكون العميق

ولم يَبْقَ من شَبَحٍ في الطريق

وفي المعبَد البرَهميّ الكبير

وحيثُ الغموضُ المُثيرْ

وحيثُ غرابةُ بوذا تلُفّ المكانْ

يُصلّي الذينَ عيونُهُم لا تموتْ

ويَرْقُبهُم ذلكَ العنكبوتْ

على البرج مستغرقاً في سكوتْ،

فيرتفعُ الصوت ضخماً، عميق الصدى، كالزمانْ

ويرتجف الشبحانْ

من القلعة الرطبةِ البارده

ومن ظُلُمات البيوت

ومن الشُرَف المارده

ومن البرجِ، حيثُ يدُ العنكبوتَ

تشيرُ لنا في سكوتْ

من الطرقات التي تَعْلك الظُّلمةَ الصامته
أتيناكَ نسحَب أسرارَنا الباهته
أتيناكَ، نحن عبيدَ الزّمانْ
وأسراه نحن الذينَ عيونُهُم لا تموتْ
أتينا نَجرُّ الهوانْ
ونسألك الصفْحَ عن هذه الأعين المُذنبه
ترَسبَ في عمقِ أعماقها كلُّ حزْنِ السنينْ
وصوتُ ضمائرِنا المُتعبَه
أجشٌّ رهيبُ الرّنينْ
أتيناكَ يا من يذُرّ السُهادْ
على أعينِ المُذنبينْ
على أعينِ الهاربينْ
إلى أمسهم ليلوذوا هناك بتلّ رَمادْ
من الغَد ذي الأعين الخُضرِ، يا من نراهْ
صباحَ مَساءَ يسوقُ الزمانْ
بحلقٍ، عيناه لا تغفوان
وكفّاه مَطويّتانْ
على ألفِ سرٍّ، أتينا نُمرّغ هذي الجباهْ
على أرضِ معبدِه في خُشوعْ

نُناديه، دونَ دموعْ،
ونصرخ: آه!
تعبنا فدعنا ننمْ
فلا نسمعُ الصوتَ يَهْتفُ فينا: «صلاه!»
إذا دقَّتِ الساعة الثانيه،
ولا يطرقُ الحَرَسُ الكالحونْ
على كل باب بأيديهم الباليه
وقد أكلتْها القُرونْ
ولم تُبْقِ منها سوى كومةٍ من عظامْ
تعبنا... فدعنا ننامْ..
ننامُ، وتنسى يد الرجلِ العنكبوتْ
على ساحة البرج، تنثُرُ فوقَ البيوتْ
تعاويذَ لعنتها الحاقده
حنانك بوذا، على الأعينِ الساهده
ودعها أخيراً تموتْ

وفي المعبد البرهمي الكبيرْ
تحرّكَ بوذا المثيرْ
ومدّ ذراعيه للشبحيْنْ

يُبارِكُ رأسيهما المُتعبَيْنْ
ويصرخُ بالحرَس الأشقياءْ
وبالرَجُل المنتصبْ
على البرْج في كبرياءْ،
«أعيدوهما!»

ثم لفَّ السكونُ المكانْ

ولم يبقَ إلا المساء،
وبوذا، ووجه الزمانْ

١٩٤٩

خائفة

ارجعْ فالليل تُثير مخاوفُه قَلَقى
وأنا وحدي والنجْمُ بعيدٌ في الأفقِ
يخدعنى أملٌ في فجرٍ لم ينبثقِ
وصُبَابة دمعٍ باردةٍ لم تحترقِ

ومددتُ يدى فرَجَعْتُ بجفنة ظلماءِ
وسألتُ الليلَ فبؤت ببضعة أصداءِ
أصداءٌ مغرقةٌ في سورة إغماءِ
جاءتْ تزحف من أغوار الماضى النائى

دربى حاولتُ سدىً أن أرفع أستارَهْ
تَصْخَبُ في عتمتهِ أشباحٌ ثرثاره
أنكرت الدربَ كأن لم أعرف أحجاره
يوما بالأمس ولم أستكشف أسرارَهْ

ارجعْ، أواه ألا تسمع صوتي الموهونْ؟
لن أبقى وحدي في هذا الدربِ المجنونْ
هذا الأفقُ المستغلق حيث النجمُ عيونْ
حيث الأشجارُ هياكلُ أفكارٍ وظنونْ

تتردّد فيه أصواتٌ تُنذر حتّى
أصواتٌ غادرةٌ تنبع مِلْءَ الرّحبِ
صدّقني وارجع أخشى أنْ تجرح قلبي
صدّقني.. إني أسمعها تملأ دربي

في المَعْبَر سعلاةٌ ترمق طيفي بفتُورْ
ووراءَ المفترَقِ المتشعّبِ بعض قبورْ
خذْ بيدي ولنتركْ هذا الأفق المهجورْ
لا تتركني روحاً صارخةً في الديجورْ

١٩٤٨/٤/١

دعوة إلى الحياة

اغضبْ ، أحبّكَ غاضباً متمرّداً
في ثورة مشبوبة وتمزّقِ
أبغضتُ نومَ النار فيكَ فكن لظىً
كن عرقَ شوقٍ صارخٍ متحرّقِ

اغضبْ، تكاد تموت روحك، لا تكن
صمتاً أضيعُ عندهُ إعصاري
حسبي رمادُ الناس، كن أنت اللظى
كن حُرقة الإبداع في أشعاري

اغضبْ كفاك وداعة، أنا لا أحبّ الوادعينْ
النّار شرعي لا الجمود ولا مهادنة السنينْ
إني ضَجرْت من الوقارِ ووجهه الجهْم الرصينْ
وصرخت لا كان الرّماد وعاش عاش لظَى الحنينْ
اغضبْ على الصمت المُهينْ
أنا لا أحبّ الساكنينْ

إنى أحبك نابضاً، متحركاً،

كالطفل، كالريح العنيفةِ كالقدرْ

عطشانَ للمجد العظيم فلا شذىً

يروى رؤاك الظامئاتِ ولا زَهرْ

الصَّبُر؟ تلك فضيلة الأموات، فى

برد المقابر تحتَ حكم الدودِ

رقدوا وأعطينا الحياةَ حرارةً

نشوى وحُرْقةَ أعينٍ وخدودِ

أنا لا أحبّك واعظاً بل شاعراً قلق النشيدْ

تشدو ولو عطشانَ دامى الحلْق محترقَ الوريدْ

إنى أحبُّك صرخةَ الإعصارِ فى الأفق المديدْ

وفماً تصبّاه اللهيب فبات يحتقر الجليدْ

أين التحرّق والحنينْ؟

أنا لا أطيق الراكدينْ

قطِّبْ، سَمْتكَ ضاحكاً، إنّ الرّبى
بردٌ ودفءٌ لا ربيعٌ خالدْ
العبقرية، يا فتايَ، كئيبةٌ
والضاحكونَ رواسبٌ وزوائدْ

٥

إني أحبّكَ غُصّةً لا ترتوي
يَفْنى الوجود وأنتَ روحٌ عاصفُ
ضَحكٌ جنونيٌّ ودمعٌ مُحْرِقٌ
وهدوءُ قدّيسٍ وحسٌّ جارفُ

إني أحبُّ تعطشَ البركان فيكَ إلى انفجارْ
وتشوّقَ الليل العميق إلى ملاقاة النّهارْ
وتحرّقَ النبع السخيّ إلى معانقة الجرارْ
إني أريدكَ نهرَ نارٍ ما للجُتّه قرارْ
فأغضب على الموت اللعينْ
إني مللتُ الميّتينْ

الناشيء

شجرة القَمر

الطبعة الأولى ١٩٦٨

الناشيء

الناشيء

ملاحظات

حـول قصائد هذا الديوان

-١-

حـول "شجرة القمر"

أصل هذه القصيدة أن بنت عمتى الصغيرة «ميسون» كانت ذات ظهيرة صيفية من سنة ١٩٥٢ فى غرفتى، فألحتْ علىّ أن أقصّ عليها قصة، وكان عمرها يومذاك إحدى عشرة سنة، وطالما لمست فيها الذائقة الأدبية المرهفة وحبّ الشعر فأردت أن أسرّها فنظمت لها هذه القصيدة وهى جالسة إلى جوارى تنظر إلىّ فى شغف فما انصرمت الظهيرة إلا وقد أنجزت الصفحات الأولى من القصيدة.

وأما أصل الحكاية فيرجع إلى مقطوعة إنكليزية كنت قرأتها سنة ١٩٤٩، وأذكر من ظروف قراءتى لها أننى وقعت عليها فى مجموعة شعرية للأطفال من كتب صديقة فلسطينية عزيزة كنت التقيت بها فى ضهور الشوير ذلك الصيف، فما كدت أقرأها حتى أحببت الحكاية فيها واختزنتها فى ذاكرتى إلى أن بعثتها ميسون بعد ذلك بثلاث سنوات وعلى ذلك فهذه القصيدة ليست ترجمة، وأصلها الإنكليزى قصير قرأته مرة واحدة ثم لم أره ثانية حتى اليوم، فكل ما أخذته عنها هو هيكل الحكاية العارى لا غير، أما الصور والرموز والتفاصيل فكلها لى، وكم يؤسفنى أننى لا أعرف حتى عنوان الكتاب الذى

قرأت فيه المقطوعة، ولا أعرف اسم الناظم، والصديقة صاحبة الكتاب قد سافرت إلى إنكلترا منذ سنوات كثيرة وانقطعت عني أخبارها.

ويرجع سبب اختياري للحكاية أنني وجدت فيها بذرة شعرية تصلح حكاية لطفلة ويمكن في الوقت نفسه أن أحمّلها رموزا شعرية عالية بحيث يقرؤها الكبار والصغار فيجد فيها كل ما يفهمه، ولعله لا يخفى أن الغلام في قصيدتي رمز للشاعر «أو الفنان»، فهو يحب الطبيعة حباً يفوق حب الآخرين لها، ويريد أن يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده، ولذلك نرى الغلام يحلم بأن (يصطاد) القمر ويأخذه إلى كوخه، حتى إذا فعل ذلك كما تمنى، وتخيل أنه حقق سعادته، اكتشف أن الدنيا كلها تحب القمر وتريده، فهي لا تسمح لأحد أن يمتلكه ويحتكره، وتكون ثورة الرعاة والصيادين رمزاً للحق العام في القمر، فإذا كانوا لا يصلون إلى استرجاع الأسير فإن ذلك لا يتم إلا بخدعة يرتكبها الغلام، فهو يدفن القمر في الأرض ليستنبت منه شجرة سامقة لا مثيل لها بين الشجر، لأن ثمرها المتدلي من أغصانها ليس إلا أقماراً فضية متألقة، وما معنى ذلك؟ معناه أن الفنان يتناول الطبيعة ويبدع منها فنّه فإذا كان في السماء قمر يملكه الوجود كله، فان في وسع الفنان الذي يحب ذلك القمر أن يصنع نماذج منه في قصائد وصور، وتنتهي القصيدة بأن يعيد الفنان القمر العام إلى الوجود ويكتفي بالأقمار التي تثمرها شجرة الشاعر، ومن الطبيعي أن تكون هذه الشجرة غذاءً روحياً للقرية كلها على الرغم من أنها مما أبدعته حماسة الشاعر وحبه للجمال.

ولكن هل استوعبت ميسون الصغيرة، في عمرها الغضّ سنة ١٩٥٢ هذه الرموز التي رقرقتها في حكايتي لها؟ طبعاً، لا، وإنما أحبتها لأنها حكاية القمر والشجرة التي تثمر أقماراً، ولأنها حكاية غلام شاعري النزعة، روحاني الاتجاهات، يأكل ضوء النجوم بدل الغذاء ويشرب العطر ويطارد الفراشات، وذلك هو المستوى الظاهري للقصيدة، وفي وسع أيّ قارئ أن يكتفي به دون أن ينظر إلى الرموز التي أردتها.

وقد اخترت لقصيدتي مسرحاً شعرياً التقطته من ذكرياتي عن جبالنا السحرية في شمال العراق، ومن الحق أن أقول إنني زرت في حياتي جبالا كثيرة في تركيا وإيطاليا، ولبنان، وفلسطين، والأردن فلم أر جبالاً لها من السحر والروعة ما يضارع جبال الشمال عندنا، فإن الجمال هناك يأسر روحي حتى أغيب في سكرة شعورية كلما زرت لواء أربيل وتوغلت في مضايقه ووديانه، وأنا إنما أصوّر هذه الجبال في قصيدة «شجرة القمر» وذلك سرّ الحرارة والانفعال فيها.

-٢-

حول "البعث"

هذه القصيدة من البحر الخفيف وهي جارية على أسلوب الشطرين وقد أدرجتها على أساس من العروض العربيّ؛ فشطرت البيت إلى شطريه وإن كان أغلب أبياتها مدوّراً، وأي قارئ قد اطلع على ديواني «قرارة الموجة» وعلى الطبعة الثانية من «عاشقة الليل» و«شظايا ورماد» سيلاحظ أنني قد خالفت

خطتى فى كتابة البحر الخفيف، فقد كتبته فى تلك الدواوين دونما مراعاة للوقفة العروضية وإنما راعيت فى الكتابة المعنى وحده، ومن ثم فإن قصيدة (حصاد المصادفات) قد كتبت كما يلى:

حينما يرقد الهوى ميّتا

فوق تراب الأيام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوقع

لعهدٍ مغلَّفٍ بالظلام

وبذلك لاحت القصيدة- خاصة للقارئ الذى لا يحسّ الوزن- وكأنها شعر حرّ أو شعر منثور مع أنها قصيدة موزونة من البحر الخفيف جرت هكذا:

حينما يرقد الهوى ميتّا فو ... ق تراب الأيّام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوقـ ... ـع لعهدٍ مغلفٍ بالظلام

والسبب البسيط كل البساطة الذى دفعنى إلى أن أكتب البحر الخفيف بهذا الشكل فى دواوينى السابقة أن تلك الدواوين طبعت فى حجم صغير لا يزيد عن حجم الكفّ، فعندما جلست أنسخ القصائد لها خفت أن يصبح البيت المدوّر من البحر الخفيف أطول من عرض الصفحة؛ فقررت أن أقسمه إلى قسمين ليلائم الظروف، وعندما وجدت أغلب أبيات وزن الخفيف عندى مدوّره، وأدركت أن علىّ أن أقسم كلمات كثيرة إلى قسمين كل قسم فى

شطر، استثقلت هذا فقررت أن أقسم الشطر على أساس المعنى دون الوزن، وقد قدّرت أن القارئ الذى يقرأ شعرى لابد أن يكون قادرا على إدراك موضع الوقفة العروضية، وهكذا دفعتنى الملابسات المادية للطبعة إلى إدراج قصائد الخفيف دون ملاحظة لوزنها، وقد كان يعزينى فى ذلك أن الوزن لا يتغير مهما كان الشكل الذى نختاره لكتابته حتى لو كتبناه كما نكتب النثر، فهو موزون على كل حال.

وعند ذاك، فى سنة ١٩٥٧، لم يكن يدور فى خلدى أن أناساً من الشعراء سيتخذون عملى الاضطرارى سُنّة يحتذونها فى منشوراتهم الشعرية ودواوينهم، ولكم جزعت عندما صرت أرى فى المجلات قصائد موزونة على الشكل العربى وزنا تاما، ولكنها تكتب كتابة فوضوية وكأنها نثر لا شعر، وقد جمعتنى مجالس غير قليلة بأدباء وقراء يقرأون هذه القصائد الجارية على الوزن العربى كل الجريان ثم يتحدثون عنها وكأنها شعر حر أو شعر منثور

ومهما يكن من أمر فيهمنى أن أدرج قصيدة البحر الخفيف فى هذا الديوان على الشكل العربى الدارج، منتهزة الفرصة لأرفع صوت احتجاج على زملائى الشعراء الذين أصبحوا يكتبون شعراً موزوناً على الأسلوب العربى، ثم يدرجونه وكأنه شعر حرّ، فإن هذا العمل لا يزيد القارئ العربى إلا بلبلة وجهلاً فى وقت نحب فيه أن ننشئ ثقافةً شعريةً رصينةً تضيء بها طريق الأمة العربية.

-٣-

حول "الشعر الحر"

يلاحظ أن فى هذا الديوان سبع قصائد من الشعر الحرّ، وقد يعجب بعض القرّاء من قلة هذا العدد بالنسبة لقصائد الديوان؛ لأنهم آلفوا أن يروا طائفة من الشعراء وقد تركوا الأوزان الشطرية العربية تركاً قاطعاً، وكأنهم أعداء، وراحوا يقتصرون على نظم الشعر الحرّ وحده فى تعصب وعناد، وأحب أن أذكّر القارئ فى هذه التقدمة أننى لم أدعُ يوماً إلى الاقتصار على الشعر الحرّ، وأبرز دليل على هذا ديواناى السابقان، أما (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩ وهو الذى دعوت فى مقدمته إلى الشعر الحرّ دعوةً متحمسةً فلم تكن فيه إلا عشرة قصائد حرّة بينما كانت القصائد الأخرى جميعا تنتمى إلى الأوزان الشطرية، وأما (قرارة الموجة) ديوانى الصادر سنة ١٩٥٧ فقد اقتصر على تسع قصائد من الشعر الحرّ، ولا أذكر قط أننى اقتصرت على الشعر الحرّ فى أية فترة من حياتى، وسبب هذا أننى أولاً أحب الشعر العربىّ ولا أطيق أن يبتعد عصرنا عن أوزانه العذبة الجميلة، ثم إن الشعر الحرّ كما بينت فى كتابى- قضايا الشعر المعاصر- يملك عيوباً واضحة أبرزها الرتابة والتدفق والمدى المحدود، وقد ظهرت هذه العيوب فى أغلب شعر شعراء هذا اللون، وهذا حاصل أيضاً فى الشطرين فإن له مزايا وله عيوب.

وإنى لعلى يقين من أن تيار الشعر الحرّ سيتوقف فى يوم غير بعيد وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطريّة بعد أن خاضوا فى الخروج عليها

والاستهانة بها، وليس معنى هذا أن الشعر الحرّ سيموت وإنما سيبقى قائماً يستعمله الشاعر لبعض أغراضه ومقاصده دون أن يتعصب له ويترك الأوزان العربية الجميلة.

ومما أحبّ أن أعلن أسفي له أنني في شعري الحرّ لم أعنَ عنايةً أكبر بالقافية فكنت أغيّر القافية سريعاً وأتناول غيرها، وهذا يضعف من الشعر الحر، لأنه يقوم على أبياتٍ تتفاوت أطوال أشطرها وبذلك ينقص رنينها وموسيقاها فلو زاد الشاعر القافية غنيً ولم يغيّرها سريعاً لأضفى على الوزن موسيقى تمسكه وتمنعه من الانفلات، ولهذا بتّ أدعو إلى أن يرتكز الشعر الحرّ إلى نوع من القافية الموحدة ولو توحيداً جزئياً فبذلك نزيده موسيقىً وجمالاً ونحميه من ضعف الرنين وانفلات الشكل.

نازك الملائكة

البصرة

في ١٩٦٧/٣/٢٨

شجرة القمر

«قصة أهديت إلى ميسون يوم كانت في الحادية
عشرة من عمرها».

-١-

على قمّة من جبال الشمال كَسَاها الصنوبْر
وغلّفها أفُقٌ مُخملىٌّ وجوٌّ مُعَنْبَرْ

وترسو الفراشاتُ عند ذرَاها لتقضيْ المَسَاءْ
وعند ينابيعها تستحمّ نجومُ السَمَاءْ

هنالكَ كان يعيشُ غلامٌ بعيدُ الخيالْ
إذا جاعَ يأكلُ ضوءَ النجومِ ولونَ الجبالْ

ويشربُ عطرَ الصنوبرِ والياسمين الخَضِلْ
ويملأُ أفكارَهُ من شذَى الزنبقِ المُنْفعلْ

وكان غلاماً غريبَ الرؤى غامض الذكرياتْ
وكان يطارد عطر الرُبى وصدى الأغنياتْ

وكانت خلاصةُ أحلامه أن يصيدَ القَمَرْ
ويودعَهُ قفصاً من نديً وشذيً وزَهَرْ

وكان يقضي المساءَ يحوك الشباكَ ويَحلُمْ
يوسّدُهُ عُشُبٌ باردٌ عند نبع مغمغمْ

ويسْهَرُ يرمُقُ وادي المساء ووجْهَ القَمَرْ
وقد عكستْهُ مياهُ غدير بَرُودٍ عَطِرْ

وما كان يغفو إذا لم يَمُرّ الضياء اللذيذْ
على شفتيه ويسقيه إغماءَ كأس نبيذْ

وما كان يشربُ من منبع الماء إلا إذا
أراقَ الهلالُ عليه غلائلَ سكرى الشذَى

-٢-

وفي ذات صيف تسلّل هذا الغلامُ مساءَ
خفيفَ الخُطى، عاريَ القدمين، مشوقَ الدماءَ

وسار وئيداً وئيداً إلى قمة شاهقه
وخبأ هيكله في حِمَى دَوْحةٍ باسقه

وراح يعُدّ الثواني بقلبٍ يدُقّ يدُقّ
وينتظر القَمَر العذْبَ والليلُ نشوانُ طَلْقُ

وفي لحظةٍ رَفَعَ الشَرْقُ أستاره المُعتمه
ولاحَ الجَبينُ اللجينيّ والفتنةُ المُلهِمه

وكان قريباً ولم يرَ صيّادنَا الباسما
على التلّ فانسابَ يذرَعُ أفقَ الدُجى حالما

وطوّقَهُ العاشقُ الجبليّ ومسّ جبينَهْ
وقبّلَ أهدابَهُ الذائباتِ شذىً وليونهْ

وعاد به: ببحارِ الضياء، بكأس النعومهْ
بتلك الشفاهِ التي شغلت كل رؤيا قديمهْ

وأخفاه في كوخه لا يَمَلّ إليه النَظَرْ
أذلكَ حُلْمٌ؟ كيف وقد صاد.. صاد القمرْ؟

وأرقَــدَه في مــهـــاد عــبـيــريّـة الرّونقِ
وكلّـلَهُ بالأغـــاني، بعَـــيـنـيـــه، بالزّنبقِ

-٣-

وفي القـريـة الجـبـليـّة، في حَلَقَـات الـسّـمَـرْ
وفي كلّ حقلٍ تَنَادى المنادون: «أين القمرْ؟»

«وأينَ أشــعّـتُــهُ المُخْـمليـّةُ في مَـرْجنا؟»
«وأين غــلائلُهُ الـسُـحُـبيّــة في حـقلنا؟»

ونادت صبايا الجـبال جميعـاً «نُريدُ القمَرْ!»
فـردّدتِ القُنَنُ الـسـامـقـاتُ: «نُريدُ القَـمَـرْ»

«مُـســامِـرُنا الذهبيّ وسـاقي صـدى زَهْرنا»
«وسـاكـبُ عطرِ السنابلِ والورد في شَعْـرنا»

«مُـقبّلُ كلّ الجِـراح وسـاقي شفـاه الورودْ»
«وناقلُ شـوقِ الفَـراشِ لـينبـوع مـاءٍ برودْ»

«يضيءُ الطريقَ إلى كلّ حُلْمٍ بعيدِ القَرَارْ»
«ويُنْمي جدائلَنا ويُريقُ عليها النُضَارْ»

«ومن أينَ تبردُ أهدابُنا إن فَقَدْنَا القَمَرْ؟»
«ومنذا يرقِّقُ ألحانَنا؟ من يغذّي السَمَرْ»

ولحنُ الرعاة تردّدَ في وحشة مضنيهْ
فضجّتْ برَجْعِ النشيدِ العرائشُ والأوديهْ

وثاروا وساروا إلى حيثُ يسكُنُ ذاكَ الغُلامْ
ودقّوا على البابِ في ثورةٍ ولَظًى واضطرامْ

وجنّوا جُنوناً ولم يبْقَ فوق المراقي حَجَرْ
ولا صخرةٌ لم يُعيدا الصُراخَ: «نُريدُ القمرْ»

وطاف الصَدَى بجناحَيْه حول الجبال وطارْ
إلى عَرَبَاتِ النجومِ وحَيثُ ينامُ النّهارْ

وأشرَبَ من نارِه كلّ كأسٍ لزهرةِ فُلّْ
وأيقَظَ كلّ عبيرٍ غريبٍ وقَطرةِ طلّْ

وجَمَّعَ من سكَرات الطبيعةِ صوتَ احتجاجْ
ترددَ عند عريش الـغـلامِ وراء الـسـيـاجْ

وهزَّ السكونَ وصاحَ: «لماذا سرَقْت القمَرْ؟»
فجُنّ المَسَاءُ ونادى: «وأين خبّأْتَ القَمَرْ؟»

-٤-

وفي الكوخِ كان الغلامُ يضُمّ الأسيرَ الضحوكْ
ويُمْطِرُهُ بالدموع ويَصْرُخُ: «لن يأخذوكْ؟»

وكـانَ هُـتَـافُ الرّعَـاة يشُقّ إليـه السكونْ
فيسقُطُ من روحه في هُوَى من أسىً وجنونْ

وراح يغنّي لملهمـهِ في جَوَى وانفـعـالْ
ويخلطُ بـالدَمْع والملح ترنيـمَـهُ للجـمـالْ

ولكنّ صـوتَ الجـمـاهـيرِ زادَ جنوناً وثوره
وعـاد يقلّبُ حُلْمَ الغـلامِ على حدِّ شفره

ويهبطُ في سَمْعه كالرصاص ثقيلَ المرورْ
ويهدمُ ما شيّدتْهُ خيالاتهُ من قصورْ

وأين سيهربُ؟ أين يخبّئُ هذا الجبينْ؟
ويحميه من سَوْرة الشَوْقِ في أعينِ الصائدينْ؟

وفي أيّ شيء يلفّ أشعّتَهُ يا سَماءْ
وأضواؤه تتحدّى المخابئَ في كبرياءْ؟

ومرّتْ دقائقُ منفعلاتٌ وقلبُ الغُلامْ
تمزّقُهُ مُدْيةُ الشكِّ في حيْرةٍ وظلامْ

وجاء بفأسٍ وراح يشقّ الثَرَى في ضَجَرْ
ليدفنَ هذا الأسيرَ الجميلَ، وأينَ المفرْ؟

وراحَ يودّعُهُ في اختناقٍ ويغسلُ لونَهْ
بأدمعِه ويصبّ على حظّه ألفَ لعنَهْ

وحينَ استطاعَ الرُعاةُ المُلحّون هدمَ الجدارْ
وتحطيمَ بوّابةِ الكوخِ فى تَعَبٍ وانبهارْ

تدفّق تيّارهم فى هياجٍ عنيف ونقمه
فماذا رأوا؟ أىَ يأسٍ عميق وأيّة صَدْمَه!

فلا شيءَ فى الكوخِ غيرَ السكون وغيرَ الظُلَمْ
وأمّا الغلامُ فقد نام مستَغْرَقاً فى حُلُمْ

جدائلُهُ الشُقْرُ مُنْسدلاتٌ على كَتفَيه
وطيفُ ابتسامٍ تلكّأ يَحلُمُ فى شفتَيه

ووجهٌ كأنَّ أبولون شَرّبَهُ بالوضاءه
وإغفاءةٌ هى سرّ الصفاءِ ومعنى البراءه

وحار الرُعاةُ أيسرقُ هذا البريءُ القَمرْ؟
ألم يُخطِئوا الاتهام ترى؟ ثم... أينَ القَمرْ؟

وعادوا حَيارى لأكواخهم يسألونَ الظلامْ
عن القَمَرِ العبقرىّ أتاهَ وراءَ الغمامْ

أم اختطفتهُ السَعالى وأخفتهُ خلفَ الغيومْ
وراحت تكسّرهُ لتغذّي ضياءَ النجومْ؟

أم ابتلعَ البحرُ جبهتَهُ البضّةَ الزنبقيّه؟
وأخفاهُ في قلعةٍ من لآلئَ بيضٍ نقيّه؟

أم الريحُ لم يَبْقَ طولُ التنقّلِ من خُفِّها
سوى مِزَقٍ خَلِقاتٍ فأخفتهُ في كهفها

لتَصنعَ خُفّين من جلدِه اللّين اللّبنيّ
وأشرطةً من سَناهُ لهيكلِها الزنبقي

-٦-

وجاء الصباحُ بليلَ الخُطَى قمريَّ البرودْ
يتوّجُ جَبْهَتَهُ الغَسَقيَّةَ عِقْدُ ورودْ

يجوبُ الفضاءَ وفي كفّه دورقٌ من جَمالْ
يرُشّ الندى والبُرودةَ والضوءَ فوق الجبالْ

ومـرَّ على طَرَفَيْ قَـدَمَيْـه بكوخ الغُـلامْ
ورشَّ عليـه الضِـيـاءَ وقَطْرَ النَدى والسَّلامْ

وراح يسيرُ ليُنجِزَ أعمالَهُ في السُفُوحْ
يوزِّعُ ألوانَـهُ ويشيـعُ الرِضى والوضُـوحْ

وهبَّ الغـلامُ من النومِ منتعِشـاً في انتشـاءْ
فماذا رأى؟ يا نَدَى! يا شَذَى! يا رؤى! يا سماءْ!

هنالكَ في الساحة الطُحْلُبِيَّـة، حيثُ الصياحْ
تعـوَّدَ ألاَّ يرى غَـيـرَ عُـشْبٍ رَعَـتْـهُ الرياحْ

هنالكَ كـانت تقـومُ وتمتـدّ في الجـوّ سدْرَهْ
جدائلُهـا كُسِيَتْ خُضْـرةً خِصْبَـةَ اللون ثَرَّه

رعـاها المساءُ وغـذَّت شذاهـا شفـاه القَمَـرْ
وأرضَعَها ضـوؤه المختفي في التراب العَطِرْ

وأشربَ أغـصانَهـا الناعـمات رحيـقَ شَذَاهُ
وصبَّ على لونهـا فضَّـةً عُصِـرَتْ من سَنَاهُ

وأثمـــارها؟ أيّ لون غـــريب وأيّ ابتكارْ
لقـد حار فيـها ضياءُ النجـومِ وغارَ النّـهارْ

وجنّتْ بهـا الشّـجَـراتُ المقلّدَةُ الجـامـده
فـمنذ عـصـورٍ وأثمـارُها لم تـزلْ واحـده

فـمن أيِّ أرضٍ خـياليّـة رَضَـعَتْ؟ أي تربه
سقتْـها الجمالَ المفـضّضَ؟ أي ينابيعَ علّبَه؟

وأيةُ معـجـزة لم يصلْها خَـيالُ الشّـجَـرْ
جمـيعـاً؟ فمنْ كلّ غُـصنٍ طريٍّ تدلّى قَـمَرْ

-٧-

ومرّتْ عصورٌ وما عاد أهلُ القُرى يذكرون
حياةَ الغُلامِ الغـريبِ الرؤى العبقريِّ الجنون

وحـتى الجـبـالُ طوتْ سـرّه وتـناستْ خطاهُ
وأقـــمــارَهُ وأناشــيـــدَهُ وانلقـاعَ مُـناهُ

وكيف أعادَ لأهلِ القُرى الوالهين القَمَرْ
وأطلَقَهُ في السَّماءِ كما كانَ دونَ مقرْ

يجوبُ الفضاءَ ويَنثرُ فيه النَّدى والبُرودهْ
وشِبْهَ ضبابٍ تحدّر من أمسياتٍ بعيدهْ

وهَمْساً كأصداء نبعٍ تحدّر في عمْق كهفِ
يؤكد أنَّ الغلامَ وقصّتَهُ حُلْمُ صيفِ

١٩٥٢

أغنية للحياة

إذا سألوا في غدٍ عن هوانا ... ونحن تُرابٌ مع الذكرياتْ
وراح يُجيبهمُ العابرونَ ... بأنّا مررنا بهذي الحياةْ
وذُقْنا الهوى والمُنى والعذابَ ... كأسلافنا ثُمَّ عُدنا رُفاتْ
وعصفتْ على أثرِنا الرياحُ ... وعُدنا ضباباً تلاشى وماتْ

وقال لهم قائلٌ: إنّنا ... شربنا الأسى في ثنايا الكؤوسْ
وإنَّ ابتساماتنا كنّ لوناً ... يغلّفُ شيئاً طوتهُ النفوسْ
وإنّا دفنّا أناشيدَنا ... وأحلامنا للرجاء العبوسْ
وكنّا كمن قبلنا غُرباءَ ... على الأرضِ ثم طوتْنا الرموس

فمن سوف يُخبرهم أنّنا ... شربنا العذوبة حتى سكِرْنا
وأنّا ملكنا ضياءَ النجومِ ... ودجلةَ والفجْرَ فيما ملكْنا
وكانتْ لنا من خُدودِ النسيم ... وسائدُ تَسْندُنا إنْ كللْنا
وأنّا تركنا حكاياتنا ... وأخبارَنا للرياح ونِمْنا

وأنّا عرفنا الحياةَ ارتعاشاً ... ونبضاً وأغنيةً خالدهْ
عرفْنا الغرامَ الرقيقَ الجبين ... وذقنا لياليَه الساهدهْ
وكم مرةٍ قد ضممْنا السعادَ ... ةَ في هذه الأذرعِ الهامدهْ
وذُقنا حنينَ الجمال اللذيذ ... وملْحَ مدامعِنا الباردهْ

وكانت لنا قطَراتُ الندى ... ومُنزلَقُ الضوءِ كلَّ صباحْ
وكان النسيمُ شذاهاً ترّ ... تقبّلُ مما جرحتْهُ الرياحْ
وكنا نحبّ الشذَى والنخيلَ ... وآفاقنا والسُّهولَ الفساحْ
وإن جرحتْنا أكفّ الحياة ... سكبْنا الرضى في شفاهِ الجراحْ

وكانَ الوجودُ سخيَّ اليدَين ... فأعطى هوانا ضياءَ القمَرْ
ولف خيالاتنا بالعبير ... ومَدَّ علينا ظلالَ الشجَرْ
وروّى صدانا بخمر الكروم ... وطهَّرَ أفكارَنا بالمطَرْ
وتوّجنا بغصون البنفسـ ... ـج والزنبقِ المخمليّ العطرْ

وكنّا له بأناشيدنا ... وأشواقنا المرحاتِ الوضاءْ
ومن أجله قد هوينا الحياة ... ومن أجله قد عشقنا الفناءْ
وها نحنُ بينَ ذراعَي ثَراهُ ... نشيدَين لا يعْرفانِ انتهاءْ
يعشّشُ في تُربتَينا الجَمالُ ... فيا جهلَ مَنْ ظنّنا أشقياءْ

١٩٥٢

تحية للجمهورية العراقية

«نظمت هذه القصيدة تحية لثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨»

فَرَحُ الأيتام بضمّة حبٍّ أبويّه
فرْحةُ عطشان ذاقَ الماءْ
فرْحةُ تموزَ بلَمْسِ نسائم ثلجيّه
فرحُ الظُّلُماتِ بنبعٍ ضياءْ
فرحتُنا بالجمهوريّه

جمهوريتُنا، نلفظُها بهَوىً وخُشُوعْ
نهمسُها، نغمرُها قُبلاً ولْهى حرّى
نلمُسُ أحرفُها بشفاه بقيت دَهْرا
تعطَشُ، تأرقُ، تَعْرَى، وتجوعْ
جمهوريتَنَا، فرحتَنَا، يا حرْقةَ أشواقٍ وحنينْ
نحنُ عطشْنا لكِ أعواما
جُعْنا وسَهِرْنا، غذّيناها أحلاما
والآن ملكناها دفقةَ ضوءٍ ويقينْ

جمهوريتنا، طفلتُنا الجذلى العينينْ
مولودتُنا السمراء الباسمةُ الشفتَينْ
سنوسِّدُها في أذرعنا ومآقينا
سنغذِّيها بأغانينا
نحنُ ترقَّبناها زمَناً من دون كَلالْ
ورصَدْنا الأفقَ، بحثنا ملءَ روابينا
وحَصَدْنا الشوكَ، حَصَدْنا حقد أعادينا
وأقمنا مَهْداً من حبٍّ وشذىً وظلالْ
كم حفَّ به كيدُ الأعداءْ
وسقطْنا حولَ قوائمه الولهى شُهداءُ

جمهوريتنا دفقَةُ خيرٍ مَسكوبه
تقطرُ إيماناً وعُروبه
جمهوريّتُنا ضوءٌ، عطرٌ، وعذوبَهْ
تقطرُ من أحرفُها الطيبه
كانتْ حُلُماً ضاعَ إلى زرقته البابُ
كانت أشواقاً مشبوبَه
يحجبُها غيمٌ وضَبابُ
وأخيراً نحنُ لَمسناها
بأكُفٍ راعشةٍ فرحاً وملكناها

جمهوريّتنا وردتنا النشوى العطره
أهداها تموزُ الطيّبْ
أعطاها لرؤانا، لربانا المنتظره،
للوادي العطشان المجدبْ
وردتنا البيضاء الغضّه
تغمرنا ثلجاً في تموزَ وحريّه
تُعطينا عطراً وسلاماً ورؤىً بَضّه
تبعثنا أغنيةً حيّه
تحيا تحيا الجمهوريّه

جمهوريّتنا وردتنا الروحيّةُ يحميها اللّهُ
كانت حلُماً، كانت رؤيا
والآنَ غدَتْ أغلى ما نملكُ في الدُنيا
وأحبّ، أعزّ، أرقّ الورد وأحلاهْ

في أضلُعنا يا وردتَنا الجمهوريّه
في أعيُننا نامي فلصوص الورد كثَارْ
أعداءُ العطرِ العابق، تُجّارُ الأزهارْ
أيقظَ عطرُك فيهم أشواقاً ذئبيّه
السّوقَ صحَا يا وردُ حذارْ

من نقمته الصهيونيَّه

ومخالبِه الأمريكيَّه

جمهوريَّتنا، وردتُنا، لن نُعْطيها

إنّا قد ذُقْنا سُكْرَها بعد الحرمانْ

هل نُسْلمُها للصِّ الآنْ؟

جمهوريَّتُنا من دمنا سنُغذّيها

نحنُ لها إيمانٌ يُعْطي ويدٌ تُنْجِدْ

جمهوريَّتنا عشْت، سلمْت من الطُّغيانْ

إنا والبعثَ على موعِدْ

طريق حبى

طريقى إليكَ يمُرُّ بأودية لا تَبين
مغيَّبة فى ضَبابِ التمنّى وعطرِ الحنينْ
ويُسْدَلُ فوق ذُرَاها القصيَّة سِتْرٌ ضَنين
يلملمُ أسرارَ أصقاعِها عن عيون السِّنينْ

طريقى إليكَ، وأيُّ طريقٍ مُثيرٍ غريبْ
قُرىً سربلتْها الظنونُ ومَدٌّ فضاء مُريبْ
وتأوى الشكوكُ إليها، ويسكُنُ لغزٌ عجيبْ
وتصرخُ أسئلتى فى رُباها، وما من مُجيبْ

وكم مُدُنٍ لا تُفَسَّرُ كم قرية مُضْنيه
ينامُ التناقُضُ فيها ويفترشُ الأوديهْ
فمن فَرَحٍ يتنهَّدُ حُزْناً، ومن أغنيه
تُذيعُ سُكوناً طويلاً، ومن ذِكَرٍ مُنْسيه

وكم من صحارٍ يعيشُ التعطّشُ في رَمْلها
رَوَيتُ تعطّشها بدموعي، ومن أجلها
جمعتُ الندى قَطْرةً قطرةً وعلى مَحْلها
صَبَبْتُ دمائي ومثلي يَفْنَى على مِثْلها

طريقٌ هواي هضابٌ غُموض وأرضٌ ظلالْ
وبيدٌ تُطيلُ التمنّي وتطلبُ ما لا يُنَالْ
هنالكَ أنهارُ أسئلة وجبالُ مُحالْ
وترسو الليالي شهوراً ويَنْسى المسيرَ الهلالْ

وبين المحالين: بين وصولي وبين رجوعي
تمرُّ رياحٌ تبلّلُها قَطَراتُ دُموعي
وأسهرُ أجهَدُ، أحفر في لهفة وخُشوع
لعلّي أشقُّ طريقاً لحبّيَ بين ضلوعي

(١٩٦٠)

خمس أغان للألم

-١-

مُهْدي ليالينا الأسَى والحُرَقْ
ساقي مآقينا كؤوسَ الأرَقْ

نحنُ وجدناهُ على دَرْبنا
ذاتَ صباحٍ مَطيرْ
ونحنُ أعطيناهُ من حُبّنا
رَبْتَةَ إشفاقٍ وركناً صغيرْ
ينبِضُ في قلبنا

فلم يَعُد يتركُنا أو يغيبْ
عن دَرْبنا مرّه
يتبعُنا ملءَ الوجود الرحيبْ
يا ليتَنا لم نَسقه قَطْره
ذاكَ الصَّباحَ الكئيبْ

مُهْدي ليالينا الأسى والحُرَقْ
ساقي مآقينا كؤوس الأرَقْ

-٢-

مِن أينَ يأتينا الألمْ
مِن أينَ يأتينا؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورَعى قوافينا

أمس اصطحبناهُ إلى لُجج المياهْ
وهناكَ كسّرناه بددْناهُ في موج البُحَيرهْ
لم نُبْقِ منه آهةً لم نُبْقِ عبْرَه
ولقد حسبْنا أننا عدْنا بمنجىً من أذاهْ
ما عاد يُلقِي الحُزْنَ في بَسَماتنا
أو يخبئ الغُصَصَ المريرةَ خلفَ أغنياتنا

ثم استلمنا وردةً حمراء دافئةَ العبيرْ
أحبابُنا بعثوا بها عبْرَ البحارْ
ماذا توقّعناهُ فيها؟ غبطةٌ ورضىً قريرْ
لكنّها انتفضتْ وسالت أدمعاً عطشى حِرارْ
وَسقتْ أصابعَنا الحزيناتِ النَّغَمْ.
إنّا نحبّكَ يا ألمْ

من أينَ يأتينا الألم؟

من أين يأتينا؟

آخى رؤانا من قِدَمْ

ورَعى قوافينا

إنّا له عطَشٌ وَفمْ

يحيا ويَسْقينا

-٣-

أليسَ في إمكاننا أن نَغْلبَ الألمْ؟

نرجئُهُ إلى صباحٍ قادمٍ؟ أو نُمْسيه

نشغَلُهُ؟ نُقْنعهُ بلعبةٍ؟ بأغنيه؟

بقصّةٍ قديمةٍ منسيّةِ النغَمْ؟

ومن عَسَاهُ أن يكون ذلك الألمْ؟

طفلٌ صغيرٌ ناعمٌ مُستفهِم العيونْ

تُسْكته تهويدةٌ وربْتةٌ حَنونْ

وإن تبسّمنا وغنّينا له يَنَمْ

يا أصبعاً أهدى لنا الدموع والندَمْ

من غيره أغلقَ في وجه أسانا قلبَهُ

ثم أتانا باكياً يسألُ أن نُحبَّهُ
ومن سواهُ وزّعَ الجراحَ وابتسَمْ؟

هذا الصغيرُ... إنّه أبرأ منْ ظَلَمْ
عدوّنا المحبّ أو صديقنا اللدودْ
يا طَعْنةً تريد أن نمنحَها خُدودْ
دون اختلاجِ عاتبٍ ودونما ألمْ

يا طفلَنا الصغيرَ سامحنا يداً وفَمْ
تحفرُ في عُيوننا معابراً للأدمعِ
وتَسْتَثيرُ جرحَنا في موضعٍ وموضعِ
إنّا غَفَرْنا الذنبَ والإيذاء من قِدَمْ

-٤-

كيف ننسَى الألَمْ
كيف ننساهُ؟
من يُضيءُ لنا
ليلَ ذكراهُ؟

سوف نشربُهُ سوف نأكلُهُ
وستقفو شُرود خُطَاهْ
وإذا تمنا كان هيكلُهُ
هو آخَرُ شيءٍ نَرَاهْ

وملامحُهُ هي أوّلُ ما
سوفَ نُبْصِرُهُ في الصباحْ
وستحملُهُ مَعَنَا حيثُما
حملتنا المُنى والجراحْ

سنُبيحُ له أن يُقيم السُّدودْ
بين أشواقنا والقَمَرْ
بينَ حُرقتنا وغدير بَرُودْ
بين أعيننا والنَّظَرْ
وسنسمح أن يَنْشُرَ البَلْوى
والأسَى في مآقينا
وسنُؤْويه في ثَنْيةِ نَشْوَى
من ضلوع أغانينا

وأخيراً ستجرفُهُ الوديانْ
ويوسّدُهُ الصّبّيرْ
وسيهبطُ واديَنا النسيان
يا أسانا، مساءُ الخيْرْ!

سوف ننسى الألم
سوف ننساهُ
إنّنا بالرضى
قد سقيناهُ

-٥-

نحن توّجناكَ في تهويمة الفجْرِ إلها
وعلى مذبحكَ الفضّيّ مرّغْنَا الجِبَاها
يا هوانا يا ألَمْ
ومن الكتّانِ والسمْسمِ أحرقنا بخورا
ثمّ قدّمْنا القرابينَ ورتّلْنَا سُطورا
بابليّاتِ النَغَمْ

نحنُ شيّدنا لكَ المعبدَ جُدراناً شذيّه
ورَششنا أرضهُ بالزّيتِ والخمرِ النقيّه

والدمـــــوع المُحـــــرِقـــــه

نحن أشعلنا لكَ النيرانَ من سَعَف النخيلِ

وأسـانا وهشيـم القـمح فى ليلٍ طويلِ

بشـــفـــاهٍ مُطْبـــقَـــه

نحنُ رتّلنَا وناديْنا وقـــدّمْنا النذورْ:

بَلَحٌ من بابلِ السكْرِى وخُبْـزٌ وخمـورْ

وورودٌ فَـــــرِحَـــــهْ

ثمّ صلّينا لعينيك وقـرّبنا ضحـيّـهْ

وجَمَعْنا قطَراتِ الأدمُعِ الحَرَّى السخيّه

وصَنَعْنا مَــسْـبَحَـــه

أنتَ يا منْ كفُّـهُ أعطتْ لحوناً وأغانى

يا دموعاً تمنحُ الحكمةَ، يا نَبْعَ معانِ

يـا ثَراءً وخُـــصــوبَهْ

يا حناناً قـاسيـاً يا نقمـةً تقطُرُ رحْمَه

نحنُ خبّـأناكَ فى أحلامنا فى كلّ نغْمَه

من أغـــانينا الكئيـــبه

(١٩٥٧)

أغنية للأطلال العربية

من الجزْع من قلب سقْط اللوَى   ووادى الغمار وبُرْقة ثهْمَدْ
ومن ربْع نُعم عفتْه الرياحُ   وأقفَر من أهله وتَبدّدْ
ومن طَلَلٍ فى الجزيرةِ أقوَى   وما زالَ منْبعَ عطرٍ وعَسجَدْ
تعالتْ هتافاتُ ماضٍ عريقٍ   يعيشُ الخلودَ بجَفْنٍ مُسهَّدْ

وتلكَ المرابعُ حيثُ الظباءُ   سَرَحْنَ قديماً وتلكَ الطلولْ
منازلُ يعربَ يَفْنى الوجودُ   ويلبَثُ منها شذىً لا يزولْ
وشِعْرٌ نَدٍ عربىَّ القوافى   يَظَلُّ يبرعمُ مثلَ الفصولْ
إذا دَرَستْ دمْنةٌ هبَّ ألفُ امْـ   رئ القيسِ يدفَعُ عنها الذبولْ

تُناديك يا عربىّ رمالٌ   مُعطّرةٌ بأريج القِدَمْ
ديارُ العروبة ما لامَسَتْها   قديماً سوى قُبُلاتِ الدِّيَمْ
وقفتَ بها اليومَ: أين الهواد   جُ؟ أين الحُداءُ؟ وأين الخيمْ؟
تَرَحّلَ فرسانُها وانطوتْ   أناشيدُها وزَوَاها العَدَمْ

وتستعجمُ الدارُ يا عربيّ … وتُغرقُ في صَمْتها لا تُجيبْ
فإن تبكِ، تَسْتبكِ جُدرانها … يردُّ عليكَ السكونُ الرهيبْ
مَسارحُ آرامها دنّستها … خُطَى الوافدِ الأجنبي المُريبْ
وأرضُ نزارٍ وبكرٍ ووائـ … ـلَ خطّوا على رَمْلها تلْ أبيبْ

ويَصْعدُ في الليل همسٌ كئيبٌ … تردّدُه الدِّمَنُ الماحله
تغلّفه كبرياءُ الطُّلولِ … وعِزّةُ أحجارها الذابله
ويُثْقله رجعُ خَطْوِ القوافـ … ـلِ في رمْل تلك الرُّبى القاحله
متى يا زمانُ تعودُ الحياةُ … إلينا وتنطلق القافلَهْ؟

فيا عربيّ أصخْ لنداء … تحدّرَ من رَحْبَةِ الأبديّه
وقفْ حاسراً تحت ضوء النجوم … على ربْعِ تلك الطلول الأبيّه
وقلْ يا رمالَ الجزيرةِ يا لَحْـ … ـن ملحمةِ العَرَبِ الأزليّه
غداً ستعودُ إليك الحياةُ … تعود مع الوَحْدةِ العربيّه

(١٩٦٣)

مشغول في آذار

ينامُ الوردُ أو يصحو
ويبسمُ في المَدَى ليلٌ ندٍ أو ينتشي صُبْحُ
سواءٌ ذاكَ أو هذا، حبيبي، أنت مَشْغولُ
سُدىً مني أوتارٌ تصلّي وتراتيلُ
على مكتبك البارد تنكبّ بلا أحلامْ
وتسرِقُ روحَكَ الأرقامْ
وعند رتاجك المسدودِ ترتدّ المواويلُ
وقد أضحك، قد أبكي، وأسهرُ في الدُّجى
وأنامْ
سواءٌ... أنتَ مشغولُ
بأوراقكَ، والحبُّ على المكتب مقتولُ،
ألا فلتَسْقطِ الأوراقُ والأقلامْ

وآذارُ النَدِيُّ وأنا... وراءَ البابْ
نرُشُّ جبينَكَ الجدِّيَّ بالأطيابْ
نُرَقْرِقُ في دواة الحبر بعضَ تحرّقِ الموجِ
ونُنْجي خَشَبَ المكتبِ من بَرْدٍ ومن ثلجِ

وَنُهْدِيكَ النَّدَى والعِطْرَ كأسَ شَرابْ
حبيبي فافتحِ الأبوابْ
أنا والقمرُ المُشتاقُ جِئنا نطرُقُ الشُّبّاكْ
عبرنا الصخْرَ والأشواكْ
ووِدياناً من الآهاتِ والأوصابْ
أتيناها هنا لنراكْ
حبيبي فافتحِ الشُّبّاكْ

ويمضي الوقتُ والأبوابُ تَرفُضُنا
حبيبي المرْهَقَ المشغولَ افتحْها فنحنُ هنا
أنا والشمسُ نحملُ سُمْرَةَ النَّهْرِ
وأكواباً من العطرِ
وحُزْمَةَ أنجمٍ وسَنَا
حبيبي فافتحِ الأبوابَ، نحنُ هنا
جميعاً:
أنتَ، آذارٌ وفرحةُ حبِّنا، وأنا

(١٩٦٣)

ولكنها ستكون الأخيرة

«ترجمة تصرف للقصيدة المعنونة:

It's not Going To Happen Again

للشاعر الإنكليزي روبرت بروك»

أجلْ أنا أشبعتُ روحي وغذّيتُ هذي الشفاهْ
وأشربتُ قلبيَ حتى سكرْ
أجلْ أنا أُعطيتُ أثمنَ ما منحتْهُ الحياهْ
كؤوسَ الهوى البلسميّ العَطِرْ
وكم قد سكِرْتُ بأفراحها وبلغتُ الذُّرَى
وكم قد سكبتُ الدموعَ الغزيره
ولكنّها ستكونُ الأخيرةَ يا صاحبي
ولكنّها ستكونُ الأخيره

وتعرفُ هذا بُنيةٌ في دَرَكاتِ الجحيمْ
ويُدْركه توبةٌ وجميلْ
وكم غمغمتْهُ أناشيدُ قيسٍ بصوتٍ رخيمْ
وواست به حُزْنَ ليلى الطويلْ
وكم ردّدتْه شفاهُ كثيرَ في نَشْوةٍ

لعزّةَ وهي تموتُ كسيرَهْ

ولكنّها ستكونُ الأخيرةَ يا حُلْوتي

ولكنّها ستكونُ الأخيرَهْ

وردة لعبد السلام

* نظمت الشاعرة هذه الأغنية في مساء اليوم الذي أعلن فيه اعتقال السيد عبدالسلام عارف بتهمة التآمر سنة ١٩٥٨.

في جداولنا في شفاه روابينا ريبةٌ وظلامْ
وسؤالٌ تحرّقَ ملْءَ أغانينا: أينَ عبدُ السلامْ؟

والعروبةُ تسألُ: أينَ أضعْناهُ؟ صوتُها محزونْ
هل نقولُ لها إنّنا قد رمَيْناهُ في ظلامِ السُجونْ؟

ولماذا سنسجنُهُ؟ يسألُ الرافدانْ أيّ ذنبٍ جَناهْ؟
هل نقولُ لها إنّه يا شواطئ كانْ عربيّ الشفَاهْ؟

نبأٌ تجرحهُ المروجُ الخصيبهْ بدمِ النـ[illegible]زْ
وسيلْبثُ فوقَ خلود العروبه خجلاً واحمرارْ

والملايينُ ترقُبُ في حرْقةٍ وانفعالْ حافَةَ الكأسِ
صوتُها رنّ يُلقي السؤالَ متى يا جَمالْ مَطلعُ الشمسِ؟

والملايينُ تحـــمل في يدها وردْ لكَ عـــيــــدَ السّــــلامْ
يا نصيرَ العـروبة والحقّ والوَحْـده يــا عـــــــــــدوَّ الظّــلامْ

(١٩٥٨)

أغنية للقمر

كـــأسُ حليب مـــثلّج ترِف — أم جـدولٌ سـائلٌ من الصَدَف؟
أم غَـمَـقٌ أبيضٌ يـسيلُ على — خـلود ليل مُـعطّرِ السُدُف؟
أم حُقّ عطرٍ ملوّن خَـضلٍ — يقطُرُ شـهـداً لكلّ مُـغـترف؟
أم أنت خَـدٌّ مُـزنبقٌ أرجٌ — ينعَسُ فـوق الأعشابِ والـسعَفِ؟
يا فـضّـةً كـالضيـاءِ ليّنةً — يا لونَ حُبّي القديم يا شَغَفي

مـا أنتَ يا دورقَ الضـيـاءِ ويا — كـواكـبـاً في الظلام منصَهِره؟
يا قُـبَـلاً سَـوسنيّـةً سكَبتْ — شـهـداً مُـصَـفّىً في ليلةٍ عَطِرَهْ
يا مـخْـبـأً للجمـالِ يا حُـزَمـاً — من زنبقٍ في السـمـاءِ مُنْعَصِرَهْ
ويا شِـفـاهاً من الضيـاءِ دَنَتْ — تَمْـسَحُ وجـهَ العـرائشِ النَضِرَه
يا بـركـةَ العطرِ والنعـومـةِ يا — سلّةَ فُلٍّ في الأفقِ منحـدره

يا زورقَ العـاشـقين تحـمـلُهُم — عـبْـرَ بحـارِ الأحلامِ والكَسَلِ
عـلى جَنَـاحٍ مـريَّشٍ يـقـظٍ — يفـرُشُ دربَ الغـرامِ بـالأملِ
يا مـنـبـعـاً يسكُبُ النُعاسَ على — مـا أرّقَـتْـهُ الأشـواقُ من مُـقَلِ
يا سـاقيَ الأعـينِ الرقـاقِ رؤىً — يا كـوبَ نومٍ مـخـدّرٍ ثَـمِلِ
يا إصـبـعـاً يلمسُ الجراحَ ويا — مُـبَـعْـثِـرَ الأغنيـاتِ والقُـبَلِ

جزيرةٌ في الدُّجى معلّقةٌ ... فجريّةُ اللونِ والتباشيرِ
طافيةٌ فوق جدولٍ عبقٍ ... مكوكبِ الشاطئينِ مسحورِ
تجمّدَ الضوءُ عند شاطئها ... مهدُ حريرٍ وكنزُ بلّورِ
يا توبةَ القُبحِ يا شراعَ هوىً ... ملوّنٍ ناعمِ الأساريرِ
يا ندمَ الليلِ والظلامِ ويا ... كفّارةَ الغيمِ والأعاصيرِ

أذبْ شظايا أشعّةٍ ورؤىً ... في الليلِ واغمرْ سطوحَنا فضّهْ
وانفضْ جناحيكَ في الفضاءِ يسلْ ... لونُ جناحِ الفراشةِ الغضّهْ
لولاكَ لم ترقصِ الظلالُ ولم ... تبردْ كؤوسُ الزنابقِ البضّهْ
غزلْتَ أحلامَنا وأرضعْتَنا ... ضياءَكَ العذبَ ومضةً ومضهْ
يا كوّةَ الفجرِ في دجى تعبٍ ... يا مطعمَ الياسمينِ في الروضهْ

البيتْ كما أنتَ عالماً عجزتْ ... أرواحُنا أن تعيْ خفاياهُ
يا ناسجَ الشعرِ يا بقيّتَهُ ... في عالمٍ أظلمتْ مراياهُ
أيُّ نشيدٍ لم ينبجسْ عسلاً ... وأنتَ تفترُّ في ثناياهُ
أنتَ منحتَ الغناءَ لذّتَهُ ... يا نبضةَ الوزنِ في حناياهُ
فابقَ وراءَ الحياةِ أخيلةً ... الشعرُ فيها والحبُّ واللهْ

(١٩٥٢)

ثلجٌ ونار

تسألُ ماذا أقصدُ؟ لا، دَعْني، لا تسألْ
لا تَطرُق بوّابَةَ هذا الرُكْنِ المُقْفَلْ
اتركني يحجبُ أسراري ستْرٌ مُسْدَلْ
إنَّ وراء الأستارِ وروداً قد تُذبَلْ

إن أنا كاشفتُكَ، إن عرّيتُ رؤى حبّي
وزوايا حافلةً باللهفة في قلبي
فستغضَبُ مني، سوف تثورُ على ذنبي
وسَيَنْبُتُ تأنيبُكَ أشواكاً في دربي

وإذا ما رُحْتَ تؤنّبُني، هل أنسحبُ؟
هل يقبلُ ثلجَ عتابكَ قلبي الملتهبُ؟
أترى أتقبّلُ؟ لا أغضَبُ؟ لا أضطربُ؟
لا! بل سأثورُ عليكَ... سيأكلُني الغضَبُ

وإذا أنا ثرتُ عليكَ وعكّرتُ الأجواءْ
بمرارةِ لفظٍ جافٍ أو حرفٍ مُستاءْ

فستغضبُ أنتَ وتنهضُ في صمت وجَفَاءْ
وستذهبُ يا آدمُ لا تسألُ عنّ حوّاءْ

وإذا ما أنتَ ذهبتَ وأبقيتَ الشّوْقا
عصفوراً عطشاناً لا يحلُمُ أن يُسْقَى
وليالِيَ لا تعرفُ لا فجراً لا شَرْقا
وإذا ما أنتَ ذهبتَ... فماذا يتبقّى؟

لا، لا تسأل... دعني صامتةً منطويهْ
اتركْ أخباري وأناشيدي حيثُ هيَ
اتركني أسئلةً وردوداً مُنزويهْ
وورودا تبقَى تحت ثلوجكَ منحنيه

يا آدمُ لا تسألْ.. حوّاؤكَ مطويّه
في زاويةٍ من قلبك حيرى منسيّه
ذلك ما شاءتهُ أقدارٌ مَقْضيّه
آدم مثلُ الثلج، وحوّاءٌ ناريّه

أغنية حب للكلمات

فيمَ نخشَى الكلماتْ
وهى أحياناً أكُفٌّ من ورودِ
باردات العطرِ مرّتْ عذْبةً فوق خدودِ
وهى أحيانا كؤوسٌ من رحيقٍ مُنعشِ
رَشفتْها، ذات صيفٍ، شفةٌ فى عَطَشِ

فيم نخشى الكلماتْ
إنّ منها كلماتٍ هى أجراسٌ خَفيّهْ
رَجعُها يُعلن من أعمارنا المنفعلاتْ
فترةً مسحورةَ الفجرِ سخيّهْ
قَطَرتْ حساً وحباً وحياةْ
فلماذا نحنُ نخشى الكلماتْ؟

نحنُ لُذْنا بالسكونِ
وصمتنا، لم نشأ أن تكشفَ السرَّ الشفاهْ
وَحسبنا أنّ فى الألفاظ غولاً لا نراهُ
قابعاً تُخْبئُهُ الأحرفُ عن سَمْعِ القرونِ

نحنُ كبّلنا الحروف الظامئه

لم نَدَعْها تفرشُ الليلَ لنا

مِسْنداً يقطُرُ موسيقىً وعِطراً ومُنًى

وكؤوساً دافئه

فيم نخشى الكلماتْ؟

إنّ منها كلمات مُخْمليات العُذوبَهْ

قَبّستْ أحرُفها دِفْءَ المُنى من شَفَتين

إنّ منها أُخراً جذْلى طَروبه

عَبَرتْ وردِيَةَ الأفراح سَكْرى المُقْلتين

كَلماتٌ شاعريّاتٌ، طريّه

أقبلتْ تلمُسُ خَدّينا، حروفْ

نامَ في أصدائها لونٌ غنيٌّ وحفيفُ

وحماساتٌ وأشواقٌ خفيّه

فيمَ نخشى الكلماتْ؟

إنْ تكن أشواكها بالأمسِ يوماً جرحتْنا

فلقد لفّتْ ذراعَيْها على أعناقنا

وأراقتْ عِطرَها الحُلوَ على أشواقنا

إن تكن أحرفُها قد وَخَزَتْنا

ولَوَتْ أعناقَها عنّا ولم تَعْطفْ علينا

فلكم أبقت وعوداً في يَدَيْنا

وغداً تغمرُنا عطراً ووردا وحياة

آه فاملأ كأسَيْنا كلماتْ

في غد نبني لنا عُشّ رؤىً من كلماتْ

سامقاً يعترش اللبلابُ في أحرفِهِ

سنُذيبُ الشعْرَ في زُخْرُفِهِ

وسنَرْوي زهرَةً بالكلماتْ

وسنَبْني شرفةً للعطرِ والوردِ الخجولِ

ولها أعمدةٌ من كلماتْ

وممراً بارداً يسبَحُ في ظلٍّ ظليلِ

حرَسَتْهُ الكلماتْ

عُمْرُنا نحنُ نذرناهُ صلاةْ

فلمن سوف تصلّيها... لغير الكلماتْ؟

(١٩٥٤)

ثلاث أغنيات عربية

-١-

الساعة

«لقد دقت ساعة العمل الثورى»

[جمال عبد الناصر]

دقّت الساعة فى أرض بلادي العربيّه
جلجلت، ضجّت، ودوّت ملءَ وديان قصيّه
غلغلت عبر بساتين النخيل العنبريّه
وتلوّتْ فى صحارٍ رَسَخَتْ كالأبديّه

دقّت الساعة واهتزّتْ لها سُمْرُ الصحارى
وارتوت بيدٌ عطاشٌ لانبلاجٍ، لانفجارِ
ورمالٌ لم تزلْ منذ عصورٍ فى انتظارِ
فتحتْ أذرعها العطشى وألوتْ بالإسارِ

إنّه الفجرُ فهُبّي يا ملايينُ وموجى
احملى أغنية الصَحْو إلى خُضْر المروجِ
ووعوداً مورقاتٍ عربيّاتِ الأريجِ
نبضت بين المحيطِ المُترامى والخليجِ

اثنتــــا عــشــرةَ مــن دقّــاتهــا هــزّت ربُانا

أيقظت تــاريخَنا القــوميّ فى قــعْـر دمــانا

غلغلت عــبــر صــحــارينا النَشَـاوَى وقــرانا

ومــــــعناهــا تنادي وأفَـــقْنا من كـــرانا

-٢-

اللصوص

إنّه الليلُ كلُّ الحدودْ ... غرقتْ في مَدَى غيهبِهْ
بدياجيهِ لفَّ الوجودْ ... أيّها العربيّ انتبهْ

رَحبَاتُ المَدى النائياتْ ... زخرتْ بخُطَى الأعداءْ
من وراءِ ضفافِ الفراتْ ... والخليجِ إلى صنعاءْ

ولصوصٌ هناكَ كثارْ ... كلّهم جَشَعٌ وخداعْ
أقبلوا من وراءِ البحارْ ... يسرِقون طعام الجياعْ

نزلوا أرضَكَ السمراءْ ... يسرقون الجَنى والتمورْ
يأخذون الثَرى والهواءْ ... يخطفون النَدى والنورْ

يسلبونكَ لو يقدرونْ ... خضرةَ الشَجَرِ المبتسمْ
يخنقونَ الأغانيْ الحنون ... يمنعونَ الكَرَى والحُلُمْ

إنّهم يقطعون الطُرُقْ ... ويسُدّون كلّ سبيلْ
فاستفق من كَرَاكَ استفق ... أيّها العربيّ النبيلْ

-٣-

النسر المطعون

حيثُ النخيلُ السامقُ المزدهي   حيثُ الصحاري المحُرقاتِ الرّمالْ
حيثُ الينابيعُ وكاساتُها   تقطرُ شهداً وتغذّي التلالْ
وحيثُ أغنيّاتُ أنهارنا   تشدو بها شفاهُ ريحِ الشمالْ
هناكَ ألقى طائرٌ ظلّهُ   ضخماً، إلهيّاً تحدّى المحُالْ

جُنحاهُ مبسوطانِ فوق المدى   من الخليج للمحيط السحيقْ
في كبرياء الريش تحيا ذُرَى   وأعصُرٌ يقظَى ومجدٌ عريقْ
أقامَ فوق الأرض لا يرتقي   نحو الأعالي في الفضاء الطليقْ
واللانهاياتُ تنادي وفي   ندائها همسُ الخلود العميقْ

في قلبه النابض قد أغمدوا   رمحاً غليظَ الحدِّ خشْنَ الشّفاه
من صدره الحرِّ يغذّي الثّرى   والوردُ يستنبتُهُ من دماهْ
يا رمحَ إسرائيلَ مهما ارتوى   من جنحهِ من روحهِ من مُنَاهْ
يبقى ثرَانا عربيّ الشذَى   والضوءِ، يبقى عربيّ المياهْ

يافا وحيفا في غدٍ نلتقي فنحن والضوءُ على موعدِ
تبقى فلسطينُ لنا نغمةً قدسيّةً على فم المُنْشِدِ
ونسْرُنا الشامخُ لن ينثني أمام بابِ الزمنِ الموصَدِ
غداً فلسطينُ لنا كلّها كأنَّ إسرائيلَ لم توجَدِ

خصام

زمانُ الصفَاءِ مضى وتلاشى مع الذكرياتْ
وها نحن مختصمانْ
وجاء زمانُ الصراعِ فلا لطْف لا بَسَماتْ
ولا دفقةٌ من حنانْ

وها نحنُ مختصمانِ دفنّا الوئامْ
وراء التوتّر في قعر ألفاظنا البارده
ولم نُبْقِ كأساً ولا منهلاً للغرامْ
ولم نُبْقِ عشاً لأحلامنا الساهده

وها نحنُ نكتشفُ عمّا انطوَى
بأعماق أنفسنا من عيوب جميله
ويُدْرِكُ كلّ بأنّ الهوَى
طوَى ما طوى من معايبنا المُترَفات الأصليةْ
ولم يبق إلا محاسنَنا الفجّةَ المستحيلهْ

وها نحن نعرفُ أبعادَنا الشاسعةْ
وما امتدَّ في عُمْقِها من خُشونه
وكيف ملكْنا عُيوباً منوّعةً رائعةْ
نُخَبِّئ أوْجهَها خلفَ سترِ الرضَى والليونَ
وخلفَ الوداعةِ خلفَ السكينه

وفي لَحظَاتِ الصفاء لَمَسْنا شذانا الرصينا
وذُقْنا محاسنَنا السَمْحَةَ المُنْعِمه
وذاك الطلاءَ الذي لفَّ أعماقنا المُبهَمه
وغطّى الحماقةَ والضَعْفَ فينا

وفي لَحظاتِ الحنينِ هَوِينا
بَساطتَنا وعشِقْنا العُذوبه
وها نحن نعشَقُ ما تَخْلُقُ الآدميةُ فينا
ونلمسُ أعماقنا الشاسعات الرهيبةْ
وما في حماقتنا من جَمالٍ شذٍ وخُصوبهْ

وكنا عَشقنا انبثاق الحرارة في مُقلتَينا
فدَعنا نُحبّ النُضوبْ
وكنا هوينا التوردَ والشعرَ في شَفتينا
فلَم لا نُحبُّ الشحوبَ
ولِمَ لا نخلّفُ ركناً من المقتِ بين يدينا؟
وكنا عقدنا الصداقةَ بين المحاسنِ فينا
فدعنا نُقِمْ أُسسَ الحبِّ والودِّ بين العيوبْ
وأفسِحْ مكاناً لبعضِ الحماقات بعضِ
الذُنوبْ
ودعنا نكُنْ بَشَراً طافحيْن نفيضُ جنونا
ونتضحُ ضِحكاً ودمعاً سَخينا

(١٩٥٤)

أسفار

ترجمة تصرف لقصيدة عنوانها Travel للشاعر

الإنكليزى روبرت بروك Rupert Brooke

حينَ نزلتُ (تونس) الكبيرهْ
كُسِّرَ قلبى قِطَعاً صغيره

ثم استطعتُ بين نَخْل (البصره)
إلصاقَ قلبى كِسرةً فكسره

وفى (دمشق) عاد قلبى قِطَعا
ولاحَ عجزُ الصمغِ عن أن ينْفَعا

وها أنا فى أرض «مصر» أعلمُ
بأنَّ ما كُسِّر ليس يُلْحَمُ

(١٩٦٥)

نحن وجميلة

جميلةُ! تبكين خلفَ المسافات، خلف البلادْ
وتُرْخين شَعركِ كفّكِ دمعَكِ فوق الوسادْ
أتبكين أنتِ؟ أتبكي جميَلةْ؟
أما منحوكِ اللحونَ السخيّات والأغنياتْ؟
أما أطعموكِ حروفاً؟ أما بَذَلوا الكلماتْ؟
فَفيمَ الدموعُ إذنْ يا جميله؟

ونحن منحنا لوصفِ جراحك كلّ شَفَةْ
وجرّحنا الوصفُ، خَدّشَ أسماعنا المرْهَفةْ
وأنت حملتِ القُيودَ الثقيله
وحينَ تحرّقت عطشى الشفاه إلى كأسِ ماءْ
حَشَدْنا اللحونَ وقُلْنا سَنُسْكِتُها بالغناءْ
ونسلو لها في الليالي الطويله

وقُلنا: لقد أرشفوها الدماءَ، سقوْها اللهيبْ
وقُلنا: لقد سمّروها على خَشَبات صَليبْ
ورحنا نُغَنّي لمجد البُطوله

وقلنا: سنُنقذُها، سوف نفعلُ! ثم غرِقنا
وراءَ مدى «سوف» بين الحروف النشاوى وصحنا
تعيشُ جميله! تعيشُ جميله!

وذُبْنا غراماً بِبَسمتها وعَشقنا الخدودْ
وأذكى هوانا الجمالُ الذى أكلتْهُ القيودْ
وهِمْنا بِغَمّازة وجَديلَهْ
أمِنْ جَرْحها الثرِّ نُطعمُ أشعارَنا بالمعانى؟
أهذا مكانُ الأغانى؟ إذنْ فاخجلى يا أغانى
وذوبى أمامَ الجِراح النبيلَهْ

هُمُ حمّلوها جراحَ السكاكين فى سوء نيّه
ونحنُ نحمِّلُها - فى ابتسامٍ وحُسْنِ طويّه -
جراحَ المعانى الغلاظ الجهوله
فيا لجراح تعمّقُ فيها نُيوبُ فَرَنسا
وجُرحُ القرابةِ أعمقُ من كلِّ جُرحٍ وأقسى
فوا خجلتنا من جراح جميله!

(١٩٥٨)

إن شاء الله...

ناديتُ الوردة ذات صباحٍ: «يا وردةُ إنيَ عطشى»
فرنَتْ وانتفضَتْ وابتسمتْ
وجهاً، قلباً، شَفَةً، رمشا
منحتني العطرَ، اللونَ، الحبَّ، وما بخلَتْ
فرَشتْ لي خدّيْها وحنت

وسألتُ حبيبي أن ألقاهْ
فتطلّع فيّ وقال: أجل، إن شاء اللّهْ...
بضعة ألفاظ ثم مضى
وعدٌ منه وحماسٌ من قلبي ورضَى
وغداً أو بعد غدٍ يحضرُ إن شاء اللّهْ...

إن شاء اللّهْ...
وعدٌ في شَفَةِ الزنبقِ غطّى المرْجَ شذاهْ
وتألّقُ فجرٍ منبثقٍ خلفَ مسافات مبهوره
ونسائمَ تعبرُ في وديانٍ مسحوره
(إن شاء اللّهُ) رؤى أغنيةٍ طافحةٍ ونَدىً

وصلاه

(إن شاء اللهُ) تسابيحٌ وصَدَى أجراسْ

وبشاشةُ كأسٍ لامسَ كاسْ

(إن شاء الله) تفجّرُ أعيادٍ وحياهْ

وتلاقي أعنابٍ ومياهْ

(إن شاء الله)... وسحّتْ أمطارٌ ثرّةْ

فجّرتِ العَالمَ بالخُضرهْ

(إن شاء الله) وجاشَ البحر وأعطانا

سمكاً ولآلئَ ورشاشاً رطّبَ أوجهَنا ورؤانا

(إن شـاء الله) وألفُ يدٍ مرّتْ وتيـقّظَ ألفُ

وترْ

وتألّقَ حولي ألفُ قمرْ

وأنا ما زلت أعيشُ وأحلُمُ أن ألقاهْ

فمتى يُشرِقُ لي فجرُكِ يا (إن شاء الله)؟

(هل) و(متى) لحنُ جفونٍ ضارعةٍ وشفاه

وجوابُهما: إن شاء الله...

هل تحضرُ؟ هل يأتي المطَرُ؟

هل يسخو العطرُ وينهمرُ؟
إن شاء اللّهْ
إن شاء اللّهْ
ومتى يسْري نُسْغُ السُكّرْ
في الرُمّان الحامضِ؟ والفجرُ متى يظهرْ؟
والشاطئُ بعد ضَنَى الأسفارِ متى سنراه
إنْ شاء اللّه؟

حدود الرجاء

«فى انتظار إعلان الوحدة الثلاثية سنة ١٩٦٣»

كنا نراها في ضَبـاب الكَرَى ... ملفوفةَ الهيكل بالمُستحيلْ
كنا شقاها عطشتْ والتظتْ ... وكانَ مرآها يُرَوِّى الغليلْ
كنا ملايينَ نُعانى اللظى ... وظلُّها فوقَ مُنانا ظليلْ
وكانتِ الأحلامُ تُلْقى بنا ... فى كلِّ فجرٍ فوق صَحوٍ ثقيلْ

وكم عَبرْنا نحوَها من مَدىً ... الرِّيحُ فيه تلتقى بالأنينْ
دماءُ مقتولينَ من يَعْرب ... تضِجُ فى أعماقِ ليلٍ حزينْ
وموكبٌ يُعقبُهُ موكبٌ ... من شُهداء سقطوا هاتفينْ
يا صوتَها، يا وجهَها، يا اسمَها ... ابقَىْ ضياءً يتحدّى السنينْ

الوحدةُ الكبرى شَدَوْنا بها ... ونحنُ فى المهْد صغارُ المُنى
وكم بَنَيْنا صرْحها المُشتَهى ... على تلالِ الرَّملِ فى أمسِنا
وكم حَسبنا أنها قد دَنَتْ ... منّا فأخفى ضوءَها المُنحنى
وجهٌ سَرابىّ السَّنا كم هوَى ... كلّ رجاءٍ دونَهُ مُثخَنا

من دونِها ضِعنا فلا زَهْرةٌ ... توقظُنا أشذاؤها السارِيَةْ
لا نَغَمٌ يُسعِدُ أرواحَنا ... لا نَهْرَ يروينا ولا ساقِيَةْ
لا نخلةٌ تضحكُ في أرضِنا ... لا زارعٌ يُنشدُ لا راعِيَةْ
جَفَّتْ أراضينا وأشجارُنا ... وارتحلَتْ أطيارُنا باكِيَةْ

نحنُ عَبَرْنا كلَّ أفْقٍ نَأى ... نبحثُ عنها عن شَذاها الجميلْ
عن لونِها عن روحِها عن صَدًى ... منها يُدوِّي في السكونِ الثقيلْ
واليومَ جئنا أرْضَها وانطوَى ... ذاك المسيرُ المدلهِمُّ الطويلْ
وانصرمتْ تلكَ السنينُ التي ... تاهتْ خُطاها في ضَبابِ العويلْ

واليومَ حانَ الفجرُ يا أمّتي ... فنحنُ قارَبْنا حدودَ الرّجاءْ
تلألُؤها تبدو وراء المَدَى ... مُغْرَقَةٌ في غمرةٍ من ضياءْ
الوحدةُ الكبرى دنا ركبُها ... منّا فيا بُشرَى الشفاهِ الظماءْ
يا فرحةَ السارينَ تحتَ الدُّجى ... قد لاحتِ الدارُ وحانَ اللقاءْ

(١٩٦٣)

الوحدة العربية

«عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية من القاهرة

في ١٧ نيسان ١٩٦٣»

يا صميمَ الدُّجى الذي أسدلَ السِّتـ ـرَ على بيدِنا الرحابِ النقيّهْ

يا جِراحَ التقسيمِ، يا عارَ إسرا ئيلَ في جبهةِ الصَّحَارى الأبيّهْ

يا مَسيلَ الدماءِ من عُنُقِ المو صلِ باسمِ السلامِ والحُرّيّهْ

يا صُراخَ الجنوبِ من أرضِنا المُشْـ ـبعةِ الرّمْلِ بالدماءِ الشذيّهْ

يا سنيناً مسقتولةً في ثَرَى تا ريخنا لم تَزَلْ رؤاها طريّهْ

يا قبوراً تضمُّ قَتْلَى عطاشاً فوقَ أرضِ الجزائرِ العبقريّهْ

يا مُنى أمّتي جميعاً، ويا آ مالها يا أحلامَها المطويّهْ

استفيقي من الكَرَى إنّ فجراً قد أطلّتْ أضواؤه الزنبقيّهْ

حُزَمٌ من سعادةٍ وضياءٍ دَفَقَتْ في الدياجرِ الغيهبيّه

طوتِ النيلَ واحتوت بَرَدَى وأحـ ـتَضَنَتْ دجلةً بكفٍّ نديّهْ

إنّها ساعةُ المدَى أعلنتْ دقّـ ـاتُها فجرَ أمّتي العربيّهْ

كم حلُمْنا بوحدةِ العَرَبِ الكُبْـ ـرى وهِمْنا بفجرِها الوُضّاءِ

كم شَدَوْنا بها، عروبتُنا ظَمْـ ـأى إليها تظلّ دون ارتواءِ

ورأينا ديارَنا مِزَقاً دا مِيةَ الرّمْلِ، في يدِ الأعداءِ

لم يَعُـــدْ زهرُها الـطريُّ المُنَدّى … عـــربيَّ الألـوانِ والأشـــذاء

وانحنَى النخلُ واجماً خجِلَ الخضـ … ـرة بعــد انتـصـــابة الكبـــرياء

وخـرجنـا مُشَـرَّدينَ فمـن صَحْـ … ـراءَ ممتـــدَّةَ إلى صــــحْـــراء

وتـركنـا أنهـــارَنـا تسـكُبُ المـا … ء رحـيـقــاً في أكـؤس الغُــرباء

ثم جـاء الضَـيـاء وافـترَّ فـجرٌ … عنبريّ الشُـعَاعِ عَبـرَ الفَضـاء

في سكونِ الصباحِ جلجلت السا … عـةُ ملْءَ المهـامـه السـمـراء

تُعْلِنُ الوَحْـدَةَ الكبـيـرةَ ضَـوءاً … وســلامـــاً في لَيلة لَيْـــلاء

أعلنَتْـهـا أمنيَّــةَ العــرب الكبـ … ــرى وحُلْـمَ الأجـــدَّاد والآباء

واستـفـاقت بغـدادُ نـشْـوى تُغَنّي … وهي تَسْـقى ورودَ أجـملِ فَـجْـرِ

خـفَـقَـتْ في سمـانـهـا رايةُ الوحْـ … ـدة يا لَـلْحُلْمِ الجـمـيـلِ النَضْـرِ

قلبُـهـا قلبُـهـــا المَشُوقُ إلى مصـ … ـرَ طويـلاً قـد ضمّ تُرْبَةَ مِـصْـرِ

والتَـقَـتْ كـفّـهـــا بكفّيْ دَمَشْق … في صبـــاح العــروبة المفـتَـرِ

إنّه الصــبحُ جاء فـاسـتقبلتْـهُ … في أشــدِّ اعــتناقـــة وأحَــرِّ

جـــاءَ بـالراية المثلَّثـــة الأنـ … ـجمِ يمحـو عـارَ السنينِ الحُـمْـرِ

وبـيـــمناه وردةٌ بَـضَّـــةُ المَلْـ … ـمَسِ ريّا البـيــاض نَشْـوى العطْرِ

هي منْهُ تحــيَّـــةٌ لـلذين اسـ … ـتُشْـهدوا أمس في إباء وكِـبْـر

إيه بغــدادُ أيقظي كلّ من مـــا … تَ شهـيـداً على نَشيدِ النَصْـر

أنبـــأيه بأنّ وَحْــدَتَـه قـــا … متْ وضمّت من أرضه كلّ شبْـر

طلع الفَـجْـرُ من وراءِ الـدياجي … يا عيـونَ الشـهـيد نـامي وقرّي

إنهــا الوَحْــدَةُ الكبيـرةُ جُـمّعْنَا لشَــذاهـا مَــدَى قــرون طوال

أشعلَ الشوقُ حُبّها في صحاريـ ـنا وحَنتْ لها شـفـاهُ الرِّمـال

كم شهيد من يعرب ماتَ عطشا نَ إليـــهـــا ممزّقَ الآمـــال

ضيّع الحُلم في مكان سحيق بين لفظ اسمهـا وبين المُحَـال

يا حنينَ الأجداد يا شَـوْقَ أمّي يا سِنينَ الضَّيــاعِ والأغــلال

فجرُنّا لاح فلتَنَمْ حُرقَـةُ الأشـ ـواقِ وليسترحْ جنونُ السؤال

فجرُنا لاح أبيضـاً عربيّـاً أطلعتْـهُ في الأفق كفّا (جَمَال)

ناصرِ الحقِّ والعروبةِ أحْـيَـي كلَّ حُلمٍ مقطّعِ الأوصـــال

لمَّ شَملَ الرِّمالِ في أرضنا السَمْـ ـراء بعد التمزيقِ والإذلال

ودعا النّومَ فاستحالَ حياةً تلتظّي بالخِصْبِ والإنفعـال

ثم أهدى ديارَنا الوَحْـدَةَ الكبـ ـرى فموجي يا أرضَنا واختالي

(١٩٦٣)

أغنية ليالي الصيف

يا هدوءاً مطمئنّا
يا فضاءً مَرِحاً للدّنَ البريقِ
يشرَبُ الأنجمَ كأساً من رحيقِ
يا رؤىً تقطُرُ لونا

أنتِ عطرٌ ونعومةٌ
وحفيفٌ وانحداراتُ أشعّه
ونجومٌ عكستْ في عمقِ ترْعه
وأناشيدُ رخيمه

أنتِ ينبوعُ سكونِ
وحَماساتٌ وعطرٌ وبُروده
يا وِسادَ الأنجُم الجذلَى البعيده
يا مَصَبّاً للحنينِ

أيّ بـردٍ ولُيـــــــونَهْ
يا شـفـاهاً قـمـريّات الـقُـبَلْ
تنثُـــرُ الأنداءَ أقـــداحَ عَـــسَلْ
فـــوق أشـجـــار المدينةْ

أيّ نهـــــــر من عطورِ
في شَــذَاهُ مـسـبّحٌ للقَـــمَـرِ
وغـــناءٌ للـرؤى والســـمـــرِ
ورحـــيقٌ للشُــعـــورِ

أنتِ لـلأحـــلام مـــأوى
يا مـلاذاً بارداً عـــذْبَ الجـــوارِ
لخـدود حَـمـلَتْ عبءَ النّـهـــارِ
وأتتْكِ الآن نَشْـــــوى

اغـــمـــريـنـي بالظلال
واحملي روحي على أعطار نَسْمه
وامنحي خدّي وساداً عند نجـمـه
يا لـيـــالي يا ليـــالي

وإذا نمتُ فمُدّى

بردكِ المُنعشَ والعطرَ سريرا

وأسيلى القَمَرَ العذبَ غديرا

وليكنْ لينُكِ مَهْدى

وامنحينى ألفَ حُلْمِ

من ليالٍ عَسَقَبيّاتِ الغُلالة

شَرِبتْهاً فرحتى حتى الثُمالة

فهى قيثارى وكرمى

(١٩٥٢)

النهر العاشق

"نظمتها الشاعرة خلال الفيضان الرهيب عام

١٩٥٤"

أين نمضي؟ إنه يعدو إلينا

راكضاً عبرَ حقول القمح لا يلوي خطاهُ

باسطاً، في لمعة الفجر، ذراعيْه إلينا

طافراً، كالريحِ، نشوانَ يداهُ

سوف تلقانا وتطوي رُعْبَنا أنَّى مَشَيْنا

إنّه يعدو ويعدو

وهو يجتازُ بلا صوتٍ قُرَانا

ماؤه البنيّ يجتاحُ ولا يَلْوِيه سَدُّ

إنّه يتبعُنا لهفانَ أن يطويْ صِبانا

في ذراعيْهِ ويَسْقِينا الحنانا

لم يَزَلْ يتبعُنا مُبْتسماً بسمةَ حبٍّ
قدماهُ الرّطبتان
تركتْ آثارَها الحمراءَ في كلِّ مكانِ
إنّه قد عاش في شرقٍ وغربِ
في حنانِ

أين نعدو وهو قد لفّ يديه
حولَ أكتافِ المدينة؟
إنّه يعمَلُ في بطءٍ وحزمٍ وسكينه
ساكباً في شفتَيْه
قُبلاً طينيّةً غطّتْ مراعينا الحزينه

ذلكَ العاشقُ، إنّا قد عرفناهُ قديما
إنّه لا ينتهي من زحفه نحو رُبانا
وله نحنُ بنَيْنا، وله شدْنا قُرَانا
إنّه زائرُنا المألوفُ ما زالَ كريما
كلَّ عامٍ ينزلُ الواديَ ويأتي للقانا

نحن أفرغنا له أكواخنا في جُنْح ليلِ
وسنؤويه ونغضى
إنّه يتبعُنا في كل أرضِ
وله نحنُ نصلّى
وله نُفْرِغُ شكوانا من العيشِ المملً
إنَه الآنَ إلهُ
أو لم تَغْسل مبانينا عليه قَدَمَيْها
إنّه يعلو ويُلْقى كنزَهُ بين يَدَيها
إنّه يمنحُنا الطينَ وموتاً لا نراهُ
من لنا الآنَ سواهُ؟

(١٩٥٤)

المدينة التي غرقت

«مرثية لبغداد الجديدة التي أغرقها فيضان عام ١٩٥٤»

وراء السداد التي ضمّدوا جرحها بالحصيرْ
وخلف صفوف الصرائف حيث يعيش الهجيرْ

يسير طريقٌ تدثّر بالطين نحو المدينه
وأطلالها حيثُ باتَ يعيش اصفرارُ السكينه

وحيثُ الشوارعُ باتتْ وحولاً ومُستنقَعاتْ
وكانت تجيشُ وتزخر ساحاتها بالحياةْ

وكانت تهشّ وتضحكُ للشمسِ كلّ صباحْ
فباتتْ يعشّشُ فيها الدُجَى وصفيرُ الرياحْ

وكانت منازلها المرحاتُ تُلاقي القَمَرْ
بضحكِ نوافذِها فاستكانتْ وصاحَ القدَرْ

وجـاء الخـرابُ ومـدّ رجلَيْـه فى أرْضـهـا
وأبصـرَ كيف تنُوحُ البيُوتُ على بَعْـضهـا

وحدّق فيها وأصغى إلى الصرَخات الأخيرَهْ
لسقفِ هوَى وتَداعى وشرفةِ حُبٍّ صغيرهْ

وأرسلَ عـينيـه فى نشوةٍ يرمُقُ الأبنيـهْ
وقـد ركـعـتْ فى هوانٍ ذليلٍ بلا مـرثيـهْ

وجـاء الخـرابُ وسـار بهـيكله الأسـود
ذراعـاهُ تَطْوى وتَمْـسَـحُ حتى وعـود الغَـد

وأسنانُهُ الصُـفْـرُ تَقْضِمُ باباً وتمضَغُ شُـرْفَـهْ
وأقـدامُهُ تطأ الوردَ والـعُشْبَ من دونِ رأفـهْ

وسـار يَرُشُّ الـرَدَى والتـآكُلَ ملءَ المـدينه
يخـرِّبُ حيثُ يـحلّ وينْشرُ فـيـها الـعفُونه

وفي الليلِ حينَ يجيءُ الشذَى وضياءُ القَمَرْ
يهبُّ الخرابُ ويضحكُ نشوانَ بين الحُفَرْ

ويُرْسلُ ضحكتَهُ العصبيّةَ، ملءَ الفضاءْ
فتنقر منه النجومِ ويثقُلُ مسُّ الهواءْ

وتنمو الخشونةُ حيثُ يلامسُ وجهَ الترابْ
وتُنْبِتُ أقدامُهُ طُحْلُباً لزِجاً وذُبابْ

ويأتي الصباحُ ويختبئ الغولُ في مكمنِ
وتُخفيه مُستنقَعاتٌ فِساحٌ عن الأعينِ

وتصحو المدينةُ ظمأى وتبحثُ عن أمسِها
وماذا تبقّى سوى الموتِ والملحِ في كأسِها؟

(١٩٥٤)

الشيخ ربيع

«ترجمة تصرف عن الشاعر الفرنسي بروسبير بلانشمين»

إنّهُ الشيخُ ربيعْ
ذلكَ الشيخُ المرِحْ
ذو الثيابِ الخُضْرِ والوجه البديعْ
والجبينِ المُنْشرِحْ
كلّما طافتْ خُطَى نيسانَ بالدُّنيا أطلاّ
من كُوًى غرفته عذْباً طروبا
هاتفاً: «أهلاً، وسهلا...
مرحباً نيسانُ! قد حانَ لنا أن نظهرا
ونجوبَ الأرضَ وِدياناً وبِيداً وسهوباً
في رداءٍ أخضرا.»

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عُدْ إلينا واطلْ مكْثَكَ فينا
عد إلينا أيها الشيخُ ربيعْ

هذه خُطوةُ نيسانَ على وجْهِ الحقولِ
شربتَ أولَ بَسْمه
من شفاه الشمس، والفجرُ على صدْرِ السُهولِ
لم يَزَلْ يُسْقَى نَدَى الليل، وفي الغابات نَسْمه
نقلتْ إنشادَ عصفورٍ صغيرٍ:
«عِمْ صباحاً أيها الضوءُ...» وردَّ الآخرونْ
«حانتْ اليقْظَةُ فلنمرحْ رِفاقي
في حمى الغابِ النضيرِ
ولنُغَنِّ الفجرَ والشمسَ وأعناقَ الغصونْ
وظلالَ الغابِ حتى تشتكي منّا السّواقي»

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عدْ إلينا واطلْ مكثك فينا
عدْ إلينا أيها الشيخُ ربيعْ

ويردُّ الشيخُ من غرفته عذبَ المرحْ:

«يا عصافيري لا تَعْجلْنَ إنى أتزيّنْ

بعد حينٍ أرتدي ثوبي الملوَّنْ

كلّ لونٍ فيه من قوس قزَحْ

كل خيطٍ وتَرٌ من أغنيهْ

كلّ زرٍّ وردةٌ منتشيه

أمس أعطانيه خياطي، لماذا

تتعجّلْنَ خروجي؟ عجباً ما سرّ هذا؟

أيها الشيخُ ربيعْ

أيها الشيخُ ربيعْ

عدْ إلينا واطلْ مكثَكَ فيها

عُدْ إلينا أيها الشيخُ ربيعْ

وأخيراً ها هو الشيخُ ربيعْ

يتمطّى قائماً ثُمَّ يسيرْ

ويداه تنثرانِ الوردَ في المرج البديعْ

فوق أعشاشِ العصافير، على شطِّ الغدير

وله نعلانِ لا مسْمارَ في كعبيهما

بل أزاهيرٌ وأوراقٌ، ومن لونيهما

تشرب الشمسُ وتَسْقى المغربا

قبلَ أنْ تَلْوى خُطاها وتضيعْ

في الثُّرَى خَلْفَ الرُّبَى

أيها الشيخُ ربيعْ

أيها الشيخُ ربيعْ

عُدْ إلينا واطِلْ مكثَكَ فينا

عد إلينا أيها الشيخ ربيعْ

(١٩٥٢)

البعث

أنا غنّيتُ للظلال وأعطَيْـ ـتُ هوايَ المفتونَ للأشباحِ
وعبرتُ الحياةَ وشتّى وشيّدْ تُ قلاعاً جُدرانها من رياحِ
وعصَرتُ الأوهامَ في قبضتي حيـ ـناً وأهديتُ للطيوف صُداحي
وأخيراً أتيتَ أنتَ وأسلمْـ ـتَ كؤوسي إلى شفاهِ الصباحِ

نغمي كان جدولاً سُكّريَ الـ ـماء ينسابُ ليس يسقي العطاشا
ضنَّ أن تسبح العصافيرُ فيه وأهانَ الضحى وصدّ الفراشا
وورودي لمّتْ رحيقاً عبيريّـ ـاً وآلتْ لا تمنحُ الأحراشا
خزنتْ في عروقها قطَراتِ الـ ـعطر بُخْلاً بشهدها وانكماشا

أنتَ فجّرتَ أغنياتي ينبو عَ حنانٍ مشوّقَ القطَراتِ
الفُقاعاتُ فيه ضاقت بما يُثْـ ـقِلُها من حرارة وحياةِ
بحثَتْ في تحرّقٍ وارتعاشٍ عن شفاه أو أعينٍ عطِشاتِ
لتصبّ الصباحَ فيها وتَسْقيـ ـها كؤوساً مشغوفةَ الحافاتِ

ووردي التي تَغَصّ بما فيـ   ـها من العطرِ والرحيقِ الثمينِ
أنتَ أخجلتَ في تموّجها الخصـ   ـبِ عُبُوديّةَ العبيرِ السجينِ
أنتَ علّمتَ عطرَها سَكْرةَ التجـ   ـوالِ علّمْتَها اشتعالَ الحنينِ
أنتَ نبّهتَ غفوةَ الفُلّ في حقـ   ـلي وبُخْلَ البنفسجِ المفتونِ

أنا أغلقتُ بابَ قلبي على كلّ   جمالٍ وكلّ خلجةِ شوقِ
وجعلتُ الهوى المُرَنَّقَ سراً   ضائعَ الحدّ في امتدادٍ وعُمْقِ
يا لسرٍّ غذيتُ كتمانَهُ قلـ   ـبي، دمي، كلَّ قطرة، كلّ عرقِ
خفتُ أن يخدشَ النهارُ حواشيـ   ـه فأبقيتُهُ رهينةَ رقِّ

ذلكَ الحبّ لم أحدّثْ به قطّ   غديراً أو ربوةً أو حقلا
لم أصِفْهُ لتلّةٍ تُطعمُ الليـ   ـلكَ من قلبها وتَسْقي الظلاّ
غرتُ أن تعرفَ العصافيرُ أسرا   ري فأسلمتُها السكونَ المُملاّ
لم أقلْ للغدير إنكَ أصفى   وكتمتُ الضياءَ أنّك أغلى

يا هوىً ظلّ شاحبَ الخدّ خجلا   نَ من الشمس خائفَ الألحانِ
يتوارى عن النجوم ويُخفي   وجهَهُ عن زنابقِ الغُدْرانِ
ألحدتْ ذكرياتُه بحريرِ الـ   ـجدولِ العذْبِ وانفعالِ الأغاني
وبنى الصمتَ معبداً كَفَرَ المو   مرُ فيه ولاذَ بالكتمانِ

أنا لولاكَ كنتُ ما زلتُ سِرّاً خافتَ اللحنِ باهتَ التلوينِ
أنتَ حرّرتَ ذلكَ الولَهَ الخِصْـ ـبَ وأخجلتَ فيه ذُلَّ السكونِ
جئتَ كالضوْءِ فانحنى لكَ قيدي وتلاشى توحّشي وجنوني
وأفاقَ الشعورُ ينفُضُ عارَ الـ ـصمْتِ عن سِرِّ قلبيَ المكنونِ

أنتَ علّمْتَ قلبيَ المُطبِقَ الكفِّ سخاءَ النَدَى وبذْلَ اللهيبِ
أنتَ صيّرتَني هُتافةَ حبٍّ ثرّةَ الوقْعِ بعدَ طولِ نُضوبِ
أنا غنّيتُ باسمكَ العذْبِ في كلِ انحناءٍ ومفْرِقٍ موهوبِ
لا تلُمْني إذا ملأتُ بكَ الدنـ ـيا فصاحتْ معي: حبيبي، حبيبي!

(١٩٦٢)

أغنية لطفلي

ماما ماما ماما ماما ماماما
براقٌ الحلوُ المشنغة ينوي النوما
والنومُ وراء الربوة هيّأ حُلُما
والحُلُمُ له أجنحةٌ ترقى النجما
والنجمُ له شفةٌ ويُحبّ اللثما
واللثمُ سيوقظُ طفلي:

ماما ماما

بابا بابا بابا بابا بابابا
برّاق الغافي الساهي يسرقُ قلبا
والقلبُ سيُصرعُ يُنبتُ ورداً رطبا
والوردُ يرشُّ المهدَ أريجاً عذبا
وأريجُ الوردِ لعوبٌ يهوى الوثْبا
والوثْبُ سيوقظُ طفلي.

بابا بابا

دادا دادا دادا دادا داداد

الحقلُ مشوقٌ للخضرةِ لا يَهدا

والخُضْرةُ خاويةٌ لا تملكُ وردا

والوردُ إلى الحُمْرةِ مرتعشٌ وجدا

والحمرةُ عند صغيري ثغراً خَدّا

وسيُضْحي الوردُ صغيري:

دادا دادا[1]

(١٩٦٣)

(١) (ماما) تقرأ هكذا: مَمّاه كما ينطقها الطفل العراقي وبذلك تجانس القوافي التالية، وكذلك (بابا) و(دادا).

إلى وردة بيضاء

كنزَ البرودة والرحيقِ ومَخْبأَ اللينِ العَطِرْ

يا من عُصِرتْ من الثلوجِ من الحليبِ من القَمَرْ

يا ضوءَ خدٍّ من حريرٍ أبيضٍ ملءِ النظَرْ

بيضاءُ يا مَلْقى فَراشاتِ الربيعِ المُنْتَظَرْ

الشمسُ ودّتْ لو سقَيْتِ ضياءَها منحاً أخَرْ

والفجرُ تابعُكِ الأمينُ يُرِيقُ ظِلّكِ في النَهَرْ

يا مُلْتَقَى حبِّ السواقي والقنابرِ والشجَرْ

واحسرتاهُ على البَشَرْ

مرّوا بكنزِكِ سائلين

مسكينةٌ ما تملكين؟

بيضاءُ: نحنُ أنا وأنتِ سنكتم السرَّ المُثيرْ

سرّي وسرّكِ لن نبوحَ به إلى الركْبِ الضريرْ

ماذا ملَكْنا؟ لا ضياعَ ولا عبيدَ ولا قصورْ

لا شيءَ إلا رعشةَ القمرِ المُرنّحِ في الغديرْ

وغناءُ أنسامِ المَساءِ المُخْمَلِيّاتِ المرورْ

وصداقةُ العُصفورِ والفجرِ الملوّنِ والعبيرْ

ومـودّة الشـمسِ الحنون وقُبْلة المَطَر الغـزيرْ

ووِساد أعشابٍ وثيرْ

وارحمــتا للســائلينْ

وسؤالِهِمّ: ما تملكينْ؟

(١٩٥٢)

إلى الشعر

مِن بخورِ المعابدِ في بابلَ الغابرهْ
مِن ضجيجِ النواعيرِ في فَلَواتِ الجَنوبْ
مِن هتافاتِ قُمْريّةٍ ساهرهْ
وصدى الحاصداتِ يغَنّين لحنَ الغروبْ
ذلكَ الصوتُ، صوتُكَ سوفَ يؤوبْ
لحياتي، لسمعِ السنينْ
مُثخناً بعبيرِ مساءٍ حزينْ
أثقلتهُ السنابلُ بالأرَجِ النَشوانْ،
بصدى شاعرٍ غريبْ
مِن هُتافاتِ ضفدعةٍ في الدجى النعسانْ
يملأُ الليلَ والغدرانْ
صوتُها المتراخي الرتيبْ

ذلك الصوتُ، صوتُكَ سوفَ يؤوب
لحياتي، لسَمْعِ المساءْ
سيؤوبُ وأسمعُ فيه غناءْ
قمريٍّ العُلّوبةِ فيه صدىً من ليالي المطر

مِن هلوءِ غُصونِ الشجرِ
وهي تمتصّ سكرى، رحيقَ السَماءْ
الرحيقُ الذى عطّرتْهُ الغيومْ
بالرؤى، بتحايا النجومْ

سأجوبُ الوجودْ
وسأجمعُ ذرّاتِ صوتِكَ من كل نَبْعٍ بَرودْ
من جبالِ الشّمالْ
حيثُ تهمسُ حتى الزنابقُ بالأغنياتْ
حيثُ يحكى الصنوبرُ للزمَنِ الجوّالْ
قصصاً نابضاتْ
بالشذى، قصصاً عن غرامِ الظلالْ
بالسواقى، وعن أغنياتِ الذئابْ
لمياهِ الينابيعِ فى ظُلَلِ الغاباتْ
عن وقارِ المراعى وفلسفةِ الجدْولِ المُنسابْ
عن خَروفٍ يُحسّ اكتئاباً عميقْ
ويقضّى النّهارْ
يقضمُ العُشْبَ والأفكارْ
مُغْرَقاً فى ضَبابِ وجودٍ سحيقْ

وسأجمعُ ذرّاتِ صوتِك من ضَحِكاتِ النعيمْ

في مساء قديمْ

من أماسيّ دجلةَ يُثقلُ أجواءَهُ بالحنينْ

مرحُ الساهرينْ

يرشفونَ خرير المياهْ

وهي ترطمُ شاطئَهُمْ، وضياءُ القَمَرْ

قَمَرِ الصيفِ يملأ جو المساءِ صُوَرْ

والنسيمُ يمرّ كلمس شفاهْ

من بلاد أُخَرْ

ليلةٌ شهرزاديّةُ الأجواءْ

في دجاها الحنونْ

كلّ شيء يُحسّ ويحلُمُ حتى السكونْ

ويهيم بحبٍّ الضياءْ

وسأسمعُ صوتَكَ حيثُ أكونْ

في انفعال الطبيعة، في لَحَظاتِ الجنونْ

حينَ تُثقل رجعَ الرُعودْ

ألفُ أسطورة عن شَبابِ الوجودْ

عن عصورٍ تَلاَشتْ وعن أمم لن تعودْ

عن حكاياتِ صبيانِ (عادْ)

لصبايا (ثمودْ)

وأقاصيصَ غنّتْ بها شهرزادْ

ذلك الملكَ المجنونْ

فى ليالى الشتاءْ

وسأسمعُ صوتَكَ كلّ مَسَاءْ

حين يغفو الضياءْ

وتلوذُ المتاعبُ بالأحلامْ

وينامُ الطموحُ تنامُ المُنَى والغَرَامْ

وتنامُ الحياةُ، ويبقى الزّمَانْ

ساهراً لا يَنَامْ

مثل صوتك، ملء الدُجَى الوَسنانْ

صوُتكَ السهرانْ

فى حنينى العميق

صوتك الأبدىّ الذى لا يَنَامْ

فهو يبقَى معى سهرانْ

وأحسّ صداهُ الملوّنَ يملأُ كل طريقْ

بالشّذَى بندى الألوانْ

صوتُكَ المجهولْ
أنا أدركتُ- يا فرحتا- سرَّهُ المَغْسُولْ
أنا أدركتُهُ أنا وَحْدي وصمْتُ الزَّمَانْ

(١٩٥٠)

النهر المغني

«ترجمة لقصيدة عنوانها Avoca للشاعر
الإنكليزي المعاصر كريمس همفريس»

وراء انعطاف الرُّبى والسُّفُوحِ ... هنالك نهرٌ شجيُّ الضفَّتينْ
يغنّي الدُّجى وتخفُّ الظِّلالُ ... إلى شطِّه من كلا القمَّتينْ
على قَدَمَينِ من الياسمينِ ... حَمَلْنَ إليه هَوى التلَّتينْ
وبلَّغَهُ قُبُلاتِ السُّفوحِ ... ورُبَّ حنينٍ بلا شَفَتينْ

هنالكَ نهرٌ يسيلُ بعيداً ... وينصبُّ أشراكَهُ للقَمرْ
ويركضُ، نعلاهُ من فضّةٍ ... ومن قَطَراتِ ندىً من زَهَرْ
يخفُّ إلى البحرِ في لهفةٍ ... ويبحثُ فيه عن المُستَقَرْ
ليلقى شواطئَ مسحورةً ... مبلَّلة برَشَاشِ المَطَرْ

هنالك نهرٌ يغنّي المساءَ ... بأرديةٍ من بريقِ النجومْ
يغنّي وليس سُدىً ما يُغنّي ... فخلفَ الدُّجى ووراء الغُيومْ
يُشيرُ الصَّباحُ ندىَّ الذراعِ ... إلى الفجر خلف الرُّبى والتُّخومْ
ليفتحَ أبوابه الغافياتِ ... ويسمعَ هذا النشيدَ الرَّخيمْ

(١٩٥٢)

ثلاث أغنيات شيوعية

-١-

إذا نَزَل الليلُ هذى الروابى فـقم يا رفيقْ
نراقبُهُ من ثقوبِ الدُجَى فى السُكُون العميقْ
لعلّ الظلامَ يُعدّ مؤامرةً فى الخفَاءْ
ويحبكُها مع ضوء النُجوم وصمْتِ المَسَاءْ
فهذى الروابى وذاك الطريقْ
وهذا الدُجَى، كلُّهُمْ عُمَلاء

وسوف نفتّشُ حتى الأريجَ وحتّى المَطَرْ
نقلّبُ حتى خيوطَ الضياءِ ولونَ الزهر
ونفضَحُ ما دبرتْ كلّ جاسوسةٍ زنْبقه
وما روّجتْهُ العصافيرُ بالرَقصِ والزَقزقه
وإنَا لنعلَمُ أنَّ القَمَرْ
تآمَرَ فلننصب المشْنَقَه

رفيقي تعالَ لنسحقَ رجعيةَ الياسمينْ

وتزويرَ سوسنةٍ نَذْلةٍ وعريشٍ لعينْ

وتلكَ الينابيعُ إنّ دسائسَها أبديّة

وهذا الأصيلُ يُذيع أراجيفه الغَسَقيّه

حَذَارِ رفيقي فللوردِ دينْ

وهذا الشَذَى روحُهُ عربيّه

-٢-

تحيَّةٌ شقائقَ النُّعمانْ

يا أختَنا الحمراءْ

يا شَفَةً ساخنة الألوانْ

مترعةً دماءْ

أختاهُ أنت أشرفُ الورودْ

رمزَ الدمِ المُراقْ

يا لونَ ما نُضمرُ من حقُودْ

مُحرقةِ الأشواقْ

وردتَنا الشريفةَ الحمراءْ

يا رايةَ الكفاحْ

يا حُمرة القتلِ لكِ الدماءْ

فاغرةَ الجِراحْ

إن تظمأى فبالدمِ المُنعش

أختاهُ لا نبخلْ

هيهاتَ يا حمراءُ أن تَعطَشى

وثَمّ من نَقتُل

من أجل هذا اللون نُجري التجميعْ
جداولاً تنثالْ
وباسمه نقتُلُ حتى الربيعْ
ونَذْبَحُ الأطفالْ

يا شفَقةً تلمّظتْ بالدم
يا غلّةً مُحْرِقه
بحِقدنا نُقْسِمُ أن تَسْلمي
يا وردةَ المشنقه

والآن جئناكِ به فاحتَسي
من لونه المُغْري
دمٌ كثيرٌ فاشبَعي وانعَسي
يا أختُ واحمرّي

-٣-

ظلمةٌ، وحزنٌ، صُراخٌ في وجودي

الرياحُ السودُ ملحٌ في دمي فوقَ خُدودي

خنجري أغمدْتُهُ في رئتَيْ هذا الغُلامْ

وجززتُ الوردَ من خديْهِ حبّاً للسَّلامْ

فإذا أشلاؤه تصحو وتحيا من جديدْ

وأراهُ باسماً منتصباً تحت الظلامْ

ومن الآفاق ينهال دَوِيٌّ

عربيٌّ عربيٌّ عربيُّ

ثم ماذا؟ أصبح الدربُ أعاصيرَ وقَصْفا

الغلامُ الأرعنُ الغادر قد أصبحَ ألفا

هبطوا لم أدْرِ من أين: صبايا وشبابا

أوجهٌ أُسْقِيتِ السُّمْرةَ والشمس شرابا

بَدَّلوا أمني شُكوكاً ومحاذيرَ وخوْفا

وتهاوى حُلُمي الأحمرُ للأرض تُرابا

لاعناً تسعين مليونَ محيا

عربيّاً عربيّاً عربيّا

(١٩٥٩)

إلى ميسون

إن خَبَتْ أعينُ النجومْ | وسجَتْ بسمةُ القمرْ
واختفتْ خُضرةُ الكروم | وذوى الوردُ وانتثرْ

كنتِ لي أنتِ كوكباً مُخمليَّ الـ | ـلمسِ ينثالُ نبعَ عطرٍ وضوءِ
كان لي من بريقِ عينيكِ لونُ الـ | ـقمرِ اللدْنِ في ليالي الدفءْ
كان وَحيِي حكايةٌ منكِ فيها | من شذى الوردِ ألفُ شيءٍ وشيءْ
كنتِ لي أنتِ يا بنفسجتي فجـ | ـرَ جمالٍ مُطلسمٍ غيرِ مَرئي

وإذا أطفأ الزمانْ | كلَّ حبٍّ حملتُهُ
وطوتْ ظلمةُ المكانْ | كلَّ ضوءٍ شربتُهُ

كان لي من صفاءِ وجهكِ بلْهٌ | لأغاني حُبٌّ وحبٌّ وحُبُّ
ومن الكوكبينِ عينيْكِ تنشقُّ | لعمري آثارُ ألفيَّ دربِ
من بريقِ الجبينِ من ملمسِ الخدِّ | الحريريِّ من سوادِ الهُدبِ
معبرٌ للجمالِ من شاطئِ المجـ | ـهولِ يرسي ائتلاقُهُ عند قلبي

(١٩٥٢)

للصلاة والثوره

الطبعة الأولى ١٩٧٨

الناشيء

الناشيء

تقدمة

- بقلم الشاعرة -

لابد لى أن أقول إن هذه المجموعة الشعرية هى أول قصائد أنظمها بعد انقطاع عن الشعر استمرّ ثلاث سنوات من ١٩٦٩ إلى أواخر ١٩٧٢ وكنت خلال هذه الفترة لا أشعر بدافع يزجّ بى فى دروب القصيدة. وفجأة تفجّر الشعر فى نفسى. ففى يوم ١٢/١١/١٩٧٢ تلقيت بطاقة تهنئة بعيد الفطر من صديق لنا، وكان مرسومًا على البطاقة صورة لمسجد قبّة الصخرة بالقدس الحبيبة.

فما كدت أرى هذه الصورة حتى أحسست انفعالاً عنيفًا زلزل كيانى فقلبت البطاقة وكتبت على ظهرها هذه الأشطر:

يا قبّةَ الصخرهْ
يا وردُ، يا ابتهالةً مضيئةَ الفكرهْ
ويا هدى تسبيحة علُوية النبره
يا صلوات عذبةَ الأصداءْ
جاشت بها الأبهاءْ
يا حُرقةَ المجهول، يا تعطشَ الإنسانِ للسماءْ
يا ولَهَ الركوعِ يا طُهْره
يا وردة الخشوع يا نداهُ، يا عِطرَهْ

وعند هذا انتهت الفسحة الفارغة على ظهر البطاقة فألقيتها على مكتبى وذهبتُ ونمتُ. ولم يكن يخطر لى أن الشعر قد استيقظ فى حياتى بهذه الأشطر المفاجئة. والحق أننى كنت أحسب أننى قد انتهيت شعريًا إلى الأبد،

لأن ثلاث سنوات كاملة من الصمت ليست شيئًا مألوفًا فى حياتى، وإن كانت مألوفة فى حياة غيرى من الشعراء. فقد سكت بول فاليرى ثمانى عشرة سنة كاملة ثم أفاق ونظم قصيدته العظيمة «المقبرة البحريّة» Le Cimetiere marin وسكت وليم بتلر ييتس عشر سنين ثم نظم مجموعة شعرية مهمّة. وسكت شكسبير ست سنين كاملة. فلِمَ لايكون سكوتى من جنس سكوتهم؟ لم يخطر لى هذا. لذلك اندهشت عندما تناولتُ أشطر قبة الصخرة فى الصباح التالى وجلست أتمّها فى حرارة وحماسة فإذا هى تكتمل بين يدىّ قصيدة طويلة عنونتها «للصلاة والثورة». ومن إتمام الفائدة أن أقول إننى منذ ذلك التاريخ أتدفق تدفقًا شعريًا خصبًا لا انقطاع له وقد اكتملت لى هذه المجموعة من قصائد سنة واحدة هى ١٩٧٣ -باستثناء قبة الصخرة- كذلك تجمعت لدىّ مجموعة شعرية ثانية من قصائد ١٩٧٤ وسيكون عنوانها «يغير ألوانَهُ البحرُ» وبدأت الآن مجموعة ثالثة من قصائد ١٩٧٥ وآمل أن أقدم هذه المجموعات للطبع بحسب تسلسلها الزمنى.

* * *

وأول ما أحبّ أن أتحدث عنه فى هذه المقدمة عنوان المجموعة «للصلاة والثورة». فهو يمثل فى نظرى جانبى الإنسان الكامل فى هذا العصر. أما «الصلاة» فهى رمز الجانب الروحىّ فينا، هى الورود التى تنبت فى النفس الإنسانية من أثر اتصالها بالمنابع الأزلية الجميلة، منابع الله، وهى تشمل كل ما لاتفسير له من حياة الإنسان الغامض الممعن فى الغموض، كالأحلام التى تكشف لنا أحيانًا المستقبل كشفًا لايمكن تعليله علميًا، ومثل انكشاف الغيب للإنسان فى لحظات التجلّى والكثافة الروحية، ومثل أثر الصلاة والدعاء فى تحقيق رغباتنا، ومثل الإحساس الغامض فى القلب الإنسانىّ بأن الموت ليس فناء وإنما وراءه حياة لابدّ منها، وسوى هذا من غيبيات لايمكن تعليلها

بالمحسوس. هذا كله عن (الصلاة). أما «الثورة»، الجانب الثاني من العنوان، فهي عندي رفض الإنسان المكتمل لكل زيف وفساد وعبودية وشر وطغيان وقبح وظلم في الحياة الإنسانية. والثورة مرتبطة أشد الارتباط بالصلاة فالإنسان الذي يصلّي للّه صلاة كاملة الأبعاد، شاسعة التطلعات، هو الإنسان الذي يعرف الرفض الحق والثورة على كل ما يهين كمال الإنسانية. لا بل إن الصلاة عندي هي نفسها الثورة وقد عبرت عن هذا بالنص:-

متى نصلّي؟ إنما صلاتنا انفجارْ
صلاتنا ستطلع النهارْ
تسلّح العزّل، تعلي راية الثوارْ
صلاتنا ستشعل الإعصار
ستزرع السلاح والزنبق في القفَار
تحوّل اليأسَ إلى انتصار
صلاتنا ستنقل الجدبَ إلى اخضرار
وتُطعم الصغار
فاكهةَ الصمود والإصرار
يا قبةَ الصخرة من صلاتنا سيرتوي آذارْ
وتنبت الراياتَ والثمار
وتبعث الغناءَ، والليمونَ، والأحرار
تعيدُنا للوطنِ المسروق، تمحو العارْ

فالصلاة هنا معادل حيّ للقيم الثورية، والقيم الجمالية، والقيم الإنسانية، وهي تربية للروح والجسم، وإكمال لإنسانية الإنسان. ولهذا سميت هذه المجموعة «للصلاة والثورة» داعية الإنسان العربي إلى أن يرتفع بالجناحين الاثنين جناح الروح، وجناح القتال. وهما الجناحان اللذان سلح بهما الإسلام

هذا الإنسان في كل زمان ومكان ليرتفع إلي أعلي ذرى إنسانيته فيدرك أبعاد الروح، ويحقق حريته وحرية أمته، ويمتلك الأرض التى استخلفه الله عليها.

وهذان الجناحان يرتبطان ارتباطًا وثيقًا في شعر هذه المجموعة ويعبر عن ذلك قولي:

ينتصر الإنسانْ

يرتفع الأذانْ

فانتصار العربيّ على الظلم فى فلسطين هو المعادل القتالى لارتفاع الأذان من قبة الصخرة. ولا يمكن أن تتم انتصارات الإنسانية دون أن تكتمل الروح التى كان ارتفاع الأذان رمزًا لها. وهذه هى الفكرة الأساسية التى قامت عليها هذه المجموعة.

وفيما يتعلق بالقصائد السياسية أحب أن أشير إلى أنها كلها منظومة قبل حرب رمضان (تشرين أو أكتوبر) ١٩٧٣ باستثناء (سبت التحرير) التى نظمتها لحرب رمضان نفسها، وباستثناء قصيدة «عن السلام والعدل» التى عجبت فيها من حديث الأمم المتحدة عما تسميه بسلام عادل دائم مع وجود إسرائيل الجسم الغريب المعتدى فى أرضنا. فهل نسالم اللصّ السفاحَ الذى يقتلنا كل يوم؟ هل نسالم ذلك الذى يبقى شعب فلسطين مشردًا فى الخيام؟ إن السلام والعدل يتناقضان أصلاً مع مجرد وجود إسرائيل فى فلسطين، ولا سلام ولا عدل إذن حتى تزول هذه الدويلة الباغية.

ومع أن ظروفنا قد تغيّرت بعد حرب رمضان، إلا أن الآلام التى صورتها فى القصائد الوطنية ما زالت تجرّحنا فهل من الغريب أن أقول مثلاً:

جنوب لبنان قرىً مروّعه.

أوصالها مقطعه

سكانها إلى القبور جثث مشيّعه
بيوتهم خرائب منثورة، أعمدة مخلّعه
حرائق مندلعه

لا بل إن الفكرة الأساسية في قصيدة «عناوين وإعلانات في جريدة عربية» ما زالت واردة حيث نحن في الوطن العربيّ ما زلنا نهزل ونغني ونرقص في حين تراق دماؤنا وتقطع أوصالنا وترمى جثثنا من شبابيك المباني الصهيونية ونحن ساكتون لا نحتجّ.

ولقد يرد هنا السؤال المشاكس الذى ما زال أنصار نظرية «الفن للفن» يرفعونه في وجوهنا نحن أنصار الشعر الملتزم. فالذى يلوح لهم أن كل التزام في الشعر يوثق الرابطة بين الشعر والتاريخ. في حين أن التاريخ كيان متحوّل، لاثبات له. التاريخ ظلال تأتي مع الشمس وتزول مع النهار. والفنّ يبحث للإنسان عن الثبات والبقاء. فالالتزام في القصيدة- إذا أردت أن أعبر بلغتي عن فكرة المشاكسين- طعنة موجهة إلى ديمومتها وثبوتها وحياة الخلود التى تتطلع إلى أن تحياها. الالتزام على هذا فكرة مناقضة للدوام.

وأقول جوابًا على هذا الاحتجاج: إن الشعر يمثل نقطة ذات ثلاثة أبعاد وبعدها الرابع هو عواطفنا نحن القراء في عصرٍ ما. إنني حقًا قد وقفت في هذا الشعر السياسي عند أشخاص زالوا من المسرح السياسيّ مثل غولدا ماير وكانت رئيسة وزراء إسرائيل المزعومة عام ١٩٧٣ فجاء مكانتها الآن إسحق رابين، ومثل نكسن وكان رئيس الولايات المتحدة وجاء مكانه الآن فورد فهل سقطت بذلك قصيدتي «عناوين وإعلانات في جريدة عربية» لأن اسمي غولدا ونكسن قد جاءا في العناوين البارزة للجريدة؟ إن الزمن قد تجاوز هذين الاسمين، ولكن هل يمحي حقًا كل ما كان في نفوسنا من قبل؟ هذا ما لا أوافق عليه. إن كل ما كان إنما هو كائن وباقٍ في أبعادنا الداخلية العميقة

الأغوار وإن مسحتهُ سجلات التاريخ. والزمن المحدد بأبعاد ثلاثة لا يزول ولا يختفي وفي وسعنا أن نعود إليه فنجده في أعماقنا لم يتغير. ماذا قال الشاعر الفرنسي بول جيرالدي من قصيدة جميلة له عنوانها «ستيريو سكوب» قال يخاطب حبيبته :- (إن ذاكرتي أكثر أمانة من السجلات فأبعديها عني. إن سجلاتك تجرد الماضي السحري من عطره ولونه وموسيقاه) ثم يقول: «إن التذكار شاعر فلا تجعلي منه مؤرخًا» وهذا يعني أن عواطفنا وذكرياتنا، نحن الذين كرهنا سلوك غولدا ونكسن عام ١٩٧٣، باقية ولها طعمها المرّ في شفاهنا مهما تبدلت سجلات التاريخ. والتذكار شاعر لأنه يحمل إلينا طعم أحاسيسنا فإذا جردناه من شاعريته وصيّرناه مؤرّخًا جامدًا ليسجّل الأحداث ولا ينقل موسيقاها فبذلك نجرّد القصيدة من شعريّتها. ومعنى هذا أن ديمومة القصيدة لا تأتي من التاريخ وإنما من نفوسنا نحن الذين عايشنا هذا التاريخ. ولهذا فإن امّحاء الأسماء التي رافقت فترة من عمر ذكرياتنا لا يبدّل طعم القصيدة النابع من خفايا النفس الإنسانية وماضيها الراسخ في عقلها الباطن لا يتحول.

يبقى أن نسأل: ماذا سيعني هذا الشعر السياسيّ لمن يأتون بعد مائة عام ويجهلون أحداث ١٩٧٣ التي عشناها نحن؟ وهنا يجب أن نتذكر أننا نحن كلنا لن نعني شيئًا عندهم. إننا سنكون قد حملنا مع أعاصير الزمن إلى غير رجعة. ولم يبق من شعرنا إلا ما يمكن أن يتذوقه إنسان مجرّد من التأريخ أصلاً: وهو شعر الحبّ والبغض والجمال والفكر والفلسفة وأمثالها مما يقتصر عليه اهتمام أنصار الفنّ للفنّ.

والسؤال عند هذا هو: هل ينبغي أن نطمس أحاسيسنا اليوم من أجل أن يتذوق قصائدنا حفيد شاعر سيعيش عام ٢٠٧٥؟ هل نترك دماءنا تراق وجثثنا ترمى من شبابيك الطابق الرابع من المباني الصهيونيّة دون أن نصوّرها في

شعرنا لمجرد أن نرضى هـذا الحفيد الذى يعيش أبعاداً ثلاثة أخـرى غير أبعادنا الثلاثة؟ الجـواب لا. إن ذلك سيكون منا انتحاراً. لا بل إن سكوتنا قـد يقتل هذا الحفيد ويحرمه فرصة يولد فيها فنحن نقاتل بشعرنا وقوافينا من أجله.

كذلك يمكن أن يقـال: إن الصورة البغـيضة لغـولدا ونكسن يمكن أن يسلط عليـها حفـيدنا شـاعر ٢٠٧٥ أضواء حـمراء تشـخصهـا فى جرائمـها وأعمالهـا المنكرة فتنبثق القصـيدة حيَّة حارة كـما انبثقت مدينة (كـامبرى) من كوب الشاى فى قـصة مارسيل بروست. والصـفة العظيمة للتـاريخ الممتدّ فى داخل الحياة الإنـسانية أنه سـاكن فقط وليس ميتاً. فهو قابل لأن يقـفز ويتفجر بمجرد أن نسلّط عليه الضياء. والقصيـدة الحية تديم التاريخ بكل أبعاده وتعطيه الخلود. وهذا حل المشكلة الفكرية المثيرة التى يبقى أنصار (الفن للفن) يثيرونها فى أوجهنا نحن الملتزمين.

وأحب أن أقف دقائق عند مسألة الشعـر الحرّ، ولسوف يجد القارئ أن كلّ قصائد هذه المجموعة شعراً حراً عدا قصيدة واحدة يتيمة هى «الخروج من المتاهة» فهى من شعر الشطرين الخليـلىّ. وهذا الموقف قد يتعارض مع دعوتى المعـروفة إلى أن يُبـقى الشاعـر على الشكلين مـعاً: الشكل القـديم والشكل الحديث. والواقع أنـنى بتّ أكثر تمسكاً بـآرائى المتطرفة التى وردت فى كـتابى «قضايا الشـعر المعاصر» فى الفصل المعنون «الجذور الاجـتماعية لحركـة الشعر الحرّ». فـإن طراز تفكيرنا اليوم يبتـعد عن فكرة النموذج المحـدد الثابت الذى يمثله شعر الشطرين كما ينأى عن فكرة التناظر الهندسية الصارمة مما ألفناه فى شعـرنا القديم طوال العـصور السـابقة. وإنما هذه فيـنا اليوم لفتـة مزاجـية، والإنسان مـيال إلى التغـيير والتبديل بطبـعه. فهو فى كل مـرحلة من مراحل حضارته يستبدل طرائق البناء والزينة والديكورات، ويغير أشكال السجّاد وطراز أثاث البيـوت. والشعر الحـرّ، بأشطره المتفاوتة الطول، الثـائرة على الوحدة

الثابتة والنموذج المقنن، وبمساعدته على الاسترسال وطول العبارة، يساعدنا اليوم في الانطلاق من قيود الشكلية الصارمة التي ننفر منها في مبانينا وطراز مدننا. إننا نجنح إلى عدم التقيّد، وإلى التمرّد على النماذج الصارمة المتحكمة، وهذا هو السرّ في إقبالنا على الشعر الحرّ، ومحاولتنا التهرب من الثبات والنموذجية في شكل الشطرين.

وليس معنى أحكامي هذه أن أحد الشكلين: القديم أو الجديد خلو من الجماليّة في ذاته، أو مقترن بالشناعة والجمود في ذاته، لأن إقبالنا على أحدهما وفتورنا إزاء الآخر ليس إلاّ لفتة مزاجيّة عارضة. وقد يأتي في المستقبل زمان نعود فيه فنرى الجمال كل الجمال في فكرة النموذج الثابت. ذلك أن الإنسانية لاتثبت على لفتة ذوقية أبداً. وكل ناقد موضوعيّ رصين، يملك نظرة ذات أربعة أبعاد لابد أن ينتهي إلى حكم معتدل مضمونه أن إقبالنا اليوم على الشعر الحرّ لايعني أن الشكل المقيّد قد مات إلى الأبد، لأن لفتات الذوق تتبدل تبدلاً محتوماً من عصر إلى عصر وكثيراً ما تنتقل الإنسانية من جهة إلى عكسها مع انصرام الزمن. وفي هذا التنقل تنشيط للنفس الإنسانية، وتجديد لحياتها، كما أن فيه تعميقاً للملامح الحضارية وتنويعاً لوجوهها وطرائقها وأشكالها.

وأما تزمت المتزمتين من أنصار الشطرين وتمسكهم بما لديهم وتعصّبهم له وظنهم أنه الدائم الأوحد، وأما تطرّف المتطرفين من أنصار الشعر الحرّ وما يذهبون إليه من أنه سيكتسح الشكل القديم ويحلّ محله إلى الأبد، فكلا هذين الموقفين يصدر عن نظرة محدودة بالمكان والزمان والظروف، ينقصها البعد الرابع الذي قرره عبقريّ الرياضيّات أينشتاين. كل هذا أقوله مع أنني، منذ ثلاث سنوات كاملة، ملتصقة أشد الالتصاق بالشعر الحر، غير راغبة في تخطيه والعودة إلى شيء من الشطرين. مع أن هذا يؤلمني لأنه قد يظهرني

بمظهر الخارجة على دعوتى إلى ضرورة استعمال الشكلين معًا. ولعلى سأستطيع العودة إلى شكل الشطرين فى المستقبل مع تطورات العصر وتنوع أمزجته. أقول «لعلى» ولايدرى أحد كيف سيتطور مزاجنا، وكيف ستتشكل لمسات إحساسنا بالأشياء وتعاملنا مع الأشكال. ومعنى قولى هذا أن ظروف العصر المدنية تؤثر فى تكويننا الذوقىّ تأثيراً غير واع. إن طراز المبانى فى شوارعنا الحديثة، وتخطيط مدننا، وتنسيق الغرف التى نعيش فيها تؤثر فى لفتات اختياراتنا الأدبية. ولذلك أعتقد أن إقبالنا على الشعر الحرّ اليوم مفروض علينا نفسيًا من العصر كله فلا حيلة لنا فيه. إننا مجبرون على هذا لمجرد أننا نعيش بين هذه المبانى، ونرى هذه اللوحات والصور، ونخطو فى هذه الشوارع. والأمران مرتبطان أشدّ الارتباط.

ومهما يكن من أمر فإن الشكلين القديم والحديث محدودان اليوم بظروف عارضة تعرقل تقدمهما، وتجعل الفئة المناهضة لكل منهما تسيء الحكم عليه. أما شكل الشطرين فإن كثيراً من نماذجه يقف الآن موقفًا متزمتًا رجعيًا يجعلنا نزيد نفوراً منه، فليس مجرد الشكل فيه هو الذى يتعارض مع مزاجنا العصرىّ، وإنما يستثيرنا أيضًا أن لغته تقليدية -فى أغلب الأحيان- وصوره بالية، وأسلوب صياغته ميّت. ويهمنى أن ألحّ هنا على أن الجمود والرجعيّة ليستا صفتين كامنتين فى شكل الشطرين مرتبطتين به ارتباطًا محتومًا، وإنما هما من الملامح العارضة التى يلقيها عليه شعراء جامدون ينظمون هذا الشعر. أو لنقل إن شكل الشطرين ليس باليًا فى ذاته، وإنما أذهان بعض شعرائه -لا كلّهم- هى البالية. ولابدّ لنا أن نؤكد هنا أيضًا أن هذه الشكلية البالية يمكن أن تعشش فى الشعر الحرّ أيضًا لو وجد الشاعر البالى التفكير. ومن شعراء الشكل الجديد اليوم من يأتوننا بقصائد مستهلكة اللغة، بالية الأساليب. وهذه الحقيقة ينبغى أن تشجع شاعر الشطرين وتجعله يفتح قلبه للحياة فيأتينا بشعر

خليليّ عصريّ جديد تجرى فى عروقه دماء حارّة حيّةٌ فيها فورة هذا العصر وألفاظه وموسيقاه وصوره ورموزه. وإلا فأنا أخشى أن يموت شعر الشطرين -ولو موتًا مؤقتًا- وذلك أمرٌ خطير يعزّ علينا. والمسألة هى ألا ينظم الشعر المعاصر بلغة ابن الفارض والبهاء زهير لأن ذلك سيكون شططًا لاقدرة لنا على استساغته. وإنما على الشاعر الحديث أن يعبر بلغة عصره وإلاّ ولد شعره ميتًا. ولقد كان شعر ابن الفارض جميلاً وشدّ إعجابنا لأنه عبر بلغة عصره وتخطاها بالإبداع، فلنكتب مثله بألفاظ معاصرينا ونكف عن التلّفت إلى وراء. وأقول أخيرًا، إن بين شعراء الشطرين اليوم جماعة ينظمونه حديثًا معاصرًا وهؤلاء نستثنيهم مما قلنا وإنما قصدنا شعراء التكرار البالى والتعابير السقيمة.

أما الظروف التى تعرقل مسيرة الشعر الحرّ -وهو لايخلو من مثلها شأنه فى ذلك شأن شعر الشطرين- فهى استهانة بعض شعرائه بالعروض واحتقارهم له، مع ازدرائهم للغة العربية وقواعدها، وتحقيرهم العامد للتراث، ومحاولة الإغراب وإثارة الدهشة على حساب العقل الإنسانىّ. ومن أبرز هذه الظروف المعرقلة ما أسميّه بالتعمية -ولا أقول الغموض لأنّ الغموض ستار جميل فنيّ يشفّ ولايحجب، فى حين أن التعمية مأخذ فنىّ وعيب ينقص القيمة الجمالية للقصيدة- وكل هذه المعايب لاتنبع من شكل الوزن الحرّ وليست ملازمة له. ذلك أنها كلها يمكن أن ترتكب فى شعر الشطرين أيضًا لو وجد الشاعر. ولذلك فإن حملات المتزمتين على كثير من الشعر الحرّ تلقى الوزر على شكل هذا الشعر فى حين أنّ الضعف كامن لدى بعض شعرائه لا فى الشكل نفسه. إن الشعر الحر شكل جميل مكتمل وهو غير مسئول عن ضعف طائفة من شعرائه وجهلهم وإغرابهم. تمامًا كما أن شكل الشطرين جميل فى ذاته وهو غير مسئول عن تقليدية الذين ينظمونه وجمودهم. ولذلك أؤمل أن يكون رأيى هذا دعوة فعليّة إلى الفصل بين (الشكل) المجرّد وعيوب الشعر الذى ينظم فى إطار هذا الشكل.

إن الشكل -بصفته المطلقة- صيغة جمالية مبرّأة من العيوب، سواءٌ أكان حرًا أو خليليًا. وإنما تأتى العيوب منا نحن الشعراء. هذا مع الاتفاق على أن لكل عصر لفتة مزاجيّة قد تجعله يؤثر شكلاً من الأشكال على سواه. وهذه اللفتة -كما قلنا- ترتبط بسمة العصر الحضاريّة وليست مجرّد نزوة طارئة فى نفوس الشعراء كما قد يظن ذوو النظرة العجلى السطحية من النقاد.

* * *

ثم أحب أن أقف عند قصيدتين فى هذه المجموعة هما (الملكة والبستان) و(سبت التحرير) وسيلاحظ القارئ الذى يتحسس الوزن أنهما غريبتان فى شكلهما العروضىّ. والحقيقة أنهما كلتيهما (بند) وليستا من الشعر الحرّ. والبند ضرب من الشعر شاع فى الرسائل الإخوانية فى العراق منذ القرن الحادى عشر الهجرىّ. ولعله لم يحاول شاعر قبلى أن يحوّله إلى شعر خالص يخرج عن إطار الشعر الإخوانىّ، ورتابة موضوعاته وجمود صوره، وتقليدية أفكاره. وقد اجتذبنى هذا اللون من الشعر الحرّ، الذى تتعدد أطوال أشطره، اجتذابًا شديدًا وتساءلتُ لماذا لم يحاول شاعر معاصر أن ينظم منه قصيدة حديثة، فهو وزن حرّ اعتيادىّ طبيعىّ، وإن كانت فيه صعوبة. لأنه -كما أثبتّ بالدليل القاطع فى كتابى قضايا الشعر المعاصر- يقوم فى كل قصيدة بنديّة على وزنين اثنين هما الرمل والهزج. يستعمل الشاعر من الرمل ضربين هما (فاعلاتن) و(فاعلاتان) فإذا استعمل الأول بقى على وزن الرمل لايتخطاه. حتى إذا جاء فجأة بشطر ضربه (فاعلاتان) انتقل حالاً إلى الهزج. والشاعر يستعمل من الهزج ضربين أيضًا هما (مفاعيل) و(فعولن) فإذا استعمل الأول بقى على وزن الهزج ولم يتجاوزه. وهو لايتخطاه إلا إذا جاء فجأة بشطر هزجى ضربه (فعولن) فإذ ذاك يعود حالاً إلى الرمل.

وهذا التنسيق قد يبدو صعبًا لمن لم يمارس نظم البند. ولكنه حين يمضي فيه سيجده سهلاً جذابًا خاصة لأن وراء هذا الشكل منطقًا موسيقيًا دقيقًا. فإن الشاعر لاينتقل من الرمل إلى الهزج إلا لأن (فاعلاتان) التي جاءت ضربًا للرمل تأتي بالمقطع (علاتان) المساوى للتفعيلة (مفاعيلْ) تفعيلة الهزج. أما كيف تتمّ النقلة من الهزج إلى الرمل فبورود ضرب الهزج (فعولن) الذى هو الجزء الأول من (فعولن فا) المساوية في حركاتها وسكناتها للتفعيلة (مفاعيلن) نفسها فكأن الشاعر لم ينتقل من الهزج أصلاً مع إنه انتقل. إن الموسيقية العذبة الجميلة في هذا الوزن قائمة على هندسية دقيقة تجعل السمع يقبلها قبولاً تامًا. لذلك يتم الانتقال دون أن يقصد الشاعر أو أن الشاعر ينتقل -إن كان لايعرف العروض بالسليقة دون أن يلاحظ أنه انتقل. وتلك، في نظرى، هي الطريقة التى نشأ فيها البند أول مرّة، فلا أظن الشاعر جلس وقنن ونسّق ورتّب للانتقال من وزن إلى وزن وإنما تمّ ذلك بفطرة موسيقية موهوبة، كما نشأ الشعر كله في الحياة الإنسانية.

وسآتي بمثل على البند من قصيدة (الملكة والبستان) في هذه المجموعة وهذا أولها مع تفعيلات كل شطر:

أرضُهُ تبرٌ وأسرارْ

فاعلاتن فاعلاتان (رَمَل)

وفيه تثمر النار

مفاعيلن مفاعيلْ (هزج)

سيولاً من تسابيح وليمون وأسلحة وثوّارْ

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعلتن مفاعيل (هزج)

وفيه يدفق الضوء إلى قلب العناقيدْ

مفاعيلن مفاعيلُ مفاعيلن مفاعيلْ (هزج)

وتخضلّ المواعيد

مفاعيلن مفاعيل (هزج)

تدوس الريح إذ تعبر في المرج سجاجيدْ

مفاعيلن مفاعيلُ مفاعيلُ مفاعيلْ

من العشب الطريّ

مفاعيلن فعولن (هزج)

إنه بستان نوّار وزيتون شذيّ

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن (رمل)

في ثراه القمريّ

فاعلاتن فعلاتن (رمل)

ولابدّ لي أن أنبّه إلى أنني وقعتُ في استعمال (مفاعلتن) تفعيلة مجزوء الوافر في الشطر الثالث. وهذا يعتبر خطأ عروضيًا لمجرّد ورود مفاعيلُ -بضمّ اللام- المكفوفة فإنها تفعيلة هزجية لأن الكفّ لايرد في مجزوء الوافر. أقول هذا وأعتبره خطأ مع أن القدماء من شعرائنا قد وقعوا فيه قبلي مثل السراج الورّاق، كما وقع فيه الشعراء المعاصرون أيضًا. وليس فيه ضير كبير في نظري ولذلك استعملته في كل قصائد البند التي نظمتها فقيها ترد التفعيلة (مفاعلتن) الوافريّة، مع الكفّ الذي هو ظاهرة هزجيّة خالصة. كذلك يجب أن أعترف بأن شعراء البند القدماء لم يأتوا بتفعيلة الوافر في سياق البند -فيما أعلم- فإن بنودهم كانت كلها من الهزج والرمل، أو من الهزج وحده أحيانًا، في حين جاء بندي أنا أحيانًا من مجزوء الوافر والرمل وهذه إضافة أضفتها أنا إلى البند وأرجو أن تكون مستساغة. وسبب استساغتها أن تفعيلة مجزوء الوافر (مفاعلتن) يصيبها العصب فتتحول إلى (مفاعيلن) تفعيلة الهزج نفسها. ونحن العروضيّين لانستطيع التمييز بين مجزوء الوافر المعصوب، والهزج إلا بشيء

واحد هو أن الكفّ -وهو حذف السابع من مفاعيلن- يدخل الهزج ولايدخل مجزوء الوافر المعصوب. ومن ثم فأنا عندما أنظم بندًا من مجزوء الوافر مع ورود تفعيلة أو تفعيلتين مكفوفتين- فلست أرتكب شططًا وهذا ما احتملته حتى أسماع القدماء من شعرائنا أحيانًا.

ومهما يكن فإن محاولاتي في إدخال البند إلى شعرنا الحديث مجرد احتمال أطرحه في ساحة هذا الشعر، فإذا وجد الشعراء فيه موسيقية وجمالاً فليستعملوه. إنه يفتح لنا مجالات جديدة في الشعر الحر ولمن شاء التوسع في دراسة البند أن يرجع إلى كتابي (قضايا الشعر المعاصر) حيث درست خطة وزنه بتفصيلٍ كاف يساعد الشاعر الذي يحبّ أن يجرّب قلمه في هذا اللون المتفرّد.

ولابدّ لي أن أشير في هذه العجالة إلى أن لشكل البند -مثل كل شكل شعريّ- تأثيرًا أكيدًا في مضمون القصيدة التي يحتويها، فليس استعمال وزنين مجرد غواية عابثة وقعتُ فيها. وإنما اخترتُ لوزن البند -في هذه المجموعة- قصيدتين اتفعتا بشكله. ولا أريد الآن أن أكشف الأسرار التعبيريّة التي يضمّها هذا الشكل، وإنما أكتفي بطرح الموضوع الذي سيجابهه الجمهور العربيّ أول مرة. تاركة التقنين والتحليل إلى فرصة أخرى، ومرجئة دراسة تأثيرات شكل البند في مضمون القصيدة إلى المستقبل لأنّ شكلاً ما ينبغي أن يشقّ طريقه أولًا بموسيقاه وبمعزل عن تحليلات الشاعر له وتقنيناته.

وأقول إن الجمهور العربيّ سيجابه البند أول مرّة، لأننا قبل اليوم ألفنا أن نعتبره كما عبّر الناقد عبدالجبار داود البصريّ (ظاهرة دواوينية ميّتة) والأدباء كلهم لايرون أملاً في أن تبدع شعرًا معاصرًا من هذا الشكل «البالي» كما يظنونه. وأنا - كما سبق أن قلت لا أجد ارتباطًا بين الشكل والتقليدية وهذه مسألة نقدية أؤمن بها أعمق الإيمان. لذلك حاولت تحويل (البند) إلى قصيدة

حديثة. وكل ما أرجوه أن يكتب النجاح لمحاولتي فتضفي على هذا الشكل الجميل روحًا حديثًا ولعله أن يستعمله في المستقبل شعراء أحدث مني فيعطوه من الجدّة مقدارًا قد لا أكون حققته أنا. وكل بداية قد تتصف بالوهن. هذه هي الصفة العامة لكل البدايات على العموم إلا إذا شاء الله غير ذلك، وحقق شاعرٌ الكمال منذ البداية.

* * *

أحبّ أن أقف كذلك عند الوزن الغريب الذي كانت منه قصيدتي «أغنية للصغيرة دالية»، ودالية هي طفلة صديقنا الشاعر الدكتور عبده بدوي، وحكاية هذا الوزن أنني كنت أكتب رسالة إلى عبده فذكرتُ فيها طفلته (دالية) وسألت الله أن يجعلها كما قلت نصًا «خضراء برّاقة مغدقة». وعندما انتهيت من كتابة الرسالة وراجعتها لفتت نظري هذه الكلمات الثلاث لأنها رنّت في سمعي موزونة على «مستفعلن فاعلن فاعلن» ومع أن هذا وزن غير مستعمل سابقًا في الشعر العربيّ فقد لاح لي موسيقيًا إلى درجة مقبولة. ولذلك أمسكت بالقلم فورًا ورحت ألعب بالوزن في تحية للطفلة (دالية) أكملت بها الشطر الأول الموزون الذي جاء عرضًا دون أن أزنه عامدة فكتبتُ:

خضراء براقة مغدقَهْ	كأنها فلقة الفستقَهْ
شفاهها شفق أحمر	كم حاول الورد أن يسرقه
الشعر سبحان من لمّه	والصوت سبحان من رقّقه

وسرعان ما اكتملت القصيدة. وليس من عادتي أن أثبت شعر الإخوانيات في مجموعاتي الشعريّة. ولكنني في هذه الحالة معنيّة بالوزن الجديد الذي اخترعته دون أن أتعمد الموسقة. وقد راق الوزن للصديق الشاعر عبده بدوي فردّ على قصيدتي في رسالته الجوابية المؤرخة ٣٠/١٢/١٩٧٣م بأبيات عارضها بها وتغنى بطفلته ومنها قوله:

كانـــت وراء المـــــــنى وردة | وفى ضمير السنا سقسقـــه
وحـــين زفّـــت شـــدا نورهـا | فهـــزّ أيامـــــى المطرقـــه
حـــتى إذا كـان مـــنها الشـــذى | والخطو والبسمـــة المورقـــه
والكـــــرم فـــى لثغـــةٌ عذبـــة | والطير فى أحـرف مطبقـــه
هـــزّت مـــن الشـــعر ينبوعـه | ومن رقيـف السنا أعمقـــه

وقد رأيت أن أطرح هذا الوزن على الجمهور الأدبى، كما قد تطرح كل تجربة فى الوزن، لعلّ فيها ماينفع فإذا كانت غثاء ذهبت جفاء ولن نأسف عليها. أما إذا شاء شعراء آخرون أن يستعملوا الوزن فستكون قد أضفنا جديداً ما إلى أوزاننا فى هذا العصر، وسأسمى هذا الوزن «الموفور» لوفور أوتاده، مثل الوافر، جريًا على طريقة المقنن الأول الكبير الخليل.

* * *

ومما أحب أن أشير إليه أيضًا أننى كنت فى عام ١٩٥٣ قد نظمت قصيدة فى ثلاث أغانٍ سميتها «ثلاث مراثٍ لأمى» وقد نشرتها مجلة الآداب إذ ذاك ودخلت فيما بعدُ فى مجموعتى «قرارة الموجة» وفى سنة١٩٥٧ نظمت قصيدتى المعروفة «خمس أغانٍ للألم» ونشرتها مجلة الآداب أيضًا وقد ترجمت هذه القصيدة إلى لغات أوربية مختلفة. وراقت فكرة نظم قصيدة موحدة فى أكثر من أغنية واحدة للشعراء فاستعملوها كثيراً ونظموا أربع أغانٍ وستّا وعشرًا ونحو ذلك. وقد بقيت منذ ذلك الحين أتمنى لو اخترعنا اسماً لهذا الصنف من القصائد، واهتديت الآن إلى أن نقول بدلاً من «ثلاث أغانٍ» مثلاً «ثلاثية» وبدلاً من خمس أغانٍ «خماسيّة». ومضيتُ فى تنفيذ هذا فأطلقتُ على قصيدتى فى هذه المجموعة «ثلاثيـة فى زمن الفراق» وهى فى الواقع ثلاث أغانٍ نظمتها خلال فترة فراق. وأنا أرى أن هذه التسمية أفضل

من ذكر عدد الأغاني ويمكن الوصول بها إلى أى عدد فنقول: «سباعية» و«تساعية و«عشارية» و«اثناعشرية» على الصيغ العربية. ومن حق اللغة والشعر علينا أن نحاول دائمًا وضع تسميات للأنماط الجديدة ننمى بها لغتنا إنماءً معاصرًا نضيف به جديدًا إليها ونسهل على أنفسنا مهمة التعبير عن الأشكال الحديثة التي لم يعرفها أسلافنا.

وبعد فهذه قضايا شعرية أثارتها في ذهني مجموعتي هذه وهي على وشك أن تلقى القرّاء. وقد ألفتُ ألاّ تطبع مجموعة لي إلا بعد أن أكون تخطيتها بما فيها من قيم شعرية بمجموعة تالية لها تبدو لي أكمل وأحبّ. وهذا قَدَري ومصيري. فكل مجموعاتي السابقة بلا استثناء قد عانت هذا. وهو أمر فلسفتُهُ في مقدمة الطبعة الثالثة لمجموعتي (قرارة الموجة) الصادرة بالقاهرة عام ١٩٦٨ -والواقع أن إنسانة جديدة قد ولدت فيَّ عام١٩٧٤ لا أدرى ما أسميها الرابعة أو الخامسة أو العاشرة. وستولد بعدها أخرى وأخرى، وأنا ذاهبة للقاء شاعرة جديدة تنبع من خفايا المستقبل وتحلّ محلّ الشاعرة القديمة في نفسي. وهو الحدث الذي يتكرر بلا انتهاء لأن حياتي صيرورة مستمرّة لاتوقف لها.

نازك الملائكة

الكويت في
١٠ ربيع الآخر ١٣٩٥هـ
٢١ نيسان ١٩٧٥م

سوسنة اسمها القدس

إذا ما عويلُ رياحِ المنايا
غداً مرّ يمحو صدى عُمْرِنا
وصيّرنا الموتُ مائدة الدود،
واستنبتَ العوسجَ المتشعّب في شفتينا وفي شعرنا
وسافر طوفانُهُ في شواطئنا الخُضْر
غَلْغَلَ مسراه في جُزْرِنا
إذا نحن مُتْنا وحاسبنا اللّهُ:
قال: ألم أعطكم موطنا؟
أما كنتُ رقرقتُ فيه المياهَ مرايا؟
وحلّيتُهُ بالكواكب؟ زيّنْتُهُ بالصبايا؟
وعرّشتُ فيه العناقيدَ، بعثرتُ فيه الثَمرْ؟
ولوّنتُ حتى الحَجَرْ؟
أما كنتُ أنهضتُ فيه الذُرَى والجبالْ؟
فرشت الظلالْ؟
وغلّفتُ وديانَهُ بالشَّجَرْ؟
أما كنتُ فجّرتُ فيه الينابيع، كَلّلْتُهُ سوسنا؟
سكبتُ التألّق والإخضرار على المنحنى؟

جعلتُ الثرى عابقاً ليّنا؟
أما كنتُ ضوأتُ بالأنجم المُنْحَدَرْ؟
وفي ظلمات لياليكمو، أما قد زرعتُ القَمَرْ؟
فماذا صنّعتم به؟ بالروابي؟ بذاك الجَنَى؟
بما فيه من سكَّرٍ وسنا؟

سيسألنا اللهُ يوماً، فماذا نقولْ؟
نعم! قد مُنحنا الذُرَى والسواقي ومجدَ التلولْ
وهُدْبَ النجوم، وشعر الحقولْ
ولكنّا لم نَصُنْها
ولم ندفع الريحَ والموتَ عنها
فباتت كزنبقة في هدير السيولْ
نعم! ودفعنا بأقمارها للأفولْ
وقامر جُهَّالنا بالضحى،
بالربى،
بالسهولْ
بسوسنة اسمها القُدْسُ، نامتْ على ساقيه
إلى جانب الرابيه
وفوق ثراها انحنتْ داليه

وتُمْطر فيها السماءُ خُشُوعاً، تُصلّي الفصولْ
ويركعُ سنُبلها، تتهجَّدُ فيها الحقولْ
وعبر مساجدها العنبريّة أسْرَى الرسولْ
فماذا صنعنا بوردتنا الناصعه؟

إلهيَ تعلم أنتَ، ماذا صَنَعْنا
بوردتنا، قد نزعنا، نزعنا
وُرَيقاتها ودلَقْنا شذاها الخجولْ
وهبنا صِبَاها لأخرع غولْ
لأشداق عقربة جائعه
فكيف إليها الوصولْ؟
ونخشَى غداً أن يجيء الضبابُ،
وليلُ الضباب يطولْ
ويفصل ما بين أقدامنا والوصولُ
وقد تتمطّى عصور الضباب بنا، وتزولْ
كواكبُنا ثم تأتى السيولْ
وتجرفُ شتْلاتنا، وتطولْ
ظلالُ الكآبة تغرقُ فى غَمَرَات الذُهُولْ
وتأتي الرياحَ وتمسحُ جثتنا الضائعه

وتخبو أمانينا، وامتداداتها الشاسعه

ويطوى الذبولْ

سنابلَنَا ربِّ عفوكَ، ماذا تقولْ

وفى عنبانك كيف ترَى سيكون المثولْ؟

فأنتَ منحتَ الجناحَ الطليقَ، ونحن اخترعنا القيودْ

وهبتَ لنا القُدْسَ أنتَ، ونحنُ

دفعنا بها لليهودْ

دفعنا بها يا إلهى، نعم،

دفعنا بها لليهودْ

الكويت فى

١٢ ربيع الآخر ١٣٩٣هـ

١٤/ ٥/ ١٩٧٣م

سَهَر

حبُّكَ يا سَهَرْ
يسكنُ في الشغافِ والبَصَرْ
حبُّكَ أم صلاةْ
والهةُ الخشوعِ؟ أم رعشةُ شوقٍ تُشْعِلُ الشفاهُ؟
أم رقصةٌ سحريّةٌ يرقُصُها غَجَرْ؟
أم أنتَ سكرُ الدموعِ عند صوفيِّ يحبُّ اللهُ؟
في سَهَري تخطفُني عينانِ؟
أم تسرقُني إضماءةُ الألحانِ؟
أم يَصْرعُني وَتَرْ؟
يُضيعُني في غابة الصُّوَرْ.

حبُّكَ يا سَهَرْ
أم فرحةُ المَطَرْ؟
على الثرى الولهانِ تحت حرقة الهجيرْ
بعد شهورٍ ستّةٍ من لَمَسَاتِ المطرِ الأخيرْ
حبُّكَ يا سَهَرْ
عطرُ زنابقٍ نديًّا قد انهمر

على مسائى ناثراً فجراً من الأنغام والصُّوَرْ
وباسطاً تحت خدودى الضوءَ والحريرْ
مُضيِّعى فى سكرة العبير

وأنتَ يا سَهَرْ
ضوءٌ من السماء فوق هُدْبى انتثرْ
كواكبٌ بنفسجيَّةٌ،
قد نعستْ فى وَهَجِ المياهْ
تسبيحةٌ تهمسُها مآذنٌ فى وله الصلاهْ
يا لذةً حزينةً، يا قُبلةَ الإبَرْ

خذنى يا سَهَرْ
حبيبةً تضمُّها، تأسُرها، تُطلقُها،
تقتل ما تشاءُ منها أنتَ يا سَهَرْ
تلمس خدَّيْها شفاهاً تشرَبُ الدموعْ
وتُشْعِل الشُّموعْ
فى مقلتيها بانعكاساتٍ من القَمَرْ
جوِّعْ دموعى،
أو أذِقْها ثمر الضوءِ

وذوبٌ عبرها الصُّوَرْ
يا أنتَ، يا هوايَ، يا سَهَرْ

يا سهري، يا فجرُ، يا ميلادْ
سنبلتي المُغْمَى عليها من أريج المرج والحصاد
يا مطلع الحنان من أفق العيون السودْ
تغطس في بحور أشواقي شفاه الوتر المشدودْ
وهُدْب عيني نابتٌ في جُزُر السُّهادْ
وليلتي رَمادْ
وفي دموعي اغتسلَتْ كلُّ جراح العودْ

أهواك يا سَهَرْ
يا لمعة القَمَرْ
في عمق مرآة دموعي، يا رؤى النَّظَرْ
ويا اختلاجات الندى في ورق الشَّجَرْ
أهواكَ يا ارتواءتي، يا عَطَشي
يا حُرْقةً معصورةً من ليليَ المرتعشِ
يا فرحةَ الدمعِ، ويا قساوةَ المطر

مَن أنتَ يا سَهَرْ؟

أحِضنُ حبٍّ يحتوينا في الدُّجَى؟

أم إصبَعُ القَدَرْ؟

هل جئتَنا بخنجرِ الجراحْ؟

هل تسكبُ الدموعَ في جِرارنا، وتُتْرِعُ

الأقداحْ؟

يا شفرَةَ الرياحْ

يا مُمْطِرَ الأحزانِ والأفراحْ

لن ينفعَ الحَذَرْ

ونحنُ ما أسرعَ ما يصرعُنا السَّهَرْ

سكّينُهُ يُهْدِي لنا العَتْمَةَ والمصباحَ

ويمسَحُ الدماءَ عمّا

في أغانينا من الجراحْ

واللونُ في شفاهنا يزدادُ وهجاً

في الدياجيرِ ويُخْتَصَرْ

يحملني السَّهَرْ

إلى حبيبي في أراجيحٍ من الزَّهَرْ

وحولَ وجهينا الحزينينِ السماواتُ ارتمتْ

أبعدَ مما يصلُ النَّظَرْ

تكسّرت من حولنا أشعّةُ النجومْ

وانتثرت غدائرُ الغيومْ

وامتقع القَمَرْ

ونحن ضعنا، لم نجد

لنا، لشخصينَا بوادى الليلِ من أثَرْ

ولم نزَلْ نجمين مفقودين فى مجاهل السَّهَرْ

خذنىَ يا سَهَرْ

إلى حبيبى تحت نصف الضوء فى السَّحَرْ

عبْرَ المسافات لنا لقاءُ

مُضيّعين فى سماوات من الضياءُ

ولا نهايات غريقاتِ الْمَدَى زرقاءْ

مَوْسَقَهَا القَمَرْ

خذنىَ يا سَهَرْ

إلى حبيبى واقطف القلب لهُ

تعريشةً مبهورةَ الثَمَرْ

فتحتَ عينيه أنا سأسهَرُ القدَرْ

وأسهَرُ الزمان أطوى اللانهايات

على أجنحة الوَتَرْ

وأدمعي العذبة لي رفيقةُ السَّفَرْ

وبسمة شاحبة على فمي، ودمعةٌ خرساءْ

ووردةٌ حمراءُ تحت الثلج في شتاءْ

ومنيةُ المَطَرْ

في شفة الصحراءْ

أنا ومن أحبُّ يا سَهَرْ

أرجحنا القَدَرْ

وانذرف القلبان دمعاً،

سخنَ الشَّوقُ،

وساقُ الوردة انعصَرْ

ونحنُ يا سَهَرْ

طفلان مرميّانْ

طفلان سهرانانِ ضائعانْ

يلملمانِ الدمعَ والأصدافَ عند شاطئ البَحَرْ

طريقنا الساهرُ مزروعٌ بورد الحُزْن والحنانْ

والعود في أحضاننا انكسَرْ

تقطّعتْ أوتارهُ، وانفرطَتْ

كلُّ المفاتيح على الحَجَرْ

تساقَطَتْ جنائزُ الحجاز والصبَّا

وانهمرتْ في البُعْد غيمةٌ،

وانكسرتْ من حولنا الربُى

وانتثرت أقمارنا،

أعمارنا،

أشعارُنا

واللونُ في خدودنا خَبّا

وأنتَ ما أهدى لنا القَدَرْ

يا مَطَرَ الحنانِ، يا سَهَرْ

صباحنا سَهَرْ

وليلنا سَهَرْ

ضياعُنا في لا نهايات الهوَى سَهَرْ

من سَهَرٍ أهدابُنا مبلولةٌ

من سَهَرٍ أنغامُنَا مقتولةٌ

والسَّهَرُ الوسنانُ في عيوننا فَتَرْ

وانهمر المَطَرْ

واغتَسَلَ القَمَرْ

فى دمعنا، ونجمُنَا،

فيما وراء الأُفُق انحَدَرْ

والغَسَقُ الوالهُ، ألقى شوقَهْ

فى البحر وانتَحَرْ

حبيبَنَا، يا قُبلَةَ السكّين، يا سَهَرْ

عيونُنا باتت سريراً والهاً

فارقُدْ وعشْ أنتَ والقَدَرْ

قد خشع الوتَرْ

يا طفلنا المعذّبَ وقد تهجّدَ النَّظَرْ

مختبئاً فى أدمعٍ غريقةٍ فى سُحُبِ الصُّوَرْ

نحنُ تصوّفنا هنا،

وأنت صوفيُّ أغانينا السَّهارَى،

أنتَ يا سَهَرْ!

الكويت فى

٤ ذى الحجة ١٣٩٣هـ

٢٨/ ١٢/ ١٩٧٣م

أقوى مِنَ القَبرِ

يوم ٥/ ٥/ ١٩٧٢- انبعث صوت أمي مسجلاً على شريط وهي تلقي شعرها، بعد أن فقدنا صوتها عشرين عاماً، منذ وفاتها شهيدة سنة ١٩٥٣ ودفنها في لندن.

بجناحين من حُرْقة وحنانْ
صَوتُ أمي أتى عابقاً من وراء الزّمانْ
من وراء مدى اللانهاية، من شُرُفات مكانْ
خلف أُفْق رؤاىَ، وخلف العيانْ
من وراء حُطَام المزارع، من عَطَش الإنسانْ
في سهول فلسطينَ، في ليلها السَّهرانْ
من وراء حقول الضبابْ
وجدار العذابْ
من متاهات لندنَ، حيث الدجى والدخانْ
جاثمانِ على صدرها جاثمانْ
وعلى قبرها ينحني كوكبانْ
وترفُّ على حزنه وردتانْ
في متـــاهات لندنَ حيثُ السنونو يموتُ
ويحيا الغرابْ

حيث كنّا عطاشاً إلى شفة الأكوابْ
فسُقينا السّراب
حيث جَرَّحَنا الموتُ، واحترقت شَفَتانا
وأكلنا أسانا
وغمسنا أناشيدنا في الضباب
ونَسَجنَا لأعوامنا كَفَناً وقبرنا رؤانا
وتعقَّبنَا دمعُنَا واشترانا

صوتُ أمّي أتى دافئاً كأريج الترابْ
في مروج فلسطينَ، صوت انسيابْ
لجداولَ مُغْمىً عليها من العطر. صوتُ
انسكابْ
لرحيق كواكبَ فجريّة بيضاءْ
بضّةِ الأشذاءْ

يتحنى كوكبانِ على القبر يا أمّي
وترفُّ على صمته وردتانِ، فمن أينَ يا أمّي
جاء هذا الشحوبْ؟
ما تُرَاه إذن سرُّ هذا النضوبْ؟
فجبينُكِ ليلٌ، ولونُ الشفاه قطوبْ

ووراء عيونك حُزْنٌ غروبْ
يختفي وجهكِ العذب في غيمٍ
يتساقط نجم على نجمٍ
وأهلّتكِ الغامراتُ تصير إلى فحمٍ

كلّ يوم تموتين في القُدْس، كلَّ صباحْ
يقتلونَكِ، تنقل أخبار موتكِ سودُ الرّياحْ
تسقطينَ شهيده
في الشِّعاب القريبة والطُّرُقات البعيده
ترقدينَ مُخَضّبةً بدماء العقيده
تقعينَ بنابُلُس مُثْخَنَةً بالجراحْ
وتهيمين ظمأى شريده
في دروب الظلام وحيده
تسكنينَ جراحَ القصيده
فالخيامُ البريئةُ يُقْصَفُ سكّانُها ونباحْ
والجراحُ التي نَشَفت حفرتْها جراحْ
والدموعُ القديمةُ تغسلُها
كلَّ يومٍ دموعٌ جديده
خَسِيءَ الدمعُ، إنّ الخيامَ عنيده

وأماني العدوّ بليده

والنجومَ بعيله

كَثُرَ القتلُ يا أمّي

وتعدّدَ موتُكِ حينَ رأيت حمانا

يُستباحُ ونُرْمَى ولانَرْمي

والعدوّ يصادرُ حتى تسابيحنا وكرانا

وطفولتنا ودُمَانا

ويعشّش ملء بساتيتنا وقُرَانا

يسكن منّا مزَقَ الدم والعظمِ

وترينَ عدوَّكِ يا أمّي

يتبادلُ أرضَكِ، أرضَ الجدودِ، هدايا

وله النصر في كلّ حربٍ، ونحن الضحايا

المآذنُ والعتّباتُ تُسَاقُ سبايا

والقرائينُ حول نحور الصبايا

يقطعونَ سلاسلَها بالسكاكينِ يا أمّي

وتثورينَ في القبر يا أمّي

تستحيلينَ جُرْحاً ينابيعُهُ القانيه

تصبغُ الحُلْمَ والموتَ، أمطارُهُ تَهْمي

وقصائدُكِ الداميه
ملْحُهَا يُشْعِلُ الحزنَ والنار في عظمي
وأحس لَظَى غَلَيانك في جسمي
وأُضيع كياني وأغنيتي واسمي

وأحسُّكِ، أمِّيَ، في قبرِكِ العربيِّ الحزينْ
في الثَّرَى الأجنبيِّ، أحسُّكِ ترتعدينْ
تدفعين الرَّدَى في عناد، وتنتصبينْ
يستحيلُ ترابُكِ عاصفةً، يُصْبِحُ الياسمينْ
فوقَ قبركِ لغماً يُقَاتِلْ
وعظامُكِ تُصْبِح تكبيرة وقنابِلْ
وقصائدُكِ المُحْرقاتُ تهزُّ كرى الحالمين
تنهضينَ من القبر غاضبةً تنهضينْ
من دمائكِ ينطلق الصاروخ وتنتفض
السكّينْ
من شفاهكِ تنمو المروجُ، وتعلو السنابلْ
وعلى رَجْعِ شعركِ يورق غُصْنُ الجليلْ
تنهضُ القُدْسُ، تزحفُ أنهارُنا، يستحيلْ
صمتُنا خنجراً، مدفعاً، ويصيرُ النخيلْ

لَهَباً زاحفاً ويُقَاتِلْ
وتُحاربُ أعداءنا شُرُفاتُ المنازِلْ
والشبابيك،
والبحر،
والمُنحنَى،
والمناجل
ويحاربُ حتى النسيمُ البليلْ
وعلى رجع شِعْرِكَ ينهض كلّ قتيلْ
يتحدّى صواريخهم، يتحدّى المقاصلْ
وعلى رجع شِعْرِكَ سوف تسيلُ الجداولْ
وتحنّ الحقولُ لوقع المعاولْ
ويصير الظلام نهار مشاعلْ
آه، أمّي، وتستقبلين
يومَ نصرٍ، وخصْبٍ وضيءَ الجبينْ
عربيّ الجدائلْ
عربيّ الجدائلْ

الكويت في

٨ ربيع الأول ١٣٩٣هـ

١٠/٥/١٩٧٣م.

الهجْرَة إلى اللّه

عرفتُكَ في ذهول تهجّدي، وقرنفلي أكداسْ

عرفتُكَ في اخضرار الآسْ

عرفتك في يقين الموت والأرماسْ

عرفتك عند فلاّحٍ يبعثر في الثّرَى الأغراسْ

وتُزْهر في يديه الفاس

عرفتُكَ عند طفلٍ أسود العينينْ

وشيخٍ ذابل الخدّينْ

عرفتك عند صوفيّ ثرى القلب والإحساسْ

عرفتك في تعبّد راهب في خَشْعة القدّاسْ

عرفتك ملء موج البحر يركض حافي

القَدَمَيْنْ

وأهداب العيون الزرق واستغراقة الشفتين

عرفتك في صدى الأجراسْ

عرفتُكَ ملء ليلٍ يُمْطر الدنيا

خيوط رؤىً، وعطر نُعَاسْ

وتُلقي في طريقي الورد أكداساً على أكداسْ

وتسقيني بأغلى كأسْ

وجدتُكَ ماثلاً في ضلع أغنيه

وفي حُزْن الدياجير الخريفيّة

وجدتك تحت جرح الوردة العَطْشى

وجدتُكَ في التراتيل المسائيّة

وتبني تحت أستار الدجى عشاً

لقبّرة مروّعةٍ وقمريّه

للاجئة مشرّدة وأضلعها على الأحزان

مطويّة

لقافلة مهاجرة عن الأوطان منفيّه

وجدتُكَ ترسل المَطَرا

ترشّ يباب أرضٍ غير مسقيّه

وترويها بأكواب سماويّه

تعلّق في سماء وجودنا قمرا

وتهديه إلى ليلة أحزان ضبابيّه

وتمنحه إلى بيّارة ظمأى

حشائشها من الأمطار منسيّه

وجدتُكَ تَبْذر الإصرارَ ملءِ سواعد العمّالْ

رأيتك تردَعُ الزلزالْ

عن القرية والصبيان والمسجدْ

رأيتك سكّراً في لثغة الأطفالْ

وتعطي اللحن سحرّياً وإن لم يسأل المُنْشدْ

وتأتينا بلا موعدْ

وتفتح مُغْلَقَ الأقفالْ

مليكي، أنت طعم الصيف في عُمْري

وأنت تألق الأقمارْ

هواك كواكبٌ وبحارْ

طموحُ المدّ أنت، وأنتَ سرُّ تحرّق الجزرِ

وأنت خصوبة الأشعارْ

وأنت عذوبة الواحات في قَفْري

وأنت تبلّج الأسرارْ

وأنت تدفّقي أنت انبثاق الضوء والعطرِ

نثرت الخصب واللؤلؤ فوق شواطئ الخُضْرِ

وفي روحي سكبت النارْ

لك الأورادُ والصلواتُ آنثرها

فدا عينيكَ يا ملكي، بواقيتي أكسّرُهَا

وبين يديك أوراقي وأعوامي أبعثرها

أجيء وعودي المبهور منخطفٌ من العطر

يصلي الوتر المشدودُ ولهاناً

ويهمس باسمكَ الشِّعري

لعلّكَ مُمْطري ورداً، لعلّ رؤاي تغمرها

شذىً فتفيض بالأصداف والمرْجان أبحرها

ويركعُ نشوةً ياقوتُها القاني ومرمرها

زوارق حاضري في جدول الذكرى تسيُّرها

وأيّامي بعطر ضيائك الشفّاف تُمْطرها

ينابيعي تفجّرها

وأعماقي تطهّرها

وأشعاري السماويّات ينبع منك سكّرها

وحسبُ لحونيَ الولهاتِ أنّ حبيبي الملكيّ يذكرُهَا

ولمس اللّه، لمس الله

يلونّها، يعطّرها

يرقرق سرّه فيها وينثرها

على القارات، فوق عرائس الغابات والأمواه

أريج هدىً، ولمس صلاه

مليكى طالت الرحلة، طالتْ، وانقضت أحقابْ
وبين عوالمٍ مقفلةٍ أبحرتُ، أسألُ، أسألُ الأبوابْ
حملتُ معى جراحات الفدائيينْ
وطعم الموت فى أيلولَ، طعم الطينْ
حملت معى همـوم (القُدْس) يا ملكى وجُرْحَ (جنين)
وليلاً شاهق الأسوار لا ينجابْ
فأين البابُ؟ أين البابْ؟
قرابينى مكدّسة على المحرابْ
وقرآنى طواهُ ضبابْ
وذلّة مسجدى الأقصى تقلّبنى على سكّين
ولا معتصمٌ أدعوهُ، لا فينا صلاح الدينْ
ننام الليلَ، نصحو الفجر مجروحينَ
ومطعونينَ، مقتولينْ
وأنت غضبت يا ملكى، تبَارَكَ وجـهُكَ الغضبانْ
فكيف نهادن الطغيان؟
وكيف نصافح الشيطان؟
ألم تُخْصب مدائننا بعطر الورد والقرآنْ؟
فكيف نبيت مَسْبيّين؟

وكيف ننام منفيّين

عن الأوطان؟

أكاليل الزهور ذَوَتْ سوى زنبقة الأحزانْ

مساكنُنَا على فُوَّهة البركانْ

وأنت تظل يا ملكي، مع القتلَى، مع الجرحَى

تَظَلُّ مرابطاً سهرانْ

ونحنُ هنا أضعنا الدينْ

وقاتلنا أحبّتنا الفدائيّينْ

سكبنا الدمَ في بيروتَ، أهرقناهُ في عمّانْ

بأيدينا جعلنا أرضَنا مقصلةَ الإنسانْ

الكويت في

٢٨ جمادى الآخر ١٣٩٣هـ

٢٩/٦/١٩٧٣م.

الملكَة والبُستَان

[أذاعت وكالات الأنباء يوم ٨/ ٤/ ١٩٧٣ أن اليهود في إسرائيل أهدوا إلى الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا قطعة أرض في فلسطين المحتلّة وأنّها قبلت الهدية تعبيراً عن صداقتها مع الطائفة اليهودية]..

أرضهُ تبرٌ وأسرارْ
وفيه تُثمرُ النارْ
سيولاً من تسابيحَ، وليمونٍ، وأسلحة، وثُوّارْ
وفيه يَدْفق الضوء إلى قلبِ العناقيدْ
وتخضلّ المواعيدْ
تدوس الريحُ- إذ تعبر في المرج- سجاجيدْ
من العُشْب الطريّ
إنه بستان ثوّار وزيتون شذيّ
في ثراه القَمَريّ
سنديانٌ، ونهورٌ، وتواريخُ قديمة
لم تزل فيها بقايا غمغمات من تراتيل رخيمه
نقلتْها شَفَةُ الريح وألقى
عبرها ليلُ فلسطين همومَهْ
ونداهُ وغيومَهْ

وقع البستان فى الأيدى اللئيمة

صادر الباغى نسيمَهْ

ويداهُ بعثرت نسرينَهُ، جزّتْ كرومَهْ

حصدت حنطَتَهُ، أوراده الحرّى، نجومَهْ

وعلامات الجريمة

أغمض العالم عنها مقلتيه، وطواها فى الأضابير

زواها بين أكداس التقاريرْ

ومالكُ ذلك البستان قد شُرِّد فى تيه الأعاصيرْ

فلا تذكره إلا العصافيرْ

ولا تبكى عليه غير أخشاب النواعيرْ

يرى تربتَهُ مسبيّةً، يُبصر تهويدَ الأزاهيرْ

وبلّور سواقيه مُباحُ للخنازيرْ

وأهلوهُ عطاشٌ فى الخيامِ

سكنوا فى شفة الجُرْح بقايا من عظامِ

ويريد العالمُ الناسى لهم أن يتغنَّوا بالسلامِ

ويعيشوا فى وئامِ

ثم ماذا؟ هُرِعَ السارقُ يهدي الملكه

فلذةً من حقلنا مخضلَّةً عذراء مثل الليلكه

وتلقتْ بالقبول الملكه

وانحنت تغمرُه بالبركه

بهرتها ظُلَلُ الخُضْرة في أشجاره المشتبكه

واستباها قمرٌ في ليله، من فضّة متسبكه

لم تر البستان مصبوغاً بأنهارِ الدّمِ المنسفكه

وتناست يدُها أن تسألَ اللصَّ:

وهل تُهْدَى الرُّبى المنتهكه؟

ألف عذر منكِ يا سيدتي، واعلمي أن الصهاينَ لهم

منطقُ الذئب، وذَوْقُ السمكه

واسألي يا ملكه!

دمُ قومي من تُرى قد سَفَكَهْ؟

واصبري حتى نلاقيهم غداً في غليان المعركه

فعميقٌ وطويلٌ دربُنا، وفقيدٌ ضائعٌ من سلكه

يعبر التيه وسيناء خطىً مرتبكه

ثم يَهْوِي ميتاً يا ملكه!

واسمعي سيِّدتي صوتي أنا، صوت فلسطينْ

حقولي لم تزل ملكي بما فيها من القمح، من الشمس،

من الطينْ

وأرضي هذه دربُ النبوّات وميلادُ القرائينْ

حصاها خاشعٌ لله، والوردُ قرابينْ

فلن أتركها مصلوبةً عند الصهاينْ

تمزِّقه، مفتحةَ الشرايينْ

وعرش البغي لن يطلع من جرح الملايينْ

فأجراحي ستنمو بين أيديهم ثعابينْ

وأنهاري سكاكينْ

وآباري- إذا اغترفوا- براكينْ

وما لهمو على رملي عناوين

وليس لهم- إذا دقّقت سيّدتي- بساتينْ

وليس لهم بساتين

الكويت في

١١ جمادي الآخر ١٣٩٣هـ

١١-٧-١٩٧٣م.

رحلة على أوتَار العُود

يأخذني من بدء أحزاني في رحلة حبٍ صيفيه

ويبدأ بيدِ أنا والأوتارْ

نرحل نحو بلاد الأقمارْ

في غابات الأنجُمِ، في بيدٍ منسيهْ

ورؤانا تسبَحُ في بِرَكٍ مَرْجانيَّةْ

نُبْحر محمولين على موجة أغنيّه

نرحل في رؤيا غَسَقيّه

وشراعُ سفينتنا أذيالُ المغرب فوق رُبىً وبحارْ

أبعدَ مما تصل الأشعارْ

أنا والأوتارْ

ضعنا في غيم محطّاتٍ لا مرئيه

في مُنْعَرَجاتٍ بيضٍ من إغماءة وجدٍ صوفيّه

وسكبنا الدفءَ ولونَ النارْ

في برد الأرصفة السهرانة تحت رياحٍ ثلجيّه

يحملني العودْ

بطفولته، وبراءته، نحو بلاد الظّل الممدودْ

نحو الشَفَق المفقودْ

والعودُ صبيٌّ يضحكُ، يلثَغ، لَثَغَتُه تَشْرينَيه

وله سبُّحاتٌ روحيّه

وعيونٌ سودْ

طافيةٌ فوق سحابة دمعٍ شتويّه

والعودُ إلهٌ إغريقىٌّ يرحَلُ فى آفاق ورودْ

ويجوبُ العالم فى مركبةٍ قمريه

العود يصلّى يا ربّى، وصلاة العود سماويّه

ورؤى الأوتار معطَّرةٌ قرآنيه

اللحنُ خشوعٌ ونسابيحْ

فيه تمتمةُ النَّبعِ وفيه عصفُ الريحْ

فيه هَمَسَاتُ قُرُنفلتين للوح وورود جوريّه

من بين يدىَّ يسيلُ الرَّستْ تراتيلاً سمفونيه

وأصابع كفّى دَفْقُ صلاة صوفيه

ألآهُ تسيلُ ملوّنةً بأريج الله

فالموسيقى درب ممتدُ نحو الله

الموسيقى شمسٌ زرقاءُ أثيريّه
سُفُنٌ بيضاءُ شراعيّه
أنشودةُ حب غجريّه
وأنا والعودُ لحونٌ ولَهى واستغراق صلاهْ
ينحدرُ اللحنُ نهاوندَاً، وَصَباً، وبكاهْ
يتفجّر من نبع يَدَيَّهْ
شوق التحميلة:
إني تهتُ وراء بحور من سيكاه
والمرسى عند شواطئكَ النورانيّه
يا مرفأ روحي، يا ربّاهْ
المسني لمستَكَ الحيّه
أوْدِعْ في كفّي حسَّ شفاهْ
ابعثني أغنيةً خضراءَ ربيعيّه
قطّرني أنغاماً وصلاهْ
وقصيدةَ شوق عَسَليّه
حطِّمْ مجدافي عند شواطئْ جُزُرِ الرَّسْت الورديه
ضيَّعْني في أبَدِ الدوكاهْ

الكويت في

١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ

١٧-٧-١٩٧٣م.

ثمّ يتفجّر العَسَل

«سمعت الشاعرة أن في الخليج العربي، وسط الماء الملح، عيون ماء علبة كان يعرف أماكنها الملاحون الكويتيون ويشربون منها خلال رحلاتهم الطويلة المضنية لصيد اللؤلؤ».

قالت محدّثتي الحزينة في شرودْ:
إن الظلام سلاسل خنقت مرافئنا،
أغانينا،
كواكبنا،
وجرّتْ كل أعناق المدائن والحدودْ
إن الضبابَ مُرابطٌ يأتي علينا،
جارفاً دعواتنا الحَرّى ويجتاح السدودْ
قالتْ: سيقتلُ ركبَنا هذا الظلامُ
وفجرُنا عنقاءُ ليس لها وجودُ
أعداؤنا متربصونْ
من بين أيديهم تُساقطنا السماءُ حجارةً
والشمسُ حمراءُ العيون
والبحرُ إعصارٌ يسيلُ،

ووجهه مدنٌ غريقاتٌ

وهدأته جنونْ

ويفحّ حولَ خيامنا شدْقُ المنونْ

أسنانُها يقْطُرْنَ من دمنا، ونحنُ مقطّعونْ

قالت: قصانا شاحبٌ، وعلى الظهيرة غيمةٌ،

وثمارُ كلّ كرومنا عنَبُ الزوابع والرعودْ

ووجُوهنا ممسوحةٌ،

وظلالُنا معقوفةٌ

ويُطلّ حتى من مرَايانا اليهودْ

قالت: ويحسبُنا الوجودْ

أشتاتَ جزّارينَ، مصّاصي دماءْ

رغباتُنا محمومةٌ، وقلوبنا خشَبٌ فليس لنا ضياءْ

وعيونُنا فرغتْ، وأذرعُنا سواعدُ مومياءْ

قالت: وإسرائيلُ ظنّوها تُسَاقينا البشاشةَ والورودْ

تُهْدى لنا قُبَلَ السلام، تلُمُّنا من عُمْق أودية الشرودْ

فنرشُّ نحن سماءها

بالنفط، والدم، والحقود

وخيالنا المسعور يطعنُها، يبعثر في الثرى أشلاءها

قالت وهذا العالم الحرُّ الكبير يظن أنّا معتدون
ويظنّ إسرائيلَ فرخَ حمامة، ودماً يسيلُ،
ونحنُ نحن السافكونْ

قالت: إذن من أين ينبعث الأمَلُ؟
واليأسُ عشّش في أغانينا، وفي دمنا اشتعلْ
والحزن نجمٌ مُطفأ في أفق أعيننا ارتحل
من أين يأتينا الضياءُ إذن؟
وكيف ترى سيَنثالُ العَسَلُ؟
من أين تنبثق السنابلُ والشُّعَلْ؟

وأجبتُهَا: لا تجزعي حتى إذا
ضربت شواطئنَا سياطُ الريحِ،
واغتالت قوافلَنَا مفَازاتُ الضياع بلا حدودْ
حتى إذا ما عشّشتْ في جلدنا مُدُنُ اليهودْ
لا تحزني أختاهُ، إن راحت تطاردنا الرياحُ الناقماتُ
ويقتفي خطواتنا القيمُ اللدودْ
فَالأفقُ فيه لنا وعودْ
ومن الليالي الثعلبيّات العدوّةِ،

سوف يَنْبُتُ حولنا الفجرُ الودودْ

والضوء يكحلُ هُدْبَ أعيننا وتلثمنا شفاهٌ من ورودْ

مثل الخليج الملح تقطَعُهُ طَوَال الصيفِ سُفْنُ

وتظُنُّ أن خليجنا عَطَشٌ وحُزْنُ

جهلتْ ففي أغواره فَرَحٌ وأمْنُ

في مائه ضوءٌ ولحنُ

سَمَكٌ، وياقوتٌ، وغُصْنُ

ويَظَلُّ للآمال في أمواجه ركنٌ...، وركنُ

فوراء آماد الملوحة والضباب،

عيونُ ماء كالعصيرْ

فيها العذوبةُ، والبرودةُ، والعبيرْ

عذراءُ باردةٌ تغنّي للعطاش

ومَذَاقُ سكّرها يحلّي البحر في ولَه،

وشوق،

وارتعاشْ

يعلو كبلّور يثرثر صافياً في غَوْر هاتيك المياهْ

ينسابُ منتشراً كأشرعة الحياه

يا حُرْقَةً عربيّةً ذوقي ثلوجاً... يا شفاهْ!

البحر منسكبٌ أمامَكِ عنبراً،

عسلاً،

ومداً من رَشَاشْ

إن كانَ قد دَفَقَ الرحيقْ

في عُمْقِ أعماقِ الملوحة، فالطريقْ

منْ حيثُ نحنُ إلى فلسطينَ السليبه

سيهلُّ نبضٌ فيه من جُثَثِ القُرَى السودِ

الكئيبه

وستُمْطِر الدنيا على المُدُنِ الجديبه

ومن اليباب سيطلُعُ الغصنُ الوريقْ

وسنبلُغُ البيّارةَ العُشْبيّةَ الحضْنِ الحبيبه

ونُتِم حُرْقتَنا على حبَّاتِ تربتها النقيّه

ويسيلُ نُسْغُ الضوء في أعتابها الشُّقْر النديّه

وتُفيقُ مقبرةُ الأغاني في حناجرنا الشقيّه

وخيامنا الرثّاتُ تخرج من متاهتها الرهيبه

وتزولُ إسرائيلُ من قلب العروبه

الكويت في

١٠ شعبان ١٣٩٣هـ

٧-٩-١٩٧٣م.

الأميرَة النّائمَة

«يرد في قصص الأطفال أنّ أميرة مسحورة بقوة شرّيرة تنام مائة عام، ويكتب لها ألا تستفيق من نومها إلا إذا اقتحم قصرها أميرٌ يحبّها ويصل إليها ويقبّلها فتستيقظ».

الكلمه

في صفحة القاموس مثلُ وردةٍ ملثّمه

عطورُهَا خفيّةٌ مُطَلّسمه

ألوانُها مستورةٌ، مثل الظلال المبهمه

والكلمه

أميرةٌ نائمةٌ مبتسمه

أغفت عصوراً في انتظار العاشق الأمير

يأتي من المجهول، يُصْحي الصيفَ والعبيرَ

يوقظُ تلك الخُلْوَةَ المهوّمه

والكلمه

حوريّةٌ، غافيةٌ، منَعّمه

يُخرجها الشاعر من عُزلتها لآلئاً هُذْرِيّةَ الأصدافْ

في أبحرٍ بعيدةٍ تائهة الضفافْ

ينثرها عرائساً مائيّةً في أفُقٍ مفقودْ

وشُرْفَةٌ مسحورةَ الأستارِ لم يسمعْ بها الوجودْ

تفَتحُ شبّاكاً على عوالمِ الأطيافْ

كم لفظةٍ تنامُ في القاموسْ

أحرفها براعمٌ، أجنحةٌ، شموس

مَحَارةٌ كنوزُها مطويّه

عبيرُها محبوسْ

أصداؤها أجواءُ سمفونيّه

ولفظةٌ عروسْ

ولفظةٌ جنِّيَّةْ

ولفظةٌ سوسنةٌ بريّه

ولفظةٌ شفاهُهَا كؤوسْ

ولفظةٌ تُفّاحةٌ طريّه

ولفظةٌ زنبقةٌ مبلولةٌ نقيّه

في شاطئيها أبَدُ

إشراقةٌ روحيّةٌ ومَولِدُ

ولا نهاياتٌ سحيقاتُ المَدَى منسيّه

ولفظةٌ صبيّةٌ عذراءْ

نائمةٌ على ضِفافِ ساقيه

فكلُّ حروفٍ قصّةٌ،

وشمعةٌ،

وداليه

ولفظةٌ حروفُها شتاءْ

ولفظةٌ إغماءْ

ولفظةٌ بركةُ ماءٍ صافيه

ولفظةٌ سنبلةٌ ترقُصُ ما بين المروجِ حافيه

ولفظةٌ في رَجْعِها تموّجُ الرمالِ في الصحراءْ

يكمُنُ فيها عصفُ ريحٍ ناتيه

ماذا تقول الكلمه؟

في صفحة القاموس نمتُ طفلةً مشتاقةً متيمه

فمن ترى يوقظُني لأكشف الأسرارْ؟

وأرفع الأستارْ

عن عالمٍ أبعادُهُ المُطَلْسمه

عميقةُ الأغوارْ

ماذا تقول الكلمه؟
إني أنا طريّةٌ ومُلهَمه
جميلةٌ وخصبةٌ مثل نَدَى آذارْ
ومثل لونِ النارْ
إني أنا لذيذةٌ مثل صلاةِ عَذْبة مُتَمْتَمه
في الكعبة المكرّمه
إني أنا عاطرة كالبُرْعُمه
إنّي أضيءُ مثلما تشتعلُ الأقمارْ
أنير للثوّارْ
دربَ الليالي المعتمه
أفتحُ في وجوههم نافذةَ النهارْ
أرشُّ في أنفاسهم طعمَ ضياءٍ سائلٍ
أذيب فيه نكهةَ البَهَارْ

ماذا تقول الكلمه؟
في عتمة القاموس أبقى طفلةً دميتُها محطّمه
تاريخها مختبىءٌ أحرفُها ميتّمه
أبقى أنا أميرةً مسحورةً منوّمه
حتى يجيء شاعرٌ يوقظُني من غفوتي

يعيد لى حرارتى وفتنتى

يكتشف التاريخَ فى حروفىَ الولهى وفى أشعّتى

يعشى أغنيّة مُغَمْغَمَه

يمطرنى رَشّةً خِصْبٍ وشذىً،

وفقْرةً من ملحمه

القاهرة فى

١٢ رجب ١٣٩٢هـ

١٠-٨-١٩٧٢م.

الخُروجُ مِنَ المتاهَة

أين نمضي وحولنا التيهُ والعَتْـ   ـمةُ في غابة الضباب الماحي،

زحف الليلُ ملء أعيننا، مل   ـء هتافاتنا، وملء الجراحِ

والدهاليز تحت أقدامنا تُعْـ   ـولُ ملويّةً كدرب كفاحِ

يتقاطعن، يتركُ الغيهبُ الغيـ   ـهبَ شِلواً، نَهْبَ الرَّدَى والرياحِ

دربُنَا تائهٌ: سلالمُ تمتدُّ   ولا تنتهي لأيّ مكانِ

كلّما صَعَّدتْ خُطَانا مضى السُّلْـ   ـمُ يرتجّ ضارباً في الدخانِ

سُلَّمٌ صاعدٌ بنا، لولبيٌّ   يتلوّى تلوّيَ الأفعوانِ

سُلَّمٌ هابطٌ إلى جُرُف نهرٍ   زئبقيٍّ، إلى فم البُركانِ

ووجدنا أنّا دخلنا إلى سجـ   ـنٍ رهيبٍ، مكهربِ الأسوارِ

أيُّ جوٍّ معكّرٍ شبحيّ   راسخِ الليل، مستحيلِ النهارِ

ليس يُفضي إلى دياجيه بابٌ   لا ولا فيه كوّةٌ في جدارِ

كيف جئناه؟ أين مخرجُنا أيـ   ـنَ إذَنْ يا بُرودةَ الأحجارِ؟

عن يمـــين، وعن يَسَار ثعـابيـ | ـنٌ، حـــقـودٌ، مطامعٌ ذئبيّــه
فــيــمــينٌ مكشّــر الفــم عن أنـ | ـياب وحش أحداقُه همجيّهه
ويَسَــارٌ يُصيبُ في جُرحنا الملـ | ـحَ، ولَمَسَــاتُ كـفــه دمــويّه
بين هولين حــاقـدَيْن، إلى أيـ | ـنَ سنمضي في العَتْمة اللولبيّه؟

بينمــا نحنُ في مــتــاهتنا الـنكـ | ـراء بين الأشـبـــاحِ والأغـوالِ
جُـرْحُنا ممطرٌ، ونــأكلُ شـوكـــاً | وكَــوَانا مـقـاوزٌ وسَــعَــالي
وطريقٌ أنّى مَـشَـيْنا مـخـيفٌ | أسـودُ الضـوءِ مـخلبيُّ الظلال
بيـنمـــا نحنُ.. إذ تدفّقَ فـجـرٌ | نابضُ العطْرِ من وراءِ الليـــالي

وتُشير السـهـامُ هـامـسـة تكـ | ـشفُ درباً مُسَـرْبلاً بالضـيــاء
صاحيـاً لينَ الثرى كـوكـبيّـاً | بعــد تلك المفـازة الصـفـراء
من تَراه هناكَ يـنـتـظر الركـ | ـبَ الملميّ المعـذّبَ الأشــلاء؟
من تراه هـذا النصـيـرُ الأثيريُّ | تجلّى في أفـقـه اللانهــائي؟

شــاطئٌ مــا له حـدودٌ ويـخـبـو | عند أمــواج بـحــره كـلُّ نوءِ
جَـبـهــة تُمطر الوجـود وكـفٌّ | نهـرُ حبٍ ولُجّــةٌ من ضــوءِ
أيهــا العطْرُ! يا ســمـاءَ أغـانيـ | ـنا! ويـا وردةَ الرؤى والدفء!
يا دليلاً نُحسّ إصبـعَــهُ فـو | ق أسـانا ووجهُهُ غـيرُ مرئي

كَفُّهُ في المَتاهِ ممدودةٌ نحـ ... ـوَ أعاصيرنا تُضيءُ دُجانا

حبُّهُ عابقٌ ولكنّنا نهـ ... ـرُبُ منه إلى جمود أسانا

نُغلقُ البابَ دونَهُ، نُسلم التيـ ... ـهَ مفاتيحَ عُمْرنا ومُنّانا

فمتى تتبع السهام إليهِ؟ ... ومتى تعرف الضياءَ خُطّانا؟

وإلامَ ابتعادُنّا عنكَ يا أجـ ... ـملَ وعد في تيهنا المكفهرِّ؟

تتحاشى نبعَ العدالة لا نقـ ... ـطفُ منه وردَ السنين الخُضْرِ

إنّ هذا الجبينَ مُسْتَنْبَتُ النصـ ... ـرِ ومَسْرى سناً عميقِ الغورِ

في ثنايا بريقه رقدتْ أحـ ... ـلامُنَا في ضبابةٍ من عِطْرِ

وسننجو من المتاهة مبهو ... رينَ تقتادُنا يدٌ مجهوله

لا الدهاليزُ تحت أقدامنا تنـ ... ـهارُ، لا نُبصر الوجوه القتيله

لا الأغاني عبء على القلب لا الحبُّ ... غريبٌ ولا رحيقُ الطفوله

وستبني لنا غداً من ضياءِ الشـ ... ـمسِ، من كلِّ مُنْيَةٍ معسوله

القاهرة في

٢٤ رجب ١٣٩٣هـ

٢٢-٨-١٩٧٣م.

ثلاثية فى زمَن الفَراق

-1-

فى دروب الرياح

هل يا حبيبى بعثرتنا شاسعات البلادْ؟
هل فرّقتنا الرياحْ؟
وهل ترى قد سكتت شهرزادْ
عن الكلام المُبَاحْ؟

من يا ترى ألقى بنا للرياحْ؟
عصفورتين دون عشّ دافئ أو جناحْ
ترمقنا الجوارح الكاسره
بنظرةٍ أهدابها مسمومةٌ، أحداقها باتره
تشربنا كأنما دماؤنا بحيرةٌ تُستباحْ
من يا حبيبى قد بنى بيننا
هذا الجدارَ من ترى أسلمنا للجراحْ؟
ومن ترى أودع أشعارنا
أستارَ هذى الظلمة الناخره؟
وهل ترى يأتى إلينا الصباحْ

بعد ليالي السَهَر العاصره؟
وهذه الصحراءُ هل بعدها
تسقي رؤانا غيمةٌ ورديّةٌ ماطره؟
برشّةَ من حبّنا عاطره؟
ترطّبُ الأشواقَ، تَشفي كل جرح حفرتْهُ الرياحْ
وكل ليلٍ قاتمٍ خلّفوا
أشواكَهُ في الظَهْر والخاصره

ويا حبيبي هل ترى قد صمتتْ شهرزادْ
عن الغناء المباحْ؟
هل أسلمتنا للبلادِ البلادْ؟
واستعبدتنا الرياح؟
فلا شذىً من أمسنا يُستعادْ؟
ولا يُطلُّ الصباحْ؟

-٢-

رسالةٌ منه

رسالةٌ منه نهورُ اخضرارْ

مثل الدوالى، والرؤى، مثل انبلاج النهارْ

رسالةٌ أنا إليها سُفُنٌ تائهةٌ في بحارْ

تأتى إليَّ من حبيبى كشفاه المَطَرْ

كقبلة الثلج على قوافلٍ قد أحرَقتْها القفارْ

رسالة تأتى: ورود الشوق فيها، ومَذَاقُ السَّهَرْ

حروفها محطة إلى مراسيها سيأوى القطارْ

رسالة مثل صلاة الوَتَرْ

مثل انبهار دجلةٍ فى آمسيات القَمَرْ

تمضَغُنى ليلتىَ الساهدة

أنتظر الصباح يأتينى بها، بالشَفَة الواقده

رسالةٌ من يده، دفءُ منى لأدمعى البارده

سطورها أصابع تحوى يدى فى وَلَه واحتراقْ

ألفاظُها شفاهُ حبٍ عطشت وراء ليل الفراقْ

حروفها سنابلى الواعدة

بأننا سنلتقي عن قريبْ
أنا ومن أحبُّهُ، نخرجُ من هذا المتاه الرهيبْ
من ظُلُمات هذه المفازة الراكده

بعد رحيلٍ شاسعٍ ذاهلِ
بعد دُجَىً ماحلِ
بعد روابي الظمأ القاتلِ
بعد ذرىً ممحوّة، بعد تلال انتظارْ
قطار أحلامي يُداني شُرُفاتِ الديارْ
يأوي إلى محطّةٍ من أنجمٍ، من مطرٍ هاطلِ
من فضّةٍ، من كهربٍ، من بَهَارْ
ومن عبيرٍ دافئٍ سائلِ

-٣-

رسالة إليه

أسقيها من موجة شوقي

أبقى أسقى

في حُلمي، ومسافة صحوي

أسقي أسقي

أطعمها أعنابَ دموعي

أمنَحُها إيقاعَ خُشُوعي

أسكنها كلَّ مدائنِ قلبي، لا أُبقي

أمضغها شفتي، أشعاري، سفُني، طرُقي

سأغمّس أسطُرَها بدواة من عَبَراتي ونجيعي

وفواصلُهَا سيسجِلُها قَلَمٌ من أحطاب ضلوعي

أبحرُهَا سوف تضيّعُني لا أعرفُ غربي من

شرقي

ينكسرُ المجدافُ وأبحر دون قلوعِ

حبلي من هُدْبي المنزوعِ

صاريتي غيمة أحزان، يبرقُ شوقي

يا أمواجُ انشقي، انشقي

عن ساحرة وعروس بحور

تمسحُ جُرحي ودموعي

تضمنُ أن أعبر كالبَرْق

للشاطئ، حيث حَصَادُ نجومي وزروعي

لحبيبي أكتب تحت الليل رسالة حُبْ

والظلمةُ كلبٌ وحشيٌ يجثم قربي، والريح تَهُبْ

هل أكتبها بفمي؟ بفمي؟

أأريقُ على الصفحات حرُوفي؟

إعصاري؟

وَصُراخَ دمي؟

أأصوِّر شوقي أم أرَقي؟

ورمادَ مسائي المحترق؟

أم أسقيها عبرات تنزفُ من قَلَمي؟

تذرو أنقاضي وخرائب روحي في أودية الوَرَق؟

كلا، لا يكفي، لا يكفي

سأكونُ أنا الكلمات، سأكمُنُ في الحرف

سأكون إليه أنا (الساعي)

و(الطابع) هُدبي وذراعي

و(العنوان): عمارة حبّي

شارع قلبي

و(المرسلة) الولهى المسجونةُ خلف متاهات الأبعادْ

عبر الصحراء بلا مطرٍ يشدو، وبلا ضوءٍ لا زادْ

وبريدي جوىً فلتخدشني الريحُ

ولتجمدْ من بردٍ كفّي

إني أتحدّى أوردتي، أقتُلُ خوفي

أصرع ضعفي

ولتحلُكْ ظُلُماتي فالشوقُ مصابيحُ

ونجومٌ، وهواي فسيحُ

وشتاءٌ حولي ووداعةُ وجهكَ صيفي

وليَكُ جسمي من صلصالٍ، فالحبّ لمركبتي روحُ

ولتكُ أجوائي غامضةَ الجُبهة،

إن هواكَ وضوحُ

والظلمة بابٌ مفتوح

وسأهبط في شارع قلبي

وأطوّفُ خاشعةً حول عمارة حبّي

السلّمُ معْراجي، والشقّة لي محرابْ

وأدقُّ، أدقُّ، أدق البابْ

افتح يا من هو أغلى من كل الأحبابْ

لكَ عبر الجوّ رسالةُ شوقٍ من لحمٍ

من أعصابٍ، من قلبٍ يرقُصُ، من عظمٍ

ولها شَفَةٌ تنبضُ باسمكْ

باسمكَ، باسمكَ، باسمكَ، باسمكْ

فتلقَّ بريدك من شرفات الليلِ،

ومن شَعَر الغيمِ

يا ضوئي!

يا عطري!

يا مجدي!

يا نجمي!

٨ رمضان ١٣٧٣هـ

٤-١٠-١٩٧٣م

عناوين وإعلانات في جَريدَة عَربيّة

صبيحة تقضّي ليلة مروّعه

خريطةٌ جديدةٌ موسّعه

لدولة العدوّ. غولدا صرّحتْ بأن إسرائيل لن تلينْ

بأنها ستقتفي خُطَى الفدائيينْ

تسقيهمو من كأسِ موتٍ مُتْرَعه

لبنانُ ينهارُ جنوباً. غارةٌ

فوق القنال مُزْمَعَه

سيّدتي ماذا ستلبسين؟

في سهرة الليلة في أيّ وشاحٍ سوف تظهرينْ؟

سيّدتي كوني شَباباً ساخناً وزوبعه

استعملي عطور باريسَ اكرعي من خمرنا المشعشعه

فخمرنا قد قطّر الربيعُ فيها عطرَهُ وأدْمُعَه

تمتّعي فالعمر يمضي راكضاً، والسنَواتُ مُسْرِعه

وأنتِ تهرمينْ

والخمر يا سيّدتي زنابقٌ وتينْ

بريجنيف باسمٌ لنكسن

بُشرى غدٍ للعالمينَ عاطرٍ ملوّنِ

مستعمراتٌ جُدُدٌ ستُبْتَنَى على حدود الأردنِ

أظفارك الطوال يا سيّدتي اطليها

بصبغٍ قرمزيٍّ ليّنِ

كأنه رجعٌ غريقٌ ذاهلٌ من تمتمات أرغنِ

يهاجر اليهودُ من موسكو - ويُعْفَوْن من الضريبه -

لأورشليمَ الحلوةِ الحبيبه

راقصةٌ في مسرح البجعة كالأغنية المسكوبه

جنُوبُ لبنانَ قُرىً مروّعه

أوصالُهَا مُقَطَّعه

سُكّانُها إلى القبور جُثَثٌ مشيّعة

بيوتهم خرائبٌ منثورةٌ، أعمدةٌ مُخَلَّعه

حرائقٌ مُتَدلعه

راقصةُ البجعة مَيّاسةٌ كأغصان الكروم المرعه

خدودها من حمرة مبقّعه

شبابُهَا ما أروعَهْ!

وخصرُها ما أبدَعَهْ!

أغنيةٌ جديدةٌ تُنشدها نجاةْ

هذا المساءَ، حفلةٌ ساهرةٌ وعَشْرُ راقصاتْ

عُرْيٌ وخمرٌ، خاسرٌ مَنْ لم يذُقْ
الكأسُ تلوَ الكأسِ حتى يترنَّحَ الأُفقْ
حتى نكونَ قد تخلَّصنا من اليهودْ
وبالأغاني قد رصفنا دربنا الحرَّ، غداً نعودْ
إلى فلسطينَ فبالكؤوس حررنا ترابَ الوطن المفقودْ
في هذه الليلة، تُحيا سهَرَاتٌ ممتعه
نخب العدوِّ نخب آلياته المدرَّعه
وطائراتُ فانتومٍ تخرق حُجُبَ الصوت في سمائنا
ثم تعودُ فرحةً مندفعه

أمريكةٌ تَدْعم تل أبيبَ من أرصدةِ العروبة المجمَّعَه
لبنانُ طفلٌ ضائعٌ، خدودهُ ممتقعه
ألفاظُهُ راعشةٌ متقده
ويستجيرُ كلَّ يوم صارخاً بالأمم المتحده
يصبُّ ما بين يَدَيْها أدمعَهْ
يشكو لها ما يصنعُ العدوُّ يرجوها سدىً أن تمنعه
يسألُهَا أن تَصفَعَهْ
أمريكة سيِّدة الفيتو ونحنُ لم تزل خيامنا مهدَّده
سلاحنا ألفاظُنا الهادرةُ المعربده

ذلّتنا بين يدَي عدوّنا تصبح في عيوننا
تضجٍ ملءَ الأورده
ولم تَزَلْ أعناقُنا تحت سكاكين اليهود
لم تَزَلْ ممدّده
في مطعم الوادي خمورٌ جيّده
يا سيدي وتنتقي من تشتهي: آنسةً أو سيده
ونحن تحمينا حكوماتٌ شدادٌ وَرِعه
تسهَرُ طولَ ليلها، تعمل لاسترجاع كلِّ قريةٍ مُضيّعه

والعربي لم يَزَلْ يصطافُ في العالم شُهُوراً أربعه
منهجُهُ هذا الصباح رحلةٌ نهريةٌ وأشرعه
والأمسيه
في مسرح الأوبيرج بين رقصة وأغنيه
حول الكؤوس المُنسيَه
بين ذراعي بضّةٍ مُسْترخيه
دافئةٍ من أجل عينيها تطيبُ المعصيه

جرائدٌ منوّعه
ما بين حدّ الحقّ والباطل تبقى إمّعه

وللعناوين صَدَىً وقرقعه

ثم تذوبُ في ثوانٍ، تتلاشى الزوبعه

القاهرة في

١٩ رجب ١٣٩٣هـ

١٧-٨-١٩٧٣م.

القَنَابلِ وَالياسَمين

في ليلة ١٠-٤-١٩٧٣ دخل الجيش الصهيوني بيروت وصيدا، ونسف البيوت وقتل ثلاثة من قادة الفدائيين، ثم هاجم مخيمات اللاجئين، وغادر البلاد دون أن يعترضه أحد. والشاعرة هنا توجّه العتاب إلى الأمة العربية كلها لا إلى الشعب اللبناني وحده.

من البحرِ أقبلَ، هاجم بيروتَ تحت الظلامْ
وجاسَ الشوارعَ يَنْسفُ، يذْبَحْ
ويصدَحُ في كفِّه طائرُ الموتِ يصدَحْ
وبيروتُ وَسْنى تقاتلُهُ في المنامْ
وصيدا، على البحر، عشُّ حمامْ
أما في ديار العروبة كلبٌ فينْبَحْ؟
أما من نعاجٍ فتنطَحْ؟
وهل نحنُ أعمدةٌ من رخامْ؟
وحتّى الرخامْ،
له عَصَبٌ، ويَمُجُّ المذلّةَ، ينهض للانتقامْ
وحتّى القبورُ المُهَانَةُ ترتجُّ فيها العظامْ
وتغضبُ، تهجمُ، تجرحْ

وبيروتُ وسنى بأودية الحُلْم تَسْبَحْ

ويسرح فيها العدوّ ويمرحْ

وفيها دمٌ فوق أرصفة الليل يُسْفَحْ

وعبر شوارعها شوكةٌ من لظىً تتفتّحْ

فكيفَ تنامْ؟

فكيف، بحقّ الكرامة، كيف تنام؟

وهل نحن طينُ؟

وهل لحمنا ودمانا من الخَشَب المائت؟

فلا الجُرْحُ وِرْدٌ، ولا الموتُ دينُ؟

ولا الكبرياء سوى النبض في معلن صامت

لماذا يُغَارُ علينا ونَرْضَى؟ ويسقط منّا المئاتْ

ونستقبلُ القصفَ والطائراتْ

كأنّ القنابل فوق مدائننا ياسمينُ

كأنّ إهاناتهم برتقالٌ وتينُ

كأنّ المذلّة دفءٌ،

وأغنيةٌ،

وحياة

لماذا يضيع الدم العربيُّ؟ وكيف يهونُ؟

وجذر القرابة فوق ثرانا متينُ
وفيم نشرَّدُ من أرضنا؟ وعمرَ السنينُ
تليها سنينُ
ونسكت لا نتمرَّدُ، لا نتمزَّق، لا يعترينا
الجنونُ
كأنّا بلا ذكرياتْ
ولا حُرُماتْ
نشيّع بالرقص والبسمات
جنائزَنا الشاحبات الخضيبه
نكفِّنُ من دون رعشه
ولا وله شُهَداءَ العروبه
ونُرْقدهم من شعاراتنا في توابيتَ هشّه
وينسج حولهمو الصمتُ ليلاً عريضاً
ووحشه
أتلكَ الوجوه المُدَمَّاةُ؟ تلك الرؤوسُ الحبيبه؟
نبعثرُها في مقابرَ من كلماتْ؟
نحاربُ قاتلَهَا بالمواويل والأغنياتْ؟
فليس لنا بين ضوء النجوم جبينُ
ونضحكُ في وجه أعدائنا ونلينُ

ونحن على جذع أنفسنا في الشوارع نُصْلَبْ
ولا قلبَ فينا يثور ويغضَبْ؟
ولا ليلُنا فوق شوك وسائدنا يتقلَّبْ
ولا الجُرحُ يصخَبْ
ولا أكؤسُ الذلُّ تنضَبْ
ولا الخدُّ يشحَبْ
ولا يعترينا إلى أمسنا الكوكبيِّ حنينُ
ولا نتذكَّرُ أنَّ الحضارة كانت لنا، والوجودُ جنينُ
ولا نحن نخلَعُ ثوب الحرير المذهّبْ
ولا حُزْننا يترَهَّبْ
وموطن آبائنا في السّلاسل ثاوٍ حزينُ
كقبرة في الدياجير ترقُبُ ومْضَ ضُحًى لا يحينُ
وتَسْخَرُ منّا الوجوهُ الغريبه
وتجلدُنا بالسِّياط رياحُ رهيبه
ويحجُبُ جبهتَنا في الليالي ضبابٌ مُهينُ
ونزعم أنَّ الزمانَ غلامٌ لعوبٌ خؤونُ
وأنَّ العدوَّ لعينُ
ويَسْرِقُ أنهارَنا ودمانا العدوُّ اللعينُ

ونحنُ امتثالٌ، ونحنُ سكونُ
وأيامُنا سَهَرٌ ومجونُ
تمرّ علينا الرياح الجديبه
بلا مَطَرٍ أو خصوبه
ويحملُ واحدُنا نعشَهُ وصليبَهْ

سنقسم باللهِ،
بالقُدْسِ،
بالثأر، لا نتطيَّبْ
ولا في خصور الأغاني نبيتُ الدُجَى نتقلّبْ
ولا من عبير البيادر نشربْ
إلى أن نعود إلى الوطن المستباح المعذّبْ
ويصحبُ عودتَنَا ألفُ كوكب

الكويت في

١٠ ربيع الأول ١٣٩٣هـ

١٢-٤-١٩٧٣م.

اختلاجات نحو القمَّة البَيْضاء

-١-

صوتُهُ يأتي

من خفايا ديار البنفسجْ

مثل أصداء حُلْم تموّجْ

مثل موجة أغنيةٍ تسقي شاطئَ الصمتِ

صوتُهُ أبداً يأتي

كبياض شراعٍ، كفجرٍ تبلَّجْ

كسراجٍ توهّجْ

مُغرقاً في وضاءته بيتي

كاندفاع حياةٍ يفيق على نبضها موتي

صوتُهُ المورقُ الغامض

صوتُهُ الوامض

عابراً كرفيف جَنَاح فَرَاشَةْ

في دمي أتحسّس نبرتَّهُ وارتعاشَهْ

ساكباً في صلاتي رشاشَهْ

-٢-

هو وردي وتسبيحتي وشروقي

هو سكرُ أدعيتي وانخطافي العميقِ

هو ضوءُ هلالي الذي يلمعْ

آهِ لو أنني أسمَعْ

خطوَهُ في سكونِ طريقي

مثل ضوءٍ خفيٍّ الشعاع، ملفّعْ

عبر صحراء عُمْري المضيَّعْ

آهِ لو كنتُ ألقط موجتَهُ في عروقي

-٣-

يتعقّبني دافئاً كالنشيدْ

يملؤ الكأسَ لي ألقاً ويزيدْ

من سماواته يتفجرُ لي مَدَدُ

يتلقّفُني أبَدُ

ويلمُّ شتاتي من مُدُنِ التشريدْ

فمتى سأكونُ له؟ إنني أنأى وأضيعْ

في شؤون نهاري البليدْ

برقُ مشترياتيَ يخدعني عن سناه الرفيعْ
من خلال أصابع كفّي يفرُّ اخضرار الربيعْ
لا أذوقُ نَدَى ذلك الترجيعْ
لا أعي الأغنيات الأثيريّة الناديه
وهداياه في غفلتي تتبدد في نهر أيّاميه
وأضيعْ
مثل كلّ القطيعْ
في التوافه، تَسْرِقُني مُتَعُ الأهواءْ
ومليكي يرشُّ ازرقاقاً،
وشمساً،
وحبّاً على صمتِ أوتاريه
من سماواته الصافيه
ناثراً رشرشات غناءْ
فتضيّعُها لَمَسَاتُ أصابعيَ الوانيه
وأضلُّ طريقي إلى القمّة البيضاءْ
يتعطّلُ وِرْدي ويُحْجَبُ قرآنيه
يستحيل وصولي إلى الشُّرَف الزرقاءْ
وصلاتيَ تسقطُ أوراقُها عن شفاهي الترابيّة
اللاهيه

وأظل حبيسة تملكني الخاويه

ومسالكها العاريه

وهنالكَ، عندكَ، تنتقل الريحُ والأشذاءْ

من سماءٍ ملوّنةٍ لسماءْ

-٤-

يا ضياعي وعُقْم وجودي

بين تهويمتي وصليل قيودي

تتقاذف روحي رياحُ جمودي

وأجوبُ بحار جليد

ومُحَالٌ وصولي، مُحَالٌ ورودي

تتقطّعُ أوتارُ عودي

وألمّ حُطَامَ نشيدي

وأضيع حدودي

-٥-

فيم أغرقُ طول النهارْ؟

خلفَ غفلة أيّ جدارْ؟

أيّ قبر غليظٍ حوانى؟

وحَجَّبَ روحيَ أيَّ ستارْ؟

كيف أصعَدُ؟ إنّ جبيني صباحٌ مكبَّلْ

طيلة اليوم فوق صحائف كُتْبيَ أرحلْ

عبر أودية الحرف أبحث عنكَ وأذهَلْ

عن ترقرق أمواجِ خطوكَ قُرْبي

أتعطّشُ في غُرْبتي، أتحرقُ في جَدْبي

وعلى عالمي – دون أن أدري – تهطل الأمطارْ

يتساقطُ بَرَدُ نَدَاكَ، يلامسُني آذارْ

في جبيني، فلا تتيقّظُ في عوديَ الأوتار

لا يَمَسُّ النَدَى قلبي

آه يا مَلِكي، آه يا ربّي

إنّ قيدي عارْ

وجمودي انتحارْ

ودمي صامتٌ، والتقاطي معطَّلْ

آه لو أتحلَّلْ

من قيودي لكي أتذوقَ ضوءَكْ

وأشارف نوءَكْ

إنّ عطرك أعذب من كل شيء وأجملْ

وضياؤكَ منسكبٌ، ونشيدُكَ جَدْوَلْ

ونسيمُكَ مُخمَلْ

فمتى سوف أرحلْ؟

لضفافكَ؟ كيف أذيبُ قيودي؟

وأنقّي وجودي؟

كيف أهرُبُ؟ إن طريقيَ مُقْفَلْ

وستاري البليدُ الكثافةِ مُسْدَلْ

وستاري مُسْدَلْ

الكويت في

٥ من ذي القعدة ١٣٩٣هـ

٣٠/ ١١/ ١٩٧٣م.

للصلاة والثوره

«تلقت الشاعرة بطاقة تهنئة بعيد الفطر عليها صورة لمسجد قبة الصخرة بالقُدس».

يا قبّة الصخره

يا وردُ، يا ابتهالةً مُضيئةَ الفكره

ويا هُدَى تسبيحة علويّة النبره

يا صلوات عَذْبةَ الأصداءْ

جاشت بها الأبهاءْ

يا حُرْقَةَ المجهول، يا تعطُّشَ الإنسان للسماءْ

يا وَلَهَ الركوع، يا طُهْرَهْ

يا وردةَ الخشوع، يا نداهُ، يا عطره

يا مسجداً أسكت تسبيحاته صهيونْ

من أجل حُلْمٍ وقحٍ مجنونْ

كبّل فى أرجائه الصلاة والخضره

ولوّث المحراب والحضره

يا قبّةَ الصخره

يا جرحُ،

يا ضمادُ،

يا زهره

يا سَهَرَ الجراح في ارتعاشة الشفاه

يا حرقة الدعاء، يا تنهّد الصلاه

هل تَنبِضُ الحياه؟

في هذه الأذرع والجباهْ؟

هل تدفق العطورُ والألوانُ والمياهْ؟

يتبجس النبعُ من الصخره؟

ويُنبت الفداء ورداً ساخن الحمره؟

نسقيه من عتمة الدعاءْ

من حمرة الدماءْ

نُطعمه سنابلَ الفداءْ

نختصرُ الزّمانَ في تسبيحة ثَرَّهْ

يصرخ فيها عَطَشُ الثوره

يا قبة الصخره

حيثُ الخرابُ مُسْدلاً شعرَهْ

يا أثر السّجود في الجباه

يا صلوات لامستْ عطورَها الشّفاهْ

يا وردةً روحيّةَ الخدودْ

قد ذَبُلَتْ ولم يُحسْ موتَها الوجودْ

يا مسجداً عطشانَ للقرآن والسجودْ

مُسَائلاً كيف اختفى تهجّدُ الرُّواقْ؟

وأين تسبيحاتُهُ الصوفيّةُ الأشواقْ؟

ولهفة الجدران، وارتعاشة العمود

ورحلة البخور في تسبيحة سائحه

وراء أهداب العيونِ السودْ

كم ضرعتْ نوافذ، وأمطرتْ أدمعها أبوابْ

في صرعة العذابْ

كم رتّلت حكاية الإرهابْ

لوردة يتيمة، عذراءَ، مصفرّهْ

عطورَها اضْطُرَّتْ الى الهجره

دماؤها تحدّرتْ وانسكبتْ

على المصلّى قطرةً قطره

يا قبة الصخره

يا حقٌ، يا إيمانُ، يا نوره

شمسُ حَزيرانَ طوتْها غيمةٌ في الفجر

فانطوتْ

وأُسْدل الستارُ والرواية انتهتْ

أقمارُها هَوَتْ

أنجُمُها قد أغمضتْ عيونَها، آفاقُها خَوَتْ

ورودها تحت ثلوج الظلمة انحنتْ

ودولة اللصوص والقرودْ

تَرشّفَتْ دماءنا الحمراءَ وارتوتْ

ومزّقتْ أظفارُها ليونة الخدودْ

وأنشبت مخالبَ الحقودْ

في لحمنا،

في كبرياء الأرضِ،

في مراقد الجدودْ

غداً غداً، تزغردُ الرعودْ

فلتسقطي يا دولة اليهودْ

ما زلتِ في سَكْره

ميّتة الضمير في تهويمة قَذِرَة

تبعثرين السُّمّ والأشلاء بين الماء والخُضْرَه

وتملأين الكأس بالدماء والخمره

وباسم ماذا تُمْنَعُ الصلاةُ في الحضره؟

وباسم ماذا يُسْرَقُ الأردنُّ والبيّارةُ النضره؟

وباسم ماذا تُقْتَلُ الزّهره؟

يا قبّة الصخره!

يا حقلَ قمحٍ نادبٍ عطْرَهْ

يا أرغُناً مقطَّعَ الأوتارْ

يا معبداً مروّعَ القبابِ والأحجارْ

بينَ يَدَيْ جزّارْ

يقاتل الورودَ والسّلامَ والأقمارْ

يسطو على الثمارْ

وينسف البيوت ظلماً، يحرق الأشجارْ

يشرِّدُ الصغارَ والكبارْ

من أرضهم في ليلة ضائعة النهارْ

أصابع للغَدْر إرهابيّة الأظفارْ

يا قبّة الصخرة

يا جُنْحَ ليلٍ فاقد فجرهْ

متى تُرَى سننفُضُ الغُبَارْ

عن وجهنا، ونرفع الحصارْ؟

متى نرى نقتحم الأسوارْ؟

وغنوةُ الأمواج والخلجان والأغوارْ

تهمسُ في أسماعنا بأعذب الأشعارْ

هُتَافها ينبض بالأسرارْ

فلنبدأ الإبحارْ

قلوبُنا والهةٌ والدَّقَّةُ انتظارْ

وفي المَدَى جزائر المرْجان والمَحَارْ

يا قبّة الصخره!

متى نصلّي فيك؟ هل ستُنبتُ البذره؟

هل نعبر المسالك الوعره؟

ترمقنا ذئابُها بالنظرة الشزْره

يا قُبّة الصخره

وجهك هل نحظى به يا عَذْبةُ النظره؟

ونحن قد شَطَّ بنا المزارْ

تقاذفتنا البيدُ والبحارْ

وطوّحت بركبنا وأهلنا الأسفارْ

ترفضنا الكهوفُ، والغابات، والأمصارْ

خيامنا على خطوط النارْ

وزادُنا التقوى وملح الأدمع الغزارْ

يا قبّة الصخره!

متى ترى أبوابَكِ القدسيةَ البَرَّه؟

وننتهي إليكِ عبر الشُعَب الخَطِره؟

يا قبّة الصخره

يا صمتُ، يا ضياعُ، يا حَيْره

جدارُنا خاويةٌ، متى تُرَى تمتلئُ الجرارْ؟

حقولنا قد يبست، فهل تُرَى ستسقطُ الأمطارْ؟

وعند بوّاباتنا تنتظر الأقدار

متى نصلّي؟

إنما صلاتنا انفجارْ

صلاتُنَا ستُطلع النَّهارْ

تسلّح العُزّلَ، تُعلي راية الثّوارْ

صلاتُنَا ستُشعل الإعصارْ

ستزرع السّلاحَ والزنبقَ في القفارْ

تحوّلُ اليأسَ إلى انتصارْ

صلاتُنَا ستنقل الجَدْبَ إلى اخضرارْ

وتُطعم الصغارْ

فاكهةَ الصمود والإصرارْ

صلاتنا إنذارْ

إلى عدوٍّ خادعٍ غدّارْ

تاريخُهُ قد كُتبت سطورُهُ

بريشة المكر وحِبْرِ العارْ

يا قبّةَ الصخرةِ من صلاتنا سيرتوي آذارْ

وتَنْبُتُ الرّاياتُ والثمارْ

صلاتُنَا تفجِّرُ الأنهارْ

وتبعث الغناء والليمون والأحرارْ

تُعيدُنا للوطنِ المسروق، تمحو العارْ

يا قبّة الصخرة

يا رمزُ، يا تاريخُ، يا فكْرَةَ

غداً غداً يختلج اسم الله فى القُدْس وفى الخليلْ

ينتفض العَدْلُ المُدمَّى صارخاً، يستيقظ القتيلْ

تنبت من دمائه، زهره

فى عطرها سُمٌّ، وتُخفى كأسُها جمره

تَسكُبُ في أشداقِ إسرائيلْ
مذاقَ هولٍ زاحفٍ من الفراتِ العَذْبِ حتى النيلْ
عندئذٍ ينطفئُ الغليلْ
وترتوي جداولُ الزيتونِ والنخيلْ
وتَنْعَسُ الثاراتُ بعدَ السَهَرِ الطويلْ
كأنما خيامُنا عُذْنَ من الرحيلْ

يا قبَّةَ الصخره
يا لُغمُ، يا إعصارُ، يا سجينةً خَطِره
على الذي يسجنها، غداً يصير سجنُها قبرَهْ
يا قبّةَ الصخره
حاشاكِ أن ترْضَىْ هوانَ الأمّةِ الحُرَّه
سيهبِطُ النصر على مرتّلي القرآنْ
على المصلّين، وفي صوامعِ الرُّهْبانْ
على الفدائيين في أوديةِ النيرانْ
غداً، هنا، ينفجر البركانْ
ويبدأ الطوفانْ
ينتفضُ الشهيدُ في الأكفانْ
ويكسرُ القُضْبانْ

يقاتلُ الآسرَ والسجّانْ

ينتصر الإنسانْ

يرتفع الأذانْ

حُراً عبيريَّ الصدى من قبّة الصخره

يرطِّبُ الهامةَ القفْره

ويُعْلن الصلاة، والجهادَ، والثوره

في القُدْس، في الجولان، في سيناءْ

في المُدُن العذراءْ

في الريف، في سجون إسرائيل، في الصحراءْ

في الأرض، في السماءْ

سيستحيل الماءُ والترابُ والهواءْ

مدافعاً فاغرةً، وثورة حمراءْ

تزلزلُ العصابةَ السوداءْ

فيسقُطُ الطُغْيانْ

ويزهَقُ الباطلُ والبهتانْ

ويمكرون مَكرَهُمْ، ويمكرُ الرحمنْ

الكويت في

٧ شوال ١٣٩٢هـ

١٢-١١-١٩٧٢م.

سَبتُ التحرير

«يوم السبت ١٠ رمضان الموافق ٦ تشرين- أكتوبر- بدأت قواتنا العربية تحريرها لسيناء والجولان وسجلت نصراً كاسحاً وعند هذا نادت أمريكا أن على العرب أن ينسحبوا إلى مواقع ما قبل يوم السبت».

قبل يوم السبت كنّا مستذلّينْ
وفي أعيننا يبكي ويُمْطر ليلُ تشرينْ
وكان الحزنُ، خلف شرود نظرتنا، سكاكينْ
تسوّلنا على أسوار بيّاراتنا، عشنا
جياعاً تحت ظل نخيلنا المُضْنى
وفوق مشارف الأوهام شيّدنا
مَسَاكننا، وفي أروقة الكلمات خيّمنا
وفي الحُلْم ملكناها، فلسطينْ
وبيّاراتُها كانت لإسرائيلَ، كان لها
شذى الزيتون والتينْ
وعطرُ الرمل كان لها، وكانت نكهة الطينْ
وشيّعنا جنائزنا وبين قبورنا تهنا
مشيّنا فوق أرصفة اللظى في طور سينينْ

أكلنا الثلجَ والريحَ شتاءَ
وصباحَ السبتِ أصبحنا ضياءَ
وتوهجنا، أثرْنا ليلَ سيناءَ الحزينْ
وتفتحنا وروداً،
ورصاصاً،
وغناءَ
شَفَةُ الجولان غنّتنا، وحرّرنا لواءً فلواءَ
من مغانينا السبيّه
وانتزعنا أرضنا من بين أشداق الذئاب الهمجيّه
انتزعناها من الإرهاب، من ذلّ سراديبِ الطُغاة
البربريّه
وجعلنا رملها كحلاً لأهداب العيون العربيّة
لم نعد تحت سمَاها غرباءَ
والدجى، عبر صحاري عُمْرنا الدامي أضاءَ

في صباح السبت صارت عيننا صفحة مرآهْ
وأومض خلف شاطئها سنا الله
وعبر بحار ذلّتنا أطلّتْ جزُرُ النصرِ
عرَفْنَا المدَّ بعد مُلُوحة الجزْرِ

أحاط بنا شذى هَمْسِ

يقُصُّ حكايةً من دفتر الأمسِ

عن المجد الذي غَمَّسَ بالضوء ربَّى (بَدْرِ)

وحيث (محمّدٌ) معصوبةٌ يُمناهُ بالشمسِ

وفي الجولان والأودية المصعوقة الخُرْسِ

بريقُ صمودنا أو مضَ في الصدر

وفي الشعر

وفي سيناء أورقنا وأزهرنا

وسالتْ من أصابعنا بحيراتٌ وأمواهْ

تدفّقَ سيلُنا والسهلُ منهمرٌ صواريخاً

وليلُ عدوّنا تاهْ

حملنا الشمسَ فوق أكفّنا، صرنا رؤىً في

شَفَقَة العصرِ

وأمطر نصرُنا الخِصْبُ على الجولان فُلاً

بعد ستٍّ من سنينٍ كالحاتٍ

عبرها كنا قُتلنا نحن قتلا

ومُضغنا تحت أنياب الصهاينة نهاراً

ومُضغنا نحن ليلا

أطعموا أطفالنا (النابالم)،

لا، لم يُطعموا الأطفالَ عنقودَ عنبْ

لا ولا أعطوا صغيراً كيسَ حلوى،

أو قطاراً من قَصَبْ

تركوهم في دهاليز الدُّجى جرحى وقتلى

مزّقوا صدر العذارى ليروحوا بقرائين

الذَهَبْ

يا عيوناً من زجاجٍ! يا قلوباً من خَشَبْ!

وأطلَّ السبتُ يا صهيونُ مَهْلا

سبتكم أنتم؟ مضى!

ضاعَ!

تولّى!

وأتانا سبتُنا ينثر تحريراً وفُلاّ

حقدُنا صام وصلّى

دَمُنا المسكوبُ في غزّةَ قد أصبح أغلى

طعمهُ في فمنا قد صار أحلى

صوتهُ أصبح أعلى،

فتلقّوا، إننا اليوم صواريخُ غَضَبْ

ومتاريسُ لَهَبْ

قبل يوم السبتِ كنا،

في صباحِ السبتِ أصبحنا،

وأمريكا تُريدْ

مَحْوَ يوم السبتِ من أعمارنا

خسئتْ فالسبتُ ميلادٌ جديدْ

ومياهٌ غسلتنا، طهّرتْ كلّ زوايا عارنا

سبتَنا يا شَفَقَ الورد على أشجارنا

سبتنا يا طائراً أخضرَ يا إطلالة الفجر الوليدْ

إن يوم السبت تفجيرُ براكينَ وألغام نشيدْ

لامستنا فيه كفُّ الله،

واجتثَّتْ جذورَ العار من أغوارنا

وأتانا رمضانُ، هلّ بالضوء،

وبالنصر على أقطارنا

بللتْ حرقتَنا رشّةُ ثلجٍ،

من شذى أمطارنا

أنعشت ما أيبسَهُ الريحُ والأحزانُ من أشعارنا

كان يوم السبت للأعداء عاراً وأراجيحَ جنونْ

وسنُبقيه لهم حائطَ مبكى عنده يبكون، يبكونْ

على أحجاره السود يطوفون

ويوم السبت درب قاتل فيه لصهيون

سَعَال ومتاهاتْ

ذُرَاهُ وَعْرة وله زوايا وانحداراتْ

[على أشجاره ثمةَ كنَّاراتُهم] خرساءَ ملقاة(*)

فلا فَرَحٌ يناغمُها،

ولا تنسابُ من أوتارها أيّة آهاتْ

ويومَ السبت نُهديه لصهيونَ: دقائقُهُ البطيئاتْ

ستجعلُهُمْ يلوبون

وفي سيناءَ ثانيةٌ - كما تاهوا - يتيهونْ

إلى أبد الزمان وليس من موسىَ - ليُنْقِذَهُم - وهارون

فموسَى غاضبٌ يلعنُهم،

والسُخْط قد ألهبَ هارونَ

سلام الله والحبّ على موسى وهارون

ويومُ السبت للعُرْب شبابيكُ من الخُضْرة والنورْ

أزاهرهُ تُتوِّجُ رأسَنا، أضواؤه شذرٌ وبلّورْ

برودتُه ترطّبُ جُرْحَنا الصيفيَّ

تغسلُ حُرْقة الشُرُفات والدورْ

وتَشْفي دمنا المسكوب في الجولان، في غزّةَ، في القُدْسِ
وتسقي حُزْنَ قتلانا على مُنْحَدَرِ الطورْ
ويومُ السبت فارسُ حُلْمنا الأسمرِ بالورد سنلقاهْ
تضاحكه، نراقصهُ، تغازلُنا جدائلُهُ وعيناهْ
وحتى في مروج الحُلْم والذكرى سنلقاهْ
فلا أمريكةُ الطاغيةُ الخرقاءُ تسلبنا مراياهْ
ولا نحن سننساهْ
وما قد كان قبل السبتِ من صبرٍ فإنّا قد
محوناه
إلى وادي المنايا قد جرفناهْ
وشيّعنا الى مقبرة التاريخ جثتهُ وذكراهْ
ويومُ السبت سنبلةٌ،
وأغنيةٌ،
ومرآه
وأجنحةٌ على سيناءَ والقُدْسِ
تطيرُ بنا إلى الشمسِ
ويومُ السبت أعيادٌ ونصرٌ جارفٌ، نصرٌ من الله

بغداد في

١٧ رمضان ١٣٩٣هـ

١٢-١٠-١٩٧٣م.

عن السلام والعدل

«تحدّث قرار مجلس الأمن المرقم ٢٤٢ عما سمّاه بسلام عادل دائم في الشرق الأوسط، ناسياً أن السلام يعني أن نقبل الاستعمار الصهيوني، متناسياً أن وجود إسرائيل في فلسطين ليس من العدل أساساً».

سلامٌ عادلٌ دائمْ
سلامٌ والفلسطينيّ في الفَلَوَاتِ، تحت الريح،
طيفٌ ضائعٌ هائمْ
شريدٌ في جبالِ الشوكِ والأحزانْ
ويعجِنُ خبزَهُ بدماء عينيه، ويغزلُ بالي الأكفانْ
ويذرعُ مُقْفرَ الوديانْ
وفي حيفا، وفي يافا وسادٌ للعدوّ مريّشٌ ناعمْ
وقصرٌ أزرقُ الجُدْرانْ
غريقٌ في بحور الضوء والألوانْ
وأطفالُ الفلسطينيّ أفقٌ كالحٌ غائمْ
وراء جفونهم يمتدُّ غورُ التيه يسرح واقعٌ قاتم
ويقتسمون إرثَ الريح مرتجفينْ
ويفترشون ثلج الطينْ

فلا حلوى، ولا لُعَبٌ، ولا رسمٌ، ولا تلوينْ

فليلهمو خريفيٌّ، ونيسانهمو تَشْرينْ

وأطفالُ العدوِّ لهم أراجيحُ النجومِ

وكعكةٌ من تينْ

ملابسهم من (التفتا) من (الموسلين)

وأعيُنُهمْ تألّقُ شمعتيْ ميلادْ

وفرحةُ رِحْلة بحريّة نَشْوَى

على موكبها تتوهَّجُ الأعيادْ

وفوق رؤوسهم تيجان آسٍ،

ليلكٍ،

نسرينْ

تباركَ مجلسُ الأمنِ،

وبوركَ في عدالة قرننا العشرينْ

سلامٌ عادلٌ دائمْ

وعدلهمو قد اغتسلتْ مخالبُهُ

بأنهار الدم النازف من جُرْحٍ

بخاصرةِ المراعى في كَفَرْ قاسمْ

أظافرهُ مغمّسةٌ بنهرٍ من دماء اللاجئِ الساهمْ

وسلمهمو له طعمُ الخناجر، فيه إيقاع السكاكينِ

له حزُّ البراكينِ

له وقعُ الرياح، رياح تشرينِ

على جبهة شيخٍ نازحٍ محمومْ

ينام على وساد الريحِ، ملتحفاً دثارَ غيومْ

وسلمهمو مذابحُ دير ياسينِ

يربّي في هضاب القدس حزْنَ مسائها المهمومْ

ويعرف طعمهُ الشعبُ الفلسطيني

سلامٌ عادل دائمْ

يعانقُ غاصبَ الأرض، يقبّلُ في هوىً عطشانَ

وجهَ القاتل الظالمْ

سلامٌ عطرُهُ يجرحُنا، ألوانُهُ تلذَعْ

أغانيه طبولُ مذابحٍ تُقرَعْ

نسائمه أفاعٍ شرسةٌ تلسَعْ

وأهونُ منه مضغُ النارْ

وأسهلُ منه أن نرقد تحت الثلج والإعصارْ

ونلقى بالصدور قذائفَ المدفعْ

سلامٌ خادعٌ غدّارْ

يلطّخُ جيلَهم بالعارْ
ويصبغ خدَّهم وجبينهم بالقارْ
وعَدلٌ طعنَةُ السكّين أعدلُ منه،

أطهر طلعةً،

أنصعْ

غداً شعبي نهارٌ أخضَرُ العينينْ
سيُطْلعُ من ربّى القُدْس لنا فجرينْ
يزيحُ عن الورود مقابر الثلجِ
يُحيل الغابة المظلمة الصمتِ إلى وَهْجِ
ويمسح ذلّةَ المرجِ
ويُطفئ شُعْلة البغي ويردُمُ كلَّ مستنقعْ
ومن مَغْربِ شمسِ عدوّنا يصنعْ
لنا قمراً، وأوسمةً، وبحراً غاضبَ اللجِّ
مديداً لا نهائيَّ الشراسة، ساخطَ الموجِ
ونسهَرُ ليلَتنا نزرَعْ
بذور اللّوزِ والبرسيم، نبني البيتَ والمصنَعْ
وهل أجملُ هل أروعْ
من الفجر القريبِ، ومن سلامٍ أبيضٍ دائمْ

يرفُّ فراشةً زرقاءَ، يمسحُ ليلَنا القاتم
سلامٌ سوف نُثْبِتُهُ بأيدينا
ولا يمنحنّا إيّاهُ في برد ليالينا
أعادينا، ومن والى أعادينا

غداً شعبي نَهرٌ يجرفُ الأوحالْ
يُغَلْغِلُ في الرُّبى المقطوعة الأوصالْ
يُنَمِّي شَعْرَها، يزحفُ في شَغَفٍ إلى غزةَ
والقُدْسِ
ويحملُ للخليل توهّجَ الشمسِ
يزيح الظلم والظالمْ
ويُعطينا اللوالي،
والأغاني،
والسلام الأزرق الباسم
ويُسلم خُضْرَةَ التحرير للبيّارة الثكلى
ويُطلِع فجرنا الأحلى

الكويت في

١٥ شوال ١٣٩٣هـ

١٠-١١-١٩٧٣م.

شَمسٌ للقَاهِرَة

«زارت الشاعرة مدينة القاهرة في شهر آب ١٩٧٣
وحيتها بهذه القصيدة وكان ذلك قبل حرب رمضان».

تحية يا قاهره!
يا ومضة الكواكب المسافره
يا عُشَّةَ الحَمَام، يا مأوى الطيور الصافره
يا نَعْسَةَ الجمال في هُدْبِ العيونِ الفاتره
حيّيت يا سيفَ صلاحِ الدينْ
يا صخرةَ الصمود، يا أرضَ الفدائيينْ
يا أرَقَ اللهيب، يا سُهْدَ القلوب الصابره
يا مَجْدَ هذي الأرض، يا مخبرة التاريخ، يا دفاترَهْ
يا موجةً عذراءَ قرآنيّةً،
تلطمُ شطآنَ القرونِ الهادره
يا مَطَراً من مقلتيْ تَشْرِينْ
يا عُنُقاً مُمَدّداً وفوقَهُ سكّينْ
تنتحر السكّينْ
وأنت تبقَيْنَ لنا يا قاهره
غيمةَ حبٍّ ماطره
تبلل الصحراء، تهمي مطراً من سكّرٍ وتينْ

تحيّة للقاهره

باقةُ حبٍّ ضفرتْها شاعره

ونغمةٌ تمطر ثلجاً لرمالِ تحت شمسٍ صاهره

تحيّةَ للنيل، نهر الخِصْبِ والسلامْ

لمعبدٍ مسهّدٍ، سهرانَ لا ينامْ

للأزهر العَتِيقِ، للأهرامْ

لرملِ سيناءَ التى تهيمُ فى أودية الظلامْ

تحت الأكفّ الجامحات الماكره

فلتصبرى يا قاهره

يا بجعةٌ مع النسيم طافره

الضوءُ قد أسدل فوق عُشّها ستائره

والنيلُ قد وسَّدها ضفائره

مهمومةٌ يا قاهره

محلولةُ الشَّعر على الأرصفة المهدومه

كطفلة جائعة محرومه

حزينة حُزنَ اللّيالى الماطره

فلتعلمى يا قاهره

أنّ العدوّ حربهُ مُقَامَره

وظلُّه غيمة صيف عابره

وحكمه فى تلّ أبيب قلعةٌ موهومةٌ تسيرُ لانهدام

قابعةٌ تحلم، كالخفّاش، بالأنقاض والظلامْ

فجرَ غد فى أرضها تزغرد الألغامْ

نَخرجُ من قماقم الأوهامْ

نسلّح النيامْ

نقلِّمُ المخلبَ والمؤامره

نسقيك من جدب الصحارى لَبَناً يا قاهره

فجرَ غد، تُقاتل الأقصُرُ والأهرامْ

وينهضُ النيلُ إلى انتقامْ

ويغضَبُ الأزهر، يستنهض فى نقمته منائرَهْ

تثور فيه حَلَقَاتُ الدرس والأوراقُ والأقلامْ

سينهض الحقُّ من المَسْلَخ جبّار اليدين

ساقياً من دمهم أظافرَه

يطردُهُم ويغسلُ الوهادَ والآكامْ

من دَرَنِ القافلة الوحشية الأقدامْ

ويومها تطلع شمسٌ عذبةٌ للقاهره

وغُصةٌ لنكسنِ وسائر السماسره

ويومها يكون الابتسامْ

ويُنْبِتُ السَّلامْ

في حقلنا كرومَهُ، أعلامَهُ، بيادرَهْ

يعود للعشّ ضياءُ الأنجم الحزينة المهاجره

وبعد طول السُّهْدْ

ترتاح على النيل عيونٌ ساهره

وترجعين طفلةً ضاحكة الأحلامْ

يا قاهره!

يا قاهره!

وتُسْدلين شَعْرَكِ الطويلَ موسيقىً وضحكاً

تحت هُدْبِ نجمة مُسامِره

وتصبح السكّينُ ذكرىً غابِره

بعيدةً، مطمورة ، ممسوحةً

وراء بحر اللانهاياتِ

وخلف الذاكره

القاهرة في

٥ رجب ١٣٩٣هـ

٣-٨-١٩٧٣م.

تحية للطفلة (داليه)

«طفلة صديقنا الشاعر الدكتور عبده بدوي».

خضراء براقة مغدقة — كأنها فلقة الفستقة
شفاهها شفق أحمر — كم حاول الورد أن يسرقه
الشعر سبحان من لمه — والصوت سبحان من رققه
داليةٌ عذبةٌ غضة — في هدبها نجمة مشرقه
سمرتها عسل سائل — الحسن في خدها رقرقه
عصفورةٌ حلوةٌ كالرؤى — من يا ترى صوتها موسقه؟
الفجر أهدى لها قبلة — والمرج ألقى لها زنبقه
وتملأ البيت من فرحة — بالضحك والرقص والزقزقه
داليةٌ مثل جنيةٍ — تآسرنا روحها الشيقه
لعلها في غد نجمةٌ — تزيح أحزاننا المطبقه
وتنقذ العصر في رعبه — من قلق الحبل والمشنقه
وترجع القدس للنازحين — ،تمسح الأدمع المحرقه

الكويت في

٨ من ذي القعدة ١٣٩٣هـ

٣/ ١٢/ ١٩٧٣م.

الناشيء

يغير ألوانه البحر



الناشيء

تقدمة
بقلم الشاعرة

تضم هذه المجموعة الشعرية قصائدي التي نظمتها سنة ١٩٧٤، وقد عنونتها «يغيرُ ألوانَهُ البحرُ» وتسبق هذه القصائد مجموعة عنوانها «للصلاة والثورة» أدرجت فيها قصائد سنة ١٩٧٣، ومازالت هذه المجموعة لدى دار العلم للملايين، وقد حالت أحداث لبنان دون طبعها حتى الآن.

ولست أحاول أن أكتب مقدمة لهذه المجموعة، وإنما لي ملاحظة على قصيدتين فيها هما: «زنابق صوفية للرسول» و«تمتمات في ساحة الإعدام» وقد ابتدعت فيهما بحرًا جديدًا غير مستعمل أضفت به إلى بحور الشعر الحر الصافية، ووزن هذا البحر في أصله العروضي «مستفعلن فاعلن فعولن» وهو الوزن الذي يسميه العروضيون «مُخَلّعْ البسيط»، وقد لاحظت فجأة أن من الممكن أن نقسم هذا البحر إلى تفعيلتين في الشطر الواحد بحيث يصبح هكذا:

مستفعلاتن مستفعلاتن   مستفعلاتن مستفعلاتن

والفرق بين هذا الوزن الصافي وأصله في (مُخَلّعْ البسيط) حرف واحد كما يلي:

مستفعلاتن مفاعلاتن

مستفعلن فاعلن فعولن

وأول سؤال يتبادر إلى ذهن القارئ الذي لا يحسن العروض أو يفهمه هو «لماذا لم يتنبه الخليل بن أحمد إلى هذا الوزن؟ ولماذا لم يكتبه على

مستفعلاتن مفاعلاتن؟» وجواب هذا السؤال أن التفعيلات العشر التى جعلها الخليل أساساً لعروضه لا تتضمن الزيادات والنقصان فهو قد وضع التفعيلة «مستفعلن» دون زيادة ولا نقصان، فإذا اعترتها زيادة سبب خفيف «تن» فإن الخليل لم يسمح أن تقع هذه الزيادة إلا فى عروض البيت وضربه، ومن ثم يكون لدينا «مستفعلن مستفعلاتن» ولا يجوز أن نقول «مستفعلاتن مستفعلن»؛ لأن هذا السبب الخفيف لا يزاد فى حشو البيت مطلقاً، ولذلك أيضاً جعل الخليل وزن مُخَلّعَ البسيط «مستفعلن فاعلن فعولن»، ومهما يكن فإذا كتبنا الوزن بزيادة حرف واحد على مخلع البسيط الخليلى «مستفعلن فاعلين فعولن» نتج لدينا «مستفعلاتن مستفعلاتن» وهو وزن صافٍ يضيف بحراً جديداً إلى شعر التفعيلة، فبتكرار «مستفعلاتن».. أى عدد من المرات فى الشطر الواحد ينتج لدينا شعر حر كما يلى:

مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

وما كدت أهتدى إلى هذا حتى اعترانى فرح غامر؛ لأن إضافة وزن جديد إلى أوزان الشعر الحر سيوسع مدى هذا الشعر ويعطيه بعداً جديداً، وبادرتُ فوراً إلى نظم قصيدة «زنابق صوفية للرسول» وكانت فكرتها مختمرة فى ذهنى منذ حين فتفرغت لنظمها وقلت:

البحر إغماء لحن حبٍّ، البحر زرقه

مستفعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

البحر طفل مسترسل الشعر للضحى فوق مقلتيه

مستفعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

انكسارة، رقّة، وشهقة

مفاعلاتن مفاعلاتن

ونجحت الفكرة نجاحًا باهراً، وأتممت القصيدة في يسر، وعندما انتهيت منها أحسست أنني أضفت إلى الشعر الحرّ وأوزانه الصافية السبعة، فهذا بين أيدينا بحر صافٍ ثامن، وليس يخفى أن تحول (مستفعلاتن) إلى مفاعلاتن بالخبن، وإلى مفتعلاتن بالطي، قاعدة واردة في زحافات الرجز وضعها الخليل نفسه.

واندفعت اندفاعاً حاراً أنظم قصيدة «زنابق صوفية للرسول» المنشورة في هذه المجموعة. ولكن: بعد انتهائي من نظم القصيدة لاحظت أنني وقعت في خطأ تكرر مراراً عبر القصيدة؛ ومؤداه أنني كنت أقول أحيانا «مستفعلاتن/ فعولن/ فعولن فعولن» فأنتقل من تفعيلة الرجز التي بدأت بها إلى تفعيلة المتقارب، وكانت أذني تتقبل ذلك وهو الأمر الغريب، وقد حدث مثل هذا تماماً في قصيدة «تمتمات في ساحة الإعدام» التي هي أيضاً من (مُخَلَّعِ البسيط)، وغاظني هذا غيظاً شديداً، فلماذا أقع أنا في هذا الخطأ فأبدأ الشطر بمستفعلاتن وأنتهي بفعولن كما في قولي:

وقلت في لهفة أتوسل: أحمد، أحمد

مفاعلاتن فعول فعول فعول فعول [فعول مصابة بالقبض]

والغريب أن سمعي يتقبل هذا حتى الآن، وكانت التفعيلة «فعولن» تشاكسني وتظهر فجأة في أواخر بعض الأشطر.

بعد ذلك حاولت أن أصحح هذا الخطأ، فوجدت أن جو القصيدة

سيتفكك وتزول حرارة المعاني؛ فآثرت أن أتركها كما هي على أن أتحاشى الخطأ في المستقبل، وبالفعل عدت عام ١٩٧٥ إلى الوزن الجديد، ونظمت منه قصيدة طويلة هي «نجمة الدم» لم أخرج فيها على الوزن مطلقاً وإنما حافظت على «مستفعلاتن» عبر القصيدة كلها، وهذا نموذج منها:

بيروت غابه

مستفعلاتن

ومن دماء القتلى على جفنها سحابه

مفاعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن

أين ترى البحر؟ كان بالأمس ها هنا يا بيروت بحر

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

تكتب أمواجه وتمحو وينثر الشذر والغرابه

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

والحقيقة أنني لا أدعو أي شاعر إلى استعمال الوزن الأول المختلّ، وأعترف أنه حدث دون أن أنتبه خلال وهج الحالة الشعرية، وإنما جاء الانتباه بعد الانتهاء من القصيدتين: «زنابق صوفية للرسول» و«تمتمات في ساحة الإعدام». ولا شيء أدافع به عن نفسي إلا كون هذا الوزن ابتكاراً مني ولم يستعمله الشعراء قبلي بحيث تكون أمامي نماذج وأكون مجهزة بتجارب.

بعد هذا أضع بين يدي القارئ مجموعتي هذه، راجية أن تنال رضاه وتعطي جديداً إلى شعرنا الحديث.

الكويت ٩/ ٦/ ١٩٧٦

نازك الملائكة

ويبقى لنا البحر

وقفنا على البحر تحت الظهيرة طفلين منفعلينْ
وروحي يسبح، عبر مروجكَ
في نهر عينين مغدقتين
وقلبي يركض خلف سؤالٍ
حملتْ براعمه عطر مَرعىً، على شفتيك

سؤالُكَ فيه عذوبةُ ريح الشمالِ
وروعة أغنية سكبتها، كمنجات شوقٍ مخبأة في يديك
سؤالُكَ لونٌ سماء على برَكٍ ودوالي
سألت عن البحر هل تتغيَّر ألوانُهُ؟
وهل تتلون أمواجُهُ؟ هل تُرى تتبدلُ شطآنه؟

سألتَ وعيناك واسعتان اتساع الرؤى
ووجهك نجمٌ نأى
وسُفُنٌ مضيَّعة لم تجد مرفأ
سألت وهدبُكَ دهشةُ طفلٍ
ورعشةُ سنبلةٍ، وتَموج حقلٍ

وكانت يداكَ شراعين منهمرينْ
على زورقينْ
وراء المدى والرؤى شاردينْ
وقلتُ، نعم، يا حبيبي
يغيِّر ألوانَهُ البحرُ،
تعبر فيه سفائن خُضْرُ
وتطلع منه مدائنُ شُقْرُ
ويشربُ حيناً دماءَ الغروبِ
ويصبح حيناً بلون الفضاءْ
يلملم زرقَتَهُ يا حبيبي
ويحلم، يرنو بعينين شذريتينْ
سماوِيّتينْ
إلى اللانهاية، يأخذُ لونَ الضياءْ
صباحاً ويُطْفِئ كلَّ ثرياته في المساءْ

سألتَ عن البحر، هل تتغير ألوانُهُ؟
وهل تتلونُ أمواجُهُ؟ هل تُرى تتبدل شطآنُهُ؟
نعم يا حبيبي،
وبحر يُلاَطم وديانَ نفسي

ويرحَلُ عبر موانئ لونٍ وشمسٍ

وعبر حقولٍ مغيبٍ

ويغتَسل الغسق القمرىُّ بأمواجه ويبلّل شعرَهُ

ويُلقى إليه سماءً وفكره

نعم يا حبيبى، نعم، ويلّون خلجانَهُ

نعم ويغيّر ألوانَهُ

فيشربُ صُفْرة شكّى وظنّى

ويصبح أزرق فى لون لحنى

وتُبحرِ فى شذر أمواجه أغنياتى وسُفْنى

ويصبح أبيَض، تصبح لجّتُهُ ياسمينه

ويصبح أخضرَ، مثل اخضرار العيون الحزينة

ومثل زبرجد نهر النهاوند فى قعر حزنى

سألتَ عن البحر! هل تتغير ألوانُهُ؟

وعيناكَ بحرٌ ترامى وضاعتْ

حدود مداهُ وشطآنُهُ

نعم يا حبيبى، يغيّر ألوانَهُ ويصير بلون الرمادْ

له كل طعم ليالى السهادْ

رماديةٌ كل أسماكه، ورَمَادْ

لآليه،

إسفنجه،

أخطبوطاتُه، ورمادْ

مدائنه الغارقات القباب، ولونُ الرمادْ

جبينٌ غريقٌ طفا وتوسّدَ أمواجَهُ الملح، مغميٌ عليهْ

ويبتلع الماء، والملح عوسجةٌ ورمادٌ على شفتيهْ

وبحرى وبحرك، بحرُ الرمادْ

حنونُ الفؤاد

له قسوةٌ تلثُمُ الجرحَ، تفرش لين وسادْ

وبحرى وبحرك شاكس جسم الغريق الرماديَ

أرسل موجتَهُ القاسيه

لتلطمه، وعروس بحورٍ لتحملَهُ،

للرمال النبيذية الناسيه

ويرقد من دون وعيٍ على الجرف، مغميٌ عليه،

وبحر الرمادْ

يرشرشُ إغماءَهُ، والشبابُ الغريقْ

تغازل خدّيه، موجة حبٍّ، وتغسل جبهتَهُ وتريقْ

عليه المحبّة والملح والرغو،...

حيناً يغطى الجَسَدَ

وحيناً يعود ويرتدُّ عنه، ويتركُهُ للنهول الأبد

ويا من تسائلني:

هل يغيّر بحري وبحرُكَ ألوانَهُ؟

ومثل الغيوم يلوّنُ، يرسمُ، بالزيت والفحم شطآنَهُ؟

حبيبي لقد كان لي في الطفولة جَدٌّ

طويلٌ كمثل جدائل شعرٍ ربيعٍ وريفْ

وكان لجدّي عمقٌ،

وظلٌّ،

وبُعْدٌ

له عنفُ عاصفة في خريفْ

وكانَ مدىً في بحارٍ مطلسمةٍ لا تُحَدُّ

وجدّيَ كان قوياً كموجة بحرٍ مخيف

وفي ذات يومٍ سرَتْ ألسن النار في بيتنا

مضت تمضغ البابَ، تُشْعل لين الستائرْ

يدور اللهيبُ دوائرْ

يزمجر في شُرُفات منَّانا، ويضحك من رعبنا

يهدّد أن يتوسّع، يركض في حيّنا

وينذر أن يتغدّى خلوداً،

شقاهاً،

ضفائر

ويغتال حتى شباب البيادرْ

وأقبل جدّي مندفعاً مثل موجة بحرِ

وأرسل صيحة هولٍ وذُعْرِ

تحدّر في عنف إعصار نوء، يسبُّ ويلعنْ

شتائمه مطرٌ وحنانٌ، شراستُهُ بيت شعرٍ مُلَحَّنْ

وهمسُ صلاةٍ، ونجمة فجرِ

وزورق عطرِ

ومدُّ السبابِ على شفتيه غديرٌ ملوّنْ

وأطفأ جدّي الحريق، وأنقذ هدبي وشعْري

حبيبي، وجدّي قد كان بحرا

يغيّر ألوانَهُ وتصير محاجر عينيه سوداً وخُضْرا

يبدّل أمواجه، يترامى، يصوغ لآلئْ

يُسيل ينابيعَ، يرسي شواطئْ

ويبدع مدّاً، ويصنع جَزْرا

يبعثر عبر ازرقاق الخليج جزائر شُقْرا

وكانت جرادله وهي تلعن، كانت قماقم بَلْسَمْ

تكسّر أسورة النار، عن ساعدٍ ليّنٍ وذراعٍ ومعصمْ

وقسوة أمواج بحري وبحرك صارت اكفاً وصدرا

لتحمل جسم الغريق الرمادي تعطره قُبلاتٍ وزهراً

وترميه فوق ضفاف السلامه

رفيفَ جناح حمامه

وتعطيه عمراً جديداً

وتزرع إغماءهُ حُلُماً

وسنابل ذكرى

وبردَ غمامَهْ

عن اللون والبحر تسألني يا حبيبي؟

وأنت شراعي

وألوان بحري

وغيبوبة الحُلْم في مقلتي

وأنت ضباب دروبي

وأنت قلوعي

وأنت ذُرَى موجتي

ووردة حزني، وعطر شحوبي

عن اللونِ والبحر تسألني يا حبيبي

وأنت بحاري

ومرجانتي ومحاري

ووجهك داري

فخذ زورقي فوق موجة شوقٍ مغلّفة، خافيه

إلى شاطئٍ مبهم مستحيل

فلا فيه سهلٌ ولا رابيه

إلى غَسَقٍ قمريّ المدارِ

عميق القرارِ

وليس له في الظهيرة لونُ

وليس له في الكثافة غُصْنُ

ولا فيه هولٌ، ولا فيه أمْنُ

هنالك سوف نضيعْ

ونأكل دفء الشتاءِ، ونقطف ثلج الربيعْ

ونغزل صوف الصقيعْ

هناك لا طول للظل في حُلْمنا لا قِصَرْ

ولا دفترٌ للقدرْ

ولا شيء يمكنَ أن يرتقيه النَظَرْ

سوى موج أغنيةٍ تنحدر عبر جبال القَمَرْ

ونضحكُ نبكي وعيناك تعكس لون البَحَرْ

ويبقى لنا اللونُ،

والبحرُ،

والأبد المنتظَرْ

١٥ جمادى الآخر ١٣٩٤هـ

٥ ٦ ١٩٧٤م.

الماء والبارود

من ذكريات حرب رمضان (أو اكتوبر) سمعت الشاعرة أن فرقة من الجيش المصرى فى سيناء كان أفرادها صائمين، وحان موعد الإفطار وقد نفذ الماء عندهم فراحوا يتضرعون إلى الله، فجاءت طائرات إسرائيلية وقصفت المعسكر فتفجر الماء من الأرض حيث كانت مواسير المياه اليهودية مدفونة.

اللّه أكبرُ
اللّه أكبرْ
هتافة الأذَانِ في سيناءَ تُبْحرُ
من موجها تسيل في الصحراء أنهرُ

اللّه أكبرُ
نداءُ رحمة ند تشربه الرمالْ
مدَ جناحيه، ارتمى في حُضُنِ التلالْ
محمولة أنغامه على شراعٍ أبيضٍ مرورهُ معطَّرُ

اللّه أكبرُ
يا صائمون افطروا
من شفة المؤذن الخاشع يهمى المَطَرُ

واللّه باسطٌ عليكم أجمل الظلالْ

تسبيحة معطَّره

ورحمة من السماء انحدرتْ معسولة مقطَّره

يشرب تهويماتها المعسكر القابع فى الظلماءْ

عطورها منهمره

على جنود مصرَ فى سيناءْ

تجمَّعوا وخيَّموا فوق قفارٍ محرقات الرمل فى الصحراءْ

وهم عطاش لم يذوقوا منذ أمس الماءْ

شفاههم منعصره

صيامهم من عطش حناجرٌ مستعره

لكنّ فى وجوههم ضراوةَ الصاروخ والمدافع المزمجره

و(اللّه أكبر) على شفاههم غناءْ

بنورها، بسرّها يزحزحون القلعة الشمّاء

ومن لُهاث العطش القاتل باتوا يشربون حُرقة الهواءْ

عيونهم تستمطر السماءْ

وربّاهُ فجّر بين أيدينا عيونَ الماءْ

هاتِ أسقنا يا ربّ من لدنْكَ كأس رحمة مطهّره

يا واعد المؤمن بالصحو وبالظلّ الندىّ الظّليلْ

هاتِ اسقنا كما سقيتَ الطفل إسماعيلْ
كما رويتَ أمَّهُ الوالهة المنكسره
بعد هيامٍ ضائعٍ طويلْ
فى مُدُن العويلْ

جنود مصرَ فى تلال النار والحُمَّى
وصفرة الربُّى المبعثره
جاءوا لوجه الله ذاقوا لذعة الصيامْ
تهدَّجت تحت أكفهم صواريخٌ
وكانت لهمو الشرابَ والطعامْ

جنود مصر نقمة منفجره
وحرقة إلى كؤوس الماء لا تنامْ
إيمانهم صيَّر سيناء لطيَّارى اليهود مقبره
رمالها مزمجره
وهم عطاشٌ يتلوون صدىً وتعطش الخيامْ
وحقد إسرائيل قد صيَّر جناتِ الوجود مجزره
وامتص تُسْغَ الشجره

رملٌ...، وريحٌ تزفرُ...

وبطن وادٍ ساكن معفّرُ

ينهض في جانبه العطشان بيت الله

وخيمة صغيرة لهاجر... وليس من حياه

لا ظُلَلٌ ندية لا مهدَ أعشابٍ ولا مياه

وصوتها يهتف: إبراهيمٌ!

يا مغدق الحنان والرأفة، إبراهيمٌ

لأين تمضى مسرعاً؟ لأين إبراهيم؟

وفيم قد تركتنا في قلب رمضاءَ هنا نهيم؟

لا حبٌّ، لا شفاهْ

تمنحنا أغنية، تبارك ابتهالنا في خشعة الصلاه

وحولنا وادٍ سحيقٌ مقفر ضيَّعَنا مداه

وليس من شاةٍ هنا فما الذي ستنحرُ؟

وليس من شجيرة تُظِلَّنا وتثمرُ

وليس من سحابة تمنحنا رشاشها وتُمطرُ

ويهتف الصوت الحزين:

أين قد تركتنا؟ وفيم إبراهيم؟

ويختفي خلف التلال شخصُ إبراهيمْ

وهاجر باكية والطفل إسماعيل فوق صدرها يتيمْ

اللهُ أكبرُ

يا صائمون أفطروا

من أينَ يا ربّ لنا بالماءْ؟

جرارنا عطشى وتمتدُّ حوالى جَدْبنا الصحراءْ

شفاهنا من عطشٍ سيناء

ولا سحابَ، لا دموعَ، ربُّ في السماءْ

ويركع الجنود مصروعين في ضبابة الإغماء

عيونُهم تَحرّقٌ يستعرُ

رجاؤهم يُحتضرُ

على الرمال يَضْمُرُ

ويَضمُرُ

ويَضمرُ

الطفل إسماعيلُ يبكي عطشا

لم يبقَ في خدّيه لونٌ وقَمَرْ

وهُدْبُهُ يسحُّ إيقاعَ مطَرْ

وغصن جسمه ذوى وارتعشا

وانكمش الوجه الوضيءُ المُقمرُ

وفي تراب مكّةٍ تبعثر الشعرُ الجميلُ الأشْقَرُ

وقلبُ أمّه الحزينَ برعمٌ مُنْهَصِرُ
ودمعها على مرايا وجهها ينْحدِرُ
تهيم في العراءِ،
تجتاز سهولَ النار في ذهولها وتَعْثرُ
ويكتوي من دمعها المحموم حتى الحَجَرُ

وسبع مرات سعتْ والهةً بين الصفا والمَرْوَه
وتارةً يثُبت جرحاً خدُّها
وتارةً تسقط ولهى في قرار هُوّه
وكبوة، وكبوة، وكبوه
قد تركت عشرين خَطّاً من دمٍ على سنا جبينها
والريحُ صبّتْ هولها، فراغها، عويلها
في حَدْقتي عيونها
تمزّقتْ ثيابها وأغدقتْ
على حواشيها الهُوَى من شوكها وطينها

يا هاجرُ الحزينة اهدأي
ريّانةً هذي الرياح أقبلتْ، تحملُ أحلى نبأ
لطفلك الصارخ في دثاره المهترئْ

تقطُرُ الرياح حباً في شفاه الطفل إسماعيلْ
تلمس خديه بعطر نسمة يليل
وتسكب الحياة والخضرة في كيانه النحيل
وقالت الرياحُ: إسماعيل
فردد البيت العتيق تحت حر الشمس. إسماعيلْ
وانحنت السماء قوساً آزرقاً يلثم إسماعيلْ

الله أكبرُ
ضَجَّ بها المعسكَرُ
يا صائمون انتظروا
إن وراء جدبكم جذرَ حنانٍ سوف يُزْهِرُ
وخلف حَيْرة العطاش كوكبٌ أضاءَ
ورحمة من ربكم تنحدِرُ

الله أكبرُ
يا صائمون ربُّكم قد سمع الدعاءْ
والطائراتُ أقلبتْ تهدر في الفضاءْ
تقذفكم صواعقاً وتُمطرُ
على روابيكم لظى حرائقٍ

نريد أن نغرقكم في بِرَكِ الدماءْ
واللّه في سمائه يقدِّرُ
يدبِّرُ
يمطر فوق صومكم أنداءْ
يسقيكمو من يد أعدائكمو أحلى كؤوس الماءْ
واللّه للمؤمنين ثلجٌ مُنْدَفٌ في لهب الصحراءْ
ووجهه الغامر في شراسة النيران كوثَرُ
وطوق وردٍ أحمرُ
وبلسمٌ وماءْ

ماذا تقول الريحْ؟
ماذا يغمغم الندى المنثور مثل ثلجةِ
على خدود الريحْ؟
يرفرف الهواءُ لاثماً خدود هاجرِ
يشرب من دموعها، يُلْقِي على وجنتها
طراوةً وضوء فجرٍ ماطرِ
وفي مرور عطره نداءْ
يأتي من السماءْ
يَمسحُ بأس الأمّ، يروي قلبها الجريح

يا هاجرُ... الصبيَ إسماعيلُ سوف يرتوى

برحمةٍ من ربّه، وتنطوى

دموعك المحمومة الحزينه

سيدفق الماءُ ويسقى سيلُهُ الغصن الكسير الملتوى

يرطّبُ الماء لإسماعيلَ عينيه،

يديه،

فَمَهُ،

جبينَهُ

يعطيه ياسمينَهْ

يا هاجر الحزينه

وسبعَ مرّاتٍ سعتْ باكيةً بين الصفا والمَرْوَهْ

تحمل فوق خدّها وردة حزنٍ حلوه

ودمعها وحزنها على شفاه الريحْ

تنهيدةٌ وغنوه

يمتصها سمع المدى الجريحْ

وطفلها يصيحْ

اللّه أكبرْ

يا صائمون انتظروا

من أين يا ربِّ لنا بالماءْ؟

من كفِّ اعدائكمو سوف يسيل الماءْ

ويُخْصب الصحراءْ

نيرانهم تخضرّ فى حضن معسكراتكم مشاتلا

وقصفُهم ينبت فى جراحكم سنابلا

يملأ راحاتكمو بالماءْ

يسيلُ ما بين خيامكم

جداولاً جداولا

فيشرب العطشانْ

من مطر الرحمة والحنانْ

ويصعد الأذَانْ

وترشف الصحراء من عذوبة الصيام والقرآنْ

ماذا يقول الطفل إسماعيل؟

عويله فى الريح شاجٍ، مُحْرِق، طويلْ

وهاجر دموعها صلاةْ

وصمتها شفاه

يابسة تصيح: يا ربّاه

من أين يأتي الماءْ

في هذه المفازة الجلباءْ؟

وتهطل الدموع من شواطئ المحاجر السوداءْ

يا رب أعطِ طفليَ الظمآن كأسَ ماء

اسْقِ صغيري، اسق إسماعيل

يوشكُ أن يموتَ يا ربي إسماعيلْ

وسَقَطَتْ مُغْمىً عليها، وانسدال شعرها الطويلْ

فوق الثرى جداولٌ سوداءْ

سنابلٌ يعثرها الهواءْ

ومرّت الريح على حرائق الرمضاءْ

وليس من صوتٍ سوى العويلْ

عويل إسماعيلْ

والله يصغي والسماءُ دمعةٌ تسيلْ

الله أكبرُ

يا صائمون افطروا

نداءُ رحمةٍ طريّ الصوت عذبٌ ملأ الأرجاءْ

وينبش الجنود في الرمال، ما من ماءْ

رباه ما من قطرةٍ من ماءْ
نهار صومنا انقضى، وليلنا قد جاءْ
وحولنا تحترق الصحراء
ووردة الرجاء
يابسة في دمنا
في فمنا،
فما من ارتواءْ
والموتُ يا ربّاهُ يهمي مطراً تصبُّهُ قواذف الأعداءْ

سبحان من قد أنهض السماءْ
من دونما أعمدة، في لا نهاياتٍ من الضياءْ
في غابة من شُرَفِ الكواكب البيضاءْ
سبحان من يسقي تعطّش الأسى، ويسمع الدُّعَاءْ
ويمطر الشفاءْ
على مريضٍ جائعٍ شفاؤه أسطورةٌ على فم الدواءْ

اللّه أكبَرُ
الكون حول الطفل مبهورٌ يكبّر
عطشانُ إسماعيلُ عطشانٌ ولم يعد على العذاب يصبرُ

رجلاه تضربان في حزنٍ ترابَ مكّة بجدبه ومَحْله

وتدفق المياه نشوى عذبة،

من تحت رجله

يسيل جدولٌ بروده مُسْكِر من تحت رجله

وتصرخ الأم: يسيلُ الماءْ

الماء يا ربي، يسيلُ الماء

من تحتِ رجلي ولدي تنبُعُ عينُ ماءْ

وتحملُ الطفلَ تبلُّ الشفتين بَلَّةً بجرعةٍ من ماءْ

تسقيه هاجرُ وضوءٌ من جراح وجهها يسيلْ

وشعرها المسترسلُ الطويلْ

منسدلٌ يخفق حول وجهه الجميلْ

وابتسم الطفلُ! ويا هاجرُ!

صلِّي لمزيجِ الموتِ والظلامْ

قد ارتوى طفلك إسماعيلُ وانجاب ضبابُ دمعه ونامْ

والماءُ يا هاجرُ يهمي زاحفاً ويكثُرُ

ينتشرُ

ينتشرُ

يسقي ترابَ مكّةٍ تيارُهُ المنهمرُ

سبحان من أغدق من سمائه الرحمة والأمانْ
مفتح الورود فى يبوسة الكثبانْ
وساكبُ الشذى نهوراً فى قفار الملح والدخانْ
وهُذب مقلتيك، يا هاجرُ، غيمٌ ممطرُ
من شكره لربه يقطرُ ثم يقطرُ
واللهُ معطى الماءِ عطرُ وغناء مسكرُ
فى شفة الغيم، وليلٌ مقمرُ
يعلم النجوم كيف تَسْهَرُ
ويخبر العيون والأهداب كيف تأسرُ
والوردَ كيف يكبرُ

الله أكبرُ
الله أكبرُ
جنودَ مصر الصائمين!
آه قد آن لكم أن تفطروا
لا يكذب اللهُ ولا يؤخِّرُ
القوا بأمر الله يا يهودْ
قنبلةً ثقيلةً وانشقَّ يا أخدودْ
فى باطن الأرض هنا، ولتنبجس يا ماءْ!

جداولاً تسقي العطاش، انبجِسْ يا ماءْ!
منابعاً غزيرةً تثرثر
بأمر ربِّ الماءْ
لينبثق منكَ شذىً وسُكَّرُ
ما بين خيمات جنود مصر في سيناءْ

ويشرب الجنودْ
يسقيهمو اللهُ رحيقاً نابعاً من شفة البارودْ
تحييهمو قنابل اليهودْ
فيرتوي الأحياءْ
ينبعثون من قرار السُّقْم والاغماءْ
حتى الذي صام وماتَ،...
سوف يصحو موتُهُ ويُفْطر
يذوق طعم الماءْ
يغسله الماء من الدماءْ
فيشكرُ
ويشكرُ
والأرض تستقبله مبسوطة الأحضان بالورود والأشذاء
يزغردُ الموتى له، يرشرشونَ جرحه الدامي

بماء الورد والحنّاءْ

فقبرُهُ وسائد خضراءْ

وموتُهُ حُلْمٌ جميلٌ غارقٌ في اللون والضياءْ

ومن بعيدٍ يرتمي في سمعه نداءٌ

وليس أحلى من صداهُ... ذلك النداءْ

الله أكبر

الله أكبر

وانبجس الماء النميرُ حيثُ عسكروا

ونام طفلُ الضوء إسماعيل، حول وجهه يضوعُ عنبرُ

وأشرق العالم بالضياءْ

سبحان معطي الماءْ

مفجّر الندى من الصحراءْ

ومُنْبِت الزنبق، معطينا نهور الشعر والغناءْ

يا ربٍّ ولتمطر عليَّ من سماكَ الأشطُرُ

والأبحُرُ

ولتسقِ شعري أنتَ يا ممطرُ يا سقّاءْ

يا غازلَ الأشذاءْ

يا من بسُقْياه ورودي تكبُرُ

وأغنياتي تطهرُ

الله أكبر

الله أكبر

٢٦ من ذي الحجة ١٣٩٣هـ

١٩-٤-١٩٧٤م

زنابق صوفيّة للرسول

قصيدة حب للرسول الكريم فى صيغة معاصرة

البحر إغماء لحن حبٍ، البحر زرقه

البحر طفل مسترسل الشعر،

للضحى فوق مقلتيه انكسارةٌ

رقّةٌ

وشهقهْ

البحر تلهو عرائس الماء فى تراميه ألف جوقه

يلبسن غيماً، ينشرن أجنحةً من ضبابْ

عرائس البحر ضيّعتنى

زورق شوقٍ هيمان فى فضّة العُبابْ

وصيّرتنى

فراشة الرغو والسحابْ

وملء روحى وجه حبيبى

تسبيحة عذبة ونجمه

وبرد نسمه

وجه حبيبى أكبر من لا نهاية البحر، من مَدَاهْ

يسدّ أقطاره الزرق

يطوي طيورهُ موجَهُ، رؤاهُ

وجهُ حبيبي: زنابق، اكؤس، مياهُ

وجه حبيبي واللانهايات عالمٌ واحدُ

ليس يُشْطَرُ أو يتجزأ

يا بحر قل: أين ينتهي ذلك الوجه؟

قل أين أنتَ تبدأ؟

وجهٌ بحارٌ أضيع فيها، وينطفي ضوءُ كل مرفأ

ومقلتاهُ

أين ترى تنتهي؟ وفي أيّ نقطةٍ تبدأ البراءه؟

وما حدود الألوانِ فيها؟

وكيف يمتصُّ منهما البحر ليلَهُ؟

كيف يستعير الضحى ضياءَهَ

وجه حبيبي، يا بِرْكة الصحو والوضاءه

وجه حبيبي كسَّرَهُ الموج واقتناهُ

أشعةً، زورقاً، شراعاً

يحضن أفقاً ملوّناً، يرتدي سماءه

وكانَ قلبي، وكان قلبي

يسبح عبر استغراقةِ خصبة المرايا

في موج غيبوبةٍ وتيه، في حلم حبٍّ

مضيَّعٍ في مروج هُدُبِ

يجوب لجَّ البحور بحثاً،

عن لؤلؤٍ ناصعٍ فيه ما في قلب حبيبي

من ألق السرِّ، من عطورٍ، ومن خفايا

من نغمٍ دافىء الهبوبِ

يتمتم النبع فيه وتنساب ريح الجنوب

كنت على البحر أُترع البحر من منايا

وجاءني طائر جميلٌ وحطَّ قربي

وامتصَّ قلبي

صبَّ على لهفتي السكينه

ورشَّ هدبي

براءةً، رقةً، ليونه

وقلتُ يا طائري، يا زبرجدْ

من أين أقبلتَ، أيَّ نجم أعطاك لينَهْ؟

يا نكهة البرتقال، يا عطر ياسمينه

وما اسمك الحلو؟

قال: أحمدْ

وامتلأ الجوُّ من أريج الاسراء،

طعم القرآن،

وامتدّ فوق إغماءة البحر ضوءٌ،

من اسم أحمدْ

وقلت في لهفة أتوسّلُ: أحمد، أحمد!

ناشدتُكَ اللّه، لا تساقط غبار نجم مفتّت،

حُلم عابلة في الدجى يتبدّد

عيناك ليلة قَدْرٍ وريشك شمع ومعبد

وأسمك يا طائري أعذبُ اسم: أحمد، أحمد

أحمد كانت عيناه بحرا

تسقى يباب الوجود كانت تنشر عطرا

تنبت في الصخر مرج شذر وأقحوانٍ

تسيلُ نهرا

من زعفرانٍ

أحمد قد كان يانعاً تنتمى الدوالى إلى جبينه

وفى عيونه

نكهة أرضى، وطعم نهرى، وعطر طينهْ
أحمد قد لاذ بى، ونمى أهداب لحنى
فى ولهٍ راعشِ الحنانِ

أحمد من ضوئه سقانى
أحمد كان البخورَ والشمْعَ فى رمضانى
أحمد كان انبلاجِ فجرٍ، وكان صوفيّةَ الأغانى
وأحمدٌ فى مروج تسبيحةٍ رمانى
كلا جناحَيْه بعثرانى
كلا جناحَيْه لملمانى

من أبَد الضوء جاء أحمدْ
من غابة العطر والعصافير هلَّ أحمد
عبر عطور القرآنِ، عبر الترتيل والصومِ، شَعَّ أحمد
من عمق أعماق ذكرياتى
من سنواتى المختبئاتِ
فى شجر السَّرو، من عطور الخشخاش واللوز
وَجْهُ أحمدْ

يا طائر الفجر،

يا جناح الزنابق البيض،

يا حياتي

يا بعديَ الرابعَ الموسَّدْ

في أغنياتي

يا طلعةَ المشمش المورَّدْ

في زمني، عبر نهر عمري، في كلماتي

أحمد، أحمد!

يا لونُ، يا عمق، يا وجنة السرِّ، يا انفلاتي

من جَسَدي،

من سلاسلي،

من ثلوج ذاتي

من كل أقفال أمنياتي

يا طائر الصمت، والغموض الجميل، يا شمعدانَ معبدْ

أنت المدى والصعودُ،

أنت الجمال والخصب،

أنت أحمد

يا رمضاني، يا سكرةَ الوجد في صلاتي

يا وردتي، يا حصاد عمري، يا كل ماضٍ، يا كلَّ آتي!

ويا جنّاحي نحو سمائي ونحو ربّي

يا قطرةَ اللّه في شفاه الوجود، يا ظُلَّتي، وعشبي

انقر تسابيح صوفيةً من على شفتيا

بعثر قرائين بيضاً وخضراً في صحن قلبي

يا سُبّحاتي،

يا صوم أغنيتي،

ويا سنبلاً طريّا

إني أنا حُرْقة المتصوّف في غسق الفجر

أحمد، أحمد،

هل أنتَ إلا طائر ربّي

يا ثلج صيفي، يا لين سُحْبي

يا ضوء وجه يطلع لي من كل جهاتي:

شرّقي وغربي

ومن شمالي، ومن جنوبي، من كل تعريشة ودرب

يطلع أحمد، يطلع أحمد، وجهاً نبياً

ملفعاً بالغناء والأنجم الشمالية المحيا

أحمد يا صافياً مثل أمطار آذار

يا ثلج أوّل الموسم الرحيم

مثل رفيف الأهداب في أعين النجومِ

أحمد يا شاطيء الأبديّه

عبر سماءِ روحية الصمتِ، ليلكيه

تشرب صوفية الغيومِ

يا لاعباً بالضباب، يا عَطَشَ المجدليّةَ

أحمدُ، أحمدْ

أنا وأنتَ، الطبيعة، البحر... جوّ معبد

شمعة نذرٍ في خاطر المرتقي تتوقّد

والله في حملنا الموردْ

شبّاك مسجد

شبّاك مسجد

أحمد يا نوق مقلتينِ

مضيئتينِ

خاشعتينِ

بالسرِّ والعمق مملوءتينِ

يا وتراً من قيثارة الله، يا وردُ، يا بحّة المؤذّن

يا أثراً للسجود ندّى جبين مؤمن

أنا وأحمد

أنا وأحمد

سكون ليلٍ ورجعُ تسبيحةٍ تتنهَّدْ

يحبّنا البحرُ والهديرُ

تعشقنا موجةٌ وتغازل أغنيتنا

عرائسُ الماء والصخورُ

نحن قرابين في الـمُصَلَّى، نحن نذورُ

أنا وأحمد

نشوة قديسة تتعبّدْ

سطور حبٍّ محوّة خلفَها سطورُ

نهرٌ مديدٌ، ولا عبورُ

أنا وأحمد

يحبّنا الليلُ يسهَرُ

يشتاق أعيننا

وبأسمائنا يتهجَّد

يلثم أقدامنا البحرُ يحملنا في اتجاهٍ

بعد اتجاه،

أوّاه لو أنت أحببتَنَا أنتَ يا إلهي!

ومقلتا أحمدٍ صلاةٌ،

مغفرةٌ،

موعدٌ،

بسملَهْ

جناحهُ يجرف الخوفَ، والحزنَ من حياتي

يُزيحُ أستاريَ المُسْدَلَه

يفتح في عمري كل بوّابة مقفله

يمنحني للوجود شعراً، أذانَ فجرٍ، غيبوبةً، ركعةً، سنُبله

أحمد زنبقة اللّه تقطر فوق صلاتي

تنقط عطراً مذوّباً في تنهداتي

أحمد فوق شواطئ وعيي: فكرٌ، محبّه

والبحر من دون مقلتيه موتٌ وغرْبه

من دونه العمر جرف ليالٍ،

مثل الخطايا، سوداء، رطبه

أحمدُ تَوْبَهْ

أحمد تَوْبَهْ

وطارت الطير في الصباح

طارت جميعاً تلعبُ في الغيم والرياحْ

وتنقر الضوء فوق بحرٍ بلا انتهاءْ

ولم يطر أحمدُ، ظلَّ قربي

وظللتنا سحبٌ مبقّعةٌ بالضياءْ

كنا نغني

للحبِّ، للبحر، للسماءْ

كنا شراعينِ شاردينِ

مضيّعينِ

في غابِ لحنِ

تكسّرتْ في غنائنا الشمس والمرافئ واللانهاية

تكسّرتْ كل ضحكاتنا، كل أشواقنا في مَدَى حكاية

والمدُّ جاءْ

يلثم أقدامنا، يتكسّرُ

أحمد، أحمد،

نحن، أنا، أنتَ والأعالي

ليلٌ وصمتٌ،

والله في روحنا غناءْ

٥ من رمضان ١٣٩٤

٢١-٩-١٩٧٤م

دكان القرائين الصغيرة

فى ضباب الحُلْم طوفتُ مع السارين فى سوق عتيقِ
غارق فى عطر ماء الورد، وامتدّ طريقى
وسع الحُلْم عيونى، رش سكراً فى عروقى
ثملت روحى بأشذاء، التوابلْ
وصناديق العقيق
وبألوان السجاجيد،
بعطر الهيل والحنّاء،
بالآنية الغَرفى الغلائلْ
سرقت روحى المرايا، واستدارت المكاحلْ
كنت نَشْوى، فى ازرقاق الحُلْم أمشى وأسائلْ
أين دكان القرائين الصغيرة؟
اشترى من عنده، فى الحلم، قرآناً جميلاً لحبيبى
يقتنيه لحن حبٍّ،
قمراً فى ليلة ظلماء
خبزاً وخميرهْ
عندما فى الغد يرْحَلْ
عن مطار الأمس والذكرى حبيبى
يتوارى وجهه خلف التواءات الدروبِ

سرتُ في السوق، إذا مر بقربي عابرٌ ما، أتمهل

ثم أسألْ:

سيِّدي، في أي دكان ألقى القرائين الصغيره؟

أيَّ قرآن، سواءٌ أحواشيه حروفٌ ذهبيَّه

أم نقوشٌ فارسيَّه

أيَّ قرآن؟ ... وفي حلمي يقول العابرُ

لحظةً يا أُخت، قرآنكِ في آخر هذا المُنحنى، في (مندلي)

اسألي عن (مندلي)

فهو دكاَّن القرائين الصغيره

ويغيبُ العابرُ،

وجهه في الحُلم لونٌ فاترُ

ثم أمضي في الكرى باحثةً عن (مندلي)

حيث أبتاعُ بما أملك، قرآناً وأهديه حبيبي

حينما يرحلُ عني في غدٍ وجْه حبيبي

وتغطيه المسافات وأبعاد الدروبِ

حيث أبتاع من الدكان قرآناً صغيراً لحبيبي

ثم أهديه له عند الوَدَاعْ

ليخَبيِّ ضوءهَ في صدره برُغْم طيبِ

وليؤديه إليه حرز حبيٍّ، وعصافيري المشوقاتِ، وتلويح ذراعي
واختلاجات شراعي

سرتُ في حلمي في السوق قريره
أسرت روحي السجاجيد الوثيره
وأواني عطر ماء الورد، والكعبة صوره
نعست ألوانها في حضن حانوتٍ
وفي حلمي مضيتُ
في دمي شوقٌ لدكان القرائين الصغيره
وحلمتُ
وحلمتُ
بقرائين كثيرات، وأختار أنا منها وأهدي لحبيبي
في صباح الغد قرآناً، ويؤويه حبيبي
صدرهُ تعويذةً تدرأ عنه الليلَ، والسعلاة في أسفارهِ
تزرع اسم الله في رحلته، تسقيه من أسرارهِ

كان كل النّاس لي يبتسمون
وعلى لهفة أشواق سؤالي ينحنونْ
زرعوا حلمي ورودا
وسّعوا السوق زوايا وحدودا

كلهم كانوا يشيرون إلى بعض مكانٍ غامضٍ، إذْ يعبرونْ
يهمسون:
اسألي عن (مندلي)
ابحثي عن (مندلي)
دكّةٌ في آخر السوق وتلقين القرائين الصَّغيره
أطعموا قلبي من نكهة كتبٍ عنبريّاتٍ كثيره
بينها ألقى عصافيري، القرائين الصغيره
حيث أختارُ وأهدي لحبيبي
واحداً يحميه في ليل الدروبِ
ووشاياتِ المغيبِ
واحداً يحمله في الطّائره
باقةٌ من زنبق اللّه، وسُحبًا مَاطرهْ

سرت طول اللّيل في حلمي ولكن أين ألقى (مندلي)؟
شعّبَ السوق حناياه، ترامى، وتَمددْ
صار عشرين دروباً وزوايا
وفروعاً، خَبايا
وتعدّدْ
وتعدّدْ
حيرتي أبصرتها طالعة في قعر آلاف المرايا

فتذخني الامتدادات، وممشى الحنانا
وأنا أشرب كوباً فارغاً، والسوق مُجهَدْ
تحت خطوى، ودمي يلهث شوقا
وأنا أعطش في أرض الرؤى، اذرعها غرباً وشرقا
لست أُسْقَى، لست أسْقَى
ضاع منى (مندلى)
ضاع، لا القرآن، لا الأشذاء لى
ما الذى بعد عطورى، وقرانيني تبقّى؟

مرّ بى فى سوق حلمي ألفُ عابرْ
كلهم قالوا: وراء المنحنى التاسع بحيا (مندلِى)
حيث قرآني الحريريّ وعطرى المتناثر
حيث ألقى (مندلى)
مندلى يا أنهراً من عَسَلِ
يا ندىً منتشراً فوقَ بيادرْ
يا شظايا قمرٍ مغتسلِ
فى دموعى، يا أزاهيرَ من الياقوتِ نامت فى غَدائرْ
يا هتافات أذان الفجر من فوق منائرْ
مندلى، يا مندلى
اسمه فوق الشّفاهْ

ظلّة غامضةُ اللّون، وشمعٌ، وتراتيلُ صلاهْ
وزروعُ ومياهْ
وأنا مأخوذة الأشواق أدعوه ولكن لا أراهْ
وأنا من دون قرآن حبيبي
ومع الفجر سيرحلْ
في انبلاج الغسق القاني حبيبي
وشفاهي صلواتٌ تترسَّل
وعناقيد دموعٍ تتهدَّلْ
انبثق يا عطش السوق انبثق يا مندلي
يا قرائين حبيبي
يا ارتعاش السُنبُل
في حقول الحلم في ليلي العَصيب

أين مني مندلي؟ والبائع المصروعِ من عطر القرائينُ؟
ذاهلاً مستغرقاً في حلُمِ؟
ضائعاً هيمان مأخوذاً بأفقٍ مبهم
يتشاجى، وجدهُ سُكرٌ وتلوين
صاعداً من ولَه في عالمٍ من عنبرٍ مضطرم
تائهاً من شوقه عَبْرَ بساتين
عطشات النخل، والقرآن في تموزّها أمطار تشرينْ

مندلي يا ظمأي يا جرح سكّينْ

في خدودٍ وشرايينْ

وطريقي نحو دكّان القراثين الصغيره

فيه أورادٌ لها عطر عجيبُ

كل من ذاق شذاهَا تائهٌ،

منسرق الروح،

شريدٌ

لا يؤوبُ

مندلي يا حقل نسرينْ

ذقتُ أسرارَكَ واستبعدتُ كوبي.

لم أعد أعرف فجري من غروبي

وتواجدْتُ وضيّعتُ دروبي

وتشوقت لقرآنٍ، على رفّكَ غافٍ،

أشتريه لحبيبي

وسَمعت العابرينْ

يصفون المخزن المنشود، تسري فيه أصداءْ

وتلاوين، وموسيقى، وأضواءْ

تصرع السامع صرعاً باختلاجات حنينْ

وشموعٍ ودوالي ياسمينْ

آه لو أني وصلتُ

آه حتى لو تمزّقْتُ

تبعثرتُ

اكتويتُ

لو تذوقت العطور الساريات

حول دكان القرائين الصغيره

آه لو أمسكت في كفي قرآناً، كلوري حنون القسماتِ

واحداً في ألف قرآن، حواليه ضبابٍ

وشذي وردٍ

وموسيقى مثيره

ليس يقوى قطّ إنسان بأن يصغي إليها

يسقط الصاحي صريعاً، غير واعٍ، ضائعاً في شاطئيها

آه لو أني أطبقت عليه شفتيا

هو قرآن حبيبي

آه لو لامست ريّاهُ بأطراف يديّا

هو وردي، وامتلائي، ونضوبي

والنشيد المحرق المخبوء في قعر دمي، في مقلتّيا

وانتهى السوق، وفي حلمي يئستُ

وعلى دكة آمالي الطعينات جلستُ

وانتحبتُ

لم يعد في السوق من ركنٍ قصيٍّ

لم أقلّبْهُ، وتاهت (مندلي)

غرقت في عمق بحرٍ من ضبابٍ سندسيٍّ

واختفت في ظل غاباتٍ سكونٍ أبديٍّ

لم يَدع يأسي حتى سحبة القوسِ على الأوتار لي

ضاع حتى الظلّ مني، وتبقت لي رؤىً من طللِ

أين أبوابك يا ترتيلتي يا مندلي؟

يا عطور الهيلِ والقرآن يا وجه نبيٍّ

يا شراعاً أبيضًا تحت مساءٍ عنبيٍّ

وإذن، ماذا سأهدي لحبيبي

في غدٍ حين يسافر؟

فرغت كفي من القرآن، غاضتْ في صحارايَ المعاصرِ

وخوى خدايَ إلا من غلالات شحوبي

وحبيبي سيغادرْ

دون قرآنٍ هديَّه

غضة تلمس خديه كما يلمس عصفورٌ مُهَاجر

جبهة الأفق برشَّات غناء عسيلهْ

وحبيبي سَيُسافر

خاويَ الكفِّ من القرآن، من عطر البَيَادر

وحكايات المَنَائر

وأنا أبقى شجيَّه

كظهيرات من الحزن عرايا، غيهبيَةْ

ضاع قرآني، وضاعت مندلي

واختفى وجه حبيبي

خلف غيمٍ مُسدَلِ

وامتدادات سهوبٍ وسهوبِ

فوداعا يا قرائيني، وداعا مندلي

وإلى أن نتلاقى يا حبيبي

وإلى أن نتلاقى يا حبيبي

٨ من جمادي الآخر ١٣٩٤هـ

٢٨-٦-١٩٧٤م

مرايا الشمس .

أهدي إلى عبدالهادي خريطة لفلسطين

نامي على أهداب عيني يا خريطتها

ورفّي في دمائي

إني نذرتُ لكي اكسّر قيدها زمني،

نزيف دمي،

غنائي

آفاقها سأخطها بالورد،

أغرس عند (بيت المقدس) الدامي قرنفلةً كبيره

وأحيلها في عرض بحرٍ من زهور الماء والدفلي جزيره

واشكّ عند حدود (عكا) زنبقه

حرّي الغلالة، مغدقه

و(اللدّ) أنفحها برقّة وردةٍ جوريّه

حمراء غذّتها دماء شهيدةٍ عربيّه

و(جنين) أعطيها شقائق غضّة شفقيه

ول (غزّة) أختار سوسنةً نضيره

ولـ(كفر قاسم) ألف ليلكة أبعثرها وأجدلها ظفيره

وعلى مشارف أرض (بيسانٍ) سأزرع ياسمينه

وبنفسجات عند (حيفا) عند (يافا)

عند (نابلسَ) الطعينه

ولدى مدينة (طولكوم) نرجسه

أصحى بها ذكرى أضاحِ كالمرايا مُشْمسه

أهداب عيني يا خريطتها، هنا، نامي عليْها

إنني ما بين بيّاراتها الثكلى سجينه

امطرتها ورداً، وعاشت خلف أسوار انفعالاتي

مدائنها الجميلات الحزينه

حتى زرعتُ فؤاديَ الخابي الشموع

على خريطتها مدينه

لا لا، دعي الأزهار ياكفّي، خريطتها سأنقطها بدمعي

سأخط بالعبرات كل حدود (ناصرتي)

وبالشهقات أبني (بئر سبعي)

سأحيط أسوار (الجليل) بخضرةٍ ريّانةٍ

تنثال من ألمي ورفضي

وسأمنح (اللطرون) عصف رياح أحزاني، أسيّجها بنبضي

والطفلة السمراء (رام الله) أرقدها على مهدٍ

يرطّبُ حرّه ثلج الدموع

والحزن حول غطائه الوردي أشرعةٌ،

مواويلٌ،

شموع

وسأزرع القلب الكئيب شجيرةً،

قمراً يُضويءُ في دجاهُ كل أرضِي

فمن الشمال إلى الجنوبِ قرىً معمّسة بدمعي

وورود أحزاني تعشّش في مدائنها

تعطّر كل زاوية وضلعِ

وبأدمعي حنّدتُ أرصفة الشوارع في (الخليل)

ورشفتُ من حزني جراراً من عبير

وارتويتُ من العويلْ

لا لا، برئتُ من الحدود الدامعه

وجزعتُ أن ترنو إليَّ خريطتي من هذه المُدُن الحَزَانَى

إني سأشعل في رباها ثورةً

غضباً

دخانا

ولدى القُرَى السود العيون الضارعه

سأقيم من وهج القنابل مهرجانا

ويضوع عطر الموت، يسكر من تموّجه عدانا

لا وردىَ البَضِ الملوّن سوف يشفى وخزة الذكرى

ولا عبراتى الحَرَّى الغزارْ

لا بل أسوّر بالخناجر والمُدَى تلك الديارْ

وأنيمها فى غابة مسنونة الأشجارْ

تجرح بالسكاكينّ الحداد اللاسعه

بالعنف تنتزع المروج الضائعه

سأطير، أغرس خنجراً فى باب (عكّا)

وأقيم حول (القُدس) أرصفة الصواعق

أزرع الأسوار شوكا

وأدكّ (تلَّ أبيب) دكّا

سأحيط (غزة) بالقذائف، سوف أبذر

حول (يافا) حقل ألغامٍ ونارْ

فى الليل أشعله حرائق جُلَّنارْ

وسأفرش المدن الوديعة بالصواريخ المُحبّة والمدافع

الله أكبر يا عرائش!

يا قناطرُ!

يا شوارعْ

إنى سأبذر فيك أسلحتى وانتظر الحصادْ

وسأوقظ الربَوَات فيك على براكين التحدّى والعنادْ

قسماً وأرفض أن أبلل أغنياتى بالمدامعْ

ووضعتُ بين يديَّ خارطتي، رأيت ربًى مدائنها خواءْ
مخذولة الطُرُقات، يزرع صمتَها اللاشيءُ، يسكنها الهواءْ
ليلاتها عدمٌ، ظهيرتها ذبولْ
يمتصّني، يُقصي خطايَ، ودون بيّاراتها الظمأى يحولْ
ويحيل خارطتي نُثاراً من طلولْ
أحجارُها لا نبض فيها، لا عروق، ولا دماءْ
حتى لهيبي يستحيلُ إلى انطفاءْ
وحرثتُ صخراً، لم أجد في الصخر زنبقة انتصاري
وجبينُ فجري ضاع مني، والضباب دنا وأسدل ستْرهُ
غطّى نهاري
ومضغتُ أشواك اندحاري

ساحاتها دوني مقفلة، يعزّ إلى مشارفها الوصولْ
كيف الوصول؟
والليل يفصلنا وتجرفنا السيولْ
تتساقط الأحلام ميتةً، وتنكسر الحلولْ
وتخونني الأيام
تسقط من خلال أصابعي حتى الفصولْ
وشعرتُ أنّي قد بعدتُ، بعدتُ واحتجب اللقاءْ
يبست عناقيد الرجاءْ

وتعلّدت بيني وبين تلالها مُدُنُ البكاءْ

وعرفت سرَّ البعد، سرَّ التيه، إني قد نسيْتْ

أنْ أنقش اسم الله فوق صخورها

وحرمتُها من ضوئه، من دفئه،

عذراً لعطر ترابها، وورودها، ونهورها

أفرغتُها من سرِّ قوتّها، رضيتْ

لربوعها الفقر الحزينَ، منحتُها الجدبَ المميتْ

كلا سأرجع للخريطة،

أنثر القرآن أجنحةً على كل المزارع

حتى أرى اسم الله محفوراً على شجراتها

مستودعاً في قلب تعريشاتها

متألقاً في ذبذبات حنين أغنياتها

حتى أرى اسم الله أنداءً وخضره

وشذىً ووفْرَهْ

في كلِّ بياراتها

إني سأكسر قيد خارطتي بأسلحتي جميعا

وردي،

ودمعي،

والسكاكين الحدادِ،

وذكر ربّي

ستشق لي وَمَضاتُها درباً سريعا

حتى أراني في فلسطيني:

نجومٌ ملء دربي

وشموعُ ميلاد، وصحوٌ خلف هُدْبي

أمشي أحرِّرُ باسْم ربي، بالسلاحْ

بالورد، بالدمع المضيء، مدائن الدم والجراحْ

حتى تتاح لنا، لها، لشتات أهليها معانقة الصباحْ

وتعود خارطتي الحبيبة،

ملك قلبي

تحت هدبي

لا يجوبُ سفوحَهَا غيري أنا،

غير الأغاني، والعروبة، والرياحْ

وأحسّ خارطتي ترفرف كوكباً، في لا نهايات المدى النائي

وينْبُتُ لي جنّاحْ

٤ من محرم ١٣٩٤هـ

٢٧-١-١٩٧٤م

ميلاد نهر البنفسج

مليكي على كلماتي انبتْ جناحا

ورُشَّ على أغنياتي صباحا

واسرج رياحا

ترفرق في اللانهايات لحنَكَ أعلى وأعلى

وهبني ما هو أحلى

سنا ومضةٍ من بريق جبينكْ

ودعني أرى كيف تَنْبُتُ تحت عيونكْ

مراعٍ جديده

ودفقاتُ عطرٍ جديده

وغابات ظلٍّ وحبٍّ جديده

ودعني أرى كيف يتمُّ انبلاج القصيده

وكيف تهلُّ خُطَاها الوليده

يحاول لحني أن يتدفق بين يديك

مليكي فتخبو بروقي لديك

ويبهرني وجهكَ الملكيُّ

ويُصمتُ شدوي انغلاقٌ وعيٌّ

ويفلت منى لجام القصيده
فواصلها تتمطّى دوائرْ
وأوتادها اللولبية تهرب، تيبس بين يديّ المحابر
وأشطرها تتراكض شاردةً فى الشعاب المديده
تضيع القصيده

تطير القوافى بعيداً وتنثر عبر الدُجَى شعرها المُهْملا
وتضحك منى، تطفر، ترفض أن تنزلا
مقاطعُها تتراقص عبر المدى حُلُماً مذهلا
وتقتطف الريح من هدبها سُنْبلا
وتدفق- دونى... أشطرها جدولا
وحين ألامسها تتبددْ
فراشاتها فى أصابع كفّى تخمد، تخمدْ
سنابلها تتجمّدْ
وأعجز عن أن أنال القصيده
أحاول أن أتصيّد شطرا
وأمسك بحرا
وأرتدُّ تُفْلتُ منى القوافى عرايا، بديده
وأشعر أن الدُجى يتمزّقُ حزناً علىَّ

وأنّ كواكبَهُ تتنهّدْ

وتنهشني حَسراتٌ جديده

وعبر الدُّجى أتحرّق، أذوي أسىً أتبدّدْ

وأعجز عن أن ألمَّ ورود القصيده

وأبقى مبعثرةً في الظلام شريده

يشاغلني ضوؤك الملكيُّ، تزوغ المقاطعْ

أهيمُ مضيّعةً في شعاب القصيدة، عبر شوارعْ

وأضرب في سككٍ ومزارعْ

تفاصيل وجهك مختومةٌ بالضبابْ

وروحي مختومةٌ بالمدامعْ

محجبَةٌ في سواد براقعْ

وقلبي اغترابْ

وبيني وبينك ينسدل الليلُ في ألف سترٍ وبابْ

ويحجبني عنك ألف حجابْ

وتبقى القصيدةُ سورَ مدينه

ملثمة بحصونٍ حزينه

وتبقى القصيدة أسئلةً وصداها

وليس لها من جوابْ

وأهمس: اللّه أكبرْ

ويثمر غصن السكون، ووجه الدُجَى يتغَيرْ

ويمطر نجمٌ،

وفي شفتي يتفتّقُ بيدرْ

ووجه القصيدة يقبل مشتعلاً، يتكسرْ

شعاعاً، شعاعاً، يرطب روحي

ويلثم كلَّ جروحي

ويغرسني وردةً فوق مجدلةٍ من سفوحي

أذن هكذا؟ حين أهمس باسمك

يُفتح كنز المعاني الوليده

وتنمو على شفتيَّ القصيده

خطاها الوئيده

حفيف رياح بعيده

مليكي، وأنتَ القصيده

وأنت جمالُ القصيده

ومن ضوء وجهك يطلع فجر القوافي العنيده

كلؤلؤةٍ في الظلام فريده

وتُولد عندي القصيده

كمولدِ ينوس من زَبَدِ البحر طافية مثل ورده

جدائلها أشطرٌ عائمات

وأهدابُها من حروف ومن كلماتْ

يوسّدها الليلُ أهدابَهُ، وهواهُ، وسُهْدَهْ

ويمنحها زَبَدُ البحر خدَّهْ

يرقرق في وزنها شَفَقاً وثلوجاً وزُبْدَهْ

ويطعم أبياتَها من بريق اللآلي

يصوغ اليواقيت قافيتينْ

يبعثر قوسَ سحابٍ، يقيم دواليْ

ويسكب برد الليالي

وزرقة أمواجه في مَدَى مقطعينْ

ويبعث انشودتي عذبة الحبر بحريّة الشفتينْ

مضمّخةً بشذى البرتقالِ

وتولد عندي القصيده

أراجيح رؤياً، ودنياً جديده

بقطّرها الله ينثر أشطرها العسليّه

ويُغْدقها نجمة تتوهجْ

ونهر بنفسج

وتعريشةٌ من مشاعر زُرْقٍ خفيّه

وتبزغ في الضوء أغلى هديّه

وأحلى،

أرقَّ،

أحبَّ صبيّه!

في ١١ من صفر ١٣٩٤هـ

٥-٣-١٩٧٤م.

سنابل النار

ذات شتاء أثمرت النار، فاشتعل الحبّ ثلاث دوائر، وأصفرت معه النار، ثم أحمرت ثم صارت بيضاء تحرق عيني من يحدق فيها.

أرقصي في الموقد الشتويّ يا نارْ

فهُدْبُ الليل يثمر أدمعاً، والبرد بتّارْ

على روحي تهبّ عواصفٌ رعناءْ

وفي قلبي ينام شتاءْ

وفوق غصون أهدابي السّهاريَ تسقط الأمطارْ

ويلطم فكرتي الإعصارْ

وتطرق باب ذاكرتي، عيونٌ،

أوجهٌ،

أخبارْ

من الماضي وتصرعني همومٌ رطبةٌ ثلجية الأستارْ

تقلّبني جبالُ خواطرٍ وبحارْ

تدبَ النار مُشْعلةً ثلوجَ دمي

يلامس دفؤها نَغَمي

بريق لهيبها صيفاً على عودي، ويُصحي غفوة الأوتارْ
ويحملني جناح النارْ
لكل دوائر الحبِّ
ثلاثتها، وينّبت لي على قلبي
جناحين، من الحُلْم، من التذكارْ
ولولا النار ما كانت ثمار الحبّ لولا النارْ
عرفت توهج الأهواء حول لهيبها، فعواطفي أغوارْ
تضيّعني مسالكها الخرافيّة
وتحملني الى دنيا مضيّعة، ضبابيّةْ
لها أعمدةٌ، أقبيةٌ، أسوارْ
من النيران تبدأ رحلتي
تنشقُّ لي طرق
وتختطف روحي الأسفارْ
ففي أغصاني النشوى يكاد يسيلُ نُسْغُ النارْ
وورد الحبّ والأشعار
هو الأثمارْ
وكل هوىً أحسُّ به
له يا ليلُ دائرةٌ
ولونٌ في لهيب النارْ
وتعكس لي حقيقتَهُ مرايا النارْ

هواى الأول الحسّيُّ، دائرتى الصغيره

حبّ إنسان من الناسْ

هواه كوكبٌ فى مقلتى، فى شَعَرى طوقٌ من الآس

وبسمته حقول شذىً، وترنيمة أجراسْ

يحلّينى، يزخرفنى، يتوّجنى

على مملكة الوهمِ

وفى أروقة الحُلْمِ... أميره

يصغّرنى، يحولّنى

إلى شفةٍ ملوّنة، إلى تنورةٍ والى ظفيره

حبّه صيفٌ من الورد يغنى فى دمائى

وجهُهُ عصفورةٌ تائهةٌ عبر سمائى

واسمه سنبلةٌ فى شفتيا

ريّشتنى فتحت قلبى شبابيك ضياءٍ

وأحالت عُمُرى بستانَ برسيمٍ ثريّا

صيّرتْ أغنيتى زهرةَ ماء

قذفتْ كلَّ نجوم الليلِ فى قعر إنائى

جسّمتْ ألسنة النيران لي شخص حبيبي

أطلعتْ لي وجههُ من شفق الذكرى

سماءٌ في غلالات غروبِ

وجههُ أم زهرةٌ حمراءُ؟ أم وهج ضياءِ؟

وفؤادي أم جناحا طائر يسبح في ريح الجنوبِ؟

وجههُ أم وردة النار وعنقود شررْ

وتراتيل الهوى الأرضيّ في روحي أم مَدُّ صورْ؟

وبحارٌ في دمي أم أشرعه؟

أم مواويلٌ وتيارات شوق مترعه؟

وصبابات وأهواء أُخَرْ؟

وادكارات لقاء في جفوني؟ أم تهاويل سَهَرْ؟

وشظايا لهبٍ أم مزرعه؟

أم فمٌ يبسمُ أم عطر مَطَر؟

أم مشاوير فصولٍ أربعه؟

تلعب الأهواء بي يا نار، إني وردةٌ في المرج صفراءْ

تؤججها أعاصيرٌ وأنواءْ

وتقذفها على صخرٍ يمزّقها

ويحرقها

ويمنحها شعوراً أنها تمرح في ظلٍّ وفي ماءْ

وتُسْقَى العطر في حمَام أشذاءْ

تغيّر موقد النارِ

مع الإحساس في قلبي، تبدل موقد النار

أصابت نارَهُ صفره

بلون الشكّ والأهواء والغيره

بلون تعطشي وجموح أفكاري

وما في الحبّ من شوق، ومن صمت، ومن حَيْرَهْ

مؤرجحة كأني قشّةٌ في حضن إعصارِ

مضيّعة بوديان الهوى الخَطْره

وألبس معطف النارِ

وأغنيتي تضيع طريقها في الليلْ

يرنّحها الهوى والسيلْ

وقد تسقط في لجّة أفكارِ

وقد تأسرها نظره

ومثلُ الحبّ، هذي النار، ألسنةٌ مراوغةٌ فلا تُلْمسْ

غمائمُ من لهيبٍ سائلٍ، زورقُ شوقٍ أصفر الصاري

ونهرٌ ثائر الأمواج مجنون فلا يُحْبَسْ

وزوبعةٌ تضج وحزّ منشارِ

فيا ناريَ، يا ناري

غرامي الجامح الأرضيّ يشبه وجهَكِ الأصفر

فلمْسُ كليهما دفءٌ

وطعم كليهما سكَّرْ

وقبلاتهما تجرح كالخنجر

-٢-

ويا ناريَ في لجة هذا الموقد الأصفر يا ناري اصهريني

طهّريني وارفعيني

إنني انفقتُ في حبي الترابيّ سنيني

فإلى الدائرة الثانية الوسطى انقليني

وابعثيني

في الدُجَى قبرَةً لاثغةً تهفو لبيّارات يافا وجنينِ

إن حبَّ الأرض أطهرْ

من هوىً مرّغَ إحساسي في الطين وعفّرْ

في ثرى الأهواء والحمّى جبيني

إنّ حب الأرض غاباتٌ، وقرميدٌ، وقمحُ،

حبّها شرفة مرْمَرْ

حبّها يغسل شكي في بحيرات يقينِ

حبّها يزرعني زورق شذرٍ سابحاً في نهر كوثرْ

إن حبَّ الأرض تشكيلة موسيقىً ولينِ

نهرُ إيقاعٍ، وأجراسُ حنينِ

وأنا في مرجها عصفور بيدرْ

حفنةٌ من رملها نجمة فجرِ

حُلُمٌ

سلّة عنبرْ

فصداها يتكّسرْ

في صلاتي، في غنائي، في سكوني

في ابتهالاتِ حنيني

ورؤاها تتدثرْ

بين أهداب عيوني

ذكرياتٍ، ومواويلَ، وتاريخاً بَرُودَ الظلّ أخضرْ

أتذكرّ

أتذكرّ

كل أمجاد القرونِ

كل زيتوني، وبيارات أحبابي، وطيني

كل حقلٍ في ثراها

مرّة أعطى وجوهاً ومواعيد وأثمر

كل عطرٍ ونسيمٍ غمر المرج وأسكرْ

كلّ نجمٍ منَ أعالي أفقه النائي تحدّرْ

يحضر العيدَ ويَسْهَرْ

أنا في حب فلسطيني أعيش العمر عمرينْ

وأسبح في مدارينْ

وترقص لي عرائس ماء بحرينْ

هواي لها يغيّر جوهر النارِ

تبدل موقد النارِ

وصار اللهبُ الأصفر جمراً قانيَ الحمره

له حجمٌ، له شكلٌ، وخلف أجيجه فكره

إذا ما شئت ألمسه بكفيّا

أوزّعه هنا وهنا وأنثُرُهُ

أللمه، أبعثرُه

هنا جمره

هنا جمره

هنا جمره

وتشرب دفئهُ أهدابُ عينيا

وآخذُهُ ارتواءَ دمي المشوق، ودفء أشعاري

وشمعي وتسابيحي ومشواري

وحمرة ذلك الجمرِ

دمٌ يجري

بلون الغضب النازف من جرح فلسطينِ

وحمرة ذلك الجمرِ

ورودٌ قانيات من حدائق دير ياسينِ

مغمّسة الشّذى في جرح مطعونِ

وحمرة ذلك الجمرِ

كمثل سهولنا الدامية الخَضِرِ

ومثل حقولنا المحلولة الشّعَرِ

يرويها دم الشهداء في رحلة إصرارِ

إلى أودية الثأر

إلى أودية الثأر

إلى مستقبلٍ يفتح للدارِ

شبابيكاً تطلَ على امتداد مروج أقمارِ

ويقصم عوسج العارِ

ويا نارُ اهدميني

ثم صوغيني كياناً ثانياً، وابني جبيني

واملأى من ألق الضوء شفاهي وعيوني

طهّريني واغسليني

واحمليني عبر آماد الدياجير احمليني

وإلى دائرتي الثالثة العليا انقليني

إنني أصعد بالنار إلى ذروة آفاق حنيني

إنني أنبذ شكيّ وظنوني

وإلى الشمس، إلى أعلى الذُرَى،

يمتدّ جذعي وغصوني

حيث ألقى في المدى وجه مليكي

كبياض الثلج

كالأنجم

كالفعلَ ألاقيه مليكي

في طريقي ينثر الحبَّ ثرياتٍ،

شواطئ لا نهايات، ويرمي لي شموسا

ومجراتٍ من الضوءِ،

نهوراً عذبة الدفء، تُصفّى وتُنقّى

وسماوات بلا عدّ

وأودية من الألوان والورد،

أفسَحُ في جنائنها وأُسْقَى

ثم أُسْقَى

من رحيق الأنجم الصيفية الطعم كؤوساً وكؤوسا

حبُّهُ، حبّ مليكي، رحلةٌ في اللانهايه

وجهه يستغرق الكون، ومن آفاقه تبدأ لي كل بدايه

حبُّهُ إغماءةٌ، قمريةٌ تلثغ، رايه

حبّه لي قمرٌ، ليلكة خضلى، سماءُ

ومقاصيرٌ وأعنابٌ، وأوتارٌ، وماءُ

حبُّهُ خضرة مرجٍ سافرت عبر سماواتٍ واكوانْ

حواشي الأفق منْ روعتها لوحة فنّانْ

وصوتُ حفيفها عطرٌ وقرآنْ

ومن فتنتها أسبح في أعراس ألوانْ

وحبّ مليكي المحبوب غيرّ جوهر النارْ

تبدّلَ موقدي وامتلأت شعلتُهُ من عطر أزهارْ

وذابت في نقاوته من المجهول أسرارْ

وصارت نارُهُ بيضاء كالبرقِ

ويا ويل الذي يُلقي

عليها نظرةً: يَعْشَى

تعود جفونه حرقاً وسُحُبَ دخانْ

بياضٌ باهر الأمواج ليس تُطيق وهج صباحه عينانْ

وبرقٌ يصعق الإنسانْ

وضوءٌ يستبيح العينَ، يُلْهبها ولا يُبقي

لها بصراً ويسقي الروحَ ما يسقي

شعاع النار مدٌّ ساطع الألوان

عَفا في لجّه أبَدٌ، ونام زمانْ

أصابعهُ مَضت تلمُسني

تُسقط عن ظهريَ ثقل سلاسل الرقِّ

بياض النار يبهرني

ويأسرني

فأخرج من كياني ينطوي زَمَني

وأصعد دونما قيدٍ يقيّدُني

وأرقى في الأعالي دونما بَدَنِ

هنا وطني

هنا وطني

هوى ملكي يلملم كل أشتاتي ويجمعني

ويرفعني

إلى أحلى

إلى أغلى

إلى أعلى وراء مدى لهيب النارْ

أغيب أغيبُ لا أبصر حتى النارْ

ولا أتذكّر الأشعارْ

أخوّض في بريق نهارْ

ويهبط حول وعيي، حول إحساسي بياضُ ستارْ

وانقد عالمي، نفسي، شعوري

عبر غابات من الأقمارْ

وتخبو، لا أراها

تنطوي، تذوي، تغيب النارْ

١٧ من محرم ١٣٩٤هـ

٩-٢-١٩٧٤م

السماء على غابة الصبيّرْ

الحب والعذاب أقبلا

تبسما في ولهٍ عَذْبٍ، وذابا خجلا

يداً بيدْ

خداً لخدْ

الحب والعذاب في فناء قلبي نزلا

طفلين قادمين من مجاهل الأبدْ

يوزعان في الصباح أدمعا وقُبَلا

وهدب مقلتيهما أمسٌ وغَدْ

وعطرُ موجةٍ ومَدْ

الحب قال لي: صباح الخير

فقلت للحب: صباحي أغنياتٌ

ضفّتا نهر،

سماءٌ،

طيرٌ!

وقال لي العذاب محزونا: مساء الخيرْ

فقلت للعذاب: قلبي قُبّراتٌ رحلتْ
وأغنياتٌ هطلتْ
وغابةٌ يسكنها الطحلب والصبيرْ

والحب والعذابُ قالا لي: خذبنا نحن توأمان
جرحان ضائعانْ
أو وترا كمان
فضمدينا بالأغاني، دثرينا بالقُبَلْ
وأسكنينا الأبد الضائع في صمت المُقَلْ
والحب والعذاب قالا لي:
أحبينا فنحن هنا عصفورانْ
من غابة الضياء والأحزانْ
نحن شراعا مركبٍ مضيّعٍ، ونحن ميلاد حياةٍ وطلَلْ
الأمل الطريُّ في أكفنا أكفانْ
والحزن تفاحٌ وجرحنا عَسَلْ
والشعر في شفاهنا نهرانْ
عذوبة الملاك فينا، ولنا شراسة الشيطانْ
ونحن قبرٌ وصباحٌ، مرثياتٌ وغَزَلْ
ووجهنا تموز تارةً،

وتارةً نيسانْ!

الحب والعذاب سَجّانانْ

سجنهما حولي جنتانْ

سلاسلي أساور وطوقُ وردٍ أحمرِ

وباب سجني شرفةٌ مُطلّةٌ على دُنًى وأعصرِ

والحب والعذاب ريّا مطرِ

سكران من عطرهما المكانْ

والحب والعذاب ترتيلٌ، وموج أبحرِ

وظل سنديانْ

وبسمةٌ في أعيُنٍ حزينة، وآيتاقرآنْ

والحب والعذابُ شباكانْ

وخضرتا بستانْ!

الحب والعذاب أمواجٌ وزورقانِ

في نَهَرٍ ناءٍ بلا شطآنِ

هما تواريخي، وميلادي، وعمري الثاني

وعطر أيامي ومهرجاني

وجهاهما الحلوانِ رحّلاني

إلى بلاد الشعر والأغاني

والحب والعذاب شتّانى

في غُرَفِ الرياح أسكنانى

وفى دروب الجرح والدموع ضيعانى

للحزنِ أسلمانى

لأغنياتٍ رطبةٍ عارية الجدرانِ

يسكن في أحرفها الشتاءْ

وتصخب الرياح والأنواءْ

الحب والعذاب دفترانِ

أرسم في صمتهما أحزانى

والحب والعذابْ

زنزانةٌ ليس لها مِنْ بابْ

وصفحتا كتابْ

ممحوّتانِ

والحب والعذاب دمعتانِ

ووردتانِ

الحب والعذاب قد باعانى

وعودى اشترانى

قطرني قصيدة افتتانِ

صيرني هنيهةٌ في عمر الأغاني

وكوكباً مجرحاً أرساني

أشعلني ترتيلةٌ وجرح شمعدانِ

يا وجهَهُ،

يا رحلتي،

يا عَتمة الطريقْ

يا نجمة فوق جبيني يا شراع جفني الغريقْ

يا شفق الجرح، ويا ضبابة البريقْ

ملاكي الحارس؟ أم شيطاني؟

يا وجهه النائي عدوّ أنت أم صديقْ؟

تورقٌ في كياني

موتاً، ونهراً مُشْمس الرحيقْ

يا غَسَقي، يا نكهة الرمانِ

يا جُرْحَي الوريقْ

تسلمُ يا صومعة الأغاني

في ٨ من صفر ١٣٩٤هـ

١٩٧٤ ٣ ٢

تمتمات في ساحة الإعدام

تحت قرار الإعدام في الساحة اجتمعنا
إثنين عيناهما بركتا أنجمٍ ودوالِ
وشمس حزنٍ تشرب من جرح برتقالِ
تسأل ماذا نحن أضعنا
بالموت، والحبّ، والعيون الغرقى الأسيره
نحن ارتفعنا
نحن مع البرق قد نصعنا
ومن حليب الفداء والشمس قد رضعنا
نحن حرثنا، نحن زرعنا
سنابل الموت، واتخذنا الأسى خميره
لخبزنا، والسهاد في دمعنا جزيره
وفي مزاد الرياح بعنا
خضرة أعمارنا، واشترينا ركام أحزاننا الصغيره
ونحن صنعنا
ذات ظهيره
وردةَ موتٍ، في عطرها نحن قد رتعنا
ونحن كنا براعم النار فاندلعنا

كنتَ الفدائى أنت، الفدائية القانته

أنا، وكنا مبتسمينِ

يجمعنا الحبّ والموت والحلم، نحن كنا

منتصرينِ

عيوننا الصامته

صيّرها الحبل حول اعناقنا لافته

تعيد تاريخ كل طفلٍ،

أطعمه القاتلون للموت، ذات صيفِ

تكشف أخبار كل مقتولةٍ، وجدائلها نابته

فى الدم والوحل، مقلتاها صلاةُ خوفِ

وحول كتفى

ذراعكَ الحانيه

وفوق أحزاننا ومنانا قفلٌ وبَسْمَهْ

ونجمةٌ فانيه

وملء أهدابنا طقوسٌ لدمعةٍ، لاختصار كِلْمَهْ

غرع في جبهة المشنقة

طفلين يشتعلان خِصبًا في جدبِ زوبعةٍ مُحْرِقه

ونرتقي سلّم المشنقه

وفوق ذرونها تنحني يا حبيبي

نزرع في شفتي موقفاً، فكرةً، وشُعْله

والموتُ قُبْله

تمنحها ثلجها المُدمّى تلُّ أبيبِ

وإذ تبسّمْتَ يا حبيبي

تفتحت وردة المُشنقة

تموّجت، أورقت في السنا مثل زنبقه

وأرسلت حولنا شعرها في جدائل سودِ

صَبّتْ علينا صيف الأغاني وذوّقتنا

نكهة موت مختبيءٍ في نهار عيدِ

وأرجحتنا، وأرجحتنا

وتحت وجه الرّدى مع الصيف وحدّتنا

وصيّرتَنا

حلماً له هيكلٌ، له شاطيءٌ، ومعنى

تشنقنا أغنيه

ونقطف الشمع والأماني من شجر المرثيه

يصلبنا الليلُ والمَتَاهْ

ينتزع الهُدْبَ والشِّفاهْ

يسمر الحلم عبر أحداقنا أوديهْ

ممتدة في أغوار تسبيحة وصلاهْ

نعرف في الضوء كيفَ تنتصر الكبرياء على المشنقه

وكيف يضحي المقتول سوسنةً وحياهْ

وكيف يُعْطى الخلودَ،

صمتُ العناد في الشفة المُطْبَقَه

حبيب قلبي، أعطي لقلبي موتاً لذيذاً وعطر مشمش

وطائراً في دمي يعشّشْ

أعطي لقلبي طعم نزيفٍ ولا نهايه

أعطيتُهُ زنبقاً وقتلاً بلا دماءٍ وخفق رايه

منحتُهُ خارطه

للقُدْس أسبل فوق رباها دماءهُ العنبة الناقطه

ومقلتانا للموت والرفض... شرفهٌ،

شمعةٌ،

وسادَهْ

وقاسمتنا الربيعَ والصبرَ والشهادَهْ

مشنقةٌ صمتُها عبادَهْ

فإنما موتنا ولادَهْ

في ٤ من شوال ١٣٩٤هـ

١٩-١٠-١٩٧٤م.

السفر في المرايا الدامية

في ٢٦ حزيران ١٩٧٤ تحررت مدينة القنيطرة

من الاحتلال الصهيوني

قال القمر

حبيبتي قد رجعت من السَّفَرْ

حبيبتي القنيطره

صفحةُ مرآة دم مكسَّره

في قعرها رسومُ قتْلى عرب مبعثره

في عمقها تَدْمَى وتقطرُ الصُّوَرْ

قال القمر

حبيبتي قد وصلت عائدةً من السفرْ

أرخيتُ فوق كتْفها جدائلي فأجفلتْ

فرشتُ ضوئي تحت مَسْرى خطوها فاجفلتْ

لثمتُ مجرى دمها فأجفلتْ

تغبرتْ ألوان عينيها ومن ملح الرياح اكتحلتْ

حبيبتي قد قُتلتْ

قد قُتلتْ

مطعونة تحت مساقط النظرْ

ومن سماء مقلتيها يتناثر المَطَرْ

وفي الصخور، والدوالي، والتعاريش دماءٌ،

وجنائزٌ أُخَرْ

حبيتي القنيطره

راجعة من السَّفَرْ

إيقاع تذكاراتها: حرائقٌ، دمٌ، حُفَرْ

أرجوحةٌ للموت والريح ووجه مجزره

وفي موانئ مقلتيها سفُنٌ غاريةٌ مُحتَضَره

حبيبتي ترفض أن ألثمها، أطلبُ من غمّازتيها المغفره

قال القمر

حبيبتي بعد سنين غربة قد رَجَعَتْ من السَّفَرْ

عائدة من رحلة في قعر آلاف المرايا الماحيه

راجعة من المتاهاتِ ومن أرض الرياح العاويه

حيث تقاطع الخطوط الداميه

وحيث يّمحي كيان المنحني، يضيع وجه الزاويه
ممحوةٌ حبيبتي خطوطُها
ضائعةٌ خلف الفراغ والضباب والدجى شطوطُها
معكوسةٌ صورتُها على العيون المجدبات الخاويه
وهميّةٌ حتى ورود شعرها،
وهميةٌ أمشاطُها،
وهميةٌ قروطُها
أكذوبةٌ المرآة في مقلتها الولهى وعقم الهاويه
مصلوبةٌ حبيبتي على جذوع السنوات العاريه

قال القمر
ووجهه الحزين رعشةٌ وظلٌ في نَهَرْ
مسبيّةٌ حبيبتي، مخنوقةٌ، مهدّمه
خدودها شاحبةٌ يجرحها حتى مرور الكلمه
أذرعها حقائبٌ خاوية، راح بما فيها اللصوص القتّله
لم يبقَ من فضتها، لؤلؤها إلا جلودٌ رثّة مهلهله
سيورها مثلّمه
أقفالها تدمى، تصيحُ الريحُ فيها،
يغرُسُ الخرابُ فيها أنمُلَهْ

حبيبتي أكتافها مهشّمه

أسوارها مقتحمه

ويقطن الذبول فيها تسكن الأشباحْ

والموت والرياحْ

قبابها كواكبٌ مرتحله

بيوتها فم الجراح المُشْتعله

أشجارها منزوعة الوَرَقْ

فارغة الحَدَقْ

من دمعها، من دمها، أهدابُها مكحّله

تُسْبل من فاكهة الدماء والحمّى غُصوناً مثقله

ولم تذق حبيبتي منذ سنينٍ وشوشات سنبله

كلا ولم تلثم دواليْها سوى أنياب صاروخٍ وعض قنبله

مرميّة حبيبتي القنيطره

على مسامير سريرٍ خربٍ مشتعل الغطاءْ

مروجها مقابر الغناءْ

صيّرها حقد اليهود غابةً من مزَقٍ، حرائقٌ، أشلاءْ

لكنما جراحها معطّره

يطلع منها قَمرٌ مقاتلُ،

تخفق فيها رايةٌ منتصره

حبيبتي القنيطره

عاجزة أدوية الطبيب عن شفائها

أسقوا صداها جرعةً من بَرَدَى، رشوا على شتائها

صيف الجراح المقمره

فطعنة الحراب في رخام صدرها

تَشْفي بأن تنام فوق خدّها وشعرها

سماء سوريّا، وتحنو الشجره

والقبرَه

على شطوط جفنها المحموم، إن المقبره

ستستحيل نجمةً مؤتلقه

وموجةً مرقرقه

تعطي أباريق الأغاني للشفاه المُطْبَقَه

وتمسح الدموع عن سوسنةٍ في الأعين المغرورقه

توسّدُ المدينةَ الطافيةَ المروجِ في بحر الدماء المحرقه

تهدي إليها قُبْلةً وزنبقه

قنيطره

قنيطره

سلمتِ يا حبيبة الجولانَ

وعشت يا غدائر النجوم، يا مراتع القطعانْ

يا نهر كهرمانْ

يا صلوات المغفره

يا خرزتَيْ مسبحة مقطوعه

يا آيةً مبتورةً في شَفتي مرتّل القرآنْ

شحوبَ خدّيك ستسقيه الشفاهُ الخيِّره

ومن جديدٍ في الرّبى ستشمخ الجدرانْ

ويصعد الأذانْ

قنيطره!

قنيطره!

لتنبت الأنيابُ في فكّيك ولتطلع قرونٌ فظةٌ موتّره

وهيئي مخالباً ومقبره

تصطادُ إسرائيلَ، إن الغد نُسْغٌ صاعد في شجره

وبردُ ينبوعٍ،

وشمعُ،

وشبابيكُ عيون مقْمِره

إن كنتِ جرحاً نازفاً

إن كنتِ هُدْباً ذارفاً،

فأنت أيضاً فرحة المدينة المحرَّره

راجعةٌ من رحلة المرآة والفقاعة المسوّره

عائدةٌ من مُدُنِ البراقعِ

إلى حقيقة الدم القاني السكوب وإلى صراحة المدافع

نابتةٌ أغنيةٌ وبرعماً على فم العروبة المنتصره

بلودان، في

١٦ من جمادى الآخر ١٣٩٤هـ

٥-٧-١٩٧٤م

صور وتهويمات

أمام أضواء المرور

- ١ -

اشتعل الضوء الأحمر

والحلم تكسّر

وتبعثر

يا حمرةُ، يا حسرةَ وردة صيف جوريّه

راعشة تحت أعاصير ثلوجٍ قطبيّه

يا لهباً منبعثاً من خلجانْ

محترقات خلف الذكرى في دوّامة ألوانْ

في دنياً منسيّه

يا شفقاً مسروق الحمرة من خدّ صبيّ جَوْعانْ

يا حنّاء في كف همجيّه

يا نصلاً يطعنُ، يستنفذ

صبر الأرض الأفريقيّه

يُسْلم أعناق دواليها للصليانْ

يا نهماً يسحب كوب الماء الصافي من شفة العطشانْ

اشتعل الأحمر! قام جدارٌ ما بين القلبين
أستار المسرح قد هبطت،
فَصَلَتْ،
حفرتْ جرحينْ
غسلتْ بالأدمع أغنيتينْ
قطعت وتَرَيْنْ

حمرة! يا عدماً مختبئاً في زوبعة تموزيّه
اسلمتْ الورد لعصف الريح الشرقيه
وأباحتْ أشرعة النهرينْ
وامتصتْ ياقوتَ الشفتينْ
يا نقطة وقفٍ في خاتمة الكلمات النيسانيّه

تقطع ما نتمنّى أن نسمع ما بعدَهْ
لا تعطينا العطر ولكن تفجعنا بحطام الوردهْ
تنزعها منّا من حرقتنا الروحيّهْ
تنفيها من غابات الذكرى المربدّهْ
تنهار وتحترق الوردهْ
يا حمرةُ يا لهباً شرهاً حرّق حنجرة القمريّهْ

أشعل شفة المنشد فى الفجر

وقصّ جناح الأغنيهْ

يا شفة تصرخ: لا

سمّرت العابر فوق التلّ وكسّرت الأملا

قطَعاً، قطعاً، يا رشّة نهرٍ دمويّهْ

يا قاتلة الزهرة، يا عوسجة الطرقات البريّهْ

يا صيفاً قد رحلا

يسحب أشلاء صباهُ تحت أعاصيرٍ تشرينيّهْ

يا عقلاً مبحوح الفكرة يؤوى شللا

خرّب موجاتٍ وحقولاً أسطوريهْ

غيّب «اللورادو» ورباها الذهبيّهْ

عن عينى وطواها فى أرضٍ سريّهْ

أسكنها زُحَلا

يا فرحة من يقدر أن يصلا

-٢-

اشتعل الضوء الأصفر

الخيط الناحل بين الفجر وظلمة ليلٍ أدبر

زقزقة العصفور الأولى

فوق البرسيم الناعم يحلم، ينشر عطراً مجهولا

فوق النسماتِ الراقصة الخُصُلات الرطبة محمولا

يجتاح جبالاً وسهولا

ويحبَ اللهَ ويَسْهرْ

ويوزّع سُكْراً للعشّاق وشوقاً عذباً وذهولا

وعلى عُشّش الشعراءِ يرشّ العنبرْ

ويُريق دوارق من عسَلٍ يسقيها بيداً وحقولا

اشتعل الضوء الأصفر

في لون سنابل شقراءَ نضجت في حضن البيدرْ

يا صمتاً بين حبيبينِ

يا أشواقاً ساكتةً تسكن في أحداق العينين

يا صُفْرةُ يا لونَ المرمرْ

المرج الضاحكُ من نشوته قد كبّر

وجبين الغيمة قد أمطر

يا مفرق دربينْ

يا ودياناً تسكب شَفَقاً مشتعلاً ما بين سماءينْ

يا تمهيداً لتحقيق حُلْمٍ من فضَه

يا حُلْم حدائق خضراءٍ

في خاطر نبع مياه ولهى مرقَصه

يا ورداً أصفرَ في غابة حزن وضبابْ

يا سوسنة حالمة قد نامت في صفحاتِ كتابْ

يا لحظةَ صمت في غنوه

يا فاصل تجريحٍ وعتابْ

ما بين حبيبين اختصما أحقاباً تتلوها أحقابْ

يا بُشْرى بخروج المجروح من الهوّه

يا قمراً يدخل من كوّه

في زنزانة جنديّ ضائعة الأبوابْ

يا رائحة المطر الحلوه

يسقط فوق غبار وترابْ

يا منبت أورادِ شُقَّرٍ وشَذَى أعنابْ

اشتعل الضوء الأصفر

معبرُنا المرموقُ ووادينا الأشقر

بين الصمتِ وبين النغمهْ

ما بين النظرةِ والكلمهْ

فاصلُ أسرارٍ وتجلٍّ بين الضوء وبين العتمهْ

في ليل محبٍّ ضيّع مسلكه في غابة بَسْمهْ

يا غصناً مبتوراً أثمر

يا دهليزاً «ليثياً» أخصب في الظلماء وأقمر

يا وله العاشق يحلم في الظلمهْ

ويحسّ الليلَ المنسدل الأستار سواقي كوثر

وعماد مدائنِ مرمرْ

يا ضوئي الأصفر، يا تقبيلَ النسمهْ

لخدود الساهر، يا زنبقة الرحمهْ

يا طوق نجومٍ، يا تعريشة عنبَرْ

يا مغرب ليلتنا، يا آخر نجمة

-٣-

واشتعل الضوء الأخضر

وأشار الحُلْمُ إلينا ينقلُنا لبلاد السُكّر

يا ضوئي الأخضر، يا نجواىَ، ويا سَهَرى

يا وجه مليكى فى الأبعادْ

تتقطع من شغف بسنا عينيه أوتار الأعوادْ

يختلط الموتُ مع الميلادْ

يتكسّر من فرح اللقيا وجهُ القمرِ

ميدى يا ظلمة واندثرى

تتألق آلاف الجُزُرِ

تتراقص شطآنٌ ووهادْ

تتهاوى الأزمنةُ المبهورةُ منتشرات فى أعيادْ

أعياد، أعياد، أعيادْ

يا وجه حبيبى فى الأبعادْ

يا ضوئى الأخضر، يا مرجاً سكرانَ

من الألق المسكوبْ

يا قطرة أشواقٍ حرّى في قعر الكوبْ
لونُ الماضي سيّجَهُ التذكارُ
آفاقٌ ولهى خَضلاتٌ، أشواقٌ تحلُمُ، أقمارُ
ومهاد سنابلِ شقراءِ في حضن سهوبْ
والبسمة تنبتُ والهةٌ فوق الوجه المحبوبْ
وقصائد حبٍّ تنظمها، ونهور حليبٍ وبهارُ
وأغانٍ سوف تغنيّها، وترنّحُ أشرعةٍ، وغروبْ
وتوابلُ،
عطرٌ،
أسرارُ
وَغَدٌ عربيٌ تغرف منه الأشعارُ
منبثقٌ من بيّاراتِ الوطن المسلوب
يا حيّتْ ذكراهُ، حيتّها الأمطارُ
وجه حبيبي
يطلع عذباً من شُرَفِ التذكار الغضّهْ
من ساحل جُزْرٍ مسبوكاتٍ من فضّهْ
واسم حبيبي

تسكنُ أحرفَهُ أمطارُ

تتلوهُ بيدٌ وبحار

يا ضوئي الأخضرَ!

يا طعم صباحٍ في مكّةَ خضلانَ معطّرْ

يا ذكر اللهِ ترتّلُهُ في الليل الأوتارُ

وتغنّيه الريحُ المبهورة والنارُ

من ذاق عذوبته يسكَرْ

يسهرْ

يسهرْ

يا ضوئي الأخضرَ يا لَهبُ

يا شارعَ ذاكرتي في ساحتهِ المزهوّةِ ينتصبُ

تمثالٌ لاسم حبيبي

يتسلّقُ أحرفَهُ اللبلابْ

ويموج على تعريشته عطرٌ وضبابْ

ويخالطُهُ ذَهَبٌ

ينبثق الوردُ الأحمر من أحرفهِ لون غروبِ

يعطيه سكَرَهُ القصَبُ

ترقرقُ في اسم حبيبي نسماتٌ وترطّبهُ سُحُبٌ

وورود نقاءٍ وشحوبِ

ترقُص تنفض أسرار طرواتها ملء اسم حبيبي

يا ضوئي الأخضر يا عشبُ

قطِّرْ مطرا

جمِّعْ زهرا

لملم صورا

لحروف اسم حبيبي

واقطف من شاطئه كَرَزاً، وأحصد ذكرا

-٤-

ما بين الأحمر والأصفر والأخضرْ
تضحكُ يا قلبي، تبكي، تتذكّرْ

وتسيرُ تسيرُ إلى أين
المسعى والظلمةُ ممدوده
والأرض المتشوده
ومروج الفُستق والعنبرْ
ونهور الكوثرْ
خلف ضباب البحر بعيده
وغدي طرقاتٌ مسدوده
ودياني خاويةٌ، تصفر فيها الريحُ
ويتمتم سرٌ مجروحُ
وجبالي خنجرْ
ومروجي أشعارٌ تبكي في صمت الدفترْ
وفؤادي تصرعه أوتارٌ تحفر فيه مفاتيح

يا دفئي، يا مطري المسحورْ

يا تعريشاتٍ من بلّور

يا وجه حبيبي

يا وجه حبيبي

١٨ من ذي الحجة ١٣٩٣ هـ

١١-١-١٩٧٤م

هوامش وتعقيبات

ص٥- حول وزن (مستفعلاتن مستفعلاتن)

تقتضى الأمانة العلمية أن أقـول إننا كنا نغنى فى طفولتنا نشيداً من نظم الرصافى أوله:

سمعتُ شعراً للعندليبِ

تلاه فوقَ الغصن الرطيبِ

إذ قال نفسى نفسى الرفيعه

لم تَهْوَ إلاَّ حُسنَ الطبيعه

وفيمـا بعد قام على صفـحات المجلاّت العراقيـة جدال حول وزن هذه الأشطر لأنها- كمـا قالوا- تخرج على تفعـيلات (مُخَلَّعَ البسيط) وقـد اقترح بعضـهم تقطيعهـا على (مسـتفعلاتـن مستـفعلاتن)، وأذكـر أننى ناقشت هذا الاقتراح بين تلامـيذى فى جامعة البصـرة وأخبرتهم أن «مستـفـعلاتن» المصابة بعلّة زيادة لا ترد لدى الخليل فى حـشو الـبيت مطلقـاً، فذلك التـقطيع غلط مخالف لنهج العروضيّين، ويؤسفنى أننى لا أتذكر أسماء الأدباء الذين ساهموا فى تلك المناقشة العلمية الممتعة.

وبعد فأظننى قد استفدت من تفعيلات الرصافى فى استخراج هذا البحر الجديد من بحور الشـعر الحر؛ إذ جعلت «مسـتفعلاتن» تفعـيلة كاملة فى بحر

صافٍ جديد توسّع فيه دائرة البحور المستعملة فى الشعر الحرّ، وستكون هذه أول حالة فى تاريخ العروض العربىّ ترد فيها تفعيلة مصابة بعلة زيادة فى حشو البيت وضربه معاً، وليس يخفى أن هذا سائغ فى الشعر الحرّ، غير مقبول فى شعر الشطرين الذى يتمسك فيه الشعراء والأدباء بعروض الخليل الدقيق الشامل للبحور كلها ما كان منها مستعملاً أو مهملاً.

والحقيقة أن الرصافى رحمه الله قد فتح لنا باباً جميلاً بالخروج الذى وقع فيه وهو يستعمل وزن (مُخَلَّعْ البسيط): «مستفعلن فاعلن فعولن» وإنى لأقول. لعله ليس خروجاً، لعل الرصافى تعمده لأن له وجهة نظر معينة فى وزن مخلع البسيط ولكن المؤسف أنه لم يتناول هذه المسألة فى كتابه المدرسىّ «الأدب الرفيع» الذى عرض فيه عروض الخليل عرضًا مختصراً؟ وكنت آؤمل أن يقف ويقطع نشيده «سمعت شعراً» ويخبرنا لماذا زاد فيه حرفاً على مُخَلَّعْ البسيط؟ آكان ذلك إحداثاً لتجديد فى الوزن؟ أم هو وقوع فى الخطأ؟ ولعل أصدقاء الشاعر، مثل الأديب الأستاذ مصطفى على أعزه الله، يستطيعون أن يفيدونا بشىء فى هذه المسألة الدقيقة، اذ يكون الشاعر قد تحدّث إليهم بشىء حول الموضوع فينشرونه خدمة للبحث العلمىّ.

ولكن الذى ينبغى أنْ أنبّه إليه آن الرصافى لم يلتزم الحرف الزائد فى الأشطر كلها عبر قصيدته المشار إليها وإنما عاد إلى وزن مخلع البسيط أحياناً كما فى قوله فى مواضع مختلفة منها:

فالعيش عندي فوق الغصون

لا في قصور ولاحصون

أطير فيها من فرط وجدي

من غصن ورد لغصن ورد

يا قوم إني خلقت حراً

لم أهوَ إلا الفضا مقراً

فإن أردتم أن تنطقوني

فأطلقوني فأطلقوني

ففي هذه الابيات ورد وزن مُخَلَّعْ في خمسة أسطر كما تشير الخطوط التي وضعتها تحت التفعيلة الثانية «مفاعلاتن» المقابلة للمقطع «علن فعولن» لدى الخليل، وهذا قد يثبت أن الرصافي لم يتعمد الخروج على تفعيلات الخليل وإنما ورد ذلك عرضًا وهو في وهج الحالة الشعرية، كما حدث لي وأنا أصوغ قصيدتي «زنابق صوفية للرسول».

ولابد لي أن أشير إلى أن الحرف الذي زاده الرصافي على مُخَلَّعْ البسيط قد وقع في التفعيلة الثانية من الأصل الخليلي «مستفعلاتن مفاعلاتن» المساوية للتفعيلات «مستفعلن فاعلن فعولن» ونحن لا نلتزم بهذا في الشعر الحرّ، لأن التفعيلة المذكورة يمكن أن تُخْبن (مفاعلاتن) أو تُطْوى (مفتعلاتن) حيثما وقعت في القصيدة الحرّة، كما يمكن أن تبقى سالمة من الخبن والطيّ عندما يشاء الشاعر وفق قواعد (البسيط).

ص١٥ - النهاوند

أحد مقامات الموسيقى العربية الرائعة الجمال وأنا مغرمة به ولذلك يرد ذكره في شعر هذه المرحلة مِن حياتي.

ص٢٨ - الطفل إسماعيل

إشارة إلى النبي إسماعيل إذ حمله أبوه النبيّ إبراهيم (عليهما السلام) مع أمه السيدة هاجر وأنزلهما عند البيت الحرام في مكة وكانت إذ ذاك مجدبة لا ماء فيها ولا سكان حولها، وسرعان ما ترك إبراهيم النبيّ زوجته وطفله وانصرف عائداً إلى فلسطين.

وتصوّر قصيدتي (الماء والبارود) بقية القصّة كما وردت في الشروح الإسلامية، ومنها بكاء النبيّ الطفل إسماعيل مِن العطش وركض أمّه الوالهة سبع مرات بين مرتفعي الصفا والمروة باكية، داعية إلى اللّه أن يسقي طفلها؛ ولذلك سُنّ السعي بين الصفا والمروة وجُعل من شعائر الحجّ ليتذكر الساعي عذاب هاجر وكيف استجاب اللّه الرحمن الرحيم لدعائها وفجّر ماء زمزم ريّاً للنبي الطفل الظمآن وللحجاج كلهم من بعده.

ص٦٥ - المجدلية

هي مريم المجدلية التي ورد ذكرها في الأناجيل، وكانت في أول حياتها امرأة خاطئة وقد تجمع الناس ليرموها بالأحجار، فردعهم المسيح عليه السلام قائلاً: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر» وقد كانت كلمته هذه عميقة

الأثر فسرعان ما انتبه كل من حمل حجراً إلى أنه له خطايا وذنوباً تمنعه من رجم المجدلية.

وقد أدّى هذا الموقف من الرسول النبيّ عيسى بن مريم إلى أن المجدلية تابت توبة عميقة عن خطاياها وأوزارها وزهدت حتى أصبحت قديسة ومتصوّفة، وأرجو أن يكون واضحاً أنني في قصيدتي «زنابق صوفية للرسول» إنما أشير إلى المجدلية القديسة في عطشها إلى الله سبحانه، بعد توبتها، أما المرأة الخاطئة فلا وجود لها بين صور قصيدتي.

ص٧٤– دكان القراثين الصغيرة

اعترض بعض الأدباء في مصر على أنني جمعتُ لفظ «قرآن» قائلين إنه مثل كلمة «غد» لا يجمع؛ لأن القرآن واحد ولا يصحّ أن نجعله متعدّداً

والجواب على هذا شيئان: (الأول) أننا في العراق نستعمل كلمة (قرائين) فهي لفظة دارجة عندنا تماماً ونحن مسلمون ولا يُطْعن في إسلامنا، و(الثاني) أن لفظة (قرائين) لا تعني أن كتاب الله متعدد وإنما تشير إلى نسخ القرآن كقولنا (مصحف ومصاحف) وهذا يجعل الاعتراض غير وارد اساساً.

ص٧٦– مندلي

المقصود بكلمة مندلي أن تكون اسماً للدكان الذي تباع فيه القرائين الصغيرة كما نقول «دكان بغداد» مثلاً.

وأصل هذه الكلمة أنها اسم لمدينة عراقية جميلة من مدن لواء بعقوبا،

تنبت الرمان والبرتقال وسواهما من الفواكه، وكانت (مندلي) مليئة بالحياة عندما كان يجرى فيها نهر ينبع من إيران، وفجأة حوّلت الحكومة الإيرانية مجرى النهر فيبست المدينة الجميلة الخضراء وماتت بساتينها الريّانة المحمّلة بالفاكهة، وجفّت سواقيها، وتشققت أرضها من العطش، وهجرها سكانها، وقد آلمني هذا أشدّ الإيلام في حينه، حتى أنني كتبت قصة عن المأساة لم أنشرها حتى الآن، وقد أصبحت كلمة (مندلي) في حياتي مثل كلمة (يوتوبيا) وبقيت أقول إن نهراً ما ليس ملكاً لأية دولة من الدول لأنه عطاء اللّه للوجود والبشرية، وليس من حق أحد أن يحوّل مجراه أو يحتكر ماءه ويحرم المدن الأخرى والبشر فيها من الحياة والخضرة، إن علينا أن نترك النهر حراً يجرى كما جرى دائماً، يوزع الأرتواء والبساتين والثراء والألوان على الوجود، ومهما يكن من أمر فإننى حين أردت أن أطلق اسماً على الدكان الذى تباع فيه القرائين الصغيرة، انبعثت المدينة الحبيبة مندلى فى ذهنى وأعارتنى اسمها الجميل، وقد وجدت فى ذلك فرصة أعبر فيها عن حبى لهذه المدينة المفقودة؛ لأن دكان القرائين فى حلمى ضاع كما ضاعت مندلى، وسافر الحبيب دون أن أستطيع أن أهديه قرآناً يحفظه كما تمنيت.

ص١٠٨ - لفظ مليكى،

كلما وردت كلمة «مليكى» أو «ملكى» فى قصائد هذه الفترة من حياتى، فأنا أريد بها اللّه تعالى مالك الملك وملك الملوك، وهو اسم أطلقه الخالق على نفسه فى القرآن فهو أحد أسمائه الحسنى كما فى قوله:

«عند مليك مقتدر»

«هو اللّه الذي لا إله إلا هو الملك»

وسوى ذلك، وأحياناً أطلق على اللّه -سبحانه- لفظ «حبيبي» كما في قصيدة «زنابق صوفية للرسول»، والواقع أنني أحاول أن أتحاشى لفظ «حبيبي» لأنه اسم أطلقه في أغلب الأحيان على حبيب بشريٍّ كما في «ويبقى لنا البحر» و(دكان القرائين الصغيرة) وسواهما في حين أن الملك الوحيد الذي أتغنى به هو اللّه العلي القدير.

ص١٦٣- حول إعراب السنين

تساءل غير قليل من الأدباء والقراء عن إعراب «السنين» في شعري منذ مجموعتي الشعرية الأولى (١٩٤٧) حتى اليوم، وتوهم الذين لا يعرفون من النحو إلا القليل الشائع أنني أخطئ حين أثبت نون (سنين) في حالة الاضافة، ولهؤلاء أكتب هذا الهامش، فالواقع المعروف لكل متعمق في دراسة نحونا العربي أن (السنين وبابه) يعرب إعرابين أحدهما إعراب جمع المذكر السالم وهو الرفع بالواو والنون، والنصب والجرّ بالياء والنون، وحذف النون عند الإضافة وانتفاء التنوين، وهذا هو الإعراب الشائع الدارج وأنا لا أحبّه ولا أستعمله، والإعراب الآخر إعراب كلمة (حين) التي لا تتغير ياؤها إلى واو، وتبقى نونها ثابتة عند الإضافة لأنها جزء من الكلمة لا ينفصل عنها؛ ويكون إعرابها بالحركات: رفعاً ونصباً وجراً وتنويناً، ومن هذا قول الرسول صلى اللّه عليه وسلم:

«اللهمّ اجعلها عليهم سنيناً

كسنينِ يوسف»

وفيه نَوّنَ السنين كما يتوّن الاسم الصحيح، وجرّها بالكسرة، وأثبت نونها عند الإضافة، وهناك شواهد أخرى على هذا الإعراب أشهرها قول الشاعر:

دعاني من نجد فإن سنينَهُ

لعبن بنا شيباً وشيبننا مُرْدا

والواقع أنني أرفض أن أقول (السنون) في حالة الرفع، وقد لاحظت أن هذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم مطلقاً وإنما وردت «السنين» منصوبة ومجرورة فحسب، وقد زادتني هذه الملاحظة نفوراً من «السنون»، ومهما يكن من أمر فقد عنّ لي أن أوضح موقفي من إعراب السنين بعد أن طال تساؤل القرّاء عنه منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم.

ص١٧٥ - الدورادو Eldorado

عنوان قصيدة قصيرة للشاعر الأمريكي ادغر آلن بو Poe يبحث فيها الفارس الشجاع طوال حياته حتى يشيب عن مدينة الأحلام فلا يجدها و(الدورادو) هي المدينة المنشودة.

ص١٨٠ - حول ليثياً،

«ليثياً» نسبة إلى نهر الليثي Lythe بكسر اللام في الأساطير الاغريقية،

وهو نهر النسيان الذى يشرب منه الموتى فينسون حياتهم الدنيا، وهذا النهر فرع من فروع نهر ستكس Styx الكبير الذى يجرى فى الجحيم ويتصف بأن ماءه أسود، وبأنه يجرى بقوة رهيبة جارفة، ولكنه صامت صمت القبور، بارد برودة الثلج.

بغداد فى

٢٣/ ٧/ ١٩٧٧م

نازك الملائكة

الناشيء

الوردة الحمراء



الناشيء

الوردة الحمراء

قال: اقطفي لي الوردةَ الحمراءَ يا حبيبتي

قلت له: تجرحُني الأشواكْ

فالعطرُ والحمرةُ يا حبيبي

أرجوحتان للعصافير، ورشفتانِ للغروبِ

ولي أنا شِراكْ.

وقال لي: لا يأس يا حبيبتي

فالوردةُ الحمراءُ جُرْحي، ولَهي، غَيبوبَتي،

والحبّ أن تلملمي الورود والجراح من أجلي

وتَنزفي مثلي

قلت له: يُخدشُ إحساسي ويَدْمَى في المدى ظِلّي

ينبتُ جرحٌ في يدي، تنفجرُ الدماء في ثلجي

أضيعُ لايسلمُ بعْضي لا ولا كلي

وأنت يا حبيبَ قلبي نَجمةٌ باردةٌ تُطِلُّ من برجِ

وأنت بحرٌ فاترُ الموجِ

فقال لي: اسهري هنا وراقبي الأفلاكْ

إنَّ دمي منْسكبٌ هُناكْ

(*) العدد الواحد والثلاثون من مجلة الشعر المصرية

وأنت ترفضين أن تلامسي البحر وتبتلّي
تأبين أن تنجرحي بوخزة الفُلّ
حبيبتي صلّي، أنا مجرَّحٌ، صلي

وقال لي: ذُوقي رحيقَ الحب والقتلِ
فها أنا مبعثرا في جانب التلِّ
والحبُّ موتٌ وصليبٌ، والهوى شبّاكْ
على ضفاف المستحيلات، على النُّضُوب والمَحْلِ
فابتسمي للحبِّ يا ملاكْ
واحتضني الأشواكْ
استقبليها وأحبّي وخزها الليلةَ من أجلي
وأسلميني الوردةَ الحمراءَ، لأبعدي ولأقبلي

قلتُ له وقال لي
وبيننا جثة هذا البُلْبلِ
لا أنا قد مارست قتلَ الورد، لا،
ولاحبيبي كدَّس الزنابقَ البيضَ ليُخْفِي مَقْتَلي
وبيننا ليلٌ هَوَى على الثَّرى مُشْتعلا
وكوكبٌ خَرَّ هنا مولولا

وردته الحمراءُ لم أسلمه إيّاها، ولم أصلْ

وصلَتْ الجراحُ صلَتْ قبلي

وتهتُ في الأفلاك أبكي،

وحبيبي ساهرٌ في برجه يبكي ويبكي مثلي

نجمة الدم

رسمتُ في الصمت وجهَهْ، كان صمتُهُ زنبقَ الحديقه
كان غنائي، وبُعْدُهُ، مولدَ المتاهاتِ
في دروبِ الضحى العميقه
وحبنا كان شرفةَ الغيْمِ والرياح
والصحو ليلٌ أمطرنا لحظةً وراح
عُدنا عيوناً بلا حَقيقه
صارت ثرياتُنا الجراح
وشرع بستانُنا يبيحُ النسيانَ والرقصَ
حينَ تذوي الرُّبى الشَّقيقه
وعند جيراننا شظَايا، عيونٌ قتلَى
وحدٌ نَصلٍ يغوصُ في جَبهَةِ الصباحْ
وحرشُ بيروتٍ نجمة، في دمٍ، غَريقه

لبنان قطْنٌ تندفه الريحُ في اكتئاب،
والأرز سفُنٌ بلا شِراعْ
وطعم سَرْوِ الذُّرى رحيلٌ بلا وداعْ

(*) العدد الثامن من مجلة الشعر المصرية

وأين بيروتُ؟ لم أجِدها،

لا في كتاب الرياح، لا في دم الشّعاع

وشَعرها سنبلُ المراعي،

تبعثرت كلُّ خصلاته في الثّرى وضاعْ

بيروت عذراء قطَّعوها

وبَجْعةٌ في مزادِ صهيون صار شريانُها يُباعْ

ويا حبيبي، أين عيونك؟

على طريق ابتسامةٍ منك أُشعِلُ الشمعَ،

أفرشُ الدمعَ،

لا أغانيك تعبر النار نحو شوقي ولا حنينك

هل ضيعتَ دربها إلى مرفأي سنينُك

وبين صوتي ووجهك الموتُ والضياعْ

ويا حبيبي، يقتُلني واحدٌ من اثنين:

موتُ بيروت أو جبينُك

أشتاقُ في الليل يا حبيبي لأن أغنّيكَ،

أصحبُ البحرَ كي نلاقيك،

في ضلوع الحنين والحلم سوف نؤويكَ،

غير أن المدى ببيروت يرتدي معطفَ الدخان

أشتاق لكنَّما الأغاني

هائمةٌ تسكنُ الخرائبَ

بيروت مقتولةُ المحاريب،

طوردت في دروبها طفلةُ الأذان

بيروت مسلوخةُ الكواكب

ولحمها قتّته، غذت به الغياهبُ

وخلف عينيك يا حبيبي جنازتانِ

حزينتانِ

في غبش الفجْر يا حبيبي تحنُّ نفسي

لأن أغنيِّكَ

أسألُ الفجر كيف تأتي؟

إليك أُغنيتي الحزينه؟

وعبر بيروت يُذبحُ (الرّستُ) مثلما تُذبحُ المدينه

تسقط قتلى كل الأغاني

في ساحةِ البرج، دون رأسٍ

ويا حبيبي، بيروت صارت جنائزَ اللحنِ،

ينبت الرعب في ثراها،

وأنجمُ الليل قطَّعتْ شعرَها وأبقت

فحم الضغينه

وماءُ هذا الخليج ملحٌ، ولي ببيروت نهر شمس

بضاعتي الشوقُ يا حبيبي

وأشتري الشوق، آكل الشوق،

أشرب الشوق من دمائي، ومن شحوبي

والشوقُ بحرٌ سفائني فيه رحلةٌ في دم المغيب

وأنت، عبر الخراب والموت،

ومضةٌ في سماء لحني

وجهك، بين الحرائق الصفْر، مثل لبنان،

مَقْطعٌ من نشيد حزنِ

وجهك إطراقةُ الدروب

وصمته هجرةُ المغنّي

وذكرياتٌ مقتولةٌ، واحتراقُ سُفْنِ

كان الرصاص الذي يصيد النجوم يشدو

ودهشة البحر لا تُحَد

وكنت أرسلت، من أقاصي الدجى، بريدي

رسائلا من أوتار عودي

لعلها تلتقي حبيبي،

مُخْتبأً في ضباب لحن،

أو تحت أستار غيمة،

أو وراء وعد من الوعود

لحني قد جاء من بعيد

طفلا بريءَ الجراح، فوق الألغام، يَعْدو

يُلقي سؤالاً مُحترِقَ الجُرْحِ، عبر غيبوبةِ النَّشيدِ

لكن بيروتَ لا تردّ

وفي ترامي دروبها لم أجدْ حبيبي

وكان لي من جبينه في نيسان وعدُ

وأذرع الموت لا تُحَدُّ

وليل بيروت شارعُ النار، ضفَّتاه بلا حدود

وليس في شاطئيه غير الدماء وردُ

بيروت غابه

ومن دماء القتلى على جفنها سحابه

أين ترى البحر؟

كانَ بالأمس ها هنا يا بيروت بحرُ

تكتب أمواجه وتمحو، وينثر الشذرَ والغرابه

يقرأ تحت السماء في لهفةٍ كتابه

كانت هنا زرقةٌ وشمسٍ.. وجاء عصرُ

جبينه يمطر الكآبه

وتصرخ الريحُ، تصرخ الريحُ، فى رتابه
بيروت قبرُ
بيروت قبرُ

لكنما يا حبيب قلبى
تأتى مع الريح، حكمةُ الرِّيح، من بعيد
تهمسُ أن (القنآص) فى السطح فى ارتخاء
وساده بيتُ عنكبوت، ويمتطى صهوة الهواء
يحلم أن البحارَ تُقْهَرْ
وأن سر الأشياء يُكْسَرْ
وأنه قاتلٌ نشيدى
الله أكبر
بيروت، إن الغناءَ وهج الدم المعطرْ
يصمدُ فى جبهة الشَّهيد
وإن وجهَ الحقود أصفرْ
والدم سرٌ وعمقٌ بحرٍ بلا حدود
مثل (جَعيتا)، وضحكةَ الشمس،
وانكسار الندى على غابة الصنوبر
بيروتُ إن القتلى تواريخ لا تفسَّرْ

قبورهم مولدُ الرعودِ
وخلفَ أحداقهم ترى العاصفاتِ تسهرْ
بيروت، والجرح نَهْرُ كَوْثرْ
من ضفتيه يولد لبنانُ من جديدِ

الزرقاء والمدينة

«عين الزرقاء في المدينة المنورة لها قصة شعبية

ترويها الشاعرة في هذه القصيدة».

في متَاهاتِ مكّةَ، أرضِ الضّلالْ

وَطَنِ الكفرِ حيث المروءة تَخْبو وتنضبُ حتى الخصالْ

آتياً وشحوبُ السَّفَرْ

في ملامحه ونضُوبُ الرِّمالْ

طرفُه آيةٌ، وجهُهُ طهَّرته السُّوَرْ

رقَّقَتْه مواعدُ كانت مع الله

أشرعةٌ في ليالي السَّهَرْ

لم يَذُقْها بَشَرْ

وجهُ مُنْتَظَرٍ، طاهرٌ كالمَطَرِ

جبهتهْ كصفاء الينابيع، طرفٌ كطُهرِ ليالي الشَّمال

وهي تأتي محمَّلةً بالحَذَرْ

من شذَى البرتقالْ

إنه أحمدٌ

وصدىً من أذانِ بلالْ

(*) العدد السادس والثلاثون من مجلة الشعر المصرية

مالىءٌ روحَه، تحت رجليه يورقُ حتى الحجَر
وتبرعمْ حتى التِّلالْ
أحمدٌ يعبُر الأمسَ إلى المنتَظرْ
أحمد يا جبالْ
أحمد يا صَخَر
فاضحكي يا رُبى، وانتشي يا ظلالْ
إنَّ جذعَ الشرور انكسر
والصباحُ انتشر
من بعيدٍ تلوح له يثرب المُحْسنه
يثرب المؤمنهْ
يثربُ المرتقَى، يثربُ المئذنه
ويرى أحمدٌ عيْنَ ماءٍ
رقرق اللهُ فيها العذوبةَ والعطرَ والزَّعْفرانْ
عين ماءٍ كلولؤةِ الأحزانْ
تتَرَقْرق بالأشذاء
وأناخَ النبي هنا واغتسل
وارتوى من مياه عَسَل
غسل الحزنَ والنَّفْى عن شفتيه..
ورطَّب هُدْبَ المُقَلْ

واكتملْ

فرحُ الماء، أن نَبِيّاً عليه اغتسلْ

يا شراعاً يصفِّق، يا زقزقاتِ القُبَلْ

وأطَلَّ محمدْ

ورأى عينَ ماء شعاعية ثانية

في ينابيعها تتبرَّدْ

نخلةٌ حانيه

وانحنَتْ فوقَها داليه

ثرثرت في تراب الحقول

قبَّلت قدميْ رابيه

وأناخَ الرسولْ

ثم قال: أباركها بيديَّ لتحلوَ، تكبرَ، تَسْقي التلولْ

إن كفِّي غمامٌ، ولَمْسي سيولْ

وعيونُ المياه عطاءْ

من كُرومِ السماءْ

وانحنى في الصباحِ الرسولُ، انحنى واغتسلْ

ماؤُها كانَ في مثلِ بردِ ندى كانونْ

ومذاق شذى اللَّيمونْ

ومضى نحو يثرب رَكْبُ الرسولْ

وجهُه لبنٌ ورحيقٌ سقَي سنبلاتِ الحقولْ
وخطاه اختلاجاتُ وردٍ خجولْ
قالتْ البركة الأولى، جَنِّحي خَطواتك يا أُختي
سوف نَبلغُ يثربَ قبل الرسول ضحى
أنا أو أنت
إن هذا نَبيُّ السماءْ
مانح الظلماتِ عناقيدَ ريّانة بالضِّياءْ
ساكنا في جفونِ النِّيام شذَى يقظةٍ بيضاءْ
مُسْلِمُ الملك للفقراء
إنه قاصد يثرب ليذيبَ التقى في ثُرَاها
ليُنَقِّي رُبَاها
من حَصَى الشِّرك، إن يَديْه شفاءْ
وعلى فمِهِ رجْعُ تَسْبيحةٍ صافيهْ
من شفاه قريشية عذراء
تزرعِ الدِّفءَ في الليلةِ الشاتيه.
إنه قاصدٌ يثربا
ليغذِّي الربي
ليعيدَ إليها الحياةَ، ليمسحَ تقطيبةَ الموتِ
فلنتصلْ قبلَه أنا أو أنتِ

إنه سيحيل جفافَ الرجاءْ

همسةً رَطبةَ الصمتِ

ولَسوفَ يصلْ

ليس يملك دفقة ماءٍ لكى يغتسلْ

فلنصل أنا أو أنتِ

قَبْلَهُ، قَبْلَهُ

ستُرطِّبُ موطئَ أقدامهِ، تقتفى ظِلَّهُ

قالت البركة الثانيه

وهى ترخى غدائر مغرورةً ناسيهْ

أنا لا أحسنُ الرَّكضَ، إن قطارى ملولْ

ومياهى خمول

ثم إن الربِّى قاسيهْ

شوكها جارحٌ، وأنا لا أحبُّ الجِراحْ

أنا مالى جناحْ

لأطيرَ وأسبق خَطوَ الرسولْ

وسأحفُر دربْى ببطءٍ وماذا يهم الرسول،

ما الذى يغرى قبلَه بالوصول؟

قالت البركة الأولى الخاشعه

أنت يا أختَنا ضائعهْ

الحبيبُ الرسولْ

بعد دَرْبٍ عسيرٍ ملول

بالغٌ يثرباً، والسواقي مُحُول

أنا يا أختنا خلفهُ موجةٌ ساريه

وهو شاطئ روحي، أنا السفن التَّائهاتْ

أنا من دونه أفقٌ شمسه غاربه

وحبيبي محمد

حلمٌ مرَّ بي لحظةً، وتبدَّدْ

أنا لم أشبعْ من سناهُ المورَّدْ

وسأتبعهُ، سأشدُّ الرِّحال أمواجي الوالهاتْ

من عبير البنفسج أنضح جبهته التائبه

سوف أغسلُ وجنته الشَّاحبه

بمياه القرنفل تحت الضحى المسدولْ

فهو حبِّي وترتيلتي الذَّائبهْ

وهو في شفتي وردةُ الآهاتْ

سأطيرُ ولا أتوقف

خَطوتي تتعطّش، أُغنيتي تتلهفْ

لأروِّي الرسول

سأكون أنا في المدينة قبلَهْ

سأقبِّل ظلَّهُ

وسأمنحه كهرمانَ مياهي لكيْ يتوضّأ

سأعرشُ كلَّ زروعي له يتوسَّدها يتفيّأ

وستلقاه مني شهقةُ حبٍ، وعند الوصولْ

سيغمُس في مائي المشتاقْ

وجهَه المغسولْ

بالتُّقى بندَى الإشراق

يتهجّدُ قلبٌ إلى الله تحرقهُ الأشواق

وتُغَمْغِم مزهوةً في الضّحى البركة الثانيه

هذه البركة العاصيَه

وتقولُ تقولْ

لن أضيِّع عذوبة قيلولتي السّاجيَةْ،

لا ولا للرَّسُولْ

ألست مخمولةً لأهيم مع الريح مجروحةً حافيه

أنت يا أختُ عاشقةٌ وهواكِ بحورْ

وصدَى مَسْعورْ

فلتمزِّقْكِ إن سرت كلُّ سكاكين هذي الصخور

في جنونٍ ووحشيّة أنا غافيهْ

فوقَ ريشِ الظِّلال، وألف لتعطّشي شفاه الرّسول

أنا فوقي تعريشةٌ وتظلّلني داليهْ

أنا يانعةٌ، أنا مُتْرَفَةٌ، أنا عطرٌ كسولْ

أنا نشوى وماذا يَهِم الرسول؟

وأقول ولستُ أبالي إذا نقل المرتقي ما أقول

إن أحلى الدروبِ طريقٌ يَطولْ

والعيونُ التي تتلكأ يطلع منها الضياءُ الخجولْ

ويصير الترشّف في مائها المعسولَ

نشوةً لاتزولْ

أنا ماضيةٌ في أناد ولستُ أُبالي إذا لم يفْقْني الرسولْ

إن قَيْلُولَتي عافيه

والتعجل حمقٌ، وأشْرعتي غافيهْ

والرياح تغازلني، والرُّبى حانيهْ

وسأنعم بالحب وليشقق جبينُ الرسولْ

قالت البَركة الأولى

بطراوةِ همسٍ يجيءُ اختلاجاً مع الريحِ محمولاً

يا انبثاق الهدى يا رسولْ

يا انخطافَ الرُّكوعِ، وياولَهَ الأشواقْ

يا نبياً يداهُ هُطُولْ

وتطلّع مقلته أبدٌ وفصول

يا نبياً هو الميناء، هو الشاطئُ المأمولْ

لسفائن تقذفها غمراتُ البحارْ

وتمزِّقُها مدينةُ الأعصارْ

هو طلعةُ مستقبلٍ مجهولْ

من رضى الله وهو لأدعية البشريّة بُشْرى القبولْ

يا نبياً على قدميهِ غداً يسقط الصنمُ المقتولْ

أنا آتيهٌ، آتيهْ

أنا بركتك السلسبيليَّةُ الحاليهْ

فاغتسل وتوضأ وذق يا حبيبي محمدْ

يا ضياءً تجسَّدْ

للوجود المضيَّعِ وجهَ نبيٍّ رسول

ينقذ البشرية من ليلها المملولْ

وأوسِّدُه فوقَ أمواج شَعرى النَّدى المحلولْ

ومضتْ كلُّ عينٍ كما رسمَت

البطيئةُ عبْرَ غُيُّومِ الكرى هوَّمَتْ

سكَرتْ وارتَمتْ

والشريعة بركتنا العذْبةُ الأولى

نشرتْ أرجاً سابِحاً في العذوبة مبلولاً

ذوَّبَ الله في حافتيْها الغروبَ الجميلاً

صار مَرْشَفُها عسلاَ

وامتلتْ سنبلاَ

واستفاضت وروتْ شفاها كثارا

أحْرقَتْها الصحارى

نثرت ليلكاً خَضِلا

عينُ ماءٍ مباركةٍ يتبرَّدُ فيها الحيارى

يشربون على ضِفتيها النهارا

ويصلُّون

أما اللئيمة بركتنا الثانيهْ

فلقد أصبحت مسرحاً لرياحِ الرَّدَى العاويهْ

أصبح الماء في شعبها غوْرا

فقدت مُقْلاتُها اللآلئَ وانطفأت فورا

هَجَرتْ شَطَّها الداليهْ

لم تَعُد عندها أقداحْ

ورَماها الصياحْ

جثةٌ أطفأ الله في لونها الشَّعرا

وغدت مرقص الأشْباحْ

ومُصَلّى الرِّياحْ

كانتْ المدَّ فامتقعتْ جزْرا

وأطلَّ على يثربَ الحالمة

في ضحاها الرسول: الرسول! الرسول:

عرسُ كلِّ الحقولْ

وابتسامةُ كلِّ العيونِ المُقَطّبة الساهمهْ

إنه صحوةُ الوردةِ النائمهْ

وانتعاشُ الذبولْ

إنه هُدْبُ نسمهْ

وتفتُّحُ نجمهْ

في سماء الأفولْ

إنه المنتظرْ

الحبيبُ الرسولْ

آتياً في سفرْ

قادماً في سُفوحِ القَمَرْ

في ضَبابِ الزَّهَرْ

إن في وجهه العذْبِ فجرَ الغَدِ المنظورْ

وشبابَ العُصورْ

الحبيبُ الرسولْ

ألَقُ البلُّورْ

وانبثاقُ الشّذى والرّطوبة من شرفاتِ النورِ

تتلقاه عند الدخول

ائتلافةُ تعريشتيْن على عينِ ماءْ

طلعت فجأةً من ربى المجهولْ

وانحنتْ للرسولْ

قَبّلت قدميه وقالت: أتيتك يا جبهةً علتِ الأنبياءْ

فارتشفْ من شَذى سكْري ما تشاءْ...

أنا لست بماءْ

أنا ذوبُ ضياء

والرسول الكريم يباركها ويسمّيها: العذبة الزرقاءْ

إنها الزّرقاءْ

هرعت من بعيد لتسْقي شفاه الرسولْ

وتصير قلادةَ شَذْر تزيّنُ صدرَ الحقولْ

اسلمي للمدينة يا زرقاءْ

للحقولِ سنابلُ أنت، وللأغنيات ثراءْ

وغذاؤُكِ كلُّ عيونِ الغيومْ

ومتروين يثربَ ما ضحكتْ في السماءِ نجومْ

ولقد جفّتِ البركةُ الباخلهْ

أختك الغافلة

لهثت فوق صدرِ الثّرى ميتةً ذابلهْ

إن أغنية اللؤم أغنية قاتلهْ

والبخيلة سوف تُكفِّنها الأزمنهْ

وستلعنُها أيما مِئْذنهْ

فى شموخ الجوامعِ فى ربوات المدينه

وفَم البركة المؤمنه

يستحيلُ إلى سوسنهْ

ويرشُّ السلامَ وطعمَ السكينهْ

فى القلوب الحزينهْ

وسلمتِ، سلمتِ، إلى أبد الدهر يا ياسمينه.

القمر على مزدلفة

«حجت الشاعرة إلى بيت الله الحرام وافتتنت بطقوس جمع الصخور من وادي مزدلفة تحت ضوء القمر ليلة العاشر من ذي الحجة».

ينحنونْ
يجمعون الصدف الأبيض في شط السكون
ويصلي فوق واديهم قمرْ
ضوؤه أشرعةٌ عبر نَهَر
وجهُه رحلةُ صوفيٍّ وأسرارُ عيونْ
قمرٌ يمطر زخّات من الرؤيا وأقداحَ صُور
هُدبهُ للروح رحلهْ
وصلاةٌ وأهلَّه

والصخورُ البيض في مزدلفه
سنبلاتٌ ومرايا
شمعدانات وضحكاتُ صبايا
ودموعٌ عذبةٌ منذرفه

(*) العدد السابع من مجلة الشعر المصرية

من جفون القمر المكسور آلافَ الشظايا

ضحكت كل شظيَّه

كعروس طلعتْ من صَدَفة

رشَّت الليلة موسيقى

ووهجاً

وتحايا

سبَّحَتْ لله عذراءَ نقيَّه

قبلت أسماءه الحُسنى وصلَّتْ بشفاهٍ مريميه

صلواتٍ للدنةٌ مرتجفة

يا صبيَّه!

يا خدودا أسيويَّه

من مجاهيل الفلبين القصيَّه

يا شفاهاً تمتمتْ بالتلبيه

يايداً تجمع في الكيس حجاراتٍ وتبكي وتُلَبِّي

واسم ربِّي

خافتٌ في شفتيها كخفوت التَّضحيه

رشرشته في سكون الأوديه

شرفةٌ صوتيهً أو مقطعاً من أغنيه

يا صبيَّه !

يا عيوناً مَجْدليَّه

يا اختلاجات شفاه شفقيَّه

ما الذى تَلْتقطينْ؟

ولماذا: عبر آماد الدجى، تنتحبينْ؟

صارتْ الصخرةُ فى كفكِ دمعه

من عيونِ المسْلمينْ

فى جنوب الفلبينْ

يا صبيَّه!

يا جراحاً قرمزيَّه

أنتِ فى العتْمةِ بجعه

سَبحت مجروحةٌ فى حضنِ تُرْعَه

دمعُها يقطر، إذ تذكر جرحا غار فى ألف جبين

فى بلاد الفلبين

ربَّ دمعه

صيَّرتها لمسةُ الله نُجوماً وأشعه

إنَّ ربِّى قمرُ المستضعفينْ

وانبلاجُ العدلِ فى ليْلِ الحزينْ

ليس ينسى الله شوكاً وجراحاً
في خصور البشريَّه
ليس ينسى يا صبيَّة

وعجوزٌ تونسيَّه
تجمع الصَّخْر من الوادي وفي كأس لياليها بقيَّه
يا طقوس الموت، يا إغماءة المحتضرينْ
يا اصفرارَ الشمس في الغربِ، ويا وجه الضحيَّه
يا ذبولَ الوردِ والعنَّاب، يا جرح السنينْ
ما الذي تحت الدياجي تلقطينْ؟
ولمن تبْتسمينْ؟
صار في كيسك عطر من بقايا الخطوات النَّبويَّه
وحصَى الذكرى تسَابيح شذيَّه
صارتْ الصخرة في كفِّك حلوى وابتسامه
ليتيمين من القدس السبيَّه
صارت الأحجار ظلاً وغمامة
أمطرت أنقاض (بيسانَ) و (رامَه)
وتبسَّمْت وصارَ الورقُ الأصفر أزهاراً فتيَّه
يا عجوزاً ردَّها الحج صبية

وأنا أجمعُ من مزدلفه

كيسَ أحجارٍ، وأحْجَاري تصلّي في يدي

ذاهلةٌ: منخطفه

سقطتْ عذراء من أرض القمر

إنها لحْنٌ وشمسٌ لا صَخَرْ

إنها أورادُنا المقتطفه

من حقولِ الله، إن الصخْرِ حبَّاتُ مَطَرْ

وانعكاساتُ صُوَرْ

رشَّها الله حزاماً للخصور الخاشعات المرهفه

ضَحكتْ مزدلفه

ورؤاها أوْمضَتْ لؤلؤةٌ في صدَفه

وحَملنا كنزَنا الغالي صخوراً وأهلَّه

جَدَّدت عمرَ الستين المُضْمَحِلَّه

يا صخوراً طَعمُها طعم الكروم المترفه

نَرجُم الشيطانَ، شيطانَ المذلَّة

نقذف الإلحاد،

والفقر،

وصهيون، وترمى
كلَّ تشريدٍ وظلم
كلَّ أكداسِ الخرافات المُملَّة
كلَّ زيفٍ، كلَّ تعريشةَ وَهْمٍ
تقذفُ الغفلةَ واليأسَ، وتذكي الجرحَ شعله
وتحيل الموتُ قُبْله

وصخُوري من ربى مزدلفه
باقةٌ خاشعةٌ في يدِ طفلَه
أورقت حباتِ ضوءٍ بضَّةً متقَصِفه
من دوالى ألفِ نجمِ
لمعت في جبهةِ الليل الأصم
وصخُوري ترجمُ الباغِي وتُعْطى للجياع الأرغفه
وصخوري معرفه
تسكبُ الفكر قرائين
وموسيقى
وأرجُوحة حلمٍ
أطلعته فى الدجى لؤلؤتىْ مزدلفه

ثم غادرنا.. وفوقَ السهلِ ليلٌ فارشٌ منتصفه
وحملنا صَخْرنا العذْبَ نجوماً، وابتهالاتِ شَفَه
وادكارات نهارٍ،
وخيام،
ورؤىً في عرفه
وتركنا قمراً ينثر مَرْجاناً على مزدلفه

سيمفونية السجاجيد

سجاجيدُ، سجاجيدُ، سجاجيدُ،
أتَتْ تزحفُ من شتىّ العوالمِ ليلةَ العيدْ
من الهنْد وأطراف الفلبينْ
من الفولغا، من المغرب، من كينيا، من الصينْ
سجاجيدُ، سجاجيدْ
على الأذرعِ والأكتافِ محْموله
بملح الدَّمع والتَّوْبةِ مغسوله
وتسقط فوقها الأهواءُ والنزواتُ مقتوله
سجاجيدُ، سجاجيدْ
لقلب المؤمن الخاشع كأسٌ، واحةٌ، عيدٌ
دموعٌ من عيونِ الضوءِ مذْرُوفه
ولونُ سرادقِ الجنَّة، طَعْمُ الخُلْدِ، من أوديةِ الأعراف مقطوفهْ
وسمفونيَّةُ الألوان معزوفه
على عودٍ تُصلىِّ فيه أوتار، صلاةُ سنابلٍ عطشى إلى الماءْ
سجاجيدٌ بعطر المسجد النبويِّ ملفوفه
مبقَّعةٌ بورد النَّارِ حَمْراءْ

(*) العدد الثلاثون من مجلة الشعر المصرية

وأُخرى للْنة شذريَّة الأمواج ملساءْ

سجاجيدُ بلون الغيْم كحليَّةْ

حواشيها رماديَّه

سجاجيد سماويَّه

سجاجيدُ من الكتأن صفراءْ

وغاباتٌ من الأبنُوس والصَّفصاف لفَّاء

سجاجيدُ عليها صورة الكَعْبة

مجَّردُ لمسها توْبه

سجاجيدُ مُذَهَّبةٌ وبيضاءْ

وأخرى كالعيون الخضر وَطْفاءْ

تعيد القلبَ من غُرْبه

وتوقد مشعلاً في غابة رطبه

ومُخملها لمن أبحر في مِلحِ الخطايا السُّودِ ميناءْ

وسمفونيةٌ تعزفها في الفجر آلاف السجاجيدْ

من الأبواب تطلع، من ممرَّاتِ

يلفُّها السكونُ، من الحوانيتِ المضيئاتِ

مصلُّون، مصلُّون، ومحمولون آلافاً ومحمولونَ على أشرعة العيدْ

على أكتافهم، ما فوق أذرعهم مئات من سجاجيدْ

سجاجيد مزارعُ للتَّقى تَنْبتُ قمحَ التَّوبة البيضاءْ
جسورٌ تربط الحزن بشمس، بازْرقاقِ سماءْ
سجاجيدُ بلون البرتقال تطلّ فجر العيد
بلون الكحل أحيانًا، وأحيانًا بلون العُشْب والقرميد
وتسرقني السّجاجيد
كما تسرقُ ألوانُ الدُّمَى طفلاً عشية ليلة العيدْ
وفي دوامة الألْوانِ، في غابِ الأناشيدْ
أضيعُ سليبة الرُّوحِ
إلى الله أمُدُّ جبينَ مَذْبوحِ
وأنزفُ ليلةَ العيدْ
وتغسلُ جرحي القاني السَّجاجيدْ
وتحملني إلى شاطئٍ ما قبلَ الجراحِ الحمرِ آلافُ السَّجاجيدْ

ويصعدُ صوت (حيَّ على الصلاة) من المدَى والليل
يصُبّ خُشوعَه كالسَّيلْ
وتُفرشُ ألفُ سجادةْ
على الأرْصِفَة السمراء، في الطرقاتْ
وفي المسْجد، في الأروقة البيضاء، في الساحاتْ
ويُضْحي الفجرُ أورادَه

يُعَطِّرُها، يرشُّ على المصلين عطورَ الهيلْ
ويعرف قلبي المبهورُ في مكَّةَ ميلادَه
ومكةُ، مكةٌ للقلبِ زُوَّادَه
سجاجيدْ...
لمن لامسَ عِطرَ اللهِ في المَسْعى سجاجيدْ
سجاجيدُ، مع الله حوارٌ ومواعيدْ
سجاجيدْ...
سجاجيدُ وتَهمِي أدمعُ الإيمانِ آلافَ الثريَّات، وآلافَ العناقيدْ
وينزل خالقُ الأرضِ إلى الأرض
سجاجيدُ
سجاجيدُ
سجاجيدْ

الإبرة والقصيدة

حوار فكري

نبـــيل: لست أدرى كيف يمكن أن تبقى هذه الإبرة على مكتبك منذ ظهر أمس حتى اليوم، دون أن تعيديها إلى مكانها

هـــدى: لقد خطت بها كم قميصك ونسيتها على المكتب

نبـــيل: هذا هو العذر الأزلي.. النسيان، لماذا لا يخطر لك مطلقا أن النسيان ليس عذرا؟

هـــدى: إنه عذر أيهـا العزيز لمجرد أنه شيء مفروض على فرضا ولا يد لى فيه، ثم إننى لا أتعمده ولا أقصده، وإنما يطاردنى هو

نبـــيل: أعرف أنك لا تقصدينه، ولكنه مع ذلك ليس عذرا!

هـــدى. وكيف ذلك؟ أوضح ماتقول

نبـــيل. إن النسيـان نقيصة فى الإنسـان، وكل نقيصة لايصحُ أن تقدم على أنها عذر

هـــدى: إنها نقيصة حقا، ولكننى أحاول جاهدة أن أتخلص منها دون أن أفلح، إن النسيان يحكمنى ويتحكم فى ذهنى ويمحو ما أنويه محوا فى بعض الأحيان، ومن ثم فـهو نقيصة، وقدر، ولا خـلاص من القدر

نبـــيل: هو نقيصة وليس قدرا، لأن النقيصة يكون للإنسان مهرب منها، أما القدر فهوحكم نفاذ ولا خلاص منه.

هـــدى: أنا إذن، فى رأيك، قادرة على الفرار من نسيانى؟ وفى ذاكرتى أمل؟

(*) العدد الحادى عشر من مجلة الشعر المصرية

نبـــيل: وهل يحتاج هذا إلى برهان؟ انظرى مـثلا، عندما خطرت لك فكرة القصـيدة التى نظمتـها فى الأيام الثلاثة الماضية فهل نسـيتهـا؟ لقد استيـقظت فى الثالثة صباحـا فوجدتك فى المكتبة تكتبين منهمكة، وعندمـا أنبتك وقلت لك إن السـهـر يتعـبك قلت لى: ماذا أفـعل؟ حاولت النوم فانبـعثت فى ذهنى أشطر رائعة لم أحتمل أن أتركها تتبدد، لأننى إذا تركـتها ولم أسجلها فلسوف أنسـاها فى الصباح " هذا ماقلـت " قولى لى إذن لماذا لم تنسى قـصيدتك وانـت تحاولين النوم؟

هـــدى: سر ذلك أن القصيدة تفرض نفسها على كالنسيان تماما

نبـــيل: أتجعلين الشعر نقيصة مفروضة؟

هـــدى: لعلهـا نقيـصة؟ ذلك أنهـا حينمـا تنبـعث فى كيـانى تؤذينى إن لم أكتـبها فـورا، إنها تخـدشني، وتجرحني، وتعذبـني، وإذا لم أخضع لحكمهـا وأقذف بها إلى الورق فإنهـا تسبب لى الذهول بين الناس يحدثونني فلا أصغي، ويسألونني فأشرد، هذا هو الشعر أفليس هذا نقـصا؟ ومع ذلك فـهو نقص مـحبـوب لا أحاول الهـرب منه، إنما ألتمس الوقوع فـيه، خلافا للنسيان الذى يسبـب لى الحرج وأبغضه وأتهرب منه.

نبـــيل: ولكن...... دعـينا نعـد إلى إبرتك هذه المهملة على مكتـبك منذ يومين، هذه الإبرة: ألا تضايقك كما يضـايقك كبت القصيدة؟ إنها تضايقنى أنا، وكلمًا رأيتـها فى غير مكانها شعـرت أن الوجود غير مريح، وأنا أراها كلـما دخلت المكتبـة وكلما خرجت مـنها، فكيـف تنسينها انت؟

هـــدى: إن القـصيـدة المكتوبة تخـزنى وخزا مـوجعـا يجعلنى مـضطرة إلى

تذكرها، أما الإبرة فلا وخز لها، ولذلك أنساها.

نبـــيل: «ضـاحكا» - ساعـدني الله عليك! من لي بأن يـسمعك أي أحـد غيري وأنت تقولين هذا، إن الإبرة لاوخز لها، في حين يكون وخز القصيدة موجعا.

هــدى: ياعزيزي، إن للإبرة وخزا حـين تغرز في ذراعي، وهذه الإبرة الملقاة على مكتبي لا تخز لأن خشب مكتبي غير حساس

نبـــيل. إنها تخز ذراعي أنا

هــدى: رائع! الإبرة تخـز ذراعك انت، وقـصيـدتي تداويك وتمتعك وتنعشك، أما أنا فإن القصيدة مغروسة في ذراعي وروحي، وفوقها تنغـرز إبر هذا اللوم الذي تخزنـي انت به بسبب نسياني، ولا أنس لي ولامتعة.

نبـــيل: يا مكارة!- والشعـر ألا يسعدك وينعـشك؟ إني أعلم أنك تجلسين ساعات متواصلة كما جلست أمس، ترفضين حتى أن تأكلي، لأنك تسجلين أشطرا من الشعر تنثال على ذهنـك جاهزة هي وقوافيـها، وهذه كما أعلم وتعلمين سعادتك الكبرى.

هــدى: أتقول جاهزة؟ إني أدفع ثمنهـا لهيبا يشعل كيانـي ويشحن جسمي كله.

نبـــيل: لا تزوغي أيتها العـزيزة، دعينا نسم الأشياء باسمائهـا، لقد حدثتني مرارا عن «الحالة الشعرية» كمـا تسمينها، وهي عندما تهبط عليك، أشبـه بغمامـة تثقلهـا قطرات المطر المعطر، يصبح نظم الشـعر عندك انثيالا دافقا.. تكادين لا تسطيعين تسجيله.

هــدى: نبيل أنظر، إن الحـالة الشعريـة مع ذلك تكلفني ثمنا باهظا لا يطاق، وفوق ذلك فهي لا تهـبط عند بدئي للقصـيدة، وإنما أمر قبلهـا بفترة

من المعاناة، ألم أقل لك هذا من قبل؟

نـبـيـل: قلت أجزاء منه، أدري طبعا أنك عندما تبدئين القصيدة لا يكون ذهنك متفتحا كل التفتح، ولا ينثال عليك الشعر انثيالا وإنما تفكرين وتكتبين.

هـدى: صحيح، إني أبدأ حين أكون في ذروة عاطفية، وأكون إذ ذلك قد وضعت يدى على الفكرة الكاملة للموضوع، وهذه الفكرة سرعان ما تلف نفسها في لحظة طارئة من انفعال خصب يعترينى فأبدأ القصيدة وأنا واعية، قد أختار لها وزنا، وأنظم منها شطرين أو أكثر ثم ألاحظ أن الوزن غير كفء فأشطب كل ما كتبت في ثورة عصبية وأضع رأسى بين كفى حائرة، ثم أبدأ أجرب وزنا آخر، وقد أجد ما أنتجت غير معبر، وقد ينجح وأتقدم في بطء، وقد تستمر هذه الحالة ساعة بين الوعى وعدم الوعى، وفجأة يدور في حياتى الرقم السحرى وتهبط اللحظة السعيدة، وتوافى الحالة الشعرية.... تأتى الصبية الموهوبة الجميلة وتنثر على أنداءها.

نـبـيـل: وعندها تنتهى المعاناه، وتهبط عليك الأشطر منظومة مسحورة كاملة هي وقوافيها في سهولة ويسر.

هـدى: تظنها تنزلق انزلاقا دونما عائق يعرقل حركتها؟ لا، يا نبيل لا، ليس هذا صحيحا ولو كان الأمر كما تقول لاكتملت قصيدتى في ساعة واحدة منها، وليس هذا مايقع، أو لا تدرى أننى أحيانا أنظم قصيدة واحدة في ثلاثة أيام أو أكثر.

نـبـيـل: «معترفا» تماما، لست أنكر هذا، فكيف إذن نوفق بين القولين؟ في الأسبوع الماضى بقيت أربعة أيام تشتغلين في قصيدة واحدة، ولقدحدثتنى مرارا وفى فرح غامر أن الأشطر تتوارد عليك وتمنعك

من النوم.

هــدى: وذلك يلوح متناقضا، ولكن الحالة الشعرية تستمر عندي علة أيام، لأنني لا أملك وقتا متصلا لتفريغ الشحنة المتأزمة في نفسي، فجأة يرن جرس الهاتف ويكون علي أن أجيب.... أو تقاطعني الساعة الثانية بعد منتصف الليل ويكون عليّ أن أنام لأستفيق في السادسة صباحا وأعد الفطور لولدي لكي يستطيع الذهاب الى المدرسة، ثم يحين وقت الجامعة، وخلال ذلك ماذا يقع لي صعيد الشعر.

نبـيل: وهل تستمر الحالة الشعرية خلال ذلك كله؟

هــدى: هذا هو الموضوع الغريب المستثير يا نبيل، إنها تستمر، وذلك عذاب وفرح غامر في الوقت نفسه، إنه شوك يخزني وأحسه في أعصاب معدتي أشد ما أحسه.

نبـيل: وكيف ذلك؟ ماعلاقة الحالة الشعرية بالمعدة؟

هــدى: إن ماأقوله يبدو غير مصدق، ولكن اصغ إلى أيها العزيز لتمتلك الحقيقة، هذه الحالة الشعرية، تبقى بفضل الله ورحمته، ملازمة لي حتى أستطيع إتمام القصيدة وهذه نعمة سابغة حلوة، ولكن لها شوكا وفيها تعذيب، أدخل الصف وذهني في أقصى نشاطه، تتفجر ما فيه من معلومات مخزونة في الأدب والنقد والشعر واللغة والنحو والموسيقى والمنطق والعلوم، إني أصبح شعلة من الثقافة المتأججة وأستطرد خلال الدرس في عشرات الاتجاهات وتستفيق ذاكرتي على صورة معجزة.

نبـيل: ألا يكون هذا التفجر شيئا نافعا ولذيذا لدى الطلاب؟

هــدى: بلى يكون كذلك، وطلابي يصارحونني في مثل ذلك الظرف أنهم يسعدون، وكذلك يلازمني شيء آخر يحبه الطلاب هوالسعادة

البالغة التي تغمرني، والمحبة التي أتفجر بها لكل إنسان، ولكل شيء في الوجود.

نبيل. قفي لحظة، أنت إذن سعيدة، فأين عذاب الحالة الشعرية؟ أين المعاناة والأشواك التي وصفتها؟

هدى. يا عزيزي! دعني أكمل الوصف، إن هذه السعادة الطافحة لها ثمن من أعصابي فخلال هذة الحالة تكون أعصاب معدتي متوترة كلها على شكل أحسه،ويكون جبيني ساخنا، يلتهب بنوع من الحمى وكأن ذهني كله يتأجج ويضيء، وأكون قلقة أسابق الحياة وكأني سأموت في اللحظة التالية.

نبيل: إن ما تقولينه غريب أيتها العزيزة، ولكن ألست مبالغة فيه؟ إن عادتك التي أعرفها هي المبالغة في الوصف، أنت تعبرين بقوة لاذعة عن الألم والفرح والغضب والشك، هذه طريقتك.

هدى: أنا شاعرة في صفتي هذه التي تتحدث عنها، والشعر ليس إلا موسيقى منبعها التطرف العاطفي، وإسباغ التهاويل على كل شيء، وفي أنا من هذا الكثير، ولكن وراء كل مبالغة غير قليل من الحقيقة، إني أحترق وأتمزق خلال الحالة الشعرية هذه، وكلما امتدت –بسبب العوائق الشاغلة التي يضعها واقع الحياة في طريقي– استمر التأجج.

نبيل: وماذا يحدث للقصيدة خلال ذلك؟

هدى: ما أكاد أفرغ من هذه العوائق وأهدأ خمس دقائق، وأتناول أوراق القصيدة وأقرأها قراءة واحدة حتى تبدأ الأشطر بالتشكل السريع وتفاجئني القوافي التي لا تخطر على بالي ولا أدري من أين تنبع، وتنزل على المعاني الباهرة مموسقة منغومة، وإذا ما حدث خلال هذا

الانثيال أن أذهب إلى المطبخ مضطرة لأتناول طعام السحور فى رمضان، فإن الأشطر تواصل الإنثيال على لأنى وحيلة مع نفسى، والطعام لا يشغل إلا يدى وفمى وكثيرا ما أترك كوب الحليب يبرد لأسرع إلى المكتبة وأسجل شطرا موزونا مقفى يهبط على ذهنى كاملا كما خرجت مينيرفا إلهة الحكمة مدججة بالسلاح من ذهن أبيها جوبيتر فى أساطير الإغريق، وأحيانا يكون مدفع الإمساك قريبا ماثلا، وأنا جائعة والأشطر تتوارد على أشبه بنهر فائض جارف، ويدوى المدفع ويحين الإمساك وأبدأ نهارصوم جديدا، وأنا أحمل جوع يوم سابق معى بسبب الحالة الشعرية.

نبـيل: إن سعادتك الكبرى فى الحياة هى الشعر وأنا واثق أنك تصومين جوعك سعيدة لمجرد أن قصيدتك قد ولدت موهوبة خصبة متألقة

هـدى: ولكن يانبيل! فكر فيما تقول، ان قصيدتى لا تولد فى نهار الجوع هذه المشاغل يأتى بها صبح الصيام، دروس فى الجامعة، موعد مع الطبيب، زيارة لا مفر منها، ومثل ذلك، وخلال ذلك أبقى تحت وهج الحالة الشعرية التى وصفتها لك، أعانى العذاب والغبطة، وأكل الملح والسكر، وأمشى فى الضباب على شواطىء يوتوبيا، وأتمزق خلال ذلك تمزقا متصلا لأننى أحتاج إلى الورق والقلم والصمت لأتم هذه القصيدة التى ترمها المشاغل من أن تولد ويتم خلقها.

نبـيل: الآن ينبغى أن تفسرى لى ما لا يبدو متناسبا، إذا كانت الأشطر تهبط عليك كاملة فلماذا تحتاجين إلى كل هذا الوقت لإتمام القصيدة؟ أحيانا نكون جالسين مع ضيوف لنا تحبينهم، وفجأة أفتقدك وأجدك قد اختفيت من بيننا فأبحث عنك لأجدك واقفة فى

المكتبة تكتبين في لهفة ووله، وأسألك عاتبا: كيف يصح هذا؟ تتركين الضيوف وتقبعين في المكتبة؟ فتقولين لي في عجلة وتأجج: (لحظات فقط! إني أسجل أشطرا من شعر هبطت علي الآن وإذا ما أهملت كتابتها فورا هربت وانطوت الى الأبد).

هـدى: وأعود مسرعة إلى الضيوف والراحة مرسومة على وجهي، ولكن لاحظ! إن هبوط بعض الأشطر على موزونة مقفاة موهوبة كاملة لا يعني أن القصيدة تنظم نفسها لي.

نبـيل: هذا ما نريد معرفته تفصيلا، ماذا يهبط عليك هبوطا؟ وماذا تبدعينه أنت بذهنك الواعي؟ وهل الشعر معجزة خالصة؟ أم أن لك فيها يدا؟ وهل شيطان الشعر حقيقة ملموسة واقعة؟

هـدى: إنه حقيقة رائعة، وأسلافنا العرب القدماء مبدعون في تصورهم له، شيطان الشعر هو الحالة الشعرية يا نبيل، وقد وصفتها لك، ولكن هذا الشيطان الحبيب أو الملك الإلهي الطيب لا يعطينا كل شيء، وإنما يعطي شيئا ويغيب عنا أشياء أو هو يعطي المفتاح ثم يقف مبتسما مشجعا، وعلى الشاعرة بعد ذلك أن تشق طريقها وحدها.

نبـيل: ولكنك قلت إن الأشطر تهبط عليك كاملة.

هـدى: هذا يقع غير قليل ولكن... إن هذه الأشطر الملهمة لا تأتي في سياقها المفروض أولا: يأتيني شطران عذبان يمكن تركيبهما في مكان ما من القصيدة التي أمتلك فكرتها كاملة، ولكن أين البقية؟ إن على أن أجدها بنفسي وأرصها حتى يقابلني مكان الشطرين المعجزين اللذين نبعا في ذهني غير الواعي بقافيتهما، وأحيانا يأتي شطر غير كامل فيه فكرة خصبة جديدة تغير السياق الذي أنا فيه تغييرا سحريا، وتمنحني اتجاها جديدا لم يكن يخطر على بالي أو

يهجس به خاطرى، وقد تأتينى قواف مفاجئة منفردة ليس لها أشطر غير أنها تعطينى مفتاح غرفة مسحورة مقفلة تشق للقصيلة دربا لا عهد لى به.

نبيل: ولكن القوافى وحدها لا تنفعك، أليس كذلك؟ وهل هذه هى الحالة الشعرية إذن؟ أرانى قد خبت فى عقل الشاعر غير الواعى.

هدى: يا نبيل! إنى أتدفق على صورة سحرية لا مثيل لها ويكون إتمام الأشطر التى امتلكت قوافيها سهلا، وفيه عذوبة ولذة، هنا القضية، فما أكاد أمتلك القوافى حتى يهبط على معنى جديد جملة كلية، وهذا المعنى لا يوجد جاهزا وإنما على أن أبذل الجهد للوصول اليه وبعث دم الحياة فيه، وما أكاد أفكر حتى أتدفق، إن يدى تلوح مسحورة، وذهنى كله انثيال وتفجر، وبين الحين والحين يأتينى شطر موزون كامل أو شطران قد يمكن تركيبهما فى أول القصيدة أحيانا، ولذلك ترانى فى الغالب أمزق خلال الحالة الشعرية، كل ما نظمته فى الفترة الأولى التى سميتها فترة الكتابة الواعية، وهى فترة ينقصها التدفق المبدع، ذلك أننى أكتشف بعد هبوط الحالة الشعرية، أن الأبيات الأولى كانت باردة وغير خصبة ولذلك أبادر إلى شطبها وإثبات أبيات جديدة حارة متدفقة فى مكانها، ولولا هذه الخصوبة المتأخرة لكانت بدايات قصائدى صماء ثلجية جوفاء فى أغلب الأحيان، لأننى أكون قد نظمتها فى فترة ما قبل الحالة الشعرية.

نبيل: هذا الذى تقولينه شديد الأهمية، وكنت أحب أن أسمعك تقولينه لأنك قلت لى فى البداية شيئا خيبنى هو أن افتتاحية القصيدة تكتب دون أن تكون وراءها حالة شعرية تلونها وتثبت الحيوية

والخصوبة فيها، ولكن قولي لي مع ذلك، ماذا تفعلين حين تريدين أن تبدئي قصيدة؟

هدى: في أحيان كثيرة أجلس وأسجل الفكرة التي خطرت لي في نثر اعتيادي محاولة تجميع كل ما في ذهني الواعي حولها من صور ورموز وغير ذلك مما هو مادة الشعر.

نبيل: ولكنك قلت إن ذهنك يتدفق ويتفجر بأشياء جديدة مبتكرة لاتخطر لك على بال، فكيف يحدث هذا التفجر ومتى؟

هدى: انظر أيها العزيز، إذا أردت أن أرسم لك صورة بسيطة عن الأسلوب الذي يعمل فيه ذهني أثناء هذه الحالة، فسأذكرك بالجهاز المسمى بالعقل الإلكتروني.

نبيل: هذا الجهاز المقتدر الذي يعطي معلومات إنسكلوبيدية عن أي موضوع نكلفه بالغوص فيه؟

هدى: أجل، ولكني أحتاج هنا إلى أن أشير إلى نوع معين من أصناف هذا الجهاز وهو النوع الذي يبدو قادرا على تدبير تجانس إنساني عجيب يحار الفكر فيه، إن هناك في أمريكا جهازا إلكترونيا يرتب اللقاء بين الشبان والشابات ويختار لكل منهم رفيقا مناسبا يستطيع أن يصحبه إلى حفلة مثلا دون أن يعكر انسجام الرفيقين شيء، فإذا رغبت فتاة ما في حضور احتفال، ووجدت نفسها بلا رفيق يصحبها إليه لجأت إلى شركة معينة، تمتلك هذا الجهاز طالبة مساعدتها في الحصول على هذا الرفيق، ويقع على الجهاز أن يختار للفتاة أنسب صاحب تقضي معه الأمسية.

نبيل: (ضاحكا) حقا؟ هذه إحدى شطحات أمريكا ولم أسمع بها من قبل، ولكن ما علاقة هذا بحالتك الشعرية؟

هــدى: علاقــة ما... إن هذا الجـهاز اخــتراع قــصد به علمــاء أمريكا تقلــيد العــقل الإنســـانى المذهل الذى أودع فـيـه الخـالق الـعظيم قــدرات سحرية يبقى سرها خفيا علينـا فلا تفسير لها إلا كونها من صنع إله قدير مبدع لا حدود لعظمته وقدرته، أراد العلماء أن يصنعوا جهازا يقلدون به ذهن الإنسان فاخترعـوا العقل الإلكترونى، وكيف يعمل هذا الجهاز؟ هناك موظف مسـئول يتلقى طلب الفتاة التى تبحث عن رفيق تقـضى معـه المساء، وهذا الموظف يلقى علـيها مـجمـوعة من الأسئلة تتناول نفسيـتها وهواياتها وثقافتها وأحـوال أسرتها وأشياء كثيـرة أخرى منها طولها ووزنهـا، ثم يملى الموظف هذه المعلومات إملاء دقـيقا على الجهـاز الممتد أمـتارا كثيـرة على الجدران وهو آلة معقدة أشد التعقيد، وبعـد ذلك يبدأ الجهاز بالعمل الدائب المستمر، أضواء تنطفئ هنا وتشتـعل هناك، وأزرار تتحـرك، وأرقام تصعد وتهبط وبعـد ربع سـاعة من هـذا العمل الآلـى يقدم الجـهـاز اسم الشـاب الذى يصلح لمرافـقة هذه الفـتـاة، ويكون هذا الشاب أحـد العشرات من الذين تقدموا إلى الشركة يـطلبون رفيقات يصاحبنهم هذا المساء.

نبـــيل: أنت تحاولين التقليل من قيمـة هذا الجهاز إلى جانب عقل الإنسان، فقـد لاحظت أنك وصفـته بالضـخامة وتحـدثت عن المكان الواسع الذى يشغله بينما عقل الانسان لا يزيد عن حجم تفاحة كبيرة، وأنا خبـير بطريقتك فى الـتحدث كلمـا ذكرت عظمة الخـالق وتضاؤل علم الإنسان إلى جانبه.

هــدى: أو ليس هذا صـحيـحا يا نبـيل العزيز؟ إن جـهازهم الذى يعـد من عجائب هذا العصر لا يكون شيئـا إلى جانب عقلى الصغير الحجم

الذى خلقه الله المبدع الأكبر وجعله من الأسرار التى لا نسبر أغوارها ولا نلامس عمقها مهما تقدمنا فى العلم، لقد زعم العلماء أنهم قلدوا هذا العقل فى عملهم، وانظر كيف يعمل العقل البشرى، أهم بكتابة مقال حول فكرة معقدة أهتم بها، وأبدأ ذلك بأن أجلس إلى مكتبى وأمامى أوراق فارغة، وأروح أسجل كل ما فى ذهنى الواعى من أفكار وصور وأحاسيس حول ذلك الموضوع، وقد تشغلنى هذه العملية ساعتين أو ثلاثا أو أكثر، وقد أحقق الكثير وأسجل نقطا كثيرة تستطيع أن تكون العمود الفقرى للمقال، وعندما تنفد أفكارى أطفئ الضوء وأذهب إلى سريرى وأنام، والمعجزة المذهلة تحدث فى الصباح التالى - أو خلال الليل نفسه- فأنا أستفيق فجأة لأجد ذهنى فى حالة توهج غريب، وألاحظ أن فكرة جديدة مبتكرة قد نبتت فى وعيى حول ذلك الموضوع وطلعت كالوردة الحمراء المشتعلة باللون والحياة، وأسرع إلى مغادرة السرير الدافئ إلى غرفة المكتبة الباردة وأجلس على عجل لأسجل الفكرة قبل أن تضيع فى غمار الذاكرة وتفلت منى إلى الأبد، كيف تم هذا البزوغ المذهل؟ لقد نمت أنا واستمر العقل الموهوب يعمل فى جد وحرارة واهتمام وسرعان ما أبدع هذه الفكرة وأعدها بحيث تكون جاهزة كاملة فأتسلمها حين أستيقظ، وهذه الفكرة كما يتضح لى جديدة جدة كاملة ولاعلاقة لها من أى لون بأفكارى السابقة الواعية، وهذه الفكرة كثيرا ما تقلب مقالى رأسا على عقب وتوجهه وجهة جديدة، ثم إننى ما أكاد أكتب هذه الفكرة حتى تنثال على أفكار أخرى جديدة فيها عمق ملحوظ دون أن أدرى من أين نبعت وهذه الأفكار تحول مقالى من حال إلى

حال، وترسله فـى اتجاه سحـرى مبتكر لا أعـرف كيف بلغـته ومن أعطانى اياه.

نبـــيل: ما تقولينه صحيح، وأنا أيضا قد جربته وان لم أكن ملهما مثلك، إن ذهنى يعمل على هذا الأسلوب، أحيانا أحاول محاولة دائبة أن أفك معضلة فكرية من نوع مـا، وأبذل الجهد كاملا دون أن أحقق نتـيجة وأخيـرا أعجز وأستسلم لليأس، واذ ذاك أترك الموضـوع وأنصرف إلى أعمالى الأخرى، وفـجأة يبزغ الحل الكامل من ذهنى وينتصب وكأن معجزة قد وضعته بين يدى، ومن أين جاء هذا الحل؟ وكيف نبع؟

هـدى: نبع من عـقلك الذى هو أقدر آلة ألـكترونيـة فى الوجود، أتعلم مـا يحدث لنا فى هذه الحالات الغامضة؟ نحن نعطى هذا العقل الجبار المعلومات الأولية التى نعرفها، فنجلس ونجمع له المواد التى يملكها العقل الواعى، وبـعد ذلك ينفد مـا لدينا ونعجز ونـكف عن العمل وننام، ولكن العـقل السـحرى المعـجز لا ينام وانمـا يبقى يعـمل بلا انقطاع، إنه سـاهر أبـدا يعـمل ونحن غـافـون غـافلون مـسروقـو الأرواح، وفى سـهرة يبـدع أفكارا جـديدة لا عـلاقة لهـا بأى شىء سابق من المادة الأوليـة التى جهزنـاه بها من جهـدنا المحدد الواعى، وذلك هو الإبداع البـشـرى العـجيب الذى يطلع به علينا العـقل اللانهائى، وهل ترانى يا نبـيل أنا التى أبدع القصيدة الحـية المبتكرة؟ لوَالله. إنما هو كـيان غامض مـسربل بالألغاز يقـيم فى داخلى على صورة لا تعليل لها ويعطينى القصـيـدة جاهزة، وهذا الكيان هو قوة الله الجـبار التـى رقرقت نبض الحـيـاة والفكرفى كل ذرة من ذرات الخليقة.

نبـــيل: سبحان الله العلي القدير، ومع ذلك فلست أوافقك على ميلك إلى التقليل من قيمة العلم، لأن العقل الإلكتروني مدهش أيضا، وهو تقليد عظيم لعقل الانسان.

هـــدى: هو عظيم لأنه من صنع الإنسان الجاهل الضعيف، ولكنه تافه، ولا قدرة له بإزاء العقل البشري.

نبـــيل: إذا كان الأمر كما تقولين فكيف يصل هذا الجهاز الى اسم الشاب المناسب الذي تسهر معه تلك الأمريكية التى حدثتني عنها؟

هـــدى: ليس في ذلك أي إبداع، إن العقل الإلكتروني قد زود بالصفات الوافية لعشرات من الشبان، وهو لا يزيد عن اختيار شاب وفتاة تتماثل صفاتهما، وهذا اختيار أوتوماتيكي ليس وراءه إبداع، ذلك العقل الالكتروني لا يمكن أن يطلع علينا بفكرة خلاقة كالتى تبدعها عقولنا، وإنما يقتصر عمله على جمع المواد وتنسيقها وفرزها، ثم إن الجهاز يقع في أخطاء غليظة في أحيان كثيرة، غلطة واحدة يقع فيها الموظف المسئول حين يضغط على زر غير الزر المطلوب، وتكون النتيجة أن يجمع الجهاز شابا وفتاة متنافرين في ذوقهما كل التنافر، فما تكاد الفتاة تلتقي بالفتى الذي اختاره لها العقل الإلكتروني حتى تنظر إلى عينيه وتشعر بنفور منه لا تفسير له، ويحس هو إحساسا مماثلا دون أن يدرك السبب، والجهاز الالكتروني لا يملك عاطفة ولا يرتعش له قلب يعطف على الشابين المذكورين وهذا سر غلظته وقلة إحساسه، إنه يعمل بالأضواء والأزرار والأرقام، أما الإنسان فإن له روحا، وهذه الروح لا نهائية فلا تسبر أغوارها آلة، ولا يصل إلى فك رموزها جهاز مهما تعقدت مدينة الإنسان، وفي الحياة الإنسانية حالات كثيرة

يكون فيها الزوجان-مثلا مختلفين فى مزاجهما وأهوائهما وطباعهما ومع ذلك يسعدان بزواج يمتد مدى الحياة وينزلق على دولاب السنوات بلا مقاومة ولا صدمات ولا خدوش، والعقل الالكترونى عاجز عن أن يجمع مثل هذين القلبين، وكل عمله أنه ينسق الخصائص التى أعطيت له ويقرن الشئ بشبيهه ويختارأزواجا تتماثل صفاتهم وقد تتنافر قلوبهم كل التنافر.

نبـيل: قد يكون الأمر كما تقولين، ولكن كيف تفسرين كون العقل الالكترونى ينسق الأفكار ويعطينا اسم الشاب المناسب؟ أليس هذا ابتكارا؟

هـدى: لو تأملت لأدركت أنه لم يبدع فكرة جديدة مبتكرة لم يسبق أن خطرت على بالنا كما يصنع العقل الإنسانى، وإنما يقتصر عمل العقل الالكترونى على حالة واحدة هى الحالة التى يمتلك فيها أسماء شبان أخرين وصفاتهم، إن قصارى ما يقدر عليه أن يجمع أشياء معطاة له ويقرن بعضها إلى بعض ويختارمنها الرفيقين الأكثر شبها ليترافقا ذلك المساء، أما العقل البشرى فإنه يحل لك اللغز يا نبيل، يحله حلا جديدا يستحيل أن يكون خطر لك، وهو ينظم لى القصيدة التى تذهلنى أنا نفسى وتأتى فريدة لم يقل شبهها شاعر غيرى، ومن أين تنبع تلك الأسطر المنظومة المقفاة الكاملة التى لم أشتغل أنا فى نظمها لا بل لم أتذكر قوافيها لأسجلها فى قائمة القوافى، إن العقل خلاق مبدع يبتكر من لا شئ، أما عقلهم الإلكترونى الذى يبهرهم فهو لا يقدم لنا الا أحد الأسماء التى حشوناه بها حشوا، وكثيرا ما يخطئ بينما العقل البشرى لا يخطئ.

نبـيل. هذا صحيح، وأضيف إلى ما تقولين أن عقلنا العجيب يعمل بلا

أزرار ولا أضواء ولا صعود ولا نزول، وحين نتناوله في غرفة التشريح ونتأمله نزداد حيرة وذهولا فهو مجرد كتلة صغيرة من اللحم والدم وهذه الكتلة تؤدي وظائف معقدة معجزة لا يستطيعها ذلك الجهاز الهائل الضخامة الذي يملأ قاعة كبيرة.

هـدى: (تخشع) سبحانك يا الهي، يا أجمل حقيقة في الوجود.

نبيل: سبحانه وتعالى، ولكن اسمعي يا هدى، خطرت لي فكرة، إن عقلي حين يحل لي اللغز ليس مبدعا من دون ثقافة أمنحه إياها، تذكري كم سنة من عمري قضيتها في الدراسة وقراءة مئات في مختلف حقول المعرفة والفكر وعلى هذا يكون ذهني مالكا للأفكار الدقيقة كما يملكها العقل الإلكتروني.

هـدى: صحيح طبعا، إن دراستنا وثقافتنا ذات علاقة مباشرة بالموضوع لأنها تنشط العقل، ولكن ألا يبدع عقل الرجل الأمي قصائد ولوحات وأفكارا؟

نبيل. اعتراضك وارد، والأميون يبدعون، ولكن هل يستطيع رجل من هؤلاء الأميين أن يحل هذه المعضلة الفكرية عين الحل المعقد كما حللتها أنا؟

هـدى: إنه لا يستطيع وذهنه يبدع آخر مختلفا، ولكن ما رأيك في ذلك الطفل الذي تقدمه لنا الإذاعة المرئية ببغداد مرة؟ كان عمره ثماني سنوات وكان يستطيع إجراء عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة لأرقام مخيفة تبلغ ملايين المليارات...

نبيل: لابد لي يا عزيزتي من مقاطعتك، إنك تقولين إن الأرقام مخيفة، ولماذا تكون الأرقام مخيفة؟ ما الذي يخيفك فيها؟

هـدى: يا نبيل، إن الأرقام مخيفة تثير الرعب، وسر رهبتها أنها لا نهائية

وكل ما هو لا نهائى يخيف العقل البشرى ويزلزله، ولذلك نخاف الله أشد الخوف، فهو أزلى لا بداية له ولا نهاية، وأنا أخاف القضاء، كما أخاف أزلية الله سبحانه، وكما أخاف الأرقام، لأن علماء الفلك يؤكدون أن السموات لانهائية فمهما سافرنا فيها وجدناها تمتد، وهي مخيفة حتى إذا أمكن لنا أن نتصور أنها تنتهى عند نقطة ما، عند حدود معينة، لأننا إذ ذاك سنعلم حقيقة رهيبة أخرى هى أن هذه السموات المنتهية بحدود لابد أن يكون وراءها شئ آخر، وهذا الشئ الآخر سيكون وراءه أشياء أخرى، أرأيت إذن؟ إن اللانهاية شئ لا يحتمله العقل الإنسانى ولابد للفكر من أن يلقى هذا السؤال الرهيب، ماذا وراء اللانهاية فى الخليقة وفى الأرقام وفى الزمن؟ فكر فى كل هذا يا نبيل وسترى أنك خائف تحس أن الوجود يميد تحت قدميك.

نبيل: إنك تصورين اللانهاية تصويرا يثير الرعب حقا، ولكن حدثينى عن ذلك الطفل الذى عرضته إذاعة بغداد المرئية بما له من قدرات حسابية فإنى لم أره ولم أسمع عنه.

هدى: لقد ألقوا على ذلك الطفل أسئلة مخيفة بأرقام هائلة تثير العجب والدهشة فكان يجيب فورا ويعطي النائج دونما ورقة ولا حساب، وكان الذين يلقون عليه الأسئلة رياضيين مختصين وكانت معهم آلة حاسبة الكترونية لولاها لما استطاعوا إثبات صحة إجابات الصبى الصغير.

نبيل: تقولين إنه كان يجيب فورا، وهذا أعجب العجب لأن الحاسبة الإلكترونية حين تعطى أرقاما ضخمة كثيرة لضربها تستغرق ما لا يقل عن ربع ساعة فى إعداد الجواب.

هــدى: نعم، نعم يا نبيل، واسمع هذا، لقد حصل خلال ذلك أن أعطت الحاسبة الإلكترونية جوابا يختلف عن جواب الصبى بعشرة أرقام، فما كادوا يجابهونه بذلك حتى آكد لهم أن الآلة هى المخطئة فى الاجابة لأن أحد أزرارها معطل، وعندما جاءوا بخبير وفحص الآلة اكتشف العطل فعلا، أفليس هذا مذهلا؟ هنا ذهن بشرى غير متعلم وغير مثقف ولم يزود بأية خلفية رياضية، ومع ذلك يصحح خطأ آلة الكترونية يندر أن تخطئ، أليس هذا كله من مظاهر عظمة الله الذى أبدع فى خلق العقل البشرى؟

نبـيل: ما تقولينه حق، والعقل الانساني خلاق على صورة معجزة.

هــدى: وهل يجعلك هذا تغفر لى تركى لهذه الإبرة على مكتبى منذ أمس؟ إن ذهنى كان منشغلا بابداع قصيدة جديدة.

نبـيل: آمنا بالله، وسامحتاك، والثمن الذى أطلبه أن تقرئى علىّ القصيدة الجديدة ولكن ها أنا ذا أحمل الإبرة بنفسى وأضعها فى علبة الخياطة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حلم ليلة من ليالى رمضان

حلمت بأني أهاجر نحوك في عرض هذا الوجودْ

وزوَّادتي صلواتٌ، ووجدٌ، وأوتارُ عود

على كتفي صُوَرٌ وحقائب

وفوق عيوني ضبابٌ، وعبر دمائي رغائب

تحملني ثِقْلها الأرض، تقلع ريش جناحي الخطايا

وتعكس وجهي وتخدعني عشرات المرايا

فلا أستطيع الصعود

وتأكل من شفتيَّ الغياهب

ولكنَّ وجهَك يدعو

ووجهَك دونَ حدودْ

ومن خطفته سماوات وجهِك ليس يعود

وسافرتُ وحْدي طويلا لعلِّي أصلْ

إلى شطك المكتمل

هناكَ تُموسقني دفقةٌ من شذى جبهتكْ

وأركعُ في ضِفتك

(*) العدد التاسع والعشرون من مجلة الشعر المصرية

وتجثو معي عَشَرات الكواكب

أقول لقلبي: طال طوافك

وتومىء لي، يا مليكي، ضفافكْ

واسألها: خلف أي بحور هيه؟

وفي أيِّما لا مكانْ

أحاول أن أتجرد، أمضي إليكَ، محرَّرة من قيود الزمانْ

فتحسبني موجة لاهيةْ

وزنبقة عاريه

على شاطئ بالشَّذي يَغْتسل

يغازلني، يتودد، يبعدني عنكَ لكي لا أصل

وأسأل: أي شوارع حُلمي حواك؟

وفي أي غصن

من التُّوت ألقى شَذاك؟

وفي أي إغماءةٍ من تَهجُّد لحني

تُرى سأراك؟

وفي أي أمواج قوس السَّحاب ألاقيكَ في أيِّ لون؟

وفي أيِّ خيطٍ من المطر المنهمل؟

وفي أيِّ بلورةٍ من سواقي الصباح الخضلْ؟

ومن قعر جرحٍ بخاصرة الشوق لا يندملْ

يضجُّ سؤالى

وليس يردُّ على نبضاتِ سؤالى

سوى رجعه، وترامى بحار، وشطآن حزن

سوى حيرتى وارتمائى ما بين كون وكون

ويمطر فوق جفونى البنفسج حين تمر ببالى

وأنثر عمرى فى البحث عنك: ليالى، ليالى

ويكشفنا الفجر منصرعين، أنا وابتهالى

وأسمع همسا يخاطبنى: أنت أيتها القاصده

إلى دربه، فيم تحتملين ركام الحقائبْ

تجرّينها؟! إن حارسَ هذا الطريق سيطلب دَمْعة تائب

يعانق قلبى شيئه

ويشرب ضوءه

وفى لحظةٍ من ضياعٍ وحَيره

يُطالعنى وجهة المبتسم

تكوِّنه رعشةٌ فى مياه البحيره

وأركضُ فى وله، غير أن الغروب النهم

يخبئُ حسنك عنى

ويأخذُ وجهك منى

وزادي من عطر شَخْصك قطره

ومن ضوء وجهك نظره

متى سيكون الوصول إليك؟

وكيفَ الوفود عليك؟

أضيّعُ وجهك مغلوبة، وأراني وحدي

وحين أغنيك تسبق صوتي مرارة سجني

وشهقةُ قيدي

وقلبي عصفورُ فجرٍ يزقزق بين يديْك

ويشربُ من شفتيك

وذكرك مسبحتي، وجذوري، ولذة سهدي

ووجهك مَجْدي

ولقياك أجملُ وعْد

وأسألُ عنكَ،

ويولد مدٌّ من الشمس عبر البحر

يواعدني رمضانٌ جديدٌ بشرفة حب لديك

ترش عليَّ شذاها ليال أُخَرْ

وأجلس أغزل شوقي لموعدك المنتظر

ثلاثية من زمن الفراق

فى دروب الرياح

هل يا حبيبى بعثرتنا شاسعات البلاد؟

هل فرقتنا الرياح؟

وهل ترى قد سكتت شهر زاد

عن الكلام المباح؟

من يا ترى ألقى بنا للرياح؟

عصفورتين دون عشٍ دافىءٍ أو جناح

ترمقنا الجوارح الكواسر

بنظرة أهدابهاه مسمعة، آحداقها باترة

تشربنا كأنما دماؤنا بحيرة تستباح

من يا حبيبى قد بنى بيننا

هذا الجدار، من ترى أسلمنا للجراح؟

ومن ترى أودع أشعارنا

أستار هذه الظلمة الناخره؟

وهذه ترى يأتى إلينا الصباح

بعد ليالى السهر المعاصره؟

وهذه الصحراء هل بعدها

تسقى رؤانا غيمةٌ ورديةٌ ماطره؟

برشة من حبنا عاطره؟

ترطّب الأشواق، تشفى كل جرحٍ حفرته

الرياح

وكل ليلٍ قاتمٍ خلفوا

أشواكه في الظهر والخاصره

ويا حبيبي هل ترى قد صمتت شهر زاد

عن الغناء المباح؟

هل أسلمتنا للبلاد البلاد؟

واستعبدتنا الرياح؟

فلا شذى من أمسنا يستعاد؟

ولا يطل الصباح؟

فهرست

قرارة الموجة

شجرة القمر

للصلاة والثورة

يغير ألوانه البحر

الوردة الحمراء

الناشيء

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٧٦٦٩
I.S.B.N. 977 305 333 4

الناشيء

متى نصلّى؟ إنّما صلاتنا انفجارْ

صلاتنا ستُطلع النهارْ

تسلّح العزّل، تُعلى راية الثوارْ

صلاتنا ستشعل الإعصارْ

ستزرع السلاح والزنبق فى القِفَارْ

تحوّل اليأسَ إلى انتصارْ

صلاتنا ستنقل الجدبَ إلى اخضرارْ

وتُطْعم الصغارْ

فاكهةَ الصمود والإصرارْ

يا قبّةَ الصخرةِ من صلاتنا سيرتوى آذارْ

وتنبت الرايات والثمارْ

وتبعث الغناءَ، والليمونَ، والأحرارْ

تعيدُنا للوطنِ المسروقِ، تمحو العارْ

نازك الملائكة